

تَرْجُحُ الْمُنْتَقِطَاتِ
مِنْ
شِعْرِ الْمُنْتَقِطَاتِ

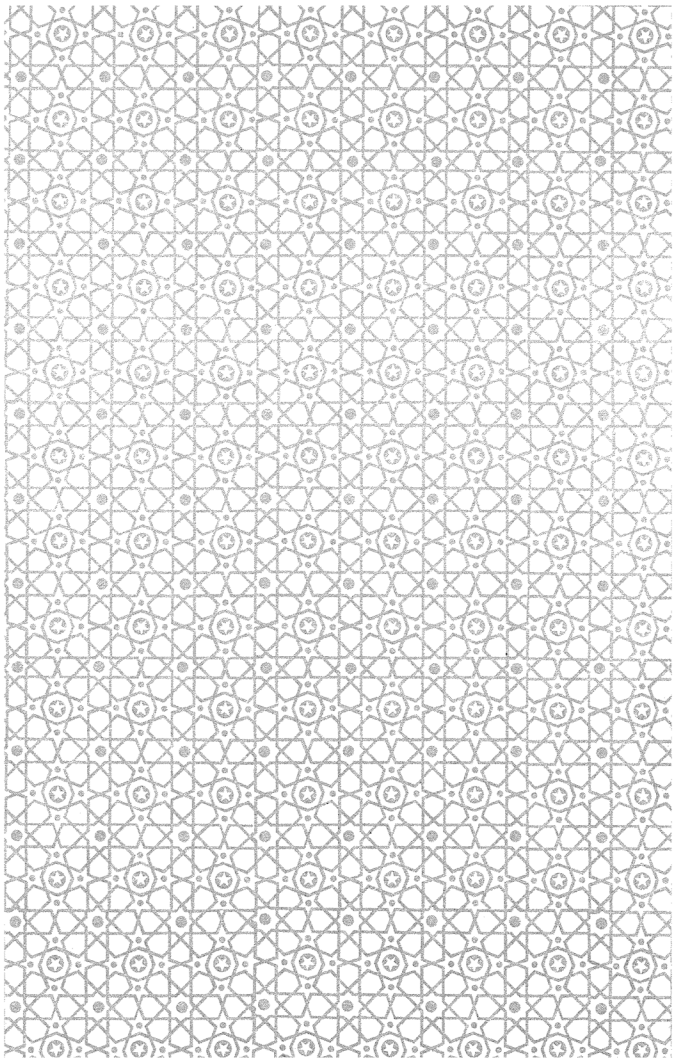
لِلْأَمِيرِ الْهَادِي بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيِّدِهِ الْأَنْدَلُسِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٤٨ هـ

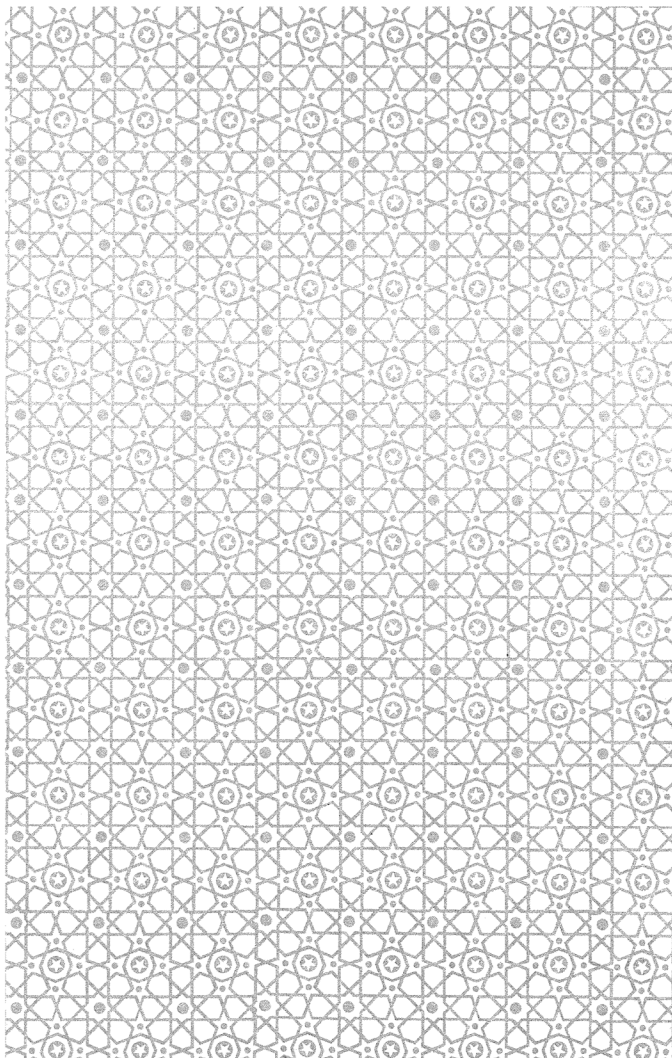
بِتَحْقِيقِ
الْأَسْتَاذِ مُصِطَفَى الْمَسْقَا
الذِّكْرُوحِ أَمْدُ عَبْدِ الْمَجِيدِ

مُطْبَعَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ بِبَغْدَادِ

١٩٩٦







تَشْرِحُ الْمُتَشَكِّكِينَ
مِنْ

شِعْرِ الْمُتَنَبِّئِينَ

شرح المشكك
من

شرح المتنبي

تأليف

علي بن إسماعيل بن سيده
الترغفة سنة ٤٥٨ هـ

تحقيق

الأستاذ مصطفى السقا الدكتور حامد عبد المجيد

مطبعة دار الكتب العلمية بيروت

١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح المشكل من شعر المتنبي

تقديم طبعة الكتاب

هذا كتاب من أنفس الذخائر العربية وأعظمها أثراً في الأدب واللغة.

هو أحد الكتب القيمة لإمام من أئمة الأندلس الميرزين، وحجة من حجج اللسان العربي، وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، صاحب أكبر معجمين كبيرين في اللغة، هما المحكم والمخصص.

أتجه المؤلف في كتاب هذا إلى ما كان سبباً في الخصومة ومثاراً للجدل بين الأدباء والنقاد في المشرق العربي، حول ما أشكل من شعر المتنبي، وما استغلغ من معانيه واستبهم من تراكيبه. فتناولها في عمق العالم المتمكن، وشرحها شرحاً وافياً في بسطة من البيان، وغزارة علمه باللغة والنحو والتصريف.

وقد قمت منذ أعوام على تحقيق هذا الكتاب مشاركة مع العالم المحقق الأستاذ مصطفى السقا - رحمه الله - حين طلب إلينا المجلس الأعلى للفنون والآداب أن نحققه ونعده للنشر، فصح العزم على تحقيقه، وأطلقنا صحبة العمل فيه.

ويتوفيق الله سبحانه أكملنا تحقيقه على خير ما يرجى وقدمناه للمجلس في سنة ١٩٦٥ ليتولى نشره.

وأمتدت الأعوام فكانت عشرة كاملة. والكتاب لا يبرح مكانه حيث وضع. وإذا هو يظهر فجاءة مطبوعاً طبعة ساء فيها وأساء.

كانت طبعة سقيمة مشوهة، يشيع فيها التحريف والتصحيف، وتتزاحم الأخطاء فى أكثر الصفحات. ونص الكتاب يعتريه الخلل ويعوزه التقويم الصحيح بسبب ضياع الهوامش والتعليقات.

فكان لابد من تهئية الكتاب وإعادة طبعه من جديد على الصورة الصحيحة التى قدمناها للمجلس الأعلى.

وبفضل الله ومعونته، وإرادته ومشيبته، تم إعداد الكتاب لينشر فى صورته العلمية مكتملاً تحقيق النص وتقويمه.

والآن وقد أخذت دار الكتب المصرية - بعد أن أصبحت هيئة عامة - تعاود نشاطها فى إحياء التراث العربى بعد توقف، وتسرع الخطولنشره بعد إبطاء، احتفاء بما له من مكانة وأصالة.

واتفق أن رأى الأستاذ المحقق الدكتور محمود فهمى حجازى رئيس هيئة دار الكتب، هذا الكتاب بعد إعداده واكتماله، فأولاه عنايته واهتمامه. وكانت منه رغبة صادقة فى أن تتولى دار الكتب طبعه ونشره.

فإلى الأستاذ العلامة أوفى الشكر خالصاً، مع التقدير لحرصه الشديد، وجهده المتصل فى إحياء غراس العصور، ونشر التراث الفكرى لعلماء الأجيال.

وبعد.

فها هو ذا شرح ابن سيده لما أشكل من شعر المتنبى، قد أنجز طبعه فى صورة واضحة جلية وفق أصول النشر العلمى المنظم. وقد بذلنا فى تحقيقه ما وسع الجهد واقتضته أمانة الأداء.

نسأل الله العلى الأعلى أن يعم النفع به. إنه المرجو والمؤمل، والحمد لله رب العالمين.

* * *

مقدمة المحققين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ظهر المتنبي فملاً اسمه الآفاق العربية وشغل الناس. شغلهم فى البيئات العلمية والأدبية القريبة منه، وشغلهم فى البيئات البعيدة عنه. وكانت الأندلس - وهى أبعد البيئات الإسلامية عن الشرق العربى - من أهم البيئات اهتماماً بشعر المتنبي، ومشاركة فى شرح ديوانه.

وكان أبو الطيب المتنبي أعظم معنى متفلسفاً، وأكثر تركيباً مستتبهما، وفيما أبهم واستشكل من شعره، تجاذب الناس القول، ودارت حول المتنبي حركة أدبية واسعة فى بغداد وما حولها، كان الأدباء فيها بين اثنين، مدافع عنه ومتحامل عليه.

وأوسع نطاق هذه الحركة الأدبية، وتجاوز تخوم البيئة الشرقية إلى الأندلس، وكانت الأندلس فى القرن الخامس الهجرى خاصة. قد استكملت شخصيتها العلمية والأدبية، وبلغت من العلو الثقافى ما جعلها تنافس بغداد وتحاول جاهدة أن تنتزع منها الصدارة.

فإذا شغل علماء المشرق العربى وأدباؤه بالمتنبي، فالأندلس جديرة أن تشغل به، وتشارك فى فهم شعره.

كان أظهر من شرح شعر المتنبي من أدباء الأندلس : أبو القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكريا النحوى المعروف بابن الإقليلى، المتوفى ٤٤١هـ. وكان أبو القاسم هذا من المعاصرين لابن سيده. وقد تصدر لإقراء علم الأدب بالأندلس، وكان ممن روى عن أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى كتاب النوادر لأبى على القالى.

وكان مع علمه بالنحو والفلسفة، يتكلم فى معانى الشعر وأقسام البلاغة والنقد. وقد ألف كتاباً شرح فيه معانى شعر المتنبي.

وفى ختام القرن الخامس الهجرى، تولى ابن السيد البطليوسى، إمام أهل الأندلس فى عصره، شرح ديوان المتنبى، إلى جانب شرحه سقط الزند لأبى العلاء المعرى.

وقد ورد إلينا شرحه سقط الزند وقامت على تحقيقه ونشره لجنة إحياء آثار أبى العلاء^(١). أما شرحه لديوان المتنبى فقالوا عنه إنه لم يخرج من المغرب. (ابن خلكان).

وبين هذين العالمين الجليلين، كان ابن سيده اللغوى وقد قصر همه على شرح المشكل من أبيات المتنبى، وألف فيه كتابا له أثره ووزنه الأدبى وهو الذى حققناه ونقدمه اليوم إلى القراء.

وابن سيده من أظهر علماء الأندلس وأئمة اللغة العربية. لم يكن فى زمانه كما قالوا : «أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها».

وقد أشتهر بين معاصريه ومن جاء بعدهم من اللغويين والأدباء والمؤرخين بكنيته «ابن سيده» وكان هذه الشهرة، قد أنست الناس اسم أبيه فوقع الخلاف بينهم حين أرادوا تدوينه.

فالحميدى فى جذوة المقتبس يذكره بقوله : «على بن أحمد. أبو الحسن المعروف بابن سيده» (ترجمة ٧٠٩ ص ٢٩٣).

وابن بشكوال فى الصلة يقول : «على بن إسماعيل، يعرف بابن سيده من أهل مرسية يكنى أبا الحسن...».

وفى كتاب صاعد الجيانى : على بن محمد ، فى نسخة، وفى كتاب على ابن إسماعيل.

وهذا الخلاف الذى نراه فى كتب الأندلسيين حول اسم أبيه، يتردد كذلك فى روايات المشاركة نقلا عن الحميدى وابن بشكوال، كما هو واضح فى

(١) أعضاء هذه اللجنة : الأساتذة : عبد الرحيم محمود. مصطفى السقا. عبد السلام هارون. إبراهيم الأبيارى. حامد عبد المجيد

معجم الأدباء لياقوت، ونكت الهميان للمصفي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وطبقات النحاة لابن قاضي شبيهة، ولسان الميزان لابن حجر حيث يذكر ابن سيده في الجزء الرابع منه (ص ٢٠٢) مجرد ذكر باسم (علي بن أحمد. يأتي في علي بن إسماعيل). ثم يترجم له في ص ٢٠٥ باسم علي بن إسماعيل.

* * *

ويبدو أن هذا التشابه بين كنية ابن سيده وبين ابن سيد (بتشديد الياء وكسرها) وهو جد أحمد بن سيد، أبو القاسم اللغوي - وكان صاحب الشرطة بقرطبة ممن روى عن القالي - قد أحدث شيئاً من اللبس أو السهو عند الحميدي، فذكر ابن سيده على أنه علي بن أحمد لا علي بن إسماعيل.

وكذلك دفع هذا اللبس أو التشابه بين الاسم والكنية، إلى أن ينسب إلى ابن سيده، كتب ابن سيد خطأ.

فكتاب العالم في اللغة، وكتاب العالم والمتعلم، وشرح كتاب الأخفش. هذه الكتب الثلاثة من تأليف أحمد بن أبان بن سيد وتنسب خطأ إلى أبي الحسن بن سيده. على أن بعض المؤلفين قد أشار إلى هذا ونبه عليه.

فابن قاضي شبيهة في أثناء ذكره مصنفات ابن سيده في كتاب طبقات النحاة وإشارته إلى كتاب العالم يقول: «وكذلك كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب وليس هما من تصنيفه، وإنما هما من تأليف أحمد بن سيد (بتشديد الياء)» ثم يقول في (ج ١ ص ١٥٥) في ترجمة ابن سيد ما نصه: (أحمد بن أبان بن سيد، مؤلف كتاب العالم في اللغة في نحو مائة مجلد بدأ فيه بالفلك وختم بالذرة، وخلط من نسب هذا الكتاب إلى ابن سيده صاحب المحكم وإنما هو من تأليف ابن سيد هذا. وقد أخذ هذا الرجل عن القالي وغيره).

* * *

ومهما يكن من الأمر فإذا كان الباحثون يجمعون على اسمه وكنيته «علي ابن سيده» ثم يختلفون في اسم أبيه، فعندنا أن والد ابن سيده هو إسماعيل كما ذكر ابن بشكوال، لا أحمد كما أورده الحميدي، ونورد في تحقيقنا لذلك أدلة ثلاثة :

أولها :

أن جميع كتبه التي وصلت إلينا : المحكم والمخصص ومشكل شعر المتنبي؛ تحمل اسم مؤلفها على بن إسماعيل بن سيده ولا يرد فى واحد منها ذكر لعلى بن أحمد، كما أن مقدمات هذه الكتب تذكر اسم مؤلفها على بن إسماعيل.

ففى مقدمة المخصص. «قال أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده».

وفى المشكل من شعر المتنبي (نسخة تونس) «قال أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده».

وفى نسخة القاهرة من هذا الكتاب (شرح مشكل أبيات المتنبي وضع أبى الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده).

ثانيها :

ما جاء فى خطبة لسان العرب، إذ يقول ابن منظور : «ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده الأندلسى رحمهما الله وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق».

ويعيد جداً ألا يتحقق ابن منظور أو يخفى عليه اسم والد ابن سيده صاحب أكبر موسوعة اعتمد عليها فى لسان العرب.

ثالثها :

ما نراه فى كشف الظنون من نسبة كتبه إلى على بن إسماعيل لا على بن أحمد. فعندما يذكر كتاب الحماسة لأبى تمام (الجزء الأول ص ٦٩١) يقول حاجى خليفة : «فمن شرحه... أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ وهو شرح كبير فى ستة مجلدات وسماه الأنبق».

وعندما يعرض لديوان المتنبي وشرحه يقول : « وشرح مشكل أبيات المتنبي لأبي الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده ».

وعند كلامه عن المحكم يقول : « المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن على ابن إسماعيل ».

وعندما يورد كتابه الوافى يقول : كتاب الوافى فى علم القوافى لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده اللغوى (كشف الظنون ٢ : ٩٩٧).

وعندما يصل إلى المخصص يقول : والمخصص فى اللغة لابن سيده أبى الحسن على بن إسماعيل اللغوى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ، ألفه قبل الحكم.

نشأة ابن سيده :

نشأ ابن سيده بمرسية، وهى مدينة كبيرة فى شرق الأندلس، كانت تروج بكثرة من العلماء والفقهاء والأدباء. ونج فيها عدد كبير من أهل العلم والأدب، يرقى بهذه المدينة إلى الدرجة العليا من الرقى الفكرى والمكانة العلمية.

فى هذه المدينة ولد ابن سيده وفيها نشأ، وأكبر الظن أنه قضى عهد صباه وشطرا من شبابه بين الدرس والتحصيل على علمائها ممن نشئوا فيها أو من الوافدين إليها.

فالرواة يذكرون أن ابن سيده تلقى العلم على أبيه إسماعيل بن سيده، وكان طبيعيا أن يسمع الفتى الناشئ من أبيه ويأخذ عنه، وكان أبوه فيما يعلم اللغة ومن النخبة الأجلاء، وقد روى عن أستاذه الزبيدى مختصر كتاب العين. وتوفى بمرسية بعد الأربعمئة بمدة، كما ذكر ابن بشكوال.

ويذكر الرواة أيضا أن ابن سيده قد أخذ عن صاعد البغدادى الوافد على الأندلس زمن المنصور بن عامر، وقد أخذ صاعد عن السيرافى وأبى على الفارسى وغيرهما. وكان من العارفين باللغة وفنون الأدب والأخبار. اتصل صاعد بالمنصور بن أبى عامر فأكرمه وأدناه منه، وألف له صاعد كتاب الفصوص، على نحو النوادر لأبى على القالى وتوفى بصقلية سنة ٤١٧ هـ.

وكذلك يروون أن ابن سيده أخذ عن أبي عمر بن محمد الطلمنكى وكان إماما فى القراءات، ثقة فى الرواية مفسرًا محدثًا، ودرس بقرطبة ثم بالمرية فمرسية فسرقسطة، وكان مشهورا بالورع والشدة على البدع.

وهم يذكرون أن الطلمنكى حين دخل مرسية أراد أهلها أن يسمعوا منه الغريب المصنف لأبى عبيد، فقال لهم: انظروا من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابى، فأتوه برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأ عليه مداولة إلى آخر الكتاب من حفظه فعجب منه. وتوفى الطلمنكى فى سنة ٤٢٨هـ. عن تسعة وثمانين عاما. وهو أستاذ ابن حزم وابن عبد البر.

وإذا كنا لم نهتد إلى شيوخ له غير هؤلاء الثلاثة، فمبلغ اليقين أن ابن سيده أخذ بمرسية عن بعض الأئمة من علمائها من أمثال : أبى الوليد محمد بن عبد الله البكرى المرسى. وكان أبوالوليد هذا - كما ذكر ابن بشكوال - فى الصلة (ت ١٥٥ ص ٤٩٩ ج٢) - من أحفظ الناس لمذهب مالك وأصحابه وأقوامه احتاجا له مع علمه بالحديث، الصحيح منه والسقيم وأسماء رجال نقله، والتعديل والتجريح، والعلم باللغة والنحو والقراءات ومعانى الأشعار، وتوفى بمرسية سنة ٤٣٦هـ.

وكذلك من أبى غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى وهو من علماء مرسية وكان كما وصفوه «إماما فى اللغة وثقة حجة» وله كتاب مشهور فى اللغة. وله مع أبى الجيش مجاهد العامرى قصة تروى حول هذا الكتاب حين غلب على مرسية، وكان أبو غالب بها فبعث إليه ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمته : «مما ألفه تمام بن غالب إلى أبى الجيش مجاهد» فرد الدنانير، وأبى أن يصرف فخر تأليفه لمجاهد. وتوفى أبو غالب بمرسية قى سنة ٤٣٦هـ وهى السنة التى توفى فيها مجاهد.

ثقافته :

درس ابن سيده ماكان شائعا فى عصره، من علوم اللغة والدين، ونهل من مناهل العربية الصافية حتى وصفوه بأنه «كان حافظا لم يكن فى زمانه أعلم

منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب»، وقال هو عن نفسه : «إنى أجد علم اللغة أقل بضائعى، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم دقيق النحو وحوشى العروض وخفى القافية وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر فى سائر العلوم الجبلية».

وكذلك توفر على علوم الحكمة والمنطق خاصة، حتى وصفه صاعد بأنه من حذاق المنطق.

وقال فيه ابن قاضى شبيهة فى كتابه طبقات النحاة : «ومن وقف على خطبة كتاب المحكم علم أنه من أرباب العلوم العقلية. وكتب خطبة كتاب فى اللغة، إنما تصلح أن تكون خطبة لشفاء ابن سينا».

ويبين من الحكم ومشكل شعر المتنبى أن ابن سيده كان على جانب كبير من العلم بالقراءات. ويرجع هذا فيما نعتقد إلى ما أفاده من أستاذه أبى عمر الظلمنى خاصة، وما أفاده بدانية أثناء إقامته بها فى بلاط مجاهد العامرى وقد اشتهرت دانية زمن مجاهد بما فيها من العلماء وأئمة القراءات.

عصره :

ولد ابن سيده فى سنة ٣٩٨هـ فاستقبل حياته فى مختتم القرن الرابع، وهى فترة خطيرة اضطربت فيها أحوال الأندلس عقب وفاة المنصور بن أبى عامر واشتعلت نار الفتن بين المتنازعين على السلطان والطامعين فى الملك. وقد استمرت القلاقل حينا طويلا تشد المتنازعين إليها وتلفهم بنار الفتنة وحرَّ الموجدة، كما ظل الصراع شديدا يستعر أواره ويبلغ غايته، حتى يطيح بالدولة الأموية ويحول آخر خلفائهم فى سنة ٤٢٨هـ.

ثم تتفرق الأندلس أيدى سبّا إلى عهد عرف بعهد ملوك الطوائف. وهو عصر - على الرغم مما صحبه من نهضة علمية وأدبية، وما امتاز به من ازدهار الثقافة والوان المعرفة - كان أضعف العصور الأندلسية وأوهنها، حيث تقسمت الأندلس أقساما كثيرة. فكان لكل مدينة أو إمارة صاحبها متخذاً لقب الأمير أو

الملك، واشتعلت نار الفتن بينهم جميعا، فأخذوا يتحاربون ويتطاحنون. وبدت المدائن الأندلسية محترقة مختصة، متدبرة متنافرة. فكان كل أمير إذا أحس بالقوة أو أنس في نفسه البأس صرف تلك القوة ووجه هذا البأس في سبيل تحقيق مجده الشخصي، فلا يلبث أن ينقض على جاره، فيدراً هذا الخطر عنه فيتحالف مع جار أقوى، أو يستنصر بجيرانه من الإشبانية، ومضوا على ذلك طوال أيامهم، حتى وهنت قوتهم ولانت قناتهم فأغار عليهم عدوهم من المسيحيين فاضطروا إلى الاستنجاد بالمرابطين.

عاش ابن سيده في هذا العصر، عصر الفتنة التي أطاحت بالدولة الأموية ثلاثين عاماً كَمَلاً. وعاش في عصر الطوائف إلى أن توفي سنة ٤٥٨هـ ثلاثين عاماً كذلك. وشاهد توزع السلطان في أيدي هؤلاء الأمراء، وأبصر ما كان من اصطناعهم لمظاهر العظمة والأبهة وتنافسهم في تقريب العلماء والأدباء. إذ كان أعظم مباهاتهم «قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني». والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني».

فأخذ العلماء والأدباء يتوافدون على قصور هؤلاء الأمراء. وكان ابن سيده أحد العلماء الوافدين على دانية في زمن مجاهد العامري.

أتصل ابن سيده بمجاهد، وكان مجاهد من أصحاب الهمة وذوى الجرأة. فحين عصفت الفتنة بدولة ابن أبي عامر، قصد مجاهد إلى الجزائر التي بشرقى الأندلس مع من تبعه فغلب عليها وحماها، ثم غلب على دانية واتخذها قسبة إمارته.

وكان مجاهد كما وصفوا من أشد الناس شغفا بالعلم وحبا للعلماء. فكانت دولته - كما ذكر صاحب البيان - أكثر الدول خاصة، وأسراها صحابة (البيان ص ١٥٦).

ومن أجل ذلك قصده العلماء والفقهاء من كل صقع وجنس. وألّفوا له توالييف مفيدة في سائر العلوم. فأجزل على ذلك صلاتهم بألاف الدنانير. ومضى على هذا طوال عمره.

وكان ابن سيده منقطعا إلى أمير دانية، كما يقول الفتح بن خاقان، في مطمح الأنفس، وإلى هذا الأمير ألف أجل كتبه : المخصص، والمحكم.

حظه من المعارف :

وصفه أبو نصر الحميدى فى جذوره المقتبس بقوله : «إمام فى اللغة وفى العربية حافظ لهما على أنه كان ضريرا . وقد جمع فى ذلك جموعا . وله مع ذلك فى الشعر حظ وتصرف».

ويقول السيوطى فى بغية الوعاة : «كان حافظا لم يكن فى زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار، وأيام العرب وما يتعلق بها، متوافرا على علوم الحكمة».

ويقول عنه ابن قاضى شهبه فى طبقات النحاة : «وكان ابن سيده ثقة فيما ينقله من اللغة وغيرها، قوله حجة، ولكنه عثر فى المحكم عثرات. وكان متوافرا على علوم العربية متوافرا على علوم الحكمة. وألف فيها تواليف كثيرة. ومن وقف على خطبة كتاب المحكم، علم أنه من أرباب العلوم العقلية. وكتب خطبة كتاب فى اللغة، إنما تصلح أن تكون خطبة لشفاء ابن سينا».

ويقول ابن حجر فى لسان الميزان (جء ص ٢٠٥) : «كان من أعلم أهل عصره باللغة حافظا لها جمع فيها عدة تصانيف نافعة».

وبعد أن أشار ابن حجر إلى مآخذ السهلى عليه فى نقض الصحيفة ورمى الجمار، عقب على ذلك بقوله: قلت : والغالب فى هذا يعذر لكونه لم يكن فقيها ولم يحج. ولا يلزم من ذلك أن يكون غلط فى اللغة التى هى فنه الذى تحقق به...».

مؤلفاته :

كان ابن سيده إماما حافظا، صافى الذهن، جيد الملكة، غزير المادة، واسع الاطلاع، وافر المحصول، جامعا لأشتات الفرائد.

وقد خلف للعربية من بدائع التأليف وروائع التصنيف عدة كتب نافعة، وصل إلينا بعضها، وفقد بعضها، أو هو لا يزال في أحرار بعيدة، لم تصل إليها الأيدي، فلم يعرف عنه غير عنوانه، أو إشارات يسيره إلى حجمه وموضوعه.

والرواة يذكرون أن له كتابا في شرح الحماسة لأبي تمام سماه «الأنيق» في ستة مجلدات. كما أن له كتابا في شرح إصلاح المنطق لابن السكيت، وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون باسم «العويص».

وله كتاب شاذ اللغة في خمسة مجلدات، كما يروون أن له تأليفا مبسوطا في المنطق. ولم يذكر عنوانه ولم يعثر عليه بعد.

على أن ابن سيده قد ذكر في مقدمة المحكم ثلاثة كتب من تأليفه، وربما كانت أربعة، وهي :

كتاب «الوافي في علم القوافي»^(١) وسماه في موضع آخر «الوافي في أحكام القوافي»^(٢).

ومن حديثه عنه؛ أنه عالج فيه دقائق النحو والصرف، كما عرض فيه لنقد باب عيوب الشعر، وطرائف قوافيه في كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم ابن سلام.

وكذلك كتاب نقد فيه الأمور الصرفية والمسائل النحوية من كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت. وقد يكون ذلك الكتاب، هو الذي عرف باسم العويص. فيكون الكتاب شرحا ونقدا.

وكتاب آخر في التذكير والتأنيث. قال عنه: «وأما ما أتركه من الأشعار بالتذكير والتأنيث، فإنما ذلك لأنني قد أفردت له كتابا لم يوضع في معناه ما يوازيه فضلا عما يساويه. وكذلك الممدود والمقصور».

(١) المحكم ص ١٠.

(٢) المحكم ص ١٠.

وقد يكون فى هذه العبارة الأخيرة، ما يشعر بأن له تأليفا فى الممدود والمقصود.

أما ماوصل إلينا من مؤلفات ابن سيده، فكتب ثلاثة : المخصص، والمحكم، والمشكل من شعر المتنبى.

والمحكم، أحد الأصول اللغوية الستة الى اعتمد عليها ابن منظور فى لسان العرب. أما الأصول الأخرى فالتهذيب للأزهري، والصاحح للجوهري والحواشى عليه لابن برى، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير، وجمهرة ابن دريد. ويكاد يكون الأساس الأول فى اللسان، هو ما نقله ابن منظور عن ابن سيده فى المحكم.

وقد طبع المخصص فى سنة ١٣١٦هـ فى سبعة عشر جزءا، كما تم تحقيق المحكم وبدأت الجامعة العربية فى نشره^(١).

أما المشكل من شعر المتنبى فهو الكتاب الذى قمنا بتحقيقه ونقدمه الآن بين أيدي الباحثين.

والسؤال الذى يعرض لنا الآن هو : أى هذه الكتب الثلاثة كان المؤلف أسبق إلى تأليفه؟ وما هو الترتيب بينها جميعا.

وجوابنا على ذلك أن المخصص كان أسبق الكتب الثلاثة تصنيفا. فقد ألفه ابن سيده قبل المحكم، وقد أشار حاجى خليفة فى كشف الظنون إلى ذلك. على أن المحكم حافل بنصوص كثيرة يشير فيها ابن سيده إلى ماسبق أن شرحه فى المخصص.

فى الجزء الأول من المحكم ص ١١٥ مادة (جدع) يقول ابن سيده. «وجدع الغلام جدعا فهو جدع: ساء غذاؤه. قال أوس:

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء توليا جدعا

وقد ذكرت تصحيف بعض العلماء لهذه الكلمة فى هذا البيت فى الكتاب المخصص.

(١) شارك محققا هذا الكتاب فى تحقيق بعض أجزاء المحكم.

وفى الجزء الأخير من المحكم فى (باب النون والباء والواو) يقول ابن سيده : «نبا بصره عنه نبوا . وابناء فارس قوم من أولادهم، ارتهنوا باليمن. وللاب والبنت أشياء كثيرة تضاف إليها قد جمعتها وتقصيتها فى الكتاب المخصص»

وفى موضع آخر من هذا الجزء يقول : «الأم القصد. وقالوا : ما أنت وأم الباطل. أى ما أنت والباطل. وللام أشياء كثيرة تضاف إليها قد أبنتها فى الكتاب المخصص».

وفى (باب النون والباء والهمزة) فى هذا الجزء أيضا يقول : «النبأ الخبر، والجمع أنباء، وتنبأ الرجل : ادعى النبوة.

وقد أنعمت شرح هذه الكلمة وأبنت اشتقاقها فى الكتاب المخصص.

فهذه النصوص قاطعة بأن المخصص كان أسبق إلى تأليفه من المحكم غير أننا نجد ابن سيده قد ذكر اسم المخصص فى مقدمة المحكم كما ذكر المحكم فى مقدمة المخصص.

قال فى مقدمة المخصص : «ومبين قبل ذلك لم وضعته على غير التجنيس بأتى لما وضعت كتابى المرسوم بالمحكم مجتسما، لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة، أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبيوبا، حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبلغ المفوّه» فدل ذلك على أنه ألف المحكم قبل المخصص.

وقال فى مقدمة المحكم «... فألفت كتابى الملخص الذى سميته المخصص وهو على التبويب فى نهاية التهذيب، ثم أمرنى بالتأليف على حروف المعجم فصنفت كتابى المرسوم بالمحكم» فدل ذلك على أنه ألف المخصص قبل المحكم.

فكيف نوفق بين ما جاء فى هاتين المقدمتين من ذكر اسم المحكم فى مقدمة المخصص واسم المخصص فى مقدمة المحكم، وقد أوردنا من النصوص ما يقطع بأن المخصص كان أسبق إلى التأليف من المحكم؟ والجواب على ذلك يسير.

فالمعروف أن المقدمة توضع عقب الفراغ من التأليف. فإذا كان ابن سيده قد استجاب لرغبة الأمير كما هو نص قوله السابق، فبدأ في المحكم بعد المخصص دون إبطاء، فمعنى هذا أنه كتب مقدمة المخصص في الوقت الذي شرع فيه في عمل المحكم. أو على الأقل في الوقت الذي انتهى فيه تصميم فكرة المحكم وترتيبه ونظام مواده. وهذه العبارة التي ورد فيها ذكر المحكم في مقدمة المخصص، إنما قصد بها إلى التمييز بين طريقتيه في هذين المعجمين الكبيرين، بين المخصص الذي أتمه وأكمّله، وبين المحكم الذي شرع فيه. وفي الوقت نفسه قد عبر بها عن أمنيته في إتمام معجم كبير كالمحكم.

أما كتابه المشكل من أبيات المتنبي، فكان تاليا في التأليف للمخصص والمحكم. وفي الكتاب نفسه إشارات تبين ذلك.

ففي شرح ابن سيده لبیت ذی الرمة :

رخيمات الكلام مبتلات جواعل في القنا قضبا خذالا

يقول : مبتلات بالكسر، أى مقطعات للكلام يبهرن المنطق نغمة، فحذف المفعول. ومن رواه مبتلات، فقد كفاك. لأن المبتلة لفظ المفعول وهى من النساء التي كل شئ منها حسن على حدة، كأن الحسن بطل على كل جزء منها أى قطع. وقد أثبت هذا فى كتابى المرسوم بالمخصص فى اللغة».

وفى شرحه لقول المتنبي :

«وقيدت الأئيل فى الحبال»

يقول : «» وقد أثبت الأئيل واشتقاقه ووزنه وتكسييره وما فيه من اللغات فى كتابى المرسوم بالمحكم».

شرح ديوان المتنبي :

أول من شرح ديوان المتنبي، أبو الفتح ابن جنى، وكان طبيعيا أن يعرض عالم نحوى لغوى جليل كابن جنى لديوان شاعر كبير كالمتنبي، ملا الدنيا بشعره وشغل الناس.

فقد عرف ابن جنى أبا الطيب فى بلاط سيف الدولة الحمدانى بحلب، وكان قصر هذا الأمير كغيره من قصور الأمراء فى ذلك الحين، منتدى يؤمه أفذاذ العلماء ونوابغ الأدباء من شتى الأقطار والأمصار.

وعند سيف الدولة اجتمع أبو الفتح بأبى الطيب، ونشأت بين العالم الجليل والشاعر الكبير صلة وصحية، وتآلفا. ودامت بينهما الصحبة والمودة، وتوثقت بينهما الصلة والملازمة. ثم قُدِّرَ لأبى الفتح أن يخدم فى بيت آل بويه بشيراز فى عهد عضد الدولة البويهى وبنيه: صمصام الدولة، وشرف الدولة وبهاء الدولة. ولبهاء الدولة ألف ابن جنى كتابه «الخصائص».

وذهب المتنبى إلى شيراز فالتقى بصديقه أبى الفتح عند عضد الدولة، واستمرت المحبة بينهما قوية متينة، عرف فيها كل واحد منهما صاحبه عن قرب وخبرة. فكان المتنبى يجل أبا الفتح ويحله من نفسه أرفع محل ويقول عنه : «إنه رجل لا يعرف قدره كثير من الناس» وكان إذا سئل عن شئ من دقائق النحو والتصريف يقول : «سلوا صاحبنا أبا الفتح». كان كما يقول العمري فى مسالك الألبصار «إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب، حصل فيه إغراب، دل عليه وقال : عليكم بالشيخ الأعور ابن جنى، فسلوه فإنه يقول : «ما أردت ومالم أرد»^(١).

وكذلك عرف ابن جنى قدر أبى الطيب، صاحب المعانى الدقيقة والبصر النافذ والحكمة الخالدة والمثل السائر والإحاطة بالعربية، فأعجب به أیما إعجاب. وكان دائم الثناء عليه فى تأليفه والاستشهاد بشعره فى المعانى والأغراض المختلفة، ويعبر عنه بشاعرنا كما نرى ذلك فى الخصائص، إذ يقول : « وحدثنى المتنبى شاعرنا وما عرفته إلا صادقاً^(٢) ».

شرح أبو الفتح ديوان المتنبى شرحين : الشرح الكبير، والشرح الصغير، والأخير هو الموجود الآن.

وقد تعقب النقاد والمعاصرون شرح أبى الفتح. وعلى الرغم من أن ابن جنى كان من الكبار فى صنعة الإعراب والتصريف، لم يوفق فى شرح شعر

(١) مسالك الألبصار ٢ : ٢٠١.

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٢٩.

أبى الطيب، وقالوا عنه : إنه إذا تكلم فى المعانى تبُلد جِمَارُهُ، واستهدف شرحه للمطاعن والمآخذ.

وكان من الناقدين لشرح ابن جنى، على بن عيسى الريحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ، وهو ممن شارك ابن جنى فى الأخذ عن أبى على الفارسى، فآلف كتاب التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى.

وكذلك ابن فورجة أبو على محمد بن حمزة. فإنه ألف كتابين كبيرين على شرح معانى المتنبى؛ سَمى أحدهما «التجنى على ابن جنى» والآخر «الفتح على أبى الفتح» ورد فيهما على ابن جنى فى شعر المتنبى.

ثم اختلف الناس بعد ذلك فى شعر المتنبى، فقوم يتعصبون له ويفضلونه فى الشعر على جميع أهل زمانه. وآخرون يتعصبون عليه فلا يعدونه من الشعراء ويزرون بشعره.

ويشغل الناس بالمتنبى، وتقوم حركة أدبية واسعة حول شعره وتتعاقب الشروح لديوانه.

وحسبنا أن نقف عند ما أحصاه حاجى خليفة فى كشف الظنون من هذه الشروح، لنتبين إلى أى مدى كانت عناية الأدباء واهتمامهم بشعر المتنبى.

فقد شرحه أبو المظفر الهروى كمال الدين محمد بن آدم المتوفى سنة ٤١٤ هـ وشرحه أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ وسماه اللامع العزىزى أو معجز أحمد.

وشرحه أبو الحسن محمد بن عبد الله العجلي المتوفى بمصر سنة ٤٦٠ هـ وكان فاضلا نحويا من أصحاب أبى على الرماني.

وشرحه الامام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وهو من الشروح الجليلة النفع، الكثيرة الفائدة.

وشرحه عبد الله بن أحمد الشامانى المتوفى سنة ٤٧٥ هـ.

وكذلك أبو عبد الله سليمان بن عبد الله الحلوانى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ.

وشرحه أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ هـ

وسماه التبيان فى شرح الديوان.

وعبد القاهر بن عبد الله الحلبي النحوي المعروف بالو أواء المتوفى سنة ٦١٣هـ، وأبو البركات مبارك بن أبي الفتوح أحمد المعروف بابن المستوفى الإريلى المتوفى سنة ٦٣٧هـ، وقد شرّحه فى عشرة مجلدات وسماه «النظام» ويدرّ الكتب نسخه منه بعنوان: «شرح المشكل من ديوان حبيب أبى الطيب»، فى مجلدين كبيرين.

فإذا تركنا هؤلاء الشراح من أدباء المشاركة وذهبنا إلى الأندلس رأينا مشاركتها فى شرح ديوان المتنبى.

فقد شرّحه أبو القاسم بن الإقليلى المتوفى سنة ٤٤١هـ كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وشرح المشكل من أبياته أبو الحسن على بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ. ثم شرح الديوان كله أبو محمد عبد الله بن السّيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١هـ.

* * *

والسؤال الذى يعرض لنا الآن هو: لماذا قصد ابن سيده إلى شرح المشكل من أبيات المتنبى ولم يشرّح الديوان كله؟

وجوابنا على ذلك أن ابن سيده كان معجبا بالمتنبى، إعجابه بابن جنى. وقد تناول الأدباء فى المشرق شرح ديوانه منذ ظهر، وصدر عليه شروح كثيرة كان أولها شرح ابن جنى.

وغير خفى أن كتب ابن جنى وأبى على الفارسى، تعتبر بناء جديداً فى النحو بعد بناء سيبويه، وكان ابن سيده أشد حرصا على نقل كلام ابن جنى فى المحكم وذكر توجيهاته فى كل مناسبة.

وحين شرح ابن جنى ديوان المتنبى، أعجب به ابن سيده، لكن هذا الشرح قد تعقبه النقاد كالربيعى وابن فورجة وغيرهما من الأدباء. ومن مجموع ما قام به ابن جنى وما اعترض عليه فى شروحه، وجدت الفكرة عند ابن سيده فى شرح شعر المتنبى.

ولكن ابن سيده لا يلجأ إلى شرح الديوان كله، وإنما يتجه إلى ما كان سبباً للخصومة، ومثاراً للجدل، مما أشكل من أبياته وما استغلق من معانيه وما استبهم من تراكيبه، فيتناولها في عمق من حيث اللغة، ومن حيث الوزن ومصطلحات العروض، ومن حيث المعاني والدقائق النحوية والمسائل الصرفية. يتعمق في التحليل، ويستقصى القواعد، ويجمع الصيغ، ويثلمس التعليقات والتخرجات، ويكثر من الاستشهادات النحوية والآراء اللغوية، والنقل عن سيبويه خاصة، وهكذا حتى يتضح البيت المشكل ويتم فهم معناه.

والأمر الثاني الذي حدا بابن سيده إلى شرح المشكل من شعر المتنبي، أن شعر المتنبي صادف هوى في فؤاد هذا العالم الحكيم، وأشبع فيه رغبته الفلسفية، كما أن مشكلات المتنبي اللغوية كانت مادة خصبة لما فيها من دقائق النحو والتصريف.

فإذا كان ابن سيده يرى أن من أبرز ما تضمنه كتاب «المحكم» ، تمييز أسماء الجموع من المجموع، والتنبيه على الجمع المركب المسمى عند النحاة بجمع الجمع، والفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي، أو الفرق بين القلب والبذل، أو التنبيه على شاذ النسب والجمع والتصغير، فإنه واجد هذه الدقائق عند المتنبي.

فكان عليه وهو من المعجبين به، أن يطيل الوقوف عندها وأن يجعل كتابه فيها.

وحسبنا أن نجيل النظر في شرح المشكل من أبيات المتنبي، لنرى شاذ النسب في تصغير «أنيسيان» في قول المتنبي : «له ياءٌ حروف أنيسيان» ونرى الفرق بين المجموع وأسماء المجموع في مواضع كثيرة. ونرى الفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي في غير موضع.

وابن سيده في كل هذا وأمثاله، يسهب في الشرح ويمعن في التوضيح ويربط كل ذلك بشواهد من الكتاب لسيبويه.

وقد يتكرر شرحه لمسألة من المسائل، ثم يبين سبب ذلك، كما في قول
المتنبى :

(ولو جعلت موضع الإلال لآلنا طعنآ بالآلى)

فبقول فى آتام شرحه :

«وقد بينآ ذلك غير دفعة فى هذا الكتاب وفى غيره من كآبى. وإنما أعدة
لطرفآه ودفآه، وأنه لا يفهمه إلا الذرب، فمن أنس به أحبه ووالاه، ومن ناقداه
قلنا له : من آهل شينا عاده».

نسخ الكتاب ومنهجنا فى تحقيقه

فى سبيل تحقيقنا لهذا الكتاب ، كان علينا أن نبحث عن نسخه فى مظاهها وأماكن وجودها، فى فهراس مكتباتنا العربية من جهة، وفى فهراس المكتبات الأجنبية وخاصة كتاب بروكلمان من جهة أخرى.

ففى دار الكتب المصرية، عثرنا على نسختين من الكتاب إحداهما كتبت سنة ١١٦٨هـ، والأخرى صورت عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة تونس.

ثم بحثنا فى المكتبة التيمورية، ومكتبة طلعت، والمكتبة الزكية، ومكتبة الأزهر، والمكتبة الأحمدية بطنطا، ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية، فلم نجد بين فهراسها إشارة إلى وجود هذا الكتاب بين ماتحويه هذه المكتبات.

ثم بحثنا فى فهراس مكتبة مدريد، وفهرس مكتبة الاسكوريال، فلم نجد ذكرا لهذا الكتاب فى فهراسهما أيضا.

وكذلك رجعنا إلى بروكلمان فلم نجده يذكر من نسخ هذا الكتاب سوى نسخة دار الكتاب (٢ أدب م) وذلك فى صفحة ١٤٢ من ملحق الجزء الأول.

فكان اعتمادنا بعد ذلك فى تحقيق هذا الكتاب على هاتين النسختين الموجودتين بدار الكتب، وهما نسختان نفستان.

وصف النسختين :

أولا - نسخة دار الكتب رقم (٢ أدب م).

وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل، كتبها حسين القرافى الشافعى، وفرغ من كتابتها فى ٢٣ صفر سنة ١١٦٨هـ، وعنوان الكتاب فيها:

«هذا شرح مشكل أبيات المتنبي» وضع أبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده».

وتشتمل النسخة على ١٨٩ لوحة، ويكل لوحة صفحتان، وفي كل صفحة تسعة عشر سطرا. وقد صورت عنها نسخة أخرى حفظت بدار الكتب برقم ١٣٨٤١ز.

ثانيا - مصورة دار الكتب المنقولة عن المخطوطة المحفوظة بمكتبة تونس، وقد كتبت بالخط المغربي، ولم يذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وعنوان الكتاب فيها :

«شرح ابن سيده على مشكلات المتنبي».

وبالنسخة سقط يسير في بعض العبارات. وقد حفظت بدار الكتب برقم ١٩٨٧٧ز.

منهجنا في تحقيق الكتاب :

منهجنا في تحقيق هذا الكتاب، هو منهجنا وطريقنا في تحقيق جميع ما نشرناه من قبل من كتب التراث العربي، وهذا المنهج يهدف دائما إلى تحقيق غرضين أساسيين:

الأول : تقويم النص وإخراجه صحيحا سليما كما صدر عن مؤلفه.

الثاني : أن يكون الكتاب في تحقيقه كاملا مستوفى، بحيث يستغنى به القارئ عن غيره، فلا يضطر إلى الرجوع إلى مصادر أخرى.

ولما كان ابن سيده قد عنى كثيرا بالدقائق النحوية والمسائل الصرفية والنقل عن سيبويه خاصة، فقد عارضنا الأصل على ما نقل من «الكتاب» لسيبويه، كما رجعنا إلى الأصول النحوية والمعاجم اللغوية في كل ما يتصل باللغة والنحو.

وبعد، فما هو ذا «المشكل من أبيات المتنبي لابن سيده اللغوي» صورة للعالم المتمكن. ذى العقل الخصب، والتفكير الناضج. حققنا أصوله، وحررنا نصوصه، وجلونا غامضة.

ونقدمه اليوم إلى قراء العربية : شرحا وافيا من أجل الشروح لمشكلات
شعر المتنبي وأجزلها فائدة. وذخيرة من أنفس ما خلفته السنون، واحتفظت به
الحقبة من تراث الأجيال. راجين أن يعم به النفع، والله المرجو والمؤمل. ومنه
العون والتوفيق،

المحققان

حامد عبد المجيد

مصطفى السقا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّم

قال أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيده :

قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي رحمه الله تعالى:

- ١ -

(أَبْلَى الْهَوَى أَسْفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي

وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسْنِ)^(١)

يذهب الناس إلى أن أسف البعد هو الذي أبلاه على عادة البلى، وإنما قصد المبالغة، أراد أن البلى يعمل في الأجسام حالاً غحالا على الأيام، وقد عمل فيه ليوم واحد، وهو يوم النوى، عمله لسنتين.

- ٢ -

وقال

(ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خُلْبِهَا يَدُهَا)^(٢)

ظالت^(٢) : أقمت، والخلبُ : غشاوة الكبد، والبيت مضمَّن^(٤) بالاول وهو أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ حُرْدُهَا .

(١) مطلع أبيات ثلاثة بديوانه ص ٧

(٢) من قصيدة له بديوانه ص ٨ في مدح محمد بن عبدالله العلوي مطلعها
أَهْلًا بَدَارَ سَيَّاحٍ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ حُرْدُهَا

(٣) أصلها ظَلَّتْ فَحَلَفَ إِحْدَى اللَّامَيْنِ تَخْفِيفًا.

(٤) إنما يكون في قول المتنبي - التضمين الذي هو عيب عند أصحاب العروض. إذا كانت (أَبْعَدُ) في البيت الأول كلمتين: همزة الاستفهام والظرف، (بعد). أما إذا كانت أَفْعَلْ تفضيل - وقد جزم الواحدي بأنه الصحيح، فلا يكون هناك تضمين. ويكون (أَبْعَدُ) مرفوعاً على أنه خبر (لحردها) أو منصوباً على الحال من فاعل (سَيَّاح)

فالعامل فى أَبْعَدَ، ظلت، كأنه قال : ظلت بها بَعْدَ ما بان خُرُودُها، والمعنى : بعدما بان خردُها، ظلت منطويًا على كبد قد أنضجها التوجع وأذابها التفجع، (و) عليها يدها) :

إنما توضع اليد على الكبد خشية من ضعفها.

يريد^(١) بذلك، وكذلك يُفَعَّلُ بالفؤاد، كقول الآخر :

وضعتُ كَفَى عَلَى فؤادى مِنْ نار الهوى وانطويت فوق يَدَي

وأكثر الناس على أن (نَضِيجَة)، صفة للكبد فى اللفظ والمعنى، لاحظْ لَليد فى النَضِج، وإنما يريد أن اليد موضوعة على خَلْب الكبد فقط، ويقويه البيت الذى أنشدناه، وهو (وضعت كفى على فؤادى من نار الهوى....)

وقد يجوز أن يكون (نَضِيجَة) صفة للكبد على اللفظ، ولليد فى المعنى، أى على كبد قد نضجت يدها على خلبها من حرارتها، وهذا أبْلَغ، لأنه إذا نضجت اليد وهى موضوعة على الخَلْب من حر الكبد، فما الظن بالكبد؟ فإذا كان المعنى على هذا ، جاز فى (نَضِيجَة) الجر والرفع. فالجر على الصفة للكبد فى اللفظ، والرفع على أن يكون خبر مبتدأ، وذلك المبتدأ هو اليد، كأنه قال : يدها نَضِيجَة فوق خلبها. وهذا كما تقول : مررت بامرأة ظريفة أمتها، فالظرف فى اللفظ للمرأة، وفى الحقيقة للامة. وأن شئت قلت : ظريفة أمتها، أى أمتها ظريفة.

وأما إذا كانت النَضِيجَة صفة للكبد فى اللفظ والمعنى، فإنه لا يكون فيها إلا الجر، ويكون (نَضِيجَة) صفة اليد، أبْلَغ فى المعنى، لأنها حينئذ نَضِيجَة بما ليس فى ذاتها. وإذا كانت نعتًا للكبد، فهى نَضِيجَة بما فى ذاتها، واحتراق الشئ بما ليس فى ذاته، أبْلَغ من احتراقه بما فى ذاته وإنما يريد أنه إذا وضع يده على كبده متألمًا نضجت اليد بحر الكبد، كقوله :

هل الجعد إلا أن قلبى لودنا من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمرُ

(١) فى الأصل : يؤيد بذلك، تعريف

وهذا عندى أبلغ من قول المتنبي، لأن اليد إذا كانت على خلب الكبد، فهي أقرب إلى الحر من الفؤاد من الجمر، إذا كان بينه وبين الجمر قيد رُمح، مع أنه جعل الجمر الناري محترقاً من حر فؤاده. فحر الفؤاد إذن أشد من حر الجمر.

(شَابَ من الهجر فَرَقَ لِمَتِهِ^(١) فصار مثل الدَّمَقْسِ أَسْوَدَهَا)

وفى هذا البيت تَرْمَلَةٌ^(٢) صنعة، قال : (فَرَقَ لِمَتَهُ) فخص جزءاً من اللمة. ثم قال : أَسْوَدَهَا، فَعَمَّ، لكن قد يجوز أن يعود الضمير إلى الفرق، وإن كان الفرق مذكوراً، لأن المذكر إذا كان جزءاً من ذات المؤنث جاز تانيثه.

أنشد سيبويه :

وَتَشْرِقُ بالقول الذى قَدْ أَدْعَتَهُ كَمَا شَرَقَتْ صدرُ القناة من الدَّمِ^(٣)

وقد يجوز أن يريد بياض اللمة كلها، وخص الفرق، لأنه معظم الرأس، ثم أعاد الضمير إلى اللمة. وإنما وجه استواء الصنعة - لو أثنى له - وحسن فى القافية أن يقول :

شَابَتْ من الهجر لِمَتُهُ فصار مثل الدَّمَقْسِ أَسْوَدَهَا

أو يقول : (أَسْوَدَهُ) بعد قوله (لِمَتَهُ) وأَسْوَدَهَا^(٤) هنا : ليست مفاضلة، إذ لو كان ذلك، لكن أشد سواداً.

وقد يجوز أن يكون أراد المفاضلة، فقد جاء ذلك شاذاً، فقلوه أَسْوَدَهَا يريد به مُسَوِّدَهَا كما يقول : هو أَسْوَدُ القوم أى الأسود فيهم.

(كَيْفَ يَحْيِيكَ^(٥) الصَّلَامُ فى هِمِّ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنكَ أَبْعَدَهَا)

(١) اللمة من الشعر ما جاور شخمة الأذنين، وألم بالنكبين. والفرق: حيث يفرق الشعر من الرأس.

(٢) يقال: تَرْمَلُ عمله : لم يَتَنَوَّقْ فيه (القاموس).

(٣) انظر الكتاب لسبويه (١: ٢٥) وهو فى المفتض لأبى العباس المبرد تحقيق الأستاذ عضية ١٩٧: ٤

(٤) أى ليس (أَسْوَدَهَا) أفعل تفضيل، وإنما هو صفة مشبهة عند البصريين. ويجوز أن يكون عند نحاة الكوفة أفعل تفضيل، لأنهم يجوزون اشتقاقه بما دل على لون وخاصة السواد والبياض.

وانظر المسألة مفصلة فى (كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات ابن الأثير)

(٥) رواية الديوان وشرح الواحدى وشرح العكبرى (ليس يحييك)

كيف يكون أقربُ شئٍ أبعدَ شئٍ! هذا خُلفٌ إذا حُمِلَ على ظاهره، لكن لو قال : أقربها منك بعيد عنك ، كان حسناً، ولكن الذى أرادَه : أقربها عندك مثل أبعدها. فالجملة فى موضع الصفة (لهمم). أى أقربها منك عندك أبعدُها منك على الحقيقة.

(أحييتُها والدموعُ تُنجِدُنِي شُؤْنُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا)

أحييتها : يعنى الليالى، تنجِدُنِي : تعيننى. والشئون : مجارى الدمع، واحدها شأن. أى أحييت الليالى بالسهر والبكاء.

ومعنى البيت : إن شأن الدمع أن يخفف الحزن، كقول البحرى :

إن الدموع هى الصبابةُ فاطرح بعض الصبابة واسترح بهمومها

وهذا كثير فى أشعار العرب. وهو عندنا موجود بالمشاهدة، فكأن الدمع يعينه على طول الليل، وإعانة الدمع للمحزون على الحزن ليلاً. أجدى من إعانتته عليه إياه نهاراً، لأن المحزون يتسلى نهاراً بما يتأمله، وينظر إليه، والظلام يقصر الطرف عما يتشاغل به المحزون نهاراً، فيفرغ الحزين عند ذلك إلى الدمع، لا يجد مُعيناً غيره. قال : (والظلام ينجدُها) أى إن الظلام إذا قَصَرَ الطرف عما يتشاغل به المحزون، زاد الليل بذلك طولاً. فكأن الظلام أنجد الليل عليه بقصره طرفه عن النظر إلى ما يتشاغل به. لذلك قال الشاعر:

بلى إن للعينين فى الصبح راحةً لطرحيهما طرفيهما كلٌّ مَطَرِحٍ^(١)

وقوله : (والدموع تنجِدُنِي) جملة فى موضع الحال من التاء فى أحييت.

وقوله : (والظلام ينجدُها) جملة فى موضع الحال من الهاء التى فى أحييتها، أى أحييت الليالى وأنا تنجِدُنِي دموعى بالتسلية، وهى ينجدُها الظلام بالتطويل لها.

(١) البيت للطرماح بديوانه من قصيدة (ألا أيها الليل الطويل ألا أصبح)

(لا نَأَقَتِي تَقَبِلُ الرَّدِيفَ^(١)) ولا بالسُّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا

حَاجِي بِهَذَا الْبَيْتِ، وَإِنَّمَا عَنِ نَعْلِهِ، فَكُنِيَ عَنْهَا بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْحَيَوَانِ لِأَنَّ الْمَاشِيَّ يَعْلُو نَعْلَهُ كَمَا يَعْلُو الرَّكَّابُ نَاقَتَهُ، وَنَفَى عَنْهَا مَا لَا يَكُونُ لَا حَقًّا لِغَيْرِ الْحَيَوَانِ الْمُرْكُوبِ، يَخْرِجُهَا مِنْ نَوْعِهِ. ثُمَّ بَيَّنَّ هَذِهِ الْأَحْجِيَّةَ فَقَالَ :

(شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا)

أَيُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ طَوَائِفِ هَذِهِ النَّعْلِ يَحِلُّ مَحَلَّ الْأَدَوَاتِ مِنَ النَّاقَةِ، فَجَعَلَ شِرَاكُهَا^(٢) كَالْكُورِ، وَهُوَ مَا يَقَعُ عَلَى الْقَدَمِ مِنَ النَّعْلِ، لِأَنَّهُ عَلَى وَسْطِهَا، كَمَا أَنَّ الْكُورَ عَلَى وَسْطِ النَّاقَةِ، وَالزِّمَامَ أَمَامَهَا، كَمَا أَنَّ مِشْفَرَ النَّاقَةِ أَمَامَهَا، وَالشُّسُوعَ مِقْوَدَهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَفْضَلُ^(٣) عَنْ ذَاتِ النَّعْلِ، كَمَا أَنَّ الْمِقْوَدَ يَفْضَلُ عَنْ^(٤) الْمَقْوَدِ.

وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : وَشُسُعُهَا مِقْوَدُهَا فَيَفْرِدُ، كَمَا قَالَ : شِرَاكُهَا وَزِمَامُهَا، لَكِنَّهُ جَمَعَ عَلَى أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ الشُّسُوعِ شِسْعٌ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَوْ اتَّزَنَ لَهُ : (وَزِمَامُهَا : مِشْفَرُهَا) ، كَمَا قَالَ : (شِرَاكُهَا : كُورُهَا، وَشُسُوعُهَا : مِقْوَدُهَا)، فَبَدَأَ بِطَوَائِفِ النَّعْلِ قَبْلَ أَدَاةِ الْإِبْلِ، لَكِنْ حَسَّنَ عِنْدِي ابْتِدَاؤُهُ بِالْمِشْفَرِ أَنَّ الْمِشْفَرَ ذَاتِي، وَالْكُورَ وَالْمَقْوَدَ مِنَ الْأَدَاةِ، لَا مِنَ الذَّاتِ.

(يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا)

مَعْنَى إِتَاحَةِ الضَّرْبَةِ^(٥) لَهُ : حَلُّوْهَا بِهِ، وَمَعْنَى إِتَاحَةِ مُحَمَّدٍ لَهَا : نَبُوءُهَا عَنْهُ، وَاحْتِمَالُهَا لَهَا، وَتَأْثِيرُهُ فِيهَا بِرَغْمِهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ حَالٍ، وَذِي حَالٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُتَّاحٌ لِصَاحِبِهِ، وَأَرَادَ أُتِيحَ لَهَا مُحَمَّدُهَا كَمَا أُتِيحَتْ هِيَ لَهُ. وَأُتِيحَ : قُدِّرَ.

(١) الرَّدِيفُ : الرَّكَّابُ خَلْفَ الرَّكَّابِ.

(٢) شِرَاكُ النَّعْلِ سَيْرُهُ، وَهُوَ يَمْتَزِلُ الْكُورَ لِلنَّاقَةِ.

وَالْكُورُ : الرَّجُلُ بِأَدَاتِهِ يَوْضَعُ عَلَى النَّاقَةِ. وَالشُّسُوعُ : السُّيُورُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ خِلَالِ الْأَصَابِعِ.

(٣) يَفْضَلُ : أَيُّ يَزِيدُ.

(٤) (عَنْ) : سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلَيْنِ. وَتَقْدَمُ مِثْلُهَا فِي أَوَّلِ الْعِبَارَةِ. هَذَا وَالْفِعْلُ (فَضَلَ) بِمَعْنَى : زَادَ يَتَعَدَّى بِعَيْنٍ.

(٥) قَالَ الْوَاحِدِيُّ : كَانَ هَذَا الْعُلُوُّ قَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ عَلَى الْوَجْهِ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ، فَقَالَ : لَيْتَ الضَّرْبَةَ الَّتِي قُدِّرَ لَهَا مُحَمَّدُهَا، يَعْنِي الْمَمْدُوحُ كَمَا قُدِّرَتْ الضَّرْبَةُ لَهُ كَانَتْ بِي. أَيُّ يَا لَيْتَنِي قَدِيتُهُ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ فَوَقَعْتُ بِي دُونَهُ.

ويجوز أن يكون أراد أن الضربة ندمت حين وقعت به، لأنها لم تكن بحق، فكان ذلك الندم^(١) تأثيراً فيها، وكذلك السيف ضربَ غيرَ مُسْتَحَقٍّ . فذلك الندم تأثير فيه. وكل ذلك مجاز واتساع. أى قدّر محمد للضربة كما قدّرت له، فكان هو المؤثر فيها ، ألا ترى بعده :

(أثر فيها وفى الحديد وما أثر فى وجهه مهندها)

أثر فى الشئ: غادر فيه أثراً، ولا يكون التأثير إلا فى الجواهر^(٢)، كقولك : أثر المطر فى الحائط والخف فى الأرض، وأثر المرض فى الجسم. ولا يكون ذلك فى العَرَض.

وقد اقتسم قوله : (أثر فيها وفى الحديد) جوهرًا وعرضًا، أما الجوهر فالحديد والتأثير فيه شائع، وأما الهاء فى قوله : (فيها) فَعَرَضٌ، لأنها كناية الضربة التى فى قوله :

*** يا ليت بى ضربة أتيح لها ***

وإنما لم يصح التأثير فى العَرَض لأن التأثير إبقاء الأثر، والأثر عَيْنٌ، والعين لا يكون إلا فى عين^(٣) مثله. أعنى بالعين: الجوهر، إذ لا يحمل الجوهر إلا جوهر. وأما العَرَض فليس بعين، فيكون حاملاً لعين آخر، فإن قوله: (أثر فيها) استعارة ومجاز غريب. كأنك توهم الضربة عَيْنًا، بل هو عندى أبلغ، لأنه إذا أمكنه التأثير فى العَرَض كان له فى الجوهر أمكن، لكنه مع ذلك قول شعري. أعنى أنه ليس بحقيقة. وقوله :

*** وما أثر فى وجهه مهندها ***

المهند : السيف . وهو عندى من قولهم : (هَنَدَتِ النساءُ) : أى تَيَمَّنه. والمَتَمُّ نَحِيلٌ فكذلك السيف.

(١) فى م : الدَّم ، تحريف

(٢) يريد بالجواهر الأجسام المادية، وهى تُقابل الأغراض جمع عَرَض (بالتحريك) كاللون والطول والقصر مما توصف به الأجسام.

(٣) (عين) بمعنى الجوهر وهو الشئ المادى

ولم ينف تأثير المهند فى وجهه نفياً كلياً . وكيف ذلك وقد أثبت الضرية، وهى التأثير. وإنما أراد أن المهند لم يؤثر فى وجهه أثراً قبيحاً، لأن وقوع الضربة فى الوجه تزين ولا تشين، لدالتها على الشجاعة والإقدام، كما أن التأثير فى الظهر دليل على الجبن والفرار، كقوله:

فلسنا على الأعقاب ندمى كُلوْمنا ولكن على أعقابنا تقطُر الدُمَا^(١)

ويروى (يقطر الدُما). جعل (الدُما) اسماً مقصوراً كفتى أنشد الفارسى:

كمهاة فقدت بزَعَزَهَا أعقبتها الغُيسُ منه ندما^(٢)

غفلت ثم أتت تطلبه فإذا هى بعظام ودمَا

فهذا شئ عَرَض، ثم نعاود الغرض.

فكان المهند لما وقع على وجهه، فكان ذلك إشعاراً بالإقدام، لم يؤثر فيه البتة، فلذلك نفى التأثير فى اللفظ نفياً عاماً. ونحوه ما حكاه سيبويه من قوله :
(تكلّم ولم يتكلّم)^(٣) أى أنك لما لم تُجد ولا أصبت، كنت بمنزلة من لم يتكلّم وإن كنت قد تكلمت.

(تنقذُ النارَ من مَضَارِبِهَا ومعدُّ ماء الرّقاب يُخمدُهَا)

قدحه فاندح : أوقده فاتقد، أى أن السيوف تقطع ما تحتها وتهوى فى التراب، فلا يردّها إلا حَجَرٌ يقدح النار بملاقاته جِرم السيوف، كقوله :

(١) البيت للخصم بن الحمام المرقى وقبله

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أنقذما

(٢) البيتان فى اللسان (أظم، يرغز) وفيه (كأظوم) فى موضع (مهاة) و(اعدما) فى موضع (ندما).

والأظوم :البقرة الوحشية . واليرغز : ولد البقرة الوحشية

والأصل فى الأظوم أنها سمكة غليظة الجلد تكون فى البحر. شبه البقرة بها. والغيس : الذئب، الواحد : أغيس.

(٣) انظر سيبويه فى الكتاب (١ : ٤٨٣) ط المعارف ٣ : ١٧١ فى باب (أم) إذ كان الكلام فيها بمنزلة

(أيهما) و(أيهم). ونص عبارته فى آخر الباب : (ونقول ما أدرى أقام أو قعد إذا أردت أنه لم يكن بين

قيامه وقعوده شئ، كأنه قال: لأدرى أنه كان منه فى تلك الحال قيام ولا قعود. أى لم أعد قيامه قياماً،

ولم يستين لى قعوده بعد قيامه، وهو كقول الرجل تكلم ولم يتكلم. اهـ

تَقْدُ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُقَوِّدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَابِ^(١)

(وصب ماء الرقاب يُخمدُها) أى أن الدم الذى يطفئ تلك النار يجرى على السيف والحجر، وسمي الدم ماء استعارة ومجازاً، وإنما ذلك لأن ماهته^(٢) سيلانه، وعلى هذا قالوا ماء العناقد^(٣). وسموا الدمع ماء، كل ذلك اتساع وتجاوز، لا حقيقة.

(إذا أضل الهمام^(٤) مُهَجَّتْهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا)

نشدت الضالة : طلبتها، وأنشدتها : عرفتها^(٥)، ونشدتها فى التعريف لغة أيضاً. وقوله:

ويصيح أحياناً كما استمتع المضلُّ لصوت ناشد^(٦)

قيل : يعنى بالناشد هنا المعرف وهو الصحيح، لأن المضلَّ يصغى إلى كلام المعرف ليذكِّه على ضالته. هذا قول الأصمعى.

وقيل : الناشد هنا : الطالب، لأن المضلَّ يُحب أن يجد مُضِلًّا مثله ليتعزى به. وهذا القول الآخر مستقل عن تغالى الأول. ويصح القول الأول:

تُصِيحُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ إِصَاخَةُ الْمُنْشِدِ لِلنَّاشِدِ^(٧)

(١) البيت للناطقة الذبياني من قصيدة مطلعها

(كلبنى لهم يا أميمة ناصب)

(٢) فى الأصل: (مياهه) ولعلها محرفة عن « ماهته » وهى مصدر بمعنى ظهور الماء وكثرة فى الرُّكبة. ويتضمن ذلك معنى سيلانه عند امتلاتها. وقد جاء فى اللسان (موه) ماهت الركبة تَماه وتَموه مَوَاهٍ وَمَيْهَا وَمَاهَةٌ وَمَيْهَةٌ : ظهر ماؤها وكثر .

وقال الشيخ حمزة فتح الله فى قصيدته فى المواهب الفتحية : (١ : ٢٠٣)

عل الأمانى قد ماهت ركبتها بفتح ما كان دون الحاج من باب

(٣) فى (م) ، (ت) : ماء القأقد، ولعلها محرفة عن العناقد أو العناقيد . يريد أنهم سموا الخمر ماء العناقد، وهو شائع على ألسنة الشعراء .

(٤) الهمام : اسم من أسماء الملك لعظم هيئته (اللسان - هم).

(٥) أى وصفت سماتها لمن يبحث لى عنها، كما يفعل من ينشد الأولاد الضالين.

(٦) البيت لأبى دؤاد الإيادى كما فى اللسان (نشد) وسمط اللآكئ : (١ : ١٤٥).

(٧) البيت فى شرح المفصل لابن يعش (٢ : ٩٤) وهو مما أنشده الأصمعى عن أبى عمرو، ونسبه فى سمط اللآكئ: للمثقب العبدى (١ : ١١٤).

والإصاخة : الاستماع . والناشد : الطالب . والمنشد : المعرف.

أى إصاخة الطالب للمعرّف. أى أن الهمام إذا فقد مهجته فإنه يسأل عنها أطراف هذه السيوف، لأنها عارفة بمسالك الأرواح، بها تُقبض وعليها تُرد، لا مظنة لها إلا هى، فأطرافهن على هذا مفعول ثان أى تنشئها أطرافهن.

(أَقْرُ جِلْدِي بِهَا عَلَى قَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجِدْهَا)

أى نضرة العيش بادية على بَشَرَتِي، كقول العرب : (أراك) بَشَرُ مَا حَار مشفر^(١)، فإذا جددت نعمتك، شهد بها جلدى فلم يمكنه إنكارها، إذ أثرها عليه بادرٍ فإن جددتها وأقر جلدى بها اقتضحت. ونظيره قول تعالى :

(تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)^(٢)

قوله : (فلا أقدر حتى الممات أجدها) أراد : على أن أجدها، فحذف على وأن، ورفع الفعل لعدم العامل الذى كان ينصبه وهو (أن). ونظيره قوله تعالى : (قُلْ أَغْيِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ)^(٣) أى تأمرونى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل. ولو كانت القطعة مفتوحة الرؤى لقال : (أجدها) فأعمل أن مضمرة إعمالها مظهرة. وقد روى هذا البيت بالوجهين جميعاً.

«ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى»^(٤)

(١) المشفر للبعير كالشفة للإنسان . وهذا المثل فى اللسان (شفر) وقال : أى أغناك الظاهر عن سؤال الباطن.

(٢) الآية ٢٤ من سورة المطففين.

(٣) الآية ٦٤ من سورة الزمر.

(٤) صدر بيت من معلقة طرفه، وتعامه

(وأن أشهد اللذات هل أنت مغلدى)

وقال المتنبي :

(أحيا وأيسرُ ما قَاسَيْتُ مَاقْتَلًا والبين جَارَ عَلَى ضَعْفَى وما غَدَا)^(١)

يجوز أن يكون أراد : أحياً وأيسرُ ما قاسيته ما قتلنى، أو ما من شأنه أن يقتل، وإذا كان أيسر ما قاسيته قاتلاً، فما ظنك بأكثره وأشدّه. وهذا على وجهين : إما أن يكون تعجب من ذلك فقال : أنا فى حال حياة ، وأقل مالاقيته قاتلٌ، وإما أن يكون طمع بالحياة فأنكر ذلك، فقال : كيف أحيا من هذه الحال؟ فهذان وجهان إرادة الاستفهام وقد يكون أحيا خبراً، أى أنا أحيا. وهذه حالى، أى تجلدى، يتعجب من صبره. وقد يكون (أحيا) اسماً يدل على المفاضلة ، أى أثبتُ ما قاسيته لحياتى ما قتل، وهذا غلو وإفراط، لأنه إذا كان ما قتله أثبت شئ لحياته، لم يبق له ما يوجب الموت.

(وَضَاقَتْ الأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ)

إذا رأى غيرَ شئ فَلَنَّهُ رَجُلًا

أما الرؤية فلا تقع على غير شئ، لأن غير شئ ليس بمحسوس إحساس الجوهر، ولا إحساس العَرَض، لأن غير شئ خارج عن الجوهر والعَرَض، لأن كل واحد من الجوهر والعرض شئ. وإنما أراد هذا الشاعر : إذا رأى غير شئ يُحْفَل به، فهو فى قوة قولك : إذا رأى شيئاً لا يُحْفَل به ظنه رجلاً، كقول العرب : إنك ولا شئ سواء، ومحال أن يسوئ بين الموجود والمعدوم، لأنهما فى طريق التضاد، ولكنهم يريدون إنك ولا شئ يُعْبَأُ به سواء. ولكنهم قالوا : إنك ولا شئ، واكتفوا به ، من قولهم : وشئ لا يعْبَأُ به، لأن مالا يعْبَأُ به كالمعدوم، ولذلك الزمنا

(١) البيت مطلع قصيدة للمتنبي بديوان ص ١٧

سيبويه النصب في قوله^(١) : إنما سرت حتى أدخلها، إذا كنت مُحْتَقِرًا للسِّرِّ، قال الفارسي: إنما ذلك لأنه لا شئ أقرب إلى طبيعة النفي من الاحتقار، والنفي عدم ، فجعل الاحتقار كالعدم.

(قَبَعْدُهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكِضْتَ)

بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ^(٢) الطُّفْلِ مَا سَخَلًا

أي إن هذه القبيلة قَلَّتْ وَذَلَّتْ، حتى لو ركضوا الخيل، على قوة الركض في لَهَوَاتِ الطفل على ضعفه، ما شَعَرَ بهم فيسْعَلُ، بالغ بذلك كقولك :

وَلَوْ قَلَمَ الْقَيْتُ فِي شِقِّ رَأْسِهِ مِنْ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ^(٣)
فأما قول رُؤْيَةَ في صفة الصَّائِدِ:

فَبَيَاتَ وَالنَّفْسُ مِنَ الْحَرِصِ الْفَشَقِ فِي الْغَابِ لَوْ يَمْضِغُ شَرِبًا مَا بَصَقَ^(٤)

(١) نص عبارة سيبويه في الكتاب (١: ٤١٥) في باب حتى). وتقول: إنما سرتُ حتى أدخلها (برفع اللام) وحتى أدخلها (ينصب اللام). إن جعلت الدخول غاية وفي هامش الكتاب، قال أبو سعيد السيرافي : أجاز سيبويه الرفع في موضع ولم يجزه في موضع . وذلك أن (إنما) تكون على وجهين : أحدهما تحقير الشيء . والآخر الاقتصار عليه . فأما الاقتصار عليه فقولك فيمن ادعى له الشجاعة والكرم واليسار، فاعترفت بواحد منها فقلت : إنما هو موسر فعلى هذا الوجه يُرْفَعُ الفعل بعد حتى ليريد بالاقتصار عليه القصر الإحصاء). وأما تحقير الشيء . فقولك لمن تُحَقِّرُ صنيعا له : (إنما) تكلمت فسكت، وإنما سرتُ فقعدت) لم يعتد بكلامه ولا بسيره. فعلى هذا الوجه إنما نصب سيبويه (إنما سرت حتى أدخلها) لأنه لم يعتد بسيره سيرا . فصار بمنزلة المنفى، ويقبح الرفع، لأنك لم تجعل السير مؤديا إلى الدخول فيكون منقطعا بالدخول

(٢) لَهَوَاتُ : جمع لَهَاءَ، وهي لحمه في الحلق عند أصل اللسان

(٣) البيت من قصيدة للمتنبى مطلعها

«أَعْيَدُوا صِبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ»

(٤) البيتان من أرجوزة رُؤْيَةَ بن العجاج المطرولة . ذكرها وشرحها العيني في المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية علي هامش الجزء الأول من خزائن الأدب الكبرى للبيهقي (ص ٣٨ - ٨٠) كما ذكرها وشرحها توفيق البكري في (أراجيز العرب ص ٢٢ - ٣٩).

والفشق (بالتحريك) : الشديد، وقيل النشاط، وقيل: انتشار النفس من الحرص. و(الغاب) كذا في الأصل، ويروى (في الزوب) بالزاي وهو قُتْرَةُ الصائد أي البئر التي يحفرها ويكنم فيها للصيد أو الخص الذي يستتر فيه للصيد . ويقال أنزوب الصائد في قُتْرَتِهِ: دخل فيها . والشرى . الحنظل . يقول: قد صمت الصائد مخافة أن يسمع صوته وحركته حتى أنه لو مضى حنظلا ما يهتق، مخافة أن يعلم به الوحش.

فإنما أراد أن هذه القانص من النُّهم على صيد الوحش، وخشية أن يسمع له حساً فينفر، لو مَضَعَ الحنظل، لم ييصقُ خشية أن يُنفرها بَصَقُهُ، وقال الأصمعي: إن نَهْمَهُ عَلَى التَّصِيدِ قد شغله حتي لو مضغ الحنظل لم يشعر بمرارته فيبصقُ.

وخص المتنبي لهواتِ الطفل لأنها مظنة السُّعال.

وقوله : (ركضت بالخيّل)، إنما وجهه : لو ركضت الخيل، يقال : ركضت الدابة، ولا يقال ركضتُ بها. هذا هو المعروف في اللغة، لكن قد يجوز أن يكون ركض بالدابة لغة، فيكون من باب طَوُّحْتِه وطَوُّحْتُ به. وقد يجوز أن تكون الباء زائدة، كقوله :

(سُودُ المحاجر لا يقرآن بالسُّور)^(١)

(كَمْ مَهْمُهُ قَدْ فَدَّرَ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمَحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا)

قال (المحب) فجاء به على لفظ الفاعل، ولم يقل الحبيب وهو يريد، لأنه عَنَى شدة إشفاقه في المَهْمَةِ، وذلك أن المعشوق إذا أحب عاشقه، فإنما يهجره لخوف واشٍ أو رقيب، فإذا رآه حَقَّقَ قَلْبُهُ لإشفاقه. ولو كان المحب غير محب لم يتجشم الزيارة على شدتها. وهذا كقول علي بن جبلة: ^(٢)

(١) ورد في خزائن الأدب للبغدادى (٣ : ٦٦٧) شاهدا على زيادة (باء الجر) وقيل: لا زيادة. لأن الفعل (يقرآن) مضارع (يقرئ) أو (لا يتقرئين) بقرأة السور.

والبيت للرأى النيمري أو للقتال الكلابي، وقد جاء في قصيدة لكل منهما.

والبيت بتمامه (هن الحرائر لا يأت أحمره) سُودُ المحاجر لا يقرآن بالسُّور

والأخيرة : جمع حمار : الدابة التي تركب

ومن رواه (بالخاء) (أخمره) فقد صحف. يصف نساء بأنهن حرائر لا يركبن الحُمر ، لأنها لاتناسب كرائم النساء، وإنما يركبها الإماء . وكنى بسواد محاجر الإماء عن سواد جلودهن . وهؤلاء الإماء لم يؤدبن ولا يعرفن قراءة السور.

(٢) هو أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم المعروف بالعكوك، شاعر مشهور وأحد فحول الشعراء المبرزين.

قال الجاحظ ! كان أحسن خلق الله إنشادا. ما رأيت مثله بدويا ولا حضريا ... ولد أعمى . والعكوك :

السمين القصير مع صلابته . ولد سنة ١٦٠ و قتل سنة ٢١٣ هـ

وهذا البيت أول مقطوعة له أنشدها ابن خلكان في (وفيات الأعيان)

بَأْبَىٰ مِنْ زَارِنِي مُكْتَتِمًا حَزَنًا مِنْ كُلِّ حِسٍّ فَرِغًا

فقدضاني بعد مامطلا على هذا القول، جملة في موضع الحال. ويجوز وضع الفعل الماضي موضع الحال، لأنه قد يوضع موضع المستقبل في قوله: **إِنْ فَعَلَ فَعَلْتُ**. فيما حكاه سيبويه من قولهم: **وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ**، يريدون لا أفعل.

وقد ذهب بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^(١) إلى أن (حَصِرَتْ) في موضع الحال^(٢)، وقد فيه منويّه، ويشهد عندي أن حَصِرَتْ في موضع الحال قراءة من قرأ: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ﴾.

وأما قوله: (قلب الدليل به قلب المحب) الذي هذه صفة فمعناه: أن فؤاد الدليل **وَجَلَّ** كقلب المحب الزائر المتوقع للفضيحة.

وقد يجوز أن يكون (قضاني بعد مامطلا) خبرًا عن المَهْمَة، أي: كم من مَهْمَة قد قضاني بعد مامطلا، قلب الدليل به قلب المحب.

وأما (قضاني بعد ما ماطلا) وهو يعنى المَهْمَة، فمعناه: أن المَهْمَة طال عليه، فمطله بالنجاة منه، ثم قضاه بعد حين، وكلاهما مستعار.

وأما قوله: (قلب الدليل به قلب المحب) فمعناه: أن قلب المحب يرجو ويخاف. وكذلك قلب الدليل يرجو الهداية ويخشى الضلالة.

(١) الآية ٩٠ من سورة النساء

(٢) أي علي تقدير: قد حَصِرَتْ. والكوفيون يجيزون وقوع الفعل الماضي حالا، سواء أكان معه (قد) أم لم تكن

وا نظر ذلك مفصلا في مبحث الحال في شرح المفصل لابن يعيش (٢ : ٦٧)

وقال أيضاً :

(مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِذِكْكُمْ النُّصْلِ سَلِيمًا مِنَ الْجَرْحِي بَرِيئًا مِنَ الْقَتْلِ)^(١)

أى : يا محبى ثورتى وقيامى بدولتى^(٢)، وتركى للأسفار، كيف افعل ذلك ولم أكسِرْ سيفى، ولا تَلَمَّته بضربى أعدائى به، فكُنْى عن الكسر بالقتل، وعن التُّكْم بالجُرح، إذ الجرح والقتل إنما يلحقان الحيوان، والسيف جماد لا حياة به، وأراد سليماً من الجرح، فوضع الجَرحى موضع الجُرح. وإن شئت قلت: كأنه على حذف المضاف، أى سليماً من ألم الجَرحى، أو من هيئة جُرح الجَرحى. وبريئاً وسليماً منصوبان على الحال من قوله: (مالذلكم) : أى أستفهم عنه وهو فى هاتين الحالين، كقوله تعالى : ﴿فَمَالِهِمُ عَنْ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾^(٣).

(أَمْطُ^(٤) عَنْكَ تَشْبِيهِى بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقَى وَلَا أَحَدٌ مِثْلَى)

أما (كَأَن) فلفظة تشبيه، فالكلام بها هنا على وجهه، كأنه يقول: لا تقل فى : كأنه الأسد، ولا كأنه السيف، ولا كأنه الموت أو السيل، فكل ذلك إنما هو دونى ، ولا ينبغي أن تشبه الشئ بدونه، إنما المعتاد عكس ذلك.

وأما (ما) فليست بلفظة تشبيه بمنزلة كَأَن، إنما استجازها فى التشبيه، لأنه وضع الأمر على أَنَّ قائلاً قال: ما يُشَبِّه ؟ فقال له المسئول : كأنه الأسد، كأنه السيف. فكان هذه التى للمسئول، إنما سببها (ما)^(٥) التى للسائل. فجاء هو بالسبب والمسبب جميعاً، وذلك لاصطحابهما، ومثل هذا كثير.

(١) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه صفحة ٤ . ويرى عجز البيت فى الديوان

(بريئاً من الجَرحى سليماً من القتل)

(٢) الكلمة غير واضحة الرسم فى الخطيتين. وأقرب لفظ يتبادر عنها ما أثبتناه.

(٣) الآية ٤٩ من سورة المدثر .

(٤) يقال : أَمَطَ الشئ بِمِطَّةٍ إمطاة : نجاه وأزاله.

(٥) [ما] زيادة يتم بها الكلام . وهذا الوجه من تفسير البيت أخذه المؤلف من تفسير ابن جنى كما فى الواحدي والطيان.

وقد يجوز أن تكون (ما) هنا بمعنى الجحد^(١)، فجعلها اسما، وأدخل الحرف عليها^(٢)، كأنه سمع قائلًا يقول : ما هو (إلا) ^(٣) الأسد. وفي هذا معنى التشبيه أى مثل الأسد، فأنبى هو ذلك. ثم رجع إلى النوع الأشرف فقال :
(فما أحدٌ فوقى ولا أحدٌ مثلى) مفضلًا نفسه عليهم.

- ٥ -

وله أيضا :

(هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ)^(٤)

أى هذه هدية، ويجوز هدية على البذل من قوله : (بما بعثت به). وقوله : (مارأيتُ مهديها إلا رأيتُ الأنام فى رجل) : أى إن فضائل الأنام مجموعة فى شخص واحد منه، فلا مُعْتَبَر بالعدد، إذا حاز معانيهم أجمعين وحده، كقوله أيضا :

غدا الناس مثليهم له لا عَدِمْتُه وأصبح دهرى فى ذراه دهورا^(٥)
ونحو قول بعض الحكماء وقد رَضِيَ تلميذًا له من بعض تلاميذه ، يقال
إن ذلك التلميذ (رَسَطًا لَيْس) فقال : واحد كَأَلْف، وليس ألف كواحد
وقال أبو نواس:

ليس عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٦)

- (١) أى هى حرف النفى ، ولما قصد المتنبي لفظها صارت اسما كما فى قول أبي زيد:
ليت شعري وأين منى لبتُ إن لبتا وإن لوتُ عنا .
فقد ضَعُفَ الواو فى (لو) لما جعلها اسما ، حيث أخبر عنها .
وانظر فى ذلك ابن يعيش (٦: ٣٠)
(٢) أى وأدخل (إلا) وهى حرف الإثبات بعد (ما) النافية لتحقيق التشبيه وتقويته .
(٣) (إلا) ساقطة من الخطيبين وهى ضرورية هنا لأنها لتحقيق التشبيه الذى أراداه المؤلف بعد (ما) التى للجحد .
(٤) البيت من قصيدة للمتنبي فى ديوانه صفحة ١٩ وهى من شعر صباه .
(٥) هذا البيت من قصيدة للمتنبي فى مدح أبى محمد الحسن بن عبد الله بن طُفَّح (ديوانه ص ١٥) ، وشرح البرقوقي (٢: ٢٩٨) .
يقول: إنه لعظم شأنه يعادل بالناس كلهم . فالتاس به ضعف ما هم عليه . ودهره عظيم القدر به ، قصار الدهر دهورا .
(٦) البيت من مقطوعة ستة أبيات لأبى نواس فى مدح الفضل ابن الربيع ورواية الشطر الأول «وليس لله بمستنكر»

وله :

(ولا وقفتُ بجسمٍ مُسنًى ثالثاً ذى أرسُمُ دُرُسٍ فى الأرسَمِ الدُرُسِ)^(١)

المُسنًى، والمُسنًى، والمُسنًى : واحد، كالصُبْح، والصَّبْح، والصَّبَاح، أى لولا هذه الظبية الإنسية، لم أقف على رسوم هذه الدار ثلاثاً بين يوم وليلة أسألها. ولم يُرد أنه وقف عليها بعد ثلاث من إقفارها، لأن الدار لا تدرس بعد ثلاث.

وإنما عنى أنه وقف عليها ثلاثاً، وصفته الجسم بأنه ذو أرسَمِ دُرُس، ذهب فيها إلى نحوله وأحائه. واستعار له أرسماً حين شبهه بهذا الربع الدارس والأرسَم، كقوله فى صفة الدار:

ما زَالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدَقِ يَنْحِلُهَا وَالشُّوقُ يَنْحِلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي^(٢)

وهذا البيت أبلغ فى تحول جسمه، لأنه جعل الدار تحكى جسمه فى التحول، فإذا جسمه أنحل منها،

وفى هذا البيت أعنى (ولا وقفت بجسم..) لم يجعل لجسمه فضلاً على الدار فى التحول.

ودُرُس : يجوز أن يكون جمع دُرِس وأن يكون جمع دُرُوس. كصبور وصُبُر، وأن يكون جمع دارس كَنَازِل ونُزُل.

(ما ضاقَ قبلكَ خلخالٌ عَلَى رِشَاٍ وَلَا سَمِعْتُ بِدِيَاجٍ عَلَى كُنُسِ)

يقول أنت كالرِشَا فى الحسن، وساقُ الرِشَا دقيقة، فكيف خالفت أنت الرِشَا، بأن ضاقَ خلخالك عن ساقك، ولو ألبست ساق الرِشَا خلخالاً، جال عليها ولم يثبت.

(١) من قصيدة للعتبى بديوانه (ص ٢٤) وأولها:

«أظبية الوحش لو لا ظبية الأنس لما عددت يجد فى الهوى تمس».

(٢) البيت قصيدة مطلعها «ما الشوق مقتنعا منى بذالكمد»

وهى فى مدح أبى عباد بن يحيى البحتري.

(ولا سمعتُ يديباج على كُنْس) : أى على هودجك سُنُور ديباج. ولم نسمع قبلُ بديباج على كِناس. إنما الكناس عُصون أو أسوق شجر أو محافر أرض. وأنت قد خرقت المعتاد، بكون الديباج على كناسك. ومن رواه على كُنْس، أراد على ذى كناس. وهذا على النسب، إذ لا فعل له. ونظيره ما حكاه سيبويه^(١) :
حَرْحٌ، وَسَيْةٌ، وَطَعِمٌ وَنَهْرٌ، وأنشد :

«لستُ بليلى ولكنى نَهْرٌ»^(٢) أى : ذو نهار.

فأما قراءة من قرأ (فى أيام نَحِسَاتٍ)^(٣) فذهب الفارسى إلى أنه من باب فَرِقٍ وَنَزِقٍ، توهموه على الفعل وإن لم يكن له فعل، لم يقولوا نَحِسَ النهار.

وهذا الذى قاله الفارسى غيرُ قوى عندى. أحسن منه أن يُحمل على النسب، لأن نظيره كثير، كما قد حكينا عن سيبويه، وتوهم الفعل فى مثل نَحِسَ قليل فى كلامهم.

(١) وردت هذه الكلمات فى الكتاب لسيبويه (٣: ٣٨٥) على صيغة (فعل) بكسر العين التى للنسب بدلا من النُسب إلى اللفظ بزيادة الياء المشددة فى آخره ومعناه ذو حَرْح ، وذو سَيْة ، وذو طعام، وذو نهار يعمل فيه. كأنك قلت: فيها رجل حَرْحى وطَعَامى ، ونهارى بياء النسب فى آخر كل لفظة. وجاء فى اللسان (حرج): حَرْحى فتفتح عين الفعل كما فتحوها فى النسب إلى يد وغد قالوا: غَدوى وَيَدوى وإن شئت قلت: حَرْح كما قالوا: رجل سَيْة ورجل حَرْح يحب الأخراج قال سيبويه هو على النسب. (٢) الرجز فى الكتاب لسيبويه (٣: ١٨١) والشاهد فى قوله (نَهْر) أى ذو نهار فبناء على (فعل) بكسر العين وهو يريد النسب، فكانه قال: (ولكنى نَهَارى) كما قال: (ألست بليلى). (٣) الآية ١٦ من سورة فصلت.

-٧-

وله أيضا :

(فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً مَنِيَّ إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّامِيلًا)^(١)

يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ أَرَادَ : لَمَّا جَلَّ قَدْرُكَ عَمَّا تَنَالَهُ يَدِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ إِلَّا هَبَّةَ يَدِكَ الَّتِي هِيَ كِفَاؤُهُ ، جَعَلْتُ مَا تَهْدِيهِ إِلَيَّ ، هَدِيَّةً مَنِيَّ إِلَيْكَ ، فَمَا يَعْدِلُ جَلَالَةُ قَدْرِكَ إِلَّا جَلَالَةُ جُودِكَ ، وَجَعَلْتُ ظَرْفَهَا تَأْمِيلِي أَنْ تَقْبِلَهَا مِنِّي .

وَالْآخَرُ : أَنْ يَكُونَ اسْتَحْقَاقُهُ فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ أَنْ (مَا) تَتَحَفَّنِي بِهِ أَوْ تَرْوُدْنِيهِ لِرَجُلَتِي ، سَبِيلُكَ أَنْ تَمْسُكَهُ عَنِّي وَلَا تُطْلِقَهُ ، وَأَنْ تُعْذَّ هَدِيَّةً مَنِيَّ إِلَيْكَ ، بِإِمْسَاكِكَ عَنِ إِهْدَائِكَ إِلَيَّ .

-٨-

وله أيضا :

(اَمْطُرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرِقُ)^(٢)

أَيَّ إِنْ عَطَاكَ جَاوَزَ الْمَقْدَارَ ، فَكَادَ يَقْتُلُ الْمُعْطَى فَرَحًا ، فَتَلَّافَ عُفَاتَكَ مِنْهُ ، لَثْلًا يَبْلُغُ بِهِمُ الْحَسَدَ الْمَهْلَكَ ، فَيَكُونُ كَالْمَاءِ الْمُغْرَقِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

لَهُيْ تُسْتَشِيرُ الْقَلْبَ لَوْلَا اتِّصَالُهَا بِحَسَنِ دِفَاعِ اللَّهِ وَسُوسِ سَائِلَتِهِ^(٣)

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : (انْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ) أَيَّ لَا تَكْلِفْنِي مِنَ الشُّكْرِ قَدْرَ الْوَاجِبِ فِيهِلِكُنِي ذَلِكَ ، فَكُنِّي عَنْ ضَعْفِهِ عَنِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ بِالْغُرُقِ . وَقَالَ ثَرَّةً وَهُوَ السَّحَابُ لِأَنَّ السَّحَابَ جَمْعُ سَحَابَةٍ ، وَكُلُّ جَمْعٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِلَّا الْهَاءُ ، فَلَكَ تَأْنِيثُهُ وَتَذْكِيرُهُ ، وَجَمْعُهُ وَإِفْرَادُهُ .

(١) البيت من أبيات أربعة بديوانه ص ٢٧ أولها (أحببت برك إن أردت رحيلًا) . وأنظر النبيان (٣: ١٧٩)

(٢) البيت من قصيدة للمثنوي بديوانه (ص ٢٩) وهي في مدح شجاع بن محمد بن أوس ومطلعها (أرؤى على أرق ومنلى بأرق)

(٣) من قصيدة لأبي تمام في ديوانه يمدح بها الخليفة المعتصم بالله ومطلعها
أجل أيها الربيع الذي خفَّ أهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله
واللهي: جمع لئيه ولهوة وهي العطية . وأصلها ما يعضه الطاحن بيده من الحب في قم الرحي .

٩-

وله أيضا:

(وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَاً وبالجن فيه ما نرت كيف ترجع)^(١)

يتعجب من ذلك. أى قلبك فى الدنيا، وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا فيه بنا وبالجن، أعجزنا الرجوع، وثُنها فى سعته، فكيف وسعت الدنيا قلبك ؟ وهلاً ضاقت عن حمله، لصغرها عن عظمه. يبينه ما قبله، وهو قوله :

أليس عَجِيباً أَنْ وَصَفَكَ مُعْجِزِي^(٢) وَأَنْ ظُنُّونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ
وَأَنْكَ فِي ثُوبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ

١٠-

وله أيضا :

(طَوِيلُ النِّجَابِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْقِنَاقِ طَوِيلُ السَّنَانِ)^(٣)

النجاد : حِمالةُ السيف، فطوله كناية عن طول القامة، وذلك بما يُمدح به كقوله هو :

مُكَلِّبِهِمْ فِي مِضَاءٍ مَا امْتَشَقُوا أَبْدَانُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا^(٤)
وكقوله :

وَعَالَ فَضُولُ الدَّرْعِ مِنْ جَنَبَاتِهَا عَلَى بَدَنِ قَدُ الْقِنَاقِ لَهْ قَدُ^(٥)

(١) من قصيدة للمتنبى فى مدح على بن أحمد الطائى مطلعها
«حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا»

(٢) رواية الديوان «معجز» بالتثنية

(٣) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ٣٣. أولها (قضاة تعلم أنى الفتى)

(٤) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ١٣٥ وأولها :

«أبعد نأى الملبحة النجل»

(٥) من قصيدته التى أولها :

«لقد حازنى وجد بمن حازه بُعْدُ»

وانظر ديوانه ص ٢٠٦.

وطولُ العماد : كنايةٌ عن السُّؤْدُدِ، وأصلُ العماد : ما عُمِدَ به البيت، أى أقيم. يقال : عَمَدَتِ البيت وَعَمَدْتَهُ. وعماد سيّد الحِلّة^(١) مَرْمُوقٌ يَقْصِدُ، فكانَ عماده ، وإن ساوى عُمُدَ أهلِ الحِلّةِ، أطول بكثير الشائمين^(٢) له، والقاصدين نحوه.

وطول القناة والسَّتان : كناية عن الحِذْقِ بالطَّعان. ولهذا وصفت العرب أرماحها بالطول، يريدون جودة العمل بها، والقوة على تصريفها، لا أنها طوال فى ذاتها، لأن طولها مُبعدٌ عن القِرْنِ، ولا يَحْمَدُ ذلك إلا الجبان، ولو كان طول القناة فى ذاتها محمودًا، لكان السيف - لكونه أقصر منها - مذمومًا. وإنما صفة القناة بالطول، كصفة السيف بالطول. لا يريدون فى كل ذلك إلا الحِذْقَ بالضَّرَابِ والطَّعان.

ومما يذكّر على أن طول القناة غير محمود، أن طول القناة قد يُورثها الخَطْلُ. قال الأصمعى : طول القناة أربع عشرة، وأقصرها سبع والممدوح بينهما، وهو ما كان طوله إحدى عشرة كقوله الشاعر:

وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَأَنَّ كُفُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى نِزَاعًا عَلَى الْعِشْرِ^(٣)

وكذلك قال البحتري :

كَالرَّمَحِ أَنْزَعَهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةً فَمَا اسْتَبَدُّ بِهِ طَوْلٌ وَلَا قِصَرٌ^(٤)

(يَرَى حُدَّةً غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِى)

أى أنه ماضٍ يقطع كل عضو يلقاه، حتى ينتهى إلى القلب، فكانه إنما قطع مادون القلب من الأعضاء حين رأى القلب، فَهَكَذَا إِلَيْهِ الْحُجُبُ الَّتِي دُونَهُ، إِذْ لَمْ

(١) الحِلّة: جماعة البيوت المتقاربة للقبيلة أوسعها.

(٢) الشائمين: المتطلعين إليه، من شام البرق: إذا نظر إليه.

(٣) البيت فى اللسان (قسب) وينسب إلى حاتم الطائي.

قال ابن برى: ولم أجده فى شعره. والقسب: الثمر اليابس، ونواه أصلب الثوى والأسمر الرمح (من الخط وهو جزيرة يجلب منها الرماح)

(٤) البيت من قصيدة للبحتري بديوانه (٤٤:٢) ط هندية بالقاهرة) وفى فى مدح على بن مرّ الطائي، أولها.

«فى الشيب زهر له لو كان ينزجر»

يمكنه الوصول إليه إلا باختراقها الهبة، وأراني هنا : من رؤية العين، لأنها غير متعدية^(١)، فكان يجب أن يقول: لا أرى نفسي، لأن فعلَ الفاعل إذا كان حسيًّا، لم يتعد إلى ذاته بكناية المتكلم. لا يجوز ضربتي، وإنما يتعدى فعل الفاعل إذا كان حسيًّا إلى ذاته بلفظ النفس. يقولون : ضربت نفسي وفي التنزيل ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾^(٢) إلا أنه قد جاء عنهم: فَقَدْتُني وَعَدَمْتُني، وهذا نادر غير معمول به.

لكن لما كانت أرى التي هي للعين مطابقة اللفظ لأرى التي هي للقلب، تتعدى على هذه الصورة، لأنها غير حسية، كقولهم: أراني ذاهبًا. استجاز أن يُجْرَى (أرى) التي هي للعين مجراها.

وعلى هذا أَوْجَّه أنا ما حكاه سيبويه^(٣) من قول العرب: أما ترى أي برقها هنا ؟ فَعَلَّقت فيه (أرى). ورؤية العين لا تُعَلَّقُ وإنما تعلق رؤية القلب، ورؤية البرق بصريَّة لا نفسانية. لكنها لما طابقت في اللفظ (ترى) التي هي للقلب، وكانت هذه تعلق، استجازوا تعليق التي للعين. على أنَّ الفارسي قد ذهب في هذا الذي حكاه سيبويه إلى أنها رؤية قلب.

(١) يريد أن يقول: إن (أرى) البصرية غير متعدية إلى مفعولين، وإنما تلك (أرى) العلمية كما أوضحه بعد.

(٢) الآية ٢٢ من سورة الأعراف.

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (١: ٢٣٥) باب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول

ولا غيره هو. والشاهد في (أرى برق) بالرفع على الابتداء، و(هاهنا): خبره ولم يتأثر لفظ أي بالفعل ترى، وهو من الرؤية البصرية بسبب الاستفهام (بأي) الذي منع الفعل (ترى) من نصب (أرى) على مفعول به فرقع بالابتداء.

وله أيضا :

(رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ

وَأَخْرَ قُطْنٌ مِنْ يَدِيهِ الْجَنْدَالُ)^(١)

يذهب إلى أَنَّ عَدُوَّهُ ضِدُّ لَهُ. هُوَ جَمُّ الْفَضَائِلِ. وَعَدُوهُ جَمُّ النِّقَاصِ وَالرِّذَائِلِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ بَيْنَهُمَا التَّنَافُرُ، لِأَنَّ الضَّدَّ مُحَارِبٌ لَضَدِّهِ، وَالشَّكْلُ مُسَالِمٌ لِشَكْلِهِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعَادِينِي إِلَّا نَاقِصٌ لَجَرَى الْعَادَةِ بِمَعَادَاةِ ذِي النِّقْصِ لَذِي الْفَضْلِ. فَإِذَا عَابَنِي - وَالْإِجْمَاعُ قَدْ وَقَعَ عَلَى فَضْلِي - فَهُوَ لَا مُحَالَةً نَاقِصٌ. وَقَدْ صَرَحَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي الْآخَرَى:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُومَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(٢)

أَيُّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فَاضِلًا مِثْلِي، مَا ذَمُّنِي لِتَشَابَهِ كُنَّا فِي الْفَضْلِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فَاضِلًا لَنَقِصَ وَفَضَلْتُ، فَأَوْجِبَ ذَلِكَ تَضَادًّا وَتَعَادِيًّا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(٣):

لَقَدْ أَسَفَ الْأَعْدَاءُ مَجْدَ ابْنِ يَوْسُفٍ وَذُو النِّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعٌ وَقَوْلُهُ: (مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ، وَأَخْرَ قُطْنٌ) : أَرَادَ مِنْ بَيْنِ صَائِبِ اسْتِهِ يَرْمِيهِ، وَآخِرُ هَذِهِ صَفَتِهِ. أَيْ أَنَّهُ ضَعِيفٌ يُعْدَى ضَعْفُهُ الْجَنْدَلُ فَيُضْعَفُ، حَتَّى لَا يُؤَثِّرَ كَمَا لَا يُؤَثِّرُ الْقُطْنُ إِذَا رُمِيَ بِهِ.

وصائبُ استِهِ: أَيُّ مُصِيبِهَا. يَقَالُ: صَابَ الشَّيْءَ وَأَصَابَهُ.

(١) من قصيدة للمعتبى بديوانه ص ٣٤. أولها.

ولا تخشيا خلفا لما أنا قاتل

قفاتريا ودقي فهاتا المخايل

(٢) من قصيدته التي مطلعها

«لك يا منازل في القلوب منازل»

(٣) انظر قصيدته التي أولها: «أما إنه لولا الخليط المودع»

في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري (ديوانه ١٦٨)

وخص ذكر استه من بين سائر الأعضاء لوجهين:

أحدهما : قصد الاستخفاف به في ذكر ذلك منه، والآخر أن هذا الناقص المتنقص لى مغلوب مهزوم. والمهزوم لا يقع سلاحه إلا على ما يلي ظهره، فخص هذا العضو للأميرين جميعاً.

والأجود عندي أنه إنما قصد الاستخفاف، والشتم. والسبب بذلك كثير. ولذلك سميت الاست السببة^(١) والسب.

وأصل الناس : الأناس، حذفوا الهمزة لكثرة استعمالهم إياه، وذلك مع اللام. وقد جاء محذوفاً ولا لام فيها، كما جاءت الهمزة فيه مع اللام فيما أنشده أبو عثمان^(٢) من قول الشاعر:

إِنَّ الْمَنَآيَا يَطْلِقُنَّ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمْنِيَا^(٣)

ولما ذكر سيبويه اسم الله تعالى، وكون الألف واللام فيه خلفاً من الهمزة قال : ومثل ذلك. أناس : فإذا أدخلت الألف واللام قلت الناس. إلا أن الناس قد تفارقه الألف واللام ويكون نكرة. والله تعالى لا يكون فيه ذلك، وهو فصل معروف في باب ما ينتصب على المدح والتعظيم والشتم في باب النداء^(٤).

وقوله : (وَأَخَرُ قُطْن) الجيد في قطن الرفع، لأنه جوهر والجوهر لا يوصف به . إلا أن الجر في مثل هذا قد يسوغ، وذلك على توهم الصفة، يُقدر الجوهر صفة بقدر ما يحتمله وضعه، نحو ما حاكاه سيبويه عن العرب من قولهم :

(١) في اللسان (سبب) السببة : الإسته والسبب : الشتم، والسببة : العار.

(٢) هو أبو عثمان بن محمد بن بقيه صاحب كتاب (التصريف) وقد شرحه ابن جنى في ثلاثة مجلدات، وطبعته مطبعة الحلبي بتحقيق الأستاذ عبد الله أمين سنة ١٩٦٠ ولم نجد فيه البيت الذي أشار إليه المؤلف. ولعله قد ذكره في بعض كتبه الأخرى.

(٣) ذكر البغدادي هذا البيت في الخزائنة (٣٥١:١) شاهداً على أن اجتماع (أل والهمزة في أناس) لا يكون إلا في الشعر. والقياس (الناس) فإن أصله أناس فحذفت الهمزة وعوض عنها (أل) إلا أنها ليست لازمة إذ يقال في السعة (ناس).

وقد أطال البغدادي في التعليق على هذه اللفظة (أناس) وذكر آراء النحاة وخاصة الفارسي فيها، فراجع إن شئت كما ذكره صاحب اللسان في (أنس) وقال: والآناس لغة في الناس. قال سيبويه: والأصل في الناس الآناس مخففاً فجعلوا الألف واللام عوضاً عن الهمزة.

(٤) راجع مبحث النداء في الكتاب لسبويه (٣٠٩:٢) وفي شرح المفصل لابن يعيش (٩:٢).

مَرَرْتُ بِسَرَجٍ خَزَّ صُفَّتُهُ^(١) لَأَنَ الْخَزِّ وَإِنْ كَانَ جَوْهَرًا فَهُوَ فِي مَعْنَى لَيْنٍ، وَلَيْنٌ صِفَةٌ. فَكَانَكَ قُلْتَ : مررت بسرج لَيْنٌ صُفَّتُهُ. قال ومن العرب^(٢) من يقول : مررت بقاع عرْفَجٍ كُلُّهُ، فيجعلونه كأنه وصف. قال الفارسي : كأنهم يقولون : مررت بقاع خَشِنٍ كُلِّهِ. وإنما قَدَّرَهُ بخَشِنٍ، لَأَنَ الْعَرَفَجِ شَاكٍ، وَالشُّوْكَ خَشِنُ الْمَسِّ، فَإِذَا جَزَّ فَقَالَ : (وَأَخْرَ قُطْنٌ مِنْ يَدِيهِ الْجَنَادِلِ) فَكَانَهُ قَالَ : وَآخِرَ لَيْنٍ أَوْ ضَعِيفٍ مِنْ يَدِيهِ الْجَنَادِلِ.

(وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ)
(وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الْأَرْضِ مُعَسَّرٌ وَأَنْتَى عَلَى ظَهْرِ السَّمَاكِينِ رَاجِلٌ)

ومن جاهل : معطوف على (صائب استه). أى أنه قد اشتمل بالجهل ولَا يَعْلَمُ أَنَّهُ جَاهِلٌ، بِالْعِلْمِ، بِالْعِلْمِ، فَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُ أَثَرًا مِنَ الْعِلْمِ. إِذْ لَوْ عَلِمَ أَنَّهُ جَاهِلٌ لَكَانَ لَهُ جِزءٌ مِنَ الْعِلْمِ.

وكذلك أيضًا بالغ في استجهاله بقوله :

* وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ *

(١) ورد هذا المثال في الكتاب (السيبويه ٢: ٢٢٨) تحت عنوان (هذا باب الرفع فيه وجه الكلام وهو قول العامة) وذلك قولك: مررت بسرج خَزَّ صُفَّتُهُ (برفع خَزَّ وصُفَّةٌ) ومررت بصحيفة طِينٌ خَاتَمُهَا (برفع الاسمين) ومررت برجل فضة حَلِيَّةٌ سَبَفُهُ (برفع فضة وحلينة) قال: وإنما كان الرفع في هذا أحسن من قَبْلَ أَنَّهُ لَيْسَ بِصَفَةٍ لَوْ قُلْتَ لَهُ خَاتَمٌ حَدِيدٌ أَوْ هَذَا خَاتَمٌ طِينٌ كَانَ قَبِيحًا. إنما الكلام أن تقول هذا خَاتَمٌ حَدِيدٌ (بإضافة خاتم إلى حديد) وصُفَّةٌ خَزَّ وخَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ وصُفَّةٌ مِنْ خَزَّ فَكَذَلِكَ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ فِي الشَّعْرِ هَذَا خَاتَمٌ طِينٌ (برفع طين) وصُفَّةٌ خَزَّ مستكرها. اهـ ... كلام سيبويه.

* * *

ويقول المحققان: بناء على كلام سيبويه أولاً وآخرًا يكون ماذهب إليه المؤلف (ابن سيده) من تأويل قول المتنبي (وآخر قُطْنٍ) بجر (قُطْنٍ) على أَنَّهُ نَعَتْ لآخر لتأويله إياه بـلَيْنٍ، جائزٌ على قول سيبويه وإن كان مستكرها.

وقد أجازته كذلك أبو على الفارسي في السُّعَّةِ ومنه قولهم (مررت بقاع عرْفَجٍ كُلُّهُ) يجعل عرْفَجٌ وهو اسم عين نعتاً مجروراً لقاع، لتأويله بخش وهو مشتق، والصفة التي جاءت في المثال (مررت بسرج خَزَّ صُفَّتُهُ) فسرّها ابن الأثير في النهاية بقوله: صُفَّةُ السَّجِّ بمنزلة المِيشِرَةِ. ومنه الحديث نهى عن صُفَّةِ النُّمُورِ اهـ عن تاج العروس.

وفي اللسان (صُفَّ) وفي الحديث: نهى عن صُفِّ النُّمُورِ هي جمع صفة. وهي للسرج بمنزلة الميشرة من الرجل.

(٢) القائل هو سيبويه في الكتاب (١: ٢٠٣).

يقول : لا علم له البتة، وكذلك يجهل قدرى عند^(١) نفسى، فلا يعلم أنى إذا ملكت الأرض، كنتُ مُعَدِّمًا عند نفسى، لقصور ذلك عن قدرى^(٢)، وأنى إذا علوت السماكين، كنت عند نفسى راجلاً، لأن ذاتى أعظم قدراً وأكرم خطراً.

و (مالك الأرض) : حال، والنية فيه الانفصال^(٣) ، أى مالكا للأرض. والظرف فى قوله : (على ظهر السَّمَاكِين) متعلق بمحذوف أى مستقرًا على ظهر السماكين، وهو حال، فالمجورور فى موضع الحال، وأراد على (ظهور السماكين)^(٤)، أو (ظَهْرَى السَّمَاكِين) فوضع الواحد موضع ذلك. ومثله كثير، وحسن ذلك أن السَّمَاكِين يُذْكَرَان كثيراً معاً، فصارا كالواحد^(٥).

(فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحَهُ لَهْ وَلَا صَدَرَتْ عَنْ بَاحِلٍ وَهْوَ بَاخِلٌ)
أى لم تَرُدْ سَيُوفُنَا رُوحَ امْرِئٍ إِلَّا صَارَ لغيره، إما بكونه إلى العنصر، وإما لغيره على المذهب الذى ليس بحميد^(٦). ولا وردت باخلاً بماله وذاته، فَقَدَرُ أَنْ يَبْخُلَ عَلَيْهَا بِهِمَا، أو بواحدة منهما.

(يُخَيِّلُ لِي أَنْ الْبِلَادَ مَسَامِيعِي وَأَنْئَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ)
خَيَّلَ لَهُ الشَّيْءَ وَخَيَّلَ إِلَيْهِ: أَيْ شُبَّهَ حَتَّى حَسَبَهُ كَائِنًا.

(١) - (١١) العبارة (بين الرقمين) ساقطة من ت.
(٢) أى أن الإضافة فيه على نية الفصل بين المضاف والمضاف إليه لأنها إضافة غير محضة والحال قد تكون معرفة إذا كانت مضافة إضافة لفظية غير محضة، لأنها فى تقدير النكرة كما مثله.
(٣) قوله: (على ظهور السَّمَاكِين) جعل كل ناحية من ظهر السماكين كأنه ظهر فلذلك ساغ جمعه وقوله (ظَهْرَى السَّمَاكِين) جعل لكل من السَّمَاكِين ظهراً واحداً وهما إذن ظهران وهو الذى يقتضيه التعبير الدقيق.
(٤) (كالواحد): هذا اعتدار عن قوله: (ظهر السماكين) بالإنفراد، لأنهما لما كانا يذكران معاً، كانا كالشئ الواحد الذى له ظهر واحد. والأجود فى التعبير أن يقول: (ظَهْرَى السَّمَاكِين) أو (ظُهُور السَّمَاكِين) على التأويل الذى قدمناه.
(٥) أى أنه يستحيل من لحم ودم إلى عنصره الأول وهو التراب. وهذا هو المذهب الحميد. أما المذهب غير الحميد فهو القول بتناسخ الأرواح.

يقول : قولُ العواذل لا يثبتُ في سَمْعِي، كما لا أثبتُ أنا في بلد. أراد: وأنى فيها ما يقول لي العواذل، من النهي لي عن التَّغْرِب وضُرُوب التَّصْرُف، كقوله:

أَوَانًا فِي بَيْوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَأَوَانَةً عَلَيَّ قَتَدَ الْبُعَيْرِ^(١)
ومثلُ هذا كثير في شعره.

- ١٢ -

وله أيضا :

(ابْعِدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلُمِ)^(٢)

(ابْعِدْ : أى اهلك. بَعِدَ الشئُ بَعْدًا: هَلَكَ، وَبَعْدَ بَعْدًا : ضد قَرُب. ودعاؤه عليه بِالْبَعْدِ: أبلغ من دعائه عليه بِالْبُعْدِ لأنه إذا هَلَكَ فقد صار إلى الْعَدَمِ، وإذا (بَعْدَ) كان في الوجود وإن لم يُقَرَّب. والبعدُ أمحى له من البُعد، وقوله (بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ) : أى لا بياض له في الحقيقة، ولا يحدث عنه بُشْرٌ وَلَا فَرَح.

والعربُ تَصِفُ الحُزْنَ بالسَّوَادِ، والسُّرُورَ بالبَيَاضِ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٣). وقال : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾^(٤)

وأراد : (ابْعِدْ بَعْدَتْ ذَا بَيَاضٍ)، لأنه إنما يخاطب الشعر الأبيض، لا العَرَضَ الذي هو البَيَاض. (لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلُمِ) أيها الشيب.

فأما قوله : (أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلُمِ)، فَخَطَأَهُ فِيهِ قَوْمٌ، قالوا : إن (فِعْل)

(١) هذا البيت من قصيدته التي مطلعها (عذيري من عذاري من أمور)

وانظر ديوانه ص ١٣٩.

(٢) هذا البيت والأبيات بعده من قصيدته التي مطلعها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللم

(٣) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٥٨ من سورة النحل.

(أَفْعَل) هذا على أكثر من ثلاثة أحرف، وهو (أسود)^(١) فلا تقع المفاضلة فيه إلا بأشَدَّ وَابَيَّنَّ وغيرهما من الأفعال الثلاثية، التي تصاغ لِيُوصَلَ بها إلى التعجب من الأفعال التي على أكثر من ثلاثة.

وهذا منهم غلط. ليست (افعل) هنا للمفاضلة، ولا (مين) متعلق بـأسود، على حد تعلق (مين) بأفضل في قولك : زيد أفضل من عمرو. وإنما هو كقولك لأنت أسود، معدود من الظلم في عيني. (فَمِنْ) غير متعلقة بـأسود ، كتعلق (مين) بأفعل التي للمفاضلة، وإنما هي في موضع رفع، حائلة محل الظرف، بمنزلتها في قول الأعشى:

فلست بالأكثر منهم حصي وإنعما العزة للكاثري^(٢)

فلا يجوز أن تكون (من) متعلقة بالأكثر، لأن اللام تُعاقب^(٣) مين، وإنما هي هنا بمنزلة الظرف. ولذلك جعل الفارسي (من) هنا بمنزلة ساعة في قول أوس بن حجر.

فإننا رأينا العرض أحوج ساعة

إلى الصنون من ريط يمانٍ مُسهم^(٤)

(١) نقل صاحب اللسان في (سود) فعلا ثلاثيا على وزن (فَرَح) قال: السواد نقيض البياض، سَوْدَ وسَادَ، وأسودُ أسودَا، وإسودُ أسويدَا، وهو أسود والجمع سَوْد وسُودان. ونحاة البصرة يمتنعون اشتقاقاً (أفعل) للتفضيل والتعجب من الفعل الدال على اللون لئلا يشبه اسم التفضيل بالصفة المشبهة.

أما نحاة الكوفة فيجوزون بناء (أفعل) من الأفعال الدالة على اللون وخاصة السواد والبياض (راجع المسألة الخاصة بهذا البحث في كتاب (الإتصاف لابن الأثير)).

(٢) هذا البيت في ديوان الأعشى (ط. القاهرة ص ١٤٣) وقد أورده البغدادى في خزنة الأدب (٤٨٩:٣) شاهدا على أن (من) فيه ليست تفضيلية، بل للتبعيض أو للبيان، أو بمعنى (فى) أى لست من بينهم بالأكثر حصي، أو لست فيهم أكثر حصي.

والحصي العدد. والمراد هنا عدد الأعوان والأنصار، والعزة : القوة والغلبة. والكاثري: الغالب بالكثرة. يقال: كاثروهم فكثروهم: غالبوهم فى الكثرة فغلبوهم.

(٣) أنظر ذلك مفصلاً فى مبحث أفعل التفضيل فى شرح ابن يعيش (٦: ١٠٣ - ١٠٥) وأنظر اللسان - كثره- وما نقله عن ابن سيده فى هنا

(٤) البيت فى اللسان (سهم) منسوباً إلى أوس بن حجر وقد أورده البغدادى فى الخزنة (٤٨٩:٣).

(حُبُّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبُ تُغْذِيَتِي هَوَاىَ طِفْلاً وَشَيْبَى بَالِغَ الْحُلُمِ)

أى غُذِيَتْ نفسى بحب هذه التى قتلنى حبها بالشيب، فأما تغذيتى نفسى بالحب ففى حال طفولتى، وأما فى الشيب، ففى حال بلوغى الحُلُم، أى هَوِيَتْ وأنا طفل، وشيبت من ذلك الحب وأنا مُحْتَلِمٌ. فَجَعَلَ الحُبُّ والشَّيْبُ لنفسه غذاءين وهما مُهلَكَان لا مُتَمَنِّيَان. والياء فى تغذيتى تكون موضع الفاعل، فيكون المفعول حينئذ محذوفاً. أى تغذيتى نفسى، كما تقول: عجبت من ضرب زيدٍ عمراً.

ويجوز أن تكون فى موضع المفعول الذى لم يُسَمَّ فاعله، أى غُذِيَتْ.

(وهَوَاىَ) : يجوز أن يكون مبتدأ وخبره الحال الذى هو طفلُ كقولك : أكثر شُرْبى السُّوْبِقِ ملثوثاً^(١). والقول فى (شَيْبَى) (وبالغَ الحلم)، كالقول فى (هَوَاىَ طِفْلاً). وكأنَّه قال : بالغاً الحُلُم.

ويجوز أن يكون هَوَاىَ فى موضع جر على البدل من حُبِّ، وشيبي حينئذ فى موضع جرٍ معطوفٍ على هَوَاىَ. والأول أقوى.

(شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ)

يعنى بالشيخ^(٢) هنا : المَجْرَبُ إذ لا تكون التجربة لغير ذوى السِّنِّ والحُكْمَةِ، كقول الرِّياحِ^(٣) :

أخو خمسين مُجْتَمِعُ أَشَدُّى وَنَجْدَتْنِ مُدَاوِرَةُ الشُّنُونِ

(١) أى أن الحال فى المثال أغنت عن الخبر لأنها فى معنى الخبر، أو على أن الخبر محذوف تقديره: إذ

يكون ملثوثاً. و(ملثوثاً) حال من الضمير فى تكون وهو عائد إلى السويق.

وفى المصباح (لثُ السويق لثاً من باب قتل: بله بثنى من الماء وهو أخف من البس).

(٢) فسر ابن القطاع (الشيخ) هنا بالسيف، لأن الشيخ من أسنانه. ويسمى الشيخ سيفاً لقدمه. وهم يمدحون السيوف بالقدم. وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيها بالشَّيْب (انظر شرح البرقوقى ٢: ٣١٦).

(٣) هو سحيم بن وثيل الرياحى. وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت لسحيم فى (نجد) وقال: وعرض على

ناحذه: تَحَنُّك. ورجل مُتَجَدُّ: مجرَّب. وفى التهذيب: رجل مُتَجَدُّ وَمَتَجَدُّ: (بصيغة الفاعل والمفعول) للذى

جرَّبَ الأمور وعرفها وأحكمها. ومداورة الشنون: يعنى مداولة الأمور ومعالجتها.

وفى كلامهم: ابن خمسين : ليث عَفْرَيْن^(١)، وقد قال هو فى موضع آخر :

(سَأَطْلَبُ حَقِّي بِالْقَنَّا وَمَشَايِخٍ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّثْمُوا مُرْدُ)^(٢)

مشايخ : جمع مشيخة ومشيوخاء على حذف الزائد. (يرى الصلوات الخمس نافلة) : أى أنه لا يعنى بمفروضات الدين، ولا تمنعه مما يشاء إذا أمكنه ما طلبه. ويستحل دم الحُجَّاج فى الحَرَم: أى أنه مبالغ فى المضاء والنفاذ، حتى لا يردّه التحرُّج الذى يوجبه الدين فضلاً عما سواه. ويرى ها هنا : من رؤية القلب، لأن الصلاة فعل عَرَضى ليس بجوهر محسوس، فتكون حاسة البصر واقعة عليه. وفى الحَرَم تتميم بديع.

(وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مَرْوَتِهِ لَمْ يُثَرِّ مِنْهَا كَمَا أَثَرَى مِنَ الْعَدَمِ)

أى أن اللئيم الغنى يمنع نفسه حظها، والفقير يسمح إذا وجد أعطائها حظها، فالفقير مع السماحة أجدى على صاحبه من الغنى مع اللؤم، كقول حسان بن حنظله^(٣):

إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكَ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا وَيَسُودُ مُغْتَرِبًا^(٤) عَلَى الْإِقْلَالِ

وتقدير البيت : لم يُثَرِّ هذا اللئيمُ الغنى من غناه، كما أثرى هذا الفقير

السَّمَح من العدم.

(١) فى اللسان (عفر) وليث عَفْرَيْن: الرجل الكامل ابن الخمسين. ويقال إنه لأشجع من ليث عَفْرَيْن (بكسر العين) والراء مشددة مكسورة. ويقال: رجلٌ عَفْرٌ وَعَفْرِيَّةٌ وَعَفْرَانَةٌ وَعَفْرَانَةٌ. بَيْنُ الْعَفْرَانَةِ: خبيث منكر داء. أما عَفْرَيْن (بتشديد الراء) فكانهم جمعوه على جد جمع المذكر بالياء والنون. لكن لم يسمع فيه إلا الجر بالياء، فى قولهم: ليث عفرين. ويجوز أن يقال فيه الرفع هذا عَفْرُون.

(٢) من تصديده بديوانه ص ١٩٨ مطلقها «أقل فعالي بله أكثره مجد».

(٣) البيت لحسان بن حنظلة الطائى فى الحماسة (شرح المروزقى ٤: ١٤٨٥) من سته أبيات آخرها

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجِهَالِ

(٤) يريد أن الضيف إذا نزل فى قبيلة صار من العشرة والكرامة والسؤدد، مثل الذى لهم وإن كان غريباً عنهم.

وقد يجوز أن يَعْنَى أن ثروة هذا اللئيم الغنى من الفقر، أكثر من ثروته من الغنى، أى أن حالة المُعْدِم أظهر عليه من حالة الْغَنَى.

فأما قوله :

(يَجْنَى الْغَنَى لِلثَّامِ لَوْ عَقَلُوا ما ليس يَجْنَى عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ)^(١)

فمعناه المبالغة. أى أنهم يمنعون أنفسهم حظها فى حال الغنى، فلا يُقَدَّرُونَ بل يُدْمُون بظهور حال الفقر عليهم، وإن كانوا أغنياء، وأما إذا ظهرت عليهم حال العُدْم وهم مُعْدِمُونَ، فلا دَمَّ عليهم، بل عذرهم فى ذلك بَيِّن.

- ١٣ -

وله أيضا :

(حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ

وَعُيُضُ الدَّمْعِ فَانْهَلَتْ بَوَادِرُهُ)^(٢)

يُرِيد : استثنى الرقيب، وأخرجه مما كان يعرف سره، لأنه كان فى أول أمره ببوح بسرّه إلى بعض إخوانه، ويُخْفَى ذلك عن الرقيب. فلما تَمَادَى ذلك به أفرط عليه، إلى أن بخل وبكى، وَذَلَّ وشكا، فعلم الرقيب ذلك منه.

(غَابَ الْأَمِيرُ فغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدِهِ

كَادَتْ لِفَقْدِهِ اسْمُهُ تَبْكِي مَنَابِرُهُ)

كان هذا الأميرُ المجهولُ مخطوبًا له بحمص أيام ولايته إياها، فأزيل عنها فانقطع الاختطاب باسمه على منابر هذه المدينة، فحنت المنابر وبكت لذلك.

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ٧٧ يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٤١. قالها فى صباه.

وانظر شرح المعبرى والواحدى والبرقوى.

قد اشتكت وحشة الأحياء أربعة

وخبّرت عن أسى الموتى مقابرهُ

الهاء فى مقابرهِ: للبلد ذاك، كما كانت فى المناير له. أى توحش إليه الأحياء، وهذا ممكن، والأموات، وهذا غير ممكن، لكنه بالغ بالموتى، وأفرط بقوله : إن المقابر مُخبّرة عن أسى الموتى، فالنصف الثانى أغلى^(١) من الأول، لأن الأحياء قد يتوحشون، وإن كان فيه غلوٌ أيضا لإسناده الشكوى إلى الأربيع فيه، وكان الأربيع إنما اشتكت رِقَّةً لما تراه من توحُّش أهلها، وبُعْدًا بذلك.

وإن شئت قلت : خُلّيت الأربيع بعد الأمير من سكانها، فتشكت توحُّشها إلى الأحياء [وهذا]^(٢) أولى، لتطابق إسناد الأسى إلى الموتى.

(تَحْمَى^(٣) السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ)

أى إن السيوف تَحْمَى على أعدائه معه، تعصبًا له وحبًا، حتى كأن السيوف من مظاهرتها ونصرها له، وتبلغها إياه ما شاء من عدوه، بَنُونَ له أو عشائر. قال أبو الفتح : وهذا أبلغ من قول أبى تمام :

كأنما هى فى الأوداج والغة وفى الكلى تجد الغيظ الذى تجد^(٤)

لأن أبا الطيب قد جعل السيوف بنين له وعشائر. وإذا كانت المناسبة استحكمت العصبية، وازدادت الأنفس حمية، وأبو تمام لو يَنْطُ^(٥) بيته بشئ من معنى المناسبة.

(١) أغلى : أشد غلوًا فى المبالغة.

(٢) [وهذا] زيادة ليست فى الأصل وبها تستقيم العبارة.

(٣) يقال: حَمَى الشئ (كتعب) يحمى: اشتد حره والشمس والنار حَمِيًا وَحُمُومًا: اشتد حرها وحمى على الأعداء: اشتد غضبه عليهم.

(٤) البيت فى ديوان أبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى أحد قواد الدولة العباسية.

(٥) يقال : ناطه نَوَاطًا من باب قال: علّقه وناط الشئ بالشئ: علّقه به.

(إِذَا انتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدْعِ جَسَدًا إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ)

انتضاها : جردها . أى إن الدم الذى هو باطن الجسد يَفِيضُ فيصير ظاهراً . وقيل تَقَطَّعَ الأَشْلَاءُ وَتَقَدَّ الجِلْدُ ، فيظهر من الجسم ما كان باطنا .

■ ١٤ ■

وله أيضا :

(وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرِكِ السَّقْمُ شَعْرَةً

فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِعْلٌ^(١))

أى إن السَّقْمَ نال كل طائفة من طوائف جَسَدِي : اللَّحْمَ وَالْعَصَبَ وَالْعَظْمَ ، فانحلَّ وبراه حتى الشَّعْرَ الذى هو أرقُّ طوائف جسمي ، فإنه أثر فيه الشَّيْبُ . والشَّيْبُ سَقْمٌ ، لأنه مُشْعِرٌ بَقْدَاءٍ ، كما أن السَّقْمَ كذلك ، ولذلك قال بعض الشعراء فى صفة الشَّيْبِ :

هو السَّقْمُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مَوْلَمٍ وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّيْبِ سَقْمًا بِلَا أَلَمٍ

وقد يجوز أن يَعْنِي أَنَّهُ قَذَفَ فى أصغر طوائف جسمي ، وهو الشَّعْرُ ، بهذه النَّازِلَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّنِيعَةِ ، وهو الشَّيْبُ . فَقَسَّ على سائر الجسم بمثل هذا القياس ، كما يُسْتَدَلُّ بِالأصغر على الأعظم ، وبالأقل على الأكثر ، أى إذا كان فعله فى الشَّعْرَ هذا ، فما ظنك باللحم ، وما يحمله من الْعَصَبِ وَالْعَظْمِ ؟

(هُمَا مَ إِذَا مَا فَارِقَ الْغَمْدَ سَيَفُهُ وَعَايُنَتْهُ لَمْ تَدْرِ أَيَهُمَا النُّصْلُ)

أى إن مضاه كمضاء السيف ، وبشره وبشاشته كفرنده وصقالته . فأنت تشكُّ فيهما حتى لا تميز أحدهما من صاحبه . وهذا كقول أبى تمام :

* مُنْصَلِّتًا كَالسَّيْفِ عِنْدَ سَلِّهِ^(٢) *

(١) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٤٤ فى مدح شجاع بن محمد الطائي السَّبْجِي ، ومطلعها عزيز أسى من داؤه الحنقُ النجلُ عيا : به مات المحبون من قبل

(٢) من رجز لأبى تمام بديوانه قاله فى صالح بن عبد الله القرشى

أوله «وعاذل عذلته فى فعله» وفيه يقول :

ممتعاً مضطجعاً بحمله منصلنا كالسيف عند سلِّه

وقال رؤبة : *كأَننى سيف بها إصليت^(١)*

ونحوه عندى قوله هو أيضاً:

* كَفَرَنْدِي فَرَنْدُ سِيفِي الْجُرَّازِ^(٢)*

أى كبشرى عند القتال وبشاشتى وفرحى بتأثيرى فى أقرانى، فرَنْدُ سِيفِي هذا الجُرَّازُ القاطع. وذهب قوم إلى أنه عنى بفرنده نفسه : وتغيّره من السفر والجدِّ والتعب. فكنى عن ذلك السُّهام بالفرند، لدالته على شرف الهمة ورفعته النفس، وإنما الصحيح الأول كقوله فى موضع آخر :

أرى من فِرَنْدِي قطعة من فِرَنْدِهِ وَجُودَةُ ضَرَبِ الهَامِ فى جُودَةِ الصَّغْلِ
إذا قيل حِلْمًا قال للحلم مَوْضِعُ وَحِلْمُ الْفَتَى فى غير مَوْضِعِهِ جَهْلُ
أى طلبُ الرفق فى موضع النَّزال خديعة لا يخلد إليها أريب، كقوله :

يناشدنى حاميمٌ والرمح شاجرٌ فهلاً تلا حاميم قبل التقدم^(٣)
وإنما يروم بذلك قِرْنُهُ منه التماس نَهْزَةٍ أو جذبًا إلى كشف شدة عن نفسه.

(ولو لا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ عَنِ الْأَرْضِ لَا نَهَدَتْ وَنَاءَ بِهَا الْحَمْلُ)

الْحَمْلُ : المصدر ، والجِملُ : الاسم. وناء بها : أثقلها، وفى التنزيل ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾^(٤). ولا يقال (نَاءَ) إلا فى حد الإبتاع لِسَاءَ، يقال : (له عندى ما سَاءَ وناء)، وقد يكون مع الإبتاع صيغ لا توجد فى حد

(١) ديوان رؤبه ص ٢٥ ويقال: سيف إصليت: ماضٍ فى الضربة (أساس البلاغة).

(٢) شطرييت من قصيدة له بديوانه ص ٢٠٢ فى مدح أبى بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب.

(٣) البيت للريح بن أوفى العيسى كما فى اللسان (حمم) وفيه (يذكرنى) فى موضع (يناشدنى) وقال:

وأنشده غيره للأشتر النخعي والضمير فى يذكرنى هو لمحمد بن طلحة، وقتله الأشقر أو شريح.

(٤) الآية ٧٦ من سورة القصص.

الإفراد، كقولهم هَنَاءُ ومَرَأ، فإذا أفردوه قالوا امرأه^(١). وقالوا : إني لآتيه بالغدايا والعشايَا، والغداة لا تجمع على غدايا. لأن (فَعْلَةً) لا تُكسَّرُ عَلَى فَعَالِيل، لكنهم تجوزوه لما قرنوه بالعشايَا، ولا عليك أتبع^(٢) الثاني الأول، أم صيغ الأول على حكم الثاني، لأن مذهب العرب في ذلك، أن تصوغ الكلام من وجه واحد طلباً للمشاكلة.

ومعنى البيت : أن حلمه رَزِين فلو لم يتولَّ حَمَله نفسه بنفسه، ووكّل الأرض^(٣) بِحَمَله، أثقلها فانهدت..، وإنما يوصف الحلم بالرزانة لما يتبعه من الوقار، كقول الآخر :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتزيد جاهلنا على الجهال^(٤)

وقد قال هو أيضا :

ويقيات حلمه عافت النسا سَ فصارت ركانةً في الجبال^(٥)

(وَحَالَتْ عَطَايَا كَفَّهُ دُونَ وَعْدِهِ فليس له إِنْجَازٌ وَعْدٍ وَلَا مَطْلٌ)

أى إن عطاياه بلا عِدَّة، والإِنْجَازُ والمطل عرضان أو خاصَتان للوعد في وجودهما بوجوده، فإذا ارتفع الوعد ارتفعت خاصَتاه اللتان هما الإِنْجَازُ والمطل ، وكذلك كل خاص ومخصوص، إذا انتفى المخصوص انتفت الخاصَّة، كالضحك وقبول العلم والأدب اللذين هما خاصتا نوع الإنسان. فإذا انتفى الإنسان انتفت هاتان الخاصتان.

(١) في اللسان (مرأ) يقال: فَشَنَى الطعامَ ومَرَّتْنِي، وَهَنَانِي ومَرَأْنِي، على الإتياع، إذا أتبعوها هَنَانِي قالوا: مَرَأْنِي، فإذا أفردوه عن هَنَانِي قالوا: أَمَرَأْنِي. ولا يقال أَهَنَانِي.

وفي مادة (نوا) قال: قالت العرب (أكلت طعاماً فَهَنَانِي ومَرَأْنِي معناه إذا أفرد (أَمَرَأْنِي) فحذف منه الألف لما أتبع ما ليس فيه الألف.

..... وكذلك إني لآتيه بالغدايا والعشايَا. والغداة لا يجمع على غدايا. اهـ.

(٢) أى وليس عليك بأس فى أن أتبع الثانى الأول... الخ أى أنهما سواء.

(٣) من هنا سقط فى نسخة تونس - وينتهى فى ص ٦٣

(٤) البيت لحسان بن حنظلة الطائى من أبيات فى الحماسة (المرزوقى ٤: ١٦٢).

(٥) من قصيدة للمتنبى يمدح بها عبد الرحمن الإنطاكى (ش البرقوقى ٣: ٣٩٣).

وإنما مثَلْتُ الوعد بالإنسان، وإن كان الوعد عَرَضًا، والإنسان جَوْهَرًا
تقريبًا وتثبيتًا، فلا تظن بنا غير ذلك، ولو وثقنا بفهم بنى الزمان، لغنينا عن
إطالة البيان.

(كفى ثَعْلًا فخرًا بأنك مِنْهُمْ وَدهرٌ لَأَن أَمْسَيْتَ من أهله أهلٌ)

أى ودهرٌ بكونك من أهله. أى دهرٌ مستحق لذلك، ورفَعَه بفعل مُضمر أى
وليفخر دهرٌ، وحَسُنَ هذا الإضمار، لأن قوله : (كفى ثَعْلًا فخرًا بأنك منهم) فى
قوة قوله : لتفخر ثُعْلٌ، فحمل الثانى على المعنى، فكانه قال : لتفخر ثُعْلٌ وليفخر
دهرٌ، والحمل على المعنى كثير، فـ (أهل) : صفة لدهر، وأراد كَفَى الفخرُ ثَعْلًا
فخرًا بكونك منهم.

- ١٥ -

وله أيضا :

(أَبْرَحْتَ يَامَرَضَ الْجَفُونِ بِمُمرَضٍ مَرَضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيدَ الْعَوْدِ)^(١)

أَبْرَحْتَ : بالغت فى تعذيبه وتجاوزت النهاية، ومنه قولهم : أَبْرَحْتَ فارسا :
أى بلغت الغاية، وتجاوزت النهاية. ومَرَضَ الجفون : فتورها. والمُمرَض : يعنى
نفسه، لأن مرض الجفن أمرضه، فيقول : بالغت يامرض الجفن يامراض مريض،
مَرَضَ الطبيب له، إما رحمةً، وإما عجزًا عن شفاؤه. وَمَرَضَ العودَ لشدة ما رأوا
به فَعِيدوا.

ولا بن جئى فى هذا البيت كلام أُجْلُهُ عن أن أعزَّوه إليه.

وقوله : (مرض الطبيب له)، فله : فى موضع الصفة للمُمرَض، ومعنى له :
أى [من]^(٢) أجله. وقد يكون فى موضع المفعول كقولك : أنا عليم بك ووكيل
عليك.

(١) من قصيدة له يديوانه ص ٤٨ فى مدح شجاع بن محمد الطائى مطلعها :
اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد

(٢) لمن زيادة يتم بها المعنى.

(فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرُّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمْ وَالْقَدْفُدُ)

يريد أنه قصد بنى عبد العزيز ليشقوه مما به، ولم يأخذ سيرة الذين يأخذون بقول امرئ القيس : (وانك لم تقطع لبانة عاشق)^(١)، البيت، لأنهم يرون البعد من المحبوب مما يُريح. فترك هو هذا، ونَحَا إلى بنى عبد العزيز. يذهب إلى أن شغل بنى عبد العزيز هؤلاء أن يريحوا من هذا المرض، وشغل كل ركب أن يركبوا العيس^(٢)، وَيَمْشُوا فِي الْقِفَارِ.

وبعض الناس يقول : إن العيس لبنى عبد العزيز، والأحسن ما بدأناه به.

(نَقَمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ)

أى نِعَمَ الْبَوَابِرِ الْعَوْدُ : تدفع نِقَمَ الزَّمان، فَتُغْنِي من فقر، وتُفَكُّ من أسرٍ، والأسر من نِقَمِ الزَّمان، فهو يَصُبُّ هذه النِّعَمَ فينتقم بها من نِقَمِ الزَّمان، لأن جُودَهُ وغيابته إذا أزال الفقر والأسر ونحوهما من النقم، فقد انتقما منها، فهن إذن نَقَمٌ على النقم الزمانية، وَنِعَمٌ على الأسير والفقير ونحوهما ممَّنْ أصابه الدهر بِنِقَمِهِ.

(مَنْ فِي الْأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ مَنْ فِيكَ شَأْمٌ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ)

الشَّامُ، مذكر، وتقدير البيت : من فى الأنام من الكرام سوى شجاع يُقْصَدُ يادُنْيا ، ولا تقل (من فيك ياشأم)، فخص بذلك الشأم وحده، فإنه أُوْحِدُ الدنيا جميعاً. لا أُوْحِدُ الشَّامَ وحده.

(أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ غَيْرُكَ^(٣) فِي سِوَاهَا يُوجَدُ)

أى مَنَبِجُ^(٤) هذه أرضٌ شريفة، وغيرها مثلها، لولا كونك بها، فإنما شرفتْ على البلاد بك لا بذاتها.

(١) صدر بيت لامرئ القيس عجزه «بمثل غدو أو رواح مؤرب»

(٢) العيس: الإبل البيض التى يخالط لونها شئ من الصفرة. الواحد عيس والأثنى عيساء.

(٣) فى الديوان ومثلك

(٤) منبج: بلد بالشام وفيها ولد البحرى الشاعر، وقد ورد ذكرها قبل هذا البيت بأبيات.

(بَقِيتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا وَبَقِيتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدٌ)^(١)

أى أغنيت غَنَاءَ الْكُلِّ، فَكَأَنَّكَ كُلُّهُمْ كَقَوْلِهِ : (إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ)^(٢).

وبقيت بينهم كأنك مفرد، أى لم يكن فيهم من يجوز أن يُعد ثانيًا لك، وإن كان حَوْلَكَ منهم جماعة.

(مَا شَارَكَتَهُ مَنِيَّةٌ فِي مُهْجَةٍ إِلَّا لَشَفَرَتِهِ)^(٣) عَلَى يَدِهَا يَدٌ

العرب تقول : لك على فلان اليدُ البيضاء؛ أى المزية^(٤) الظاهرة.

فمعنى البيت : أن لشفرته الأثر الأظهر، فإما أن يكون لأن تأثير السيف أظهر من تأثير المنية، لأن تأثير السيف جُسْمانى يقع الحِسُّ، وتأثير المنية نفسانى، لا يقع عليه حس.

وقد يجوز أن تكون للشفرة اليدُ على المنية، من جهة أن المنية معلولة للسيف، والسيف علّة لها. والعلة أشرف من المعلول، فوجبت المزية للسيف بذلك.

وقد يتوجه البيت على أن كلُّ شريكين، فمن المعتقد الأغلب أن يكون أحدهما أقوم بالأمور، فتعلو يده يد صاحبه، فإذا شاركت المنية سيفه فحكمه أمضى، والأول عندى أقوى.

(قَطَعَتْهُمْ حَسَدًا أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِمَنْ لَا يَحْسُدُ)^(٥)

أراهم ما بهم : أى كشف لهم عن تقصيرهم عنك، ولو أثزن له (أراهم ما

(١) هذا البيت مترتب على ما قبله وهو قوله «نظر العلوج فلم يروا من حولهم»

(٢) صدره كما فى ديوان المتنبي : «هدية مارأيت مهديا» وانظر المقطوعة ٥.

(٣) رواية الديوان : «إلا وشفرته».

(٤) فى الخطبة م والمزيدة تحريف. وقد صرح المؤلف بكلمة المزية بعد هذا فى قوله «فوجبت المزية للسيف بذلك».

(٥) هذا البيت متقدم فى الديوان على قوله «بقيت جموعهم.....»

هم به) كان أدخل في الصناعة المنطقية، (فتقطعوا حسداً : أى هم يحسدونك لنقصهم عنك، وأنت لا تحسد أحداً، لأنّ الفضائل كلها متجمعة لك، فلم يبق لك ما تحسد عليه غيرك.

وقوله :أراهم ما بهم، جملة في موضع الصفة.

(أَنْتَى يَكُونُ أَبَا الْيَسْرِيةِ أَدَمُ وَأَبُوكَ وَالثَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدٌ)

هذا محل^(١) من القول وسقّه، أى أنك أنت الإنس والجن، وأبوك محمد هذا، يعنى أبا الممدوح، فما لهذه البرية وادعائها آدم أباهما، وهذا من قبيح الضعف، وطريق السخف، وقد دخل به العقاب في أنه لم يحسن تأليف البيت ولم يُوفق لإقامة إعرابه. ألا تراه فصل بين المبتدأ والخبر بجملة أجنبية في قوله : (وأبوك والثقلان أنت محمد). وموضع الكلام : أبوك محمد، والثقلان أنت. وهذا لا يكاد يسيغه لنفسه الذى يقول :

ضَحِكَ النَّاسُ وَقَالُوا شِعْرَ وَضَّاحِ الْيَمَانِ^(٢)

إِنَّمَا شِعْرِي قُنْدٌ قَدْ عُقِدَ بِجَلْجَلَانِ

(١) (هذا محل من القول وسقّه): في اللسان (حول) المحال من الكلام ما عُدَّ به عن وجهه... ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة: إذا أفسدته اهـ.

وفي مادة (محل) يقول ابن سيده: أرض محلّه ومحلّ ومَحْلُول: لامرعى بها ولا كلاً. اهـ. والمحلّ: الجذب. ورجل محلّ: لا ينتفع به.

فعبارة ابن سيده (محلّ من القول): يصف ما في البيت من التعقيد اللفظي بأنه إفساد لصورة التركيب الصحيح.

(٢) البيتان في اللسان (جلل) ونسبهما لوضاح وفيه: (ملح) مكان (قنْد) والجلجلان: ثمرة الكزبرة، وقيل: حب السمسم. والقنْد : عسل قصب السكر.

وقال ايضا :

(طَلَبْتَ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَإِنَّا نَخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْعِظَامِ)^(١)
أراد جسيم طلبى، و (ما) : زائدة . والعظام ها هنا : كناية عن العز
والشرف.

أى يقول : أنت إنما تُخاطر فى طلب الملك بالمهج العزيرة التى لا خَلَفَ
منها إذا فقدت.

(وَلَوْ بَرَزَ الزُّمَانُ إِلَى شَخْصًا لأدمى رَأْسَ مَفْرِقَةِ حُسَامِي)
أى لو شَخَص الدهرُ لَأثرت فيه بسيفي، والدهر ليس بشخص لأنَّ وجود
النور وعدمه، لاختلاف حركة الفلك ، فتمناه هو شخصا ليقوع به، غُلُوا منه
وَعُلُوا، وعليه دائرة السوء.

(إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنْى فَوَيْلٌ لِلثَّيْقِظِ وَالْمَنَامِ)
أى أُرْوَعُهُم ببأسى متيقظين، ويحلمون بى، وذلك بما بقى فى نفوسهم من
الرُّوع، كقوله هو:

يَرَى فى النُّومِ رُمُحَكَ فى كِبَالِهِ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فى السُّهَادِ^(٢)
ومادة كل ذلك قول الشاعر^(٣) :

وَعَلَى خُدُوكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا^(٤) سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

وأراد المتنبى : إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ قُرَّسَانِ الْخَيْلِ، فحذف المضاف، وأراد

(١) من قصيدة له أولها (أيا عبد الإله معاذ إنى ... مقامى) ورواية التبيان «ذكرت جسم»

(٢) البيت من قصيدته فى مدح على بن ابراهيم التنوخى مطلعها:

أحاد أم سداس فى أحاد ليبلتنا المنوطة بالتنادى

(٣) هو أشجع بن عمر السلمى والبيتان يمدح بهما الخليفة الرشيد.

(٤) غفا الرجل غفوة: إِذَا نام نومه خفيفه، وفى الحديث: فغفرت غفوة، أى نمت نومه خفيفه.
(اللسان- غفا).

فويلٌ لها فى التيقظ والمنام، فأسند الويلَ إليهما مجازاً لا حقيقة، لأن التيقظ والمنام عَرَضَان لا يلحقهما ويل.

وقد يجوز أن يضع المصدر موضع الاسم، كأنه قال : فويلٌ للمتيقِّظ والنائم، كقولهم : ماء غُورٌ : أى غائرٌ؛ ومثله كثير.

ـ ١٧ ـ

وله أيضا :

(أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذَا الدُّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ

وَذِيَا الَّذِي قَبْلَهُ الْبَرْقُ أَمْ تُغَرُّ)^(١)

أى : أَقْدُكُ غُصْنٌ؟ أَمْ رِدْفُكَ دِعْصٌ؟ (ذِيَا) تصغير (ذَا). وإنما صغره، لأنه أشار إلى الشجر، والشجر يوصف بالصَّغَر، ألا ترى إلى قول النُّظَام^(٢) يصف عجبه من امرأة طرحت خاتَمها فى فيها فقال:

* مِنْ رَمِيهَا الْخَاتَمُ فِى الْخَاتَمِ *

شَبَّهَهَا بِالْخَاتَمِ لِصَغَرِهِ وَ (أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ): تكون فيه (أَمْ) العَدِيلَةُ لِأَلْفِ الاستفهام ، وتكون منقطعة كَهَلٍّ، وقد اعترض السؤالُ عن الجملة، أعنى قوله : (أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ) بين أَثْنَاءِ الكلام عن الأجزاء، لأن الْقَدَّ وَالرِّدْفَ، وَالشَّجَرَ، كُلُّهَا طَوَائِفٌ، وَأَنْتِ جملة. وإنما كان ينبغى، لو استقام له، أن يقرع بالسؤال عن الطوائف، ثم يُجْمَل. أو يُجْمَل مبتدئاً فيقول: أَنْتِ فِتْنَةٌ، ثم يأتى بالطوائف.

وأما هذا الفصل عندى بين النظائر بالغريب^(٣)، فقلقٌ غير متمكن، وهذا إنما [يحكيه]^(٤) أهل المنطقية. وكذلك قوله : (وَذِيَا الَّذِي قَبْلَهُ الْبَرْقُ أَمْ تُغَرُّ) كان أصنع أن يقول : (بَرْقٌ)، لمكان (تُغَرُّ)، لأنهما نكرتان.

(١) هذا البيت والبيت الذى بعده من قصيدة له بديوانه ص ٦٢ يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحرى. أولها: «أرىك أم ماء القمامة أم خر»

(٢) هو إبراهيم بن سيار النظام، من علماء الكلام، على مذهب المعتزلة. وله شعر كثير (الأمالي ١٨٧-١).

(٣) يريد بالغريب هنا الأجنبى.

(٤) [يحكيه] تكملة لسقط بالخطيتين وبها يستقيم المعنى.

(فَتَى كُلُّ يَوْمٍ يَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ رِمَاحُ الْمَعَالِي لَا الْوُدَيْنِيَّةُ السُّمُرُ)

تغير على ماله رماح المعالي، يعنى المدائح. أى أن رماح المدائح التى تُبنى بها المعالي، تُغير على ماله، كقول أبى تمام:

* وأمله غادر عليه فسألته^(١) *

وقال: رماح المعالي، ولم يقل سيوف المعالي، توطئة للردينية السمر وقوله: (نفس ماله)، ليس للمال نفس فى الحقيقة، إنما تجوز بذلك، كما تجوز^(٢) بأن جعل للمعالي رماحا، وليس هناك رمح ولا نفس، وعلى هذا أوجه أنا قوله:

أَلَسْتُ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ^(٣)

لما استعار للبخل مهجة مقتولة، جعل للندى رماحا قتلوا به مهجة البخل. لا على ما ذهب إليه أكثر مفسرى هذا الشعر، من أنه عنى بقوله: (من رماحهم ندام) : أنهم يجودون، وإنما يجودون بما تُفى عليهم رماحهم من النهب، وما أدرى ما أعماهم عن هذا على وضوحه.

— ١٨ —

وله أيضا :

(وَلَا الدِّيارُ الَّتِي كَانَ الْحَبِيبُ بِهَا

تَشْكُو إِلَيَّ وَلَا أَشْكُو إِلَيَّ أَحَدٌ^(٤))

شكوى الديار إنما هى باعتبار النُّظار ومن سوء آثار الزمان عليها. كقول على رضى الله عنه مخاطباً القبور : فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ جِهَارًا، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا. ويقول الشاعر^(٥) :

(١) عجز بيت لأبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر وصدره: «إلى سائب الجبار بيضة ملكه»

(٢) هنا ينتهى الغرم فى النسخة التونسية (وكان ابتداءه فى ص ٥٦) كما أسلفنا.

(٣) انظر البيت فى ديوانه ص ٢٣٣.

(٤) البيت من قصيدة له بديوانه ص ٦٤ وهى فى مدح أبى عبادة البحرى. مطلعها ما الشوق مقنعا منى بذى الكمد تشكو إلى وما أشكو إلى أحد.

(٥) هو أبو العتاهية (ديوانه ٧٨).

وَعَظَّتْكَ أَجْدَاثُ صُمَّتْ وَنَعَّتْكَ أَلْسِنَةُ خُفَّتْ

وَتَكَلَّمْتَ عَنْ أَوْجُهُ تَبَلَّى وَعَنْ صُورٍ سُبُتْ

فيقول : إن دمعى حال دون تأملى آثار البلى^(١) فى الديار، فيقوم مقام شكواها إلى، أى : لولا منع الدمع إياى من التأمل، لرأيت سوء صنع الدهر بها، لكن الدمع كَفَّانى وَحَمَّانى النَّظَرُ، كقول الآخر :

فَعَيْنَاى طَوْرًا تَغْرِقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعَشَى وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ^(٢) فَأَبْصُرُ

ولهذه العلة يقول الشاعر منهم لرفيقه : تبصّر وانظر، كقول الشاعر امرئ القيس :

تَبْصُرُ خَلِيلِى هَلْ تَرَى مِنْ ظَفَائِنِ سَوَالِكِ نَقَبًا بَيْنَ حَزْمَى شَعْبَعِبِ^(٣)

وقال آخر :

* بَلْ تَبْصُرُ، فَأَنْتَ أَبْصُرُ مِئْى *

أى أن الدمع قد حال بينى أنا، وبين التأمل، بإغراقه ناظرى، وقد بكت حتى أكلّ الدمع بصرى . (ولا أشكو إلى أحد)، أى أنها كفر لا أحد فيها فاشكو إليه، أى ليس بها أحد يُشكى إليه، فأنا أدع الشكوى لذلك، ونفيه العام هنا كقول النابغة :

(عَيَّتْ جَوَابَا وَمَا بِالرَّيْعِ مِنْ أَحَدٍ)^(٤)

وقد يتوجه البيت على أنه لم يبق فى الدار فضل للشكوى بما هدمها وأبادها من البلى، ولا فى أنا فضل للشكوى. أى قد ضعفت عن ذلك، والأول أوجه.

(١) نسخة م «البلاد» وفى ت «البلاد» وكلاهما تحريف

(٢) تحسران: أى يحسر الدمع عنهما.

(٣) البيت من قصيدة امرئ القيس التى مطلعها «خليلى مرأبى علي أم جندب» والنقب: الطريق فى الجبل. والحزم: ما غلظ من الأرض. وشَعْبَعِب: اسم ماء، أو موضع.

(٤) صدره كما فى ديوانه: «وقفت فيها أصيلاً أساتلها» والأصيل: وقت ما بعد العصر إلى الغروب.

(أى) الْأَكْفُ ثُبَارِي الْغَيْثِ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدْ

الأكف : جمع كف ، قال سيبويه^(١) : ولا يكسر على غير ذلك. أى، أى أكفٌ سوى كف هذا الممدوح تعارض الغيث أو تباريه ؟ حتى إذا أقلع الغيث عادت الكف للندى. وهى تلك الكف بعينها، ولم يعد الغيث، لأن ذلك الغيث بعينه لا يعود أبداً، وفى قوله (عادت)، إشعار بأنها أَقْلَعَتْ وإنما قاله توطئة لقوله : (ولم يَعدْ)،

ومثل هذا كثير فى كلامهم، كقوله تعالى : (فَمِنْ أَعَدَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ)^(٢)، وانتصار المؤمنين من الكفار، ليس باعتداء ولا ظلم، لكنه ذكر الاعتداء هنا لتقدم (فمن اعتدى). ومثله قول الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٣)
وقوله :

ثُبَارِي الْغَيْثِ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يُعَدْ
يسمى ترجيحاً^(٤)، فقد وقعت المساواة بين الكُفِّ والغَيْثِ بلا فضل لأحدهما على صاحبه. فإذا أقلع الغيثُ ودامت الكف تجود، فقد فَضَّلَتِ الْغَيْثُ الْكُفُّ وَرَجَحَتْ عَلَيْهِ.

(١) جاء فى لسان العرب بعد أن ذكر كلمة الكف فى كثرة من الأبيات: «والجمع أكف قال سيبويه: لم يجاوزوا هذا المثال. وحكى غيره كفوف».

وقد بحثنا عن كلمة سيبويه التى نقلها المؤلف (ابن سيده) ثم التى نقلها صاحب اللسان فى باب الجمع من كتاب سيبويه (ج٣: ٥٧٠-٥٧١) فلم نجد إلا قوله فى صفحة ١٧٦ (وربما جاء الأفعال من (جموع القلعة) يستغنى به أن يكسر الاسم على البناء الذى هو لأكثر العدد، فيعنى به ما عنى بذلك البناء من العدد، وذلك نحو كُتِبَ وأُتْسَابَ ورسن وأرسان. ونظير ذلك من باب الفعل (يفتح فسكون) الأكف..... اهـ).

ولم يزد سيبويه على ذلك فى هذا الموضع شيئاً مما قاله ابن سيده وصاحب اللسان نعم. يفهم من كلام سيبويه أن (الأكف) يستعمل جمعاً للقلعة والكثرة، أن اللفظة ليس لها جمع كثيرة، ولكنه لم يصرح بذلك. وقد نقل اللغويون بعد ابن سيده لفظه جمع الكثرة (كُفُوف) فى المعاجم، وأتوا لها بشواهد كما فى اللسان « وذابل يلد بالكُفُوف، وما ذكره المصباح المنير» وأما قولهم كُفٌ مخضَّب فعلى معنى ساعد مخضَّب وجمعها كُفُوف وأكُفِفَ، مثل فلس وفلوس وأفلس».

(٢) الآية ٩٣ من سورة البقرة.

(٣) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي (جمهرة أشعار العرب ٢: ٣٧٠).

(٤) لعل هذه التسمية فى البديع، ولم نجده فى البديعات المشهورة.

وله أيضا :

(وفشت سَرَائِرنا إِلِيك وَشَفَّنا تَعْرِضُنا فَبِداَ لَكَ التَّصْرِيحُ)^(١)

أى لما جَهَدَنا التعريض، استروحنا إلى التصريح، فانتَهك السَّتر. وإن شئت : لما عَرَضْنا؛ ظهرت دلائل الحُبِّ علينا كفيض الدمع، وتغيَّر اللون، فعاد التعريض تصريحاً، بهذه الأدلة التى أعربت عن الحب، وصرحت به، وإن كنا نحن لم نُردِ التصريح، فتقديره. فبدا لك التصريحُ من تَعْرِضْنا. ومعنى شَفَّنا على هذا القول - نقص تصبُّرنا وغير تجلدنا. وقد يكون وشَفَّنا: أى شَفَّ قَوْننا على التَّكتم فبكينا، فحصل التعريضُ تصريحاً.

(شِمِنا وَمَا حَجَبَ السَّماءُ بِوروقه وَحَرى يَجُود وَمَا مَرَّتْهُ الرِّيحُ)

شِمِنا : أى نظرنا. وهو يستعمل فى البرق والنار. قال :

نَشِيم بِروق المُنْزَين مَصابُه

ولا شىء يشفى منك يا ابنة عفزرا^(٢)

وقال ابن مقبل فى النار :

ولو تُشترى منه لباع ثيابُه بنبحة كلب أو بنار يشيمُها^(٣)

أى شِمِنا البروق، ولم تُحجب السماء. أى لا غيم هنالك، فيُحجب أديم السماء، وإنما عنى مخايل يديه. وإن شئت قلت : إن الجو يبسم بالبرق بعد تعبُّسه بالغيم، وهو يبقى أبداً، فبرقه فى صحو، ولا يلحقه عبوس، فيكون ذلك

(١) البيت من قصيدته التى مطلعها « جلا كما بى فليك التبريح » (ديوانه ص ٦٦).

(٢) البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها « سما بك شوق بعدما كان أقصرا » والشيم: النظر. يقال: شمت السحاب: نظرت أين يقصد وأين يمتطى، والمَصَابُ: حيث يقع المطر. وابنه عفزرا: محبوبته.

(٣) البيت لتميم بن مقبل فى ديوانه. ورواه اللسان (شيم) وقال قبله: وقد يكون الشيم النظر إلى النار،

العبوس كالغيم. فجُوده هَتَى، وليس الغيث كذلك، لأنه وإن حلَّى الأفق بالبرق، فإنه يحجب حسن السماء، وجمال شمسها، ويحجبها بالغيم وهذا قريب من قوله هو:

فَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةَ الشَّمْسِ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُحُورِهَا
عَنِ السَّحَابِ الْكَنُحُورُ : نداه، وبالشَّمْسِ: بشره، وحسن وجهه الوضئ،
وسنشبع شرح ذلك فى القصيدة التى هو فيها إن شاء الله تعالى.

(وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتْهُ الرِّيحُ). أى حَرَى أن يجود من غير أن تمرِّه الرِّيح.
يذهب إلى تخليص جُود هذا الممدوح من الكدر، وتفضيله على المطر، لأن
ماء المطر وإن كان طهوراً نافعاً، فإن هناك ما يُكدره، وهو الغيم الذى يطمس
نور الشمس. فَيُولد الكُرْبَةُ فى النفس والريح التى يتوقع منها الآفات وأنواع
الجوائح.

وإن شئت قلت : إن الريح هنا مستعارة، وإنما كنى بها عن السؤال، لأن
السؤال يستخرج النوال، كما أن الريح تَمْرِى الماء. فيقول : جُوده متبرِّع يُغْنى
عن السؤال، كقوله هو :

وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَرَّةٍ وَأَلَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَآلِهِ (١)
ولذلك قال هو أيضاً (٢):

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعْمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ نَيْلِهِ (٣) بِسُؤَالِ
وسياتى شرحه فى موضعه :

ونظيره قوله :

*** وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتْهُ الرِّيحُ ***

(١) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة مطلعها:

لا الحلم جاد به ولا يمثاله لولا ادكار وداعه وزياه

(٢) من قصيدته فى مدح عبد الرحمن بن المبارك (ديوانه ص ١٢٢).

(٣) رواية الديوان « سبيه ».

وعلى هذا القول الأخير قول البحترى^(١) :

مواهباً ما تجشمننا السؤال لها إن الغمام قليبٌ ليس يُحتفرُ
ويجوز (وحرى وجود) بإضمار (أن)، أى وحرى أن وجود. (ومامرته الريح)
. جملة فى موضع الحال.

■ ٢٠ ■

وله أيضا :

(لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا جَعَلَ الطَّعَانُ مِنَ الطَّعَانِ صَلَاحًا)^(٢)
إن شئت قلت معناه : أنك تلقى نفسك للطعان مُحْتَقَرًا لها، لتهايك الأقران.
وإن شئت قلت معناه : إنك تلوذ من الطعن بطعنك لعدوك، علماً أنك إن تهينته ولم
تطعنه طعنك، فإنما تدفعه بالإقدام، لا بالإحجام، (لأنه)^(٣) تمكين للعدو.

ولهذا قالت العرب : إن الحديد بالحديد يُفْلَح^(٤).

أى إن الشئ إنما يدفع بمثله كقوله قطرى^(٥)

تَأَخَّرْتَ أَسْتَبْقَى الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةَ مِثْلِ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وقال المتنبي فى نحوه أيضاً :

فَإِنْ تَكُنْ الدُّوْلَةُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمِنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزُّوَامُ^(٦) تَدُولُ

(١) البيت فى ديوانه (ط. هندية ٤: ٤٤) فى مدح على بن مر الطائى.

(٢) من قصيدة له بديوانه يمدح بها مساور بن محمد الرومى مطلعها.

أمساور أم قرن شمس هنا أم ليث غاب يقدم الأستاذا

(وانظر البرقوقى ٢: ٢٢٣)

(٣) أى الإحجام تمكين للعدو.

(٤) أنشدته اللسان (فلح) وصدده فيه «قد علمت خيلك أنى الصصح» ثم قال: وأورد الأزهري هذا الشعر شاهدا على (فلحت الحديد إذا قطعتة) وانظر أساس البلاغة (فلح).

(٥) البيت للحصين بن الحمام المرى وليس لقطرى بن الفجاءة (شرح الحماسة للمرزوقى ١: ١٩٧).

(٦) البيتان فى ديوان المتنبي من قصيدته التى أولها «ليالى بعد الظاعنين شكول»

لمن هُوْن الدنيا على النفس ساعة وللبيض فسى هام الكماء صليل
 (لما رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فى جَوْشَنَ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذًا)
 أى [رأوا]^(١) برؤيتهم إياك عمك وأباك. يذهب إلى قوة شبهه بهما كقولهم
 أبو يوسف أبو حنيفة، أى مثله، وقد قال المتنبى فى هذا المعنى:
 (لو تَنَكَّرْتَ فى المَكْرِ بِقَوْمٍ حَلَفُوا - أُنْكَ ابْنُهُ - بِالطَّلَاقِ)^(٢)

- ٢١ -

وله أيضاً:

(وكانما عيسى بن مريم ذُكِرْهُ وكأنَّ عازِرَ شخصه المقبور)^(٣)
 عازرُ هذا: أحياء عيسى، وأقامه من قبره، فكذلك ذكر هذا الميت يحييه،
 كما أحيأ المسيح عازر. وترك صرف عازر لأنه أعجمى.

- ٢٢ -

وله أيضاً:

(تَشَقَّقُ مِنْهُنَّ الْجُبُوبُ إِذَا بَدَتْ وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ)^(٤)
 (تشقق منهن الجيوب). أى إن البعولة والبنين يقتلون بها، إذا جُرِدَتْ من
 أغمادها، فتشقق التُّكَالَى جيوبهن. (وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ) أى
 يُخْضَبُ بالدم، حتى يُشكِلَ الشابُّ والكهل والشيخ، فلا تعرف التُّكَلَى بعلها من
 ابنها.
 (يُحَاجِّى بِهِ: مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ؟ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ)

(١) تكملة لسقط وبها يتم المعنى.

(٢) انظر ديوانه ص ٢٠١.

(٣) البيت من قصيدة له بديوانه ص ٧٢ فى رثاء محمد بن إسحاق التتوخى مطلقها

«إنى لأعلم والليبيب خبير».

(٤) من قصيدته التى مطلقها «هو البين حتى ماتأتى الحزائق»

الصمت والنطق: ضدان، والضدان لا يجتمعان في محل واحد، في وقت واحد، لكن هذا الملك ينطق السيف عنه وفمه ساكت، فالأحجية^(١) من البيت في الشطر الأول وتحليلها في الثاني. ونُطق السيف عنه؛ عمله في عُصاته وعُداته، إذ السيف جَمَادٌ، والجَمَادُ لا تنطق له. وإنما هو كقوله:

* وقالت الأنساغ للبطنِ الحَقِّ^(٢) *

ولو تفصيت هذا لطال الكلام، لأن في مثله يطولُ المقال.

— ٢٣ —

وله أيضاً:

(وَتُنْكَرُ مَوْتُهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الرِّئَاءِ)^(٣)

أكثرُ الموت الواقع في البهائم، إنما هو عند الرِّعاء^(٤) بِطُلُوعِ سُهَيْلٍ، فَعَدُّ أصدائه - من جهلهم - بَهَائِمٌ يُمِيتُهُمْ سُهَيْلٍ. قال:

(وَكَانَ أَضَرُّ فِيهِمْ مِنْ سُهَيْلٍ إِذَا أَوْفَى وَأَشْأَمُ مِنْ قُدَارٍ)^(٥)

وقال المنجمون: طُلُوعُ سُهَيْلٍ طُلُوعُ ضُرٍّ وَوَيْلٌ. فيقول هو: طُلُوعِي ضُرٌّ عَلَى أَوْلَادِ الرِّئَاءِ. ولم يعن بذلك أنهم لَزِنِيَّةٌ^(٦) في أنسابهم، إنما أراد أنهم يَعْتَزُّونَ إلى الفضل وليسوا منه، كما ينتسب بَنُو الزنا إلى غير آبائهم.

وسُهَيْلٌ: اسم جاء على بناء التصغير.

(١) الأحجية: اللغز، وهي قوله في الشطر الأول (ما ناطق وهو ساكت) وقد فسرها في الشطر الثاني.
(٢) الرجز لأبي التيجم المعلى في الخصائص (٢٣: ١) والآنساع: السبور أو الحبال تُشَدُّ بها الرجال واحداً

نسخ

(٣) من قصيدة له في الحسين بن إسحاق التتويحي (ديوانه ص ٧٩).

(٤) يقال في جمع الراعي رِعاء ورِعاء.

(٥) قدار: رجل من ثمود قوم صالح، عقر الناقة فهلكت ثمود كلها بشؤمه وانظر (اللسان - قدر).

(٦) يقال: هو لزنية: إذا ولدته أمه من سفاح. ويقال: هو لِرِشْدَة إذا ولدته من زواج صحيح.

وله أيضاً:

(مَلَأَ النَّوَى فِي ظَلَمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنْ سَقَمٍ)^(١)

أى إن ملامى للنوى فى ظلمها لى، واستثنائها بمحبوبتى غاية الظلم، لأن فى الإمكان، وطبيعة تأثير الزمان أن تكون النوى عاشقةً لهذا المحبوب كعشقى، فيؤثرها ذلك سَقَمًا كَسَقَمِي، فالحكم ألا ألومه، لأن من لم يؤثر عليك إلا نفسه فليس بمؤثر عليك أحداً.

وبالغ بقوله: غاية الظلم، مُقدراً أن بالنوى من الوجد مثل ما به. وذكر السَقَمِ ولم يذكر العشق استغناءً بذكر المسبب عن السبب. وأراد ملامى للنوى، فأضاف المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى: (لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ)^(٢)

(طَوَالَ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَبَيَضُ السُّرِجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي)

إن شئت قلت: إن دمه يقصف الرمح بحدته وقوته، أى أنه أقوى من الرمح. (وبيض السُّرِجِيَّاتِ يقطعها لحمي): أى أنه أحدٌ من السيف، فهو يؤثر فى السيوف تأثير السيوف فى غيره.

وقد يكون أن الرماح والسيوف تنبوعه، ولا تؤثر فيه البتة. فكان دمه كَسَرَ الرمح، وكان لحمه قَطَعَ السيف. وقد يجوز أن يُعْنَى أنه من نفسه وعشيرته فى مَنَعَةٍ. فإذا أصابه طعن أو ضرب، أكثر الطعن فى طلب ثأره، حتى تَنَقَّصُفَ الرماح، وتقطع السيوف.

(مُذِلُّ الْأَعْيَاءِ الْمُعَرِّضُ وَإِنْ يَنْتِنُ بِهِ يُثْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجَابِرُ الْيَتِمُ)

(١) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٨٠. ورواية الديوان «من السقم»

(٢) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

أى مُذِلُّ مخالفه المعادين له، ومُعِزُّ مخالفه المعاضدين له. وإنَّ يَنْ: أى يقرب به يَتَمُّهُمْ، أى يَتَمُّ أبنائهم بقتله أباَهم، فإنه يجبر يتمهم بَعُوْدِهِ عليهم؛ واكتفاله^(١) إياهم بعد الآباء.

وقد يجوز أن يُؤْتَمَ قَوْماً وَيَجْبُرَ يَتَمَّ آخرين، لم يكن هو الذى أُيْتَمَهم.

(إِذَا بَيِّتَ الْأَعْدَاءُ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ صَرِيرَ الْعَوَالِي قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللَّجْمِ)^(٢)

أى يطوى سرُّه؛ ويخفى حسُّه، حتى يكاد يُخرس اللُّجَامُ فلايخرس. وهذه مبالغة فى طيِّ الخبر.

وقد يجوز أنه اعتقل الرمح أولاً، فإن أمكنه إلجام الفرس؛ وإلا ركبه غير ملجم.

(مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكُهُ لِأَلْحَقَّةِ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ)

أى أن حزمه طبعى؛ فلو تعدد تركه لانعكس تضييعه الحزم حزماً، إذ ليس فى قوته غير ذلك.

(وَفَى الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَاخُراً لِأَخْرَهُ الطَّبْعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقُدَمِ)

أى إن طبعه إتيان الفضائل، وَتَنَكَّبُ الرِّذَائِلَ، فلو رام التأخر مُمْتَحِناً لطبيعته تلك، لتأبى عليه الطبع، فردَّه إلى التقدُّم.

وقد أطردَ هذا المعنى فى غير هذا الموضع من هذا الشعر، كقوله:

(لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي الْعِظَامَ وَغَضَبُهُ بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ)

تُحْيِي العظام: مبالغة فى قوتها على الإحياء. وغضبه: أى إذا أغضبه المجرم الجانى تجاوز له غضبه قدر جُرْمه، فإما تجاوز به قدر جرمه فأهلكه، وإما تهاون به فتركه.

(١) يريد كفه إياهم. ولم نجد اكتفل بهذا المعنى فى اللسان. ويقال: اكتفل البعير إذا أدار كساً أو ثوباً حول سنامه ثم ركبته. وفى المصباح: كفلت بالمال وبالنفس كفلأ من باب قتل.... وكفلت الرجل والصغير من باب قتل أيضاً علته وقتت به.

(٢) هذا البيت مقدم فى التبيان على سابقه فى ترتيب المؤلف هنا.

(دُعِيتُ بِتَقْرِيبِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَظَنُّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي)

أَيُّ أَنِّي لَزِمْتُ مَدْحَكَ، وَخَصَصْتَ حَمْدَكَ، حَتَّى عُرِفْتُ بِذَلِكَ، وَغَلَبَ عَلَى اسْمِي الْعَلَمُ وَكُنِّيَتِي وَنَسَبِي، (وَظَنُّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي) أَيُّ قِيلَ لِي: يَا مَادِحُ ابْنِ إِسْحَاقَ، ذَهَاباً إِلَى أَنَّ ذَلِكَ اسْمِي لَا اسْمَ لِي غَيْرِهِ، وَأَرَادَ يَدْعُونِي، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ. وَثَنَائِي وَاسْمِي: مَفْعُولَا ظَنِّ. وَإِنَّمَا أَرَادَ الصِّفَةَ الْمَشْتَقَّةَ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ، كَقَوْلِهِ: يَا حَامِدُ، وَيَا مَادِحُ. وَلَمْ يَرِدِ الْمَدْحُ وَلَا الْحَمْدُ، لِأَنَّهُمَا عَرَضَانِ، وَالْمَسْمِيُّ جَوْهَرٌ، فَلَا يُدْعَى الْجَوْهَرُ بِالْعَرَضِ.

(وَوَقَّفْنَا بِأَن تُعْطَى فَلَوْ لَمْ تَجِدْ لَنَا لَخَلْنَاكَ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ)

يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ لَوْ عَدِمَ فَضِيلَةٌ فِي وَقْتٍ، لَظَنَّ فِيهِ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ أَوْ تُثَبِّتُ ذَلِكَ لَمَّا يُعْتَادُ مِنْ وَجُودِ الْفَضَائِلِ فِيهِ، وَهَذَا كَالصَّادِقِ يَكْذِبُ فَيُتَوَهَّمُ كِذْبُهُ صَدَقاً، لَمَّا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ صَدَقِهِ.

وَقَدْ عَظُمَ إِعْيَاءُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ جَدّاً.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ عَكَسَ الْأَمْرَ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَالْمَنْفَعِلِ فِي بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ (طَوَالِ الرَّدِّيْنِيَّاتِ...).

وَمِنْهُ: أَنَّهُ جَعَلَ الضَّدَّ يَنْقَلِبُ إِلَى ضَدِّهِ كَقَوْلِهِ: (لَأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُ الْحَزْمِ بِالْحَزْمِ). وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ تَضْيِيعِ الْحَزْمِ أَنْ يَنْتِجَ الْحَزْمُ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

(وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأَخَّرُ أَلَاخِرُهُ الطَّبِيعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقُدَمِ)

فَجَعَلَ التَّأَخَّرَ يَنْعَكِسُ إِلَى التَّقَدُّمِ.

وَمِنْهُ: أَنَّهُ جَعَلَ الْعَدَمَ يُظَنُّ بِهِ الْوُجُودُ، كَقَوْلِهِ:

(... فَلَوْ لَمْ تَجِدْ لَنَا لَخَلْنَاكَ قَدْ أُعْطِيتَ...)

(فَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصِ نَفْسُهُ لَكَانَ قَرَاهُ^(١) مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدُّهْمِ)

(١) الْقَرَى (بِفَتْحِ الْقَافِ): الظَّهَرُ.

النفس روحانية: فإنما تعظم عظماً روحانياً كعظم العالم العلوي. والجسم جوهر متكاثر، فلو تجسست هذه النفوس لعظم جرمه، وكانت ذات طوائف جسمانية عظيمة. فكان ظهر هذا الجسم يستتر وراءه عسكراً عظيماً فيحجبه.

وإن شئت قلت: لو كان شخصه على قدر نفسه في العظم، لكان ظهوره مكمّن عسكر كبير. وخصّ الظهر، لأنه لاغضون فيه، فالكمون فيه أصعب.

(عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً)

تواضعت^(١) وهو العظم عظمًا عن العظم

أى عظمْتَ عظمًا طبيعياً، فملأت الصدور هيبتك، حتى لم تكلم فأرحت ما بالناس من تهيبهم لك بأن تواضعت عظمًا عن التعظم، وهو العظم في الحقيقة، لأن العظمة والكبرياء إنما يليقان بالأعظم وهو البارئ سبحانه.

(وَعَنْ) فى قوله: (عن العظم)، متعلق بقوله عظمًا: بمعنى تعاضم وهو نصب على الحال أو المصدر. وتقدير البيت: تواضعت عظمًا عن العظم وهو العظم أى ذلك التواضع هو العظم الحقيقى.

- ٢٥ -

وله أيضاً:

(أَحَادٌ أَمْ سِدَاسٌ فِى أَحَادٍ لِيَيْلُتُنَا الْمُنَوَّطَةُ بِالنَّادِرِ)^(٢)

أى واحدة ليلتنا هذه أم ست فى واحدة. ليلتنا: صغرها تصغير التعظيم، كقول أوس^(٣):

فَوَيْقَ جَبَلٍ شَاهِقِ الرَّاسِ لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَهُ حَتَّى يَكُلَّ وَيَعْمَلَا

فقال جبيل. والجبل الذى هذه حاله ليس بجبيل، إنما هو جبيل^(٤).

(١) فى م «تعظمت».

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٨٥ يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى.

(٣) هو أوس بن حجر التميمى، كبير الشعراء فى تميم آخر عصر الجاهلية، والبيت فى ديوانه فيه: «شامخ الرأس» فى موضع «شاهق».

(٤) أى أن تصغيره مع وصفه بهذه الصفات، ليس لتحقير جسمه، بل لتعظيمه.

وإنما وجه تصغير التعظيم، أن الشيء قد يعظم، في نفوسهم، حتى ينتهي إلى الغاية، فإذا انتهى إليها، عكس إلى ضده، لعدم الزيادة في تلك الغاية، وهذا مشهور من رأى القدماء الفلاسفة الحكماء: أن الشيء إذا انتهى انعكس إلى ضده، ولذلك جعل سيبويه الفعل الذى يتعدى إلى ثلاثة مفعولين، وهى نهاية التعدى بمنزلة الفعل الذى لا يتعدى إلى مفعول. قال: لأنه لما انتهى فلم يتعد صار بمنزلة ما لا يتعدى^(١). وهذا منه ظريف^(٢) جداً.

والتنادى: القيامة، لما جعل الليلة سبباً استطالها بعد ذلك، فجعلها هو أكثر مدة، فقال: إنها منوطة بالبعث.

وأحد: خبر مبتدأ مقدم، ولا يكون مبتدأ لأنه نكرة، ولئليقتنا معرفة، فهو أولى بالابتداء، وصغر الليلة على القياس^(٣).

(مَتَى لَحَظْتُ بِيَاضِ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ لَحَظْتُهُ^(٤) مِنْهَا فِي السَّوَادِ)
أى حزننى على بياض شيبى كحزننى عليه لو رأته عيني فى سواد ناظرها.
كقول أبى دلف^(٥):

فى كل يوم أرى بيضاء قد طلعت كائناً طلعت فى ناظر البصر
(مَتَى مَا ارْتَدْتُ مِنْ بَعْدِ النَّاهِي فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي ارْتِدَائِي)
أى إذا ازدادت عمراً بعد تناهى الأشد، فتلك الزيادة فى سننى نقصان منى،
لأنه قد بلغ غاية النماء ببلوغ الأشد، فهو أخذ بعد ذلك فى التحلل إلى بسيط
العنصر، كقوله هو وقد مدح بعض الأمراء بشعر عدد أبياته أربعون:

(١) عبارة سيبويه فى الكتاب (١: ٤٩): «لأنها لما انتهت صارت بمنزلة ما لا يتعدى».
(٢) كان ابن سيده ممن أخذ نفسه بالعلوم الفلسفية فى شبابه. ولذلك نراه يكثر من ذكر المنطق والمعانى الفلسفية فى هذا الشرح.
(٣) تصغير ليلة سمعا عند العرب على (لَيْلَةٍ) وكأنه تصغير (لَيْلَةٍ) انظر شرح شافية ابن الحاجب للرضى (١: ٣٧٧).
(٤) فى التبيان «وجدته» فى موضع «لحظته»
(٥) البيت لأبى دلف فى الأغاني (٨: ٢٤٧)

فبِعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مَهَاراً كُلُّ مَهْرٍ مِيدَانُهُ إِنِشَادُهُ^(١)
عَدَدُ عِشْتِهِ يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرِيأُ لَا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهُ
أَيُّ عَدَدُ عِشْتِهِ أَيُّهَا الْمَمْدُوحُ، لَأَنْ سِنَّ الْمَمْدُوحِ حِينُنْذُ، كَانَتْ أَرْبَعِينَ.
فَسُوِّيْ عِدَّةَ الْآيَاتِ بَعْدَهُ سَنِيهِ، قَالَ: (يَرَى فِيهِ أَرِيأُ لَا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهُ)

يعني بِالْأَرْبِ: الثَّمَاءُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى الْأَرْبَعِينَ. فَإِذَا زِيدَ عَلَيْهَا عَمراً لَمْ يَزِ
الْجِسْمُ فِي ذَاتِهِ نَمَاءً، إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ عَنِ التَّرَكُّبِ إِلَى التَّحْلُلِ.

(وَأَبْعَدُ بُعْدِنَا بَعْدَ التُّدَانِي وَأَقْرَبُ^(٢) قُرْبِنَا قُرْبَ الْبِعَادِ)
يقول: كُنْتُ مِنْهُ بَعِيداً، فَكَانَ الْبُعْدُ مِنِّي حِينُنْذُ قَرِيباً، وَالْقُرْبُ بَعِيداً.

فلما جُنْتُهُ وَقَرِيتُ مِنْهُ، انْعَكَسَتْ الْحَالُ، فَعَادَ الْبَعْدُ بَعِيداً وَكَانَ قَرِيباً، وَعَادَ
الْقُرْبُ قَرِيباً وَكَانَ يَعِيداً.

وَنَسَبَ الْإِبْعَادَ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى هَذَا الْمَمْدُوحِ، لَأَنْ انْعَكَاسَ الْحَالِ، إِنَّمَا كَانَ
بِسَبَبِهِ. فَلَوْلَا هُوَ لَمْ يَتَّبِعْ الْبُعْدَ الَّذِي كَانَ قَرِيباً، وَلَا الْقُرْبَ الَّذِي كَانَ بَعِيداً.
وَإِخْرَاجَهُ مَصْدَرُ أَبْعَدُ وَقُرْبُ عَلَى بُعْدٍ وَقُرْبٍ، وَإِنَّمَا مَصْدَرَاهُمَا إِبْعَادٌ وَتَقَرُّبٌ.
عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَاللَّهُ أَثْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً»^(٣) أَيُّ: نَبَتْمْ نَبَاتاً. وَكَذَلِكَ أَبْعَدُ
وَقُرْبُ، مَطَاوِعُهُمَا بَعْدُ وَقُرْبُ، فَأَخْرَجَ الْمَصْدَرَ عَلَيْهِمَا، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ.

(وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هَيَاثُكَ أَنْ يُلْقَبَ بِالْجَوَادِ)

أَيُّ لَمْ تَتْرَكَ هَيَاثُكَ أَحَدًا غَيْرَكَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُلْقَبَ بِالْجَوَادِ إِذَا قِيسَ بِكَ
وَتَلْخِيصُ ذَلِكَ: أَيُّ لَا تَجُودُ هَيَاثُكَ عَلَى أَحَدٍ بِهَذَا الْأَسْمِ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَمْنَعُ غَيْرَهُ
مِنْ ضَرْبِ الْعَطَايَا، (فَأَنْ) عَلَى هَذَا الْقَوْلِ نَصَبٌ بِإِسْقَاطِ الْحَرْفِ أَيُّ بَأَنَّ يُلْقَبُ،
وَهَيَاثُكَ فَاعِلٌ بِتَجُودٍ. وَلَا تَكُونُ التَّاءُ فِي تَجُودٍ لِلْمَخَاطَبَةِ وَتَكُونُ (هَيَاثُكَ) بَدَلًا مِنْ
الضَّمِيرِ الَّذِي فِي تَجُودٍ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ الْبَتَّةَ، لَأَنَّ الْمَخَاطَبَ لَا يُبَدِّلُ مِنْهُ الْبَتَّةَ. وَمِنْ

(١) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ فِي مَدْحِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ.

(٢) رَوَايَةُ الدَّبِيرَانِ «وَقُرْبُ»

(٣) الْآيَةُ ١٧ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ.

هنا منع سيبويه البديل فى قولك: بكَّ المسكين مررت^(١) . إنما تنصبه على الترحم، أو على نية إسقاط الألف واللام فى قول يونس، فيكون منصوباً على الحال. وقد گرِه هو أيضاً قول يونس وقال: ولو جاز هذا لقلت: مررت بعبدة الله الطريف تريد ظريفاً.

- ٢٦ -

وله أيضاً^(٢):

(إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجاً لَهْ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نُرُوعاً)^(٣)

أى إنَّها مُنْعَمَةٌ تهتز فى مشيتها: فلولا سواعدها ليزها اهتزازها ثوبها.

(تَرْفَعُ ثُوبَهَا الْأُرْدَافُ عَنْهَا فَيَبْقَى مِنْ وَشَاحِيهَا شَسُوعاً)

أى يرفع ردفها ثوبها عن جسمها. والوشاح عن الخصر، فيباعد بينهما وبين الثوب، كقوله:

(أَبَتْ الرُّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِيهَا مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرًا)^(٤)

(نَزَاعَاهَا عَدُوًّا دُمُجْنِيهَا يَخَالُ ضَجِيعُهَا الرُّنْدَ الضُّجِيعاً)

(١) عبارة سيبويه فى الكتاب (٢: ٢٥٦) «فإذا قلت: بى المسكين كان الأمر أو بك المسكين مررت. فلا يحسن فيه البديل. لأنك إذا عنيت المخاطب أو نفسك، فلا يجوز أن يكون لا يدري من تعنى فى اللسان (سكن) «قال سيبويه: المسكين من الألفاظ المترحم بها تقول: مررت به المسكين، تنصبه على أعنى وقد يجوز الجر على البديل، والرفع على إضمار هو وفيه معنى الترحم مع ذلك. كما أن رحمة الله عليه وإن كان لفظه الخبر فمعناه معنى الدعاء. قال: وكان يونس يقول: مررت به المسكين على الحال ويترحم الألف واللام وهذا خطأ لأنه لا يجوز أن يكون حالاً وفيه الألف واللام. ولو قلت هذا لقلت مررت بعبدة الله الطريف تريد ظريفاً ولكن إن شئت حملته على الفعل كأنه قال: لقيت المسكين».

(٢) من قصيدة له فى مدح على بن إبراهيم التنوخى مطلعها

ملئت القطر أعطشها ربوعاً وإفاسقها السُّمُ النقيعاً

(٣) ترتيب هذا البيت فى الواحدى والتبيان قبل البيت السابق.

(٤) انظر شرح الحامسة للمرزوقى (٣: ١٢٨٤) وبعده:

وإذا الرياح مع العشى تناوحت نَبَّهْن حاسدة وهجن غيورا

إن شئت قلت: إنَّ الدُّمْلَجَيْنِ يلزمان الذراعين لأنهما عَبلتان كقوله:

(تجول خلاخيلُ النساءِ ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلباً) (١)

وإن شئت قلت: إن الذراعين عدوٌّ دُمْلَجِيهما، لأنهما يُقَصِّيان الدملجين، ويشيحانهما (٢)، حتى يكادا يكسرانهما. وهو عندى كقول جرير:

(لها قَصَبٌ رَيَّانٌ قد شَجِيَتْ به خلاخيلُ سلمى المصمتاتُ وسُورُها) (٣)

سُور: جمع سِوار. وكقول القطامي في صفة امرأة:

* إذا تميلُ على خُلخالها انقصمًا (٤) *

ويروى: (انقصما). ويقويه: (ذراعاها عدوٌّ دُمْلَجِيها)

ولو أراد الأول لقال: سِواراها عدوٌّ ساعديها.

على أنى لأَحْجَرَ (٥) ذلك، لأن العدوَّ من باب المضاف فى غالب الأمر أعنى أنك إذا كنت عدوًّا لشيء كان لك عدوًّا. فقوله: ذراعاها عدوًّا دُمْلَجِيها كقوله: دُمْلَجَاها عدوا ذِرَاعِيها.

(يخال ضجيجُها الزندُ الضجيجا): أى زندها عَبلٌ يظنه الضجيج من عبالته جسمًا.

(أحْبَبُك أو يَقْتُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيرًا وابنُ إبراهيمَ ريغًا)

(١) من أبيات قالها خالد بن يزيد بن معاذية فى زوجه (رملة) بنت الزبير بن العوام كما فى الكامل للمبرد (١: ٣٤٨)

(٢) ويشيحانها: أى يدفعانها ويخرجانها من مكانها.

(٣) ديوان جرير ط. الصادى ص ٢٥٣ وهو من قصيدته.

«ألا بكرت سلمى فجد بكورها»

وقال ناشره: المصمت: الذى لايجول. وشجيت به: غصت

(٤) صدره كما فى ديوانه: «خود متعة نضخ العبير بها».

(٥) فى الخطبتين م، ت «لا أجيز» وهذه لاتوافق قصد المؤلف.

معنى هذا البيت الأبدية؛ أى إنى أحبك حتى يجر النمل ثبيراً. وهذا لا يكون عند أحد أبداً. وحتى يقال: ريع ابن إبراهيم، وابن إبراهيم - على هذا المنزع - لا يراع عنده^(١).

وقد أحسن فى هذا الاستطراد وإن كان قرّنه إمكانيًا، أعنى بقوله:

(وابن إبراهيم ريع) فتنهائى^(٢) وهو قوله: (أو يقولوا جرّ نملٌ ثبيراً)، لكن الثانى عنده فى الامتناع كالأول، وإن كان فى تحصيل الحقيقة ليس مثله، وكذلك حبّه إياها إلى أن يجر النمل ثبيراً شعرٌ كذب.

(وليس مؤدّباً إلا ينصّل كفى الصنم صامة الثعب القطيعا)

أى أرهب سيفه الناس، حتى ليس تفعل فى أيامه ما تستحق عليه السوط فضلاً عن غير ذلك، فقد كفى سيفه السوط الثعب. وإن شئت قلت: إنه لا ينزل عقوبة جبان إلا القتل، لا يضربه بسوط، فقد استغنى بالسيف عن السوط. وكفى السوط الثعب لذلك.

(فلا عزّل وأنت بلا سلاح لحاظك ما تكون به منيعا)

العزّل^(٣): عدم السلاح عامّة. واللاحاظ: جمع لحظة، وقد يكون مصدر (لاحظ)، أى ملكك هيبتك القلوب، فنظرتك تغنى عن السلاح، فإن هيبتك إذا نظرت قاتلة لإقدامك، وإن كنت بلا سلاح.

فقوله: (بلا سلاح) جملة فى موضع الحال، أى فلا عزّل بك، وإن كنت غير متسلح. وقوله: (لحاظك ما تكون به منيعاً) يجوز أن تكون فيه (ما) بمعنى الذى، فيكون على هذا وما بعدها صلة لها. ويجوز أن تكون نكرة بمنزلة شىء، فما

(١) أى عند المتنبي لفرط شجاعة ابن إبراهيم.

(٢) يريد أن المتنبي تنهى فى المبالغة بقوله (أحبك أو يقولوا جرّ نمل .. ثبيراً) لأنه علّق زوال جبه بما يستحيل عادة، ولكنه قرّنه بأمر غير مستحيل الوقوع. وهو أن يقال: ريع ابن إبراهيم. فجاز أن يراع ابن إبراهيم. ولكن هذا الأمر الممكن فى ذاته كان فى نفس المتنبي مستحيلاً وقروعه، لاعتقاده كمال الشجاعة فى الممدوح، لذلك كونه الأمر الأول المستحيل وقوعه عادة، ولا تخلو عبارة ابن سيده فى شرح البيت من ضعف وركاكة.

(٣) العزّل (بالتحريك): قال الواحدى وصاحب التبيان: مصدر الأعزل وهو الذى لا سلاح معه اهـ وانظر اللسان (عزل).

بعدها فى موضع الصفة، لأنها إذا كانت نكرة لزمتهـا الصفة، كما أنها إذا كانت معرفة لزمتهـا الصلة. ونظيره فى الوجهين قوله تعالى: (هذا ما لَدَى عَتِدِ)^(١).

ويجوز أن تكون (ما) زائدة كأنه قال: لحاظك تكون به مَنِيْعاً. ومنيع: يجوز أن يكون فعيلأ بمعنى مفعول، أى ممنوعاً مَحْمِيّاً، وأن يكون فاعلاً ككريم. يقال: مَنَع مناعة فهو مَنِيْع كرفع رَفاعة فهو رفيع.

(وَجَاوَدْنِي بَانَ يُعْطَى وَأَحْوَى فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذَى سَرِيْعاً) أى نازعنى الجود: بأن يُعْطَى هو، وأخذ أنا، ولم يكن للمتنبى هنالك جُود، لكن الآخذ لما كان: يجودُ هذا الجود، صار كأنه جُود^(٢). وهو أحسن عندى ممن قال: إن جود المتنبى إنما كان بالأخذ.

ونظير هذا القول الذى ذهبنا إليه قوله تعالى: (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)^(٣) وليس قتل هؤلاء المأمورين للمعتدين عليهم اعتداء. ولكنها مكافأة اعتداء^(٤)، فسُمِّيَ باسم السبب الذى هو الاعتداء. وكقول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَيْجُ هَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(٥)
(فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذَى سَرِيْعاً): أى مَلَلْتُ الأخذ ولم يَمَلْ هو العطاء.

(١) الآية ٢٣ من سورة (ق).

(٢) مجاودة على معنى أن أخذى منه كالجود منى عليه.

(٣) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

(٤) أى مقابلة بمثله وإنما المعتدى هو البادئ بالعدوان.

(٥) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم. قالها بعد قتله عمرو بن هند ملك الحيرة.

وله أيضاً:

(أَحَقُّ عَافٍ بِذِمَّتِكَ الْهِمَمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقِدَمُ)^(١)

العافى: الدارس. والهمم: جمع همة وقد قيل همة بالفتح. ولا يمتنع أن يكون همم جمعاً لهمته أيضاً، فقد جاءت فعله مكسرة على (فعل) كبدرة وبدر وهضبة وهضب. ومن المعتل، ضئمة وضئع، وخئمة وخيم.

ومعنى البيت: أنه يسفه الناس فى بكائهم الديار والأطلال إذا عفت، ويقول لهم: أولى عافٍ بدموعكم همم الرؤساء فى هذا الزمان، فقد عفت حتى صار أَحَدْتُ عهدٍ بها قديماً، فما تفضل هممهم عن ملاذ بطونهم وفروجهم، فإياها قابكوا لا الديار، فهن أولى بالبكاء عليها منها، لأن الهمة المعدومة أعزَّ فقدأ من الدار. وإذا كان أحدث عهد بها قديماً، فما ظنك بغير الأحدث.

(مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ)

يخاطب صاحبه: أى أثرت بقصدى وتأملى من لو سألتماه ولا شىء لديه إلا شخصه لانتقسم بينكما شقيين، اعتيادا للنوال وألا يرد ذوى السؤال.

(يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبُهُ فِى مَجْدِهِ كَيْفَ يُخَلِّقُ النَّسَمُ)^(٢).

إن شئت قلت: إن الله لطف خَلْقَهُ للنسم كما شاء، حتى دق على الوهم تصوُّرَ كَيْفِيَّتِهِ، ولهذا الممدوح غرائبٌ من خَلْقِهِ تُوصِلُهُ إِلَى اقْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ، تَغْرُبُ وَتَلُطْفُ: فمن تأملها، فكانه قد تأمل خَلْقَ اللَّهِ للنسم. وذلك تعظيم لقدر ما يأتیه، لشبهه بخلقِ اللَّهِ. تعالى اللَّهُ عن ذلك!

وإن شئت قلت: إنه بحسن أفعاله ويؤمنها تحيا النفوس، فكانه بذلك يُحْيِيهَا وينشئها وليس الخلق عنده فى قوله (يريك فى خلقه غرائبه) الخلق الذى هو

(١) مطلع قصيدة له بديوانه فى مدح علي بن إبراهيم التنوخى (البرقوى ٤: ٢٢٩).

(٢) هذا البيت مقدم فى شرحى الراحدى والتبيان على سابقه

إيجاد المَعْدُوم، وإخراجه إلى التَّكُون، لأن ذلك لا يستطيع عليه إلا بارتنا جلَّ وعزَّ، وإنما الخلق هاهنا: كناية عن الصُّنْع، وكُنَى عنه بلفظ الخلق، ذهاباً إلى ابتداء هذه الغرائب، وهذا من شديد المبالغة.

وربما كُنَى بالخلق عن الصنْع. وبين الخالق والصانع فرقاً، لا يليق إيضاحه بهذا الكتاب والنَّسَم: جمع نَسَمَة، اشتقت من النَّسِيم، كما اشتق الروح من الريح، والنفس من النَّفْس.

(تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ كَانَهَا فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ)

لأنَّ شَيْءَ أَصْفَى ولا أبسط من النور، فلذلك توصف الجواهر الصافية به. وأولى شَيْءٍ بذلك الأمور النفسانية، لأنها أذهب في البقاء وعدم السَّرْب^(١) من الجسمانية. والشَّيْمَة نفسانية، والوجه جسماني. والعَرَض: يجوز أن يكون بالجسم، فلم يخلص إلى النفسانية كخلوص الشيمة، فشبه أبو الطيب الأعراض والأوجه بالشَّيْم في الشروق والصفاء، وتناهى البقاء. وإن شئت قلت: وضع هذا الكلام على أنه قد عَلِمَ أنه شَيْمَة مُشْرِقة علماً عاماً، وقَدِمَ ذلك لمزِيَة الشَّيْمَة، وهى الطبيعية، على الوجه والعَرَض، فحمل الوجه والعرض بعد ذلك عليها، تشبيهاً لهما بها. والأَوْجَة ما قدمناه من أن الشيمة نفسانية، فهى أملك بالصفاء، والوجه والعَرَض جسمانيان، فحملهما عليها.

(كَانَهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهَا مِنْ جِنَانِهَا ظُلْمٌ)

شبه البحيرة فى استدارتها بالقمر كقول ابن الرومى يصف رغباً:

ما بين رؤيتها فى كَفِّهِ كُرَّةٌ وبين رؤيتها قَوَّاء كَالْقَمَرِ^(٢)

(١) يقال: سَرَبَ (بكسر الراء) سَرَباً (بالتحريك) أى ذهب ذهاباً.

(٢) البيت ثانى أبيات ثلاثة وصف بها ابن الرومى خيازاً مرَّبه يَذْخُو رُفَاقَه وهى:

ما أنس لا أنس خيازاً مررت به	يَذْخُو الرِّقَاقَة وَثُكَّ اللُّح بالبحر
ما بين رؤيتها فى كَفِّهِ كُرَّة	وبين رؤيتها قَوَّاء كَالْقَمَر
إلا بمقدار ما تَنَسَّادُحُ دائرَة	فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وشبه الجنان على حافاتهما، بالظلم من شدة خُصرتها، وذلك لأن النبات إذا اشتدت خضرته اذْهَامَ، كقوله سبحانه وتعالى في وصف الجنتين (مُذَاهِمَاتَانِ)^(١) وقال الراجز يصف سائمة عَدَت على كلاً ناجم مُحْضَر:

فَصَبُحْتُ أَرْعَلَ^(٢) كَالنَّقَالِ ومظالمها ليس على نَمال

وقال: (في نهارها) ليستغرب وجود الظلم نهاراً، واختار ذلك لمكان القمر، إذ القمر في غالب أمره، لا يكون إلا مع الليل، وهذه البحيرة بالشام وليست البحيرة تصغير بحر، لأن البحر مذكر، فلا تثبت الهاء في تصغيره، إنما هي تصغير (بَحْرَة)؛ وهو القاع العظيم يُنبِت السَدْرَ، كقول النمر بن تولب في صفة روضة:

وكانها دَقَرَى تَخِيلُ نَبْتُهَا أَنْفُ يَغْم الضالَ نَبْتُ بِحَارِهَا^(٣)

(ناعمة الجسم لا عظام لها بنات ومالها رحم)

وصف جسمها بالنعمة لأنه ماء، والنعمة إنما تكون في النامي، وهما الحيوان والنبات، وأما الماء؛ فلا يُقِيلُ نماء. وإنما كثرته بعد القلة كمية لا كيفة. لكن لما كان الناعم صافى البشرة، وكان الماء صافياً، استعار له النعمة، كما يقال في البرود ذوات الدرر والفرائد: ناعمة. وإنما هو على الاستعارة.

(لها بنات وما لها رحم): أغرب بذلك؛ لأن البنات مولودة، ولاتلد إلا الرحم، فهذه ذات بنات بغير رحم ولدتهن. وعنى بالبنات: سَمَكُهَا؛ كأنه لما ربّين فيها واغتنّين، صرن لها بنات.

(١) الآية ٦٤ من سورة الرحمن.

(٢) هذه رواية اللسان (دمل) وفي مادة (رعل) في اللسان: قال: ويروى أيضاً (تربعت أرعن كالنقال) ويقال نبت أرعل طويل مسترخ

والدُمَالُ (كما في اللسان): السرجين ونحوه. يقال: دَمَلُ الأرض وأدملها: أصلحها بالدُمَالِ. وفي المعجم الوجيز: السرجين: الزَّيْلُ. وسرجن الأرض: سَدُّهَا بِالزَّيْلِ.

(٣) البيت في اللسان (دقر) وقيل بيت آخر للنمر بن تولب ثم قال صاحب اللسان: (تَخِيلُ أَى تَتَلَوْنَ بِالنُّورِ فتركه رؤيا تَخِيلُ إليك أنها لون، ثم تراها لونا آخر. ثم قطع الكلام الأول وأبدأ فقال: نبتها أنف مبتدأ وخبر والألف: التي لم تُرَعْ . وَيَغْم : يعلو ويستر يقول: نبتها يغم ضالها والضال: السدر البرى والبحار: جمع بَحْرَة، وهى الأرض المستوية التى ليس بقرىها جبل. والدقر: الروضة الحسناء وهى الدقري.

وإن شئت قلت: إن الماء للسماك كاللبن للمولود. فلما غذتها هذه البحيرة بما فيها، صارت كالوالدة المرضعة. وقد أَلَمَّ المتنبي في هذا بقول ابن الرومي يستهدى سمكاً:

(وَبَنَاتُ بَجْلَةٍ فِي قَبَائِكُمْ مَأْسُورَةٌ فِي كُلِّ مُغْتَرِكٍ)
إِلَّا أَنْ الْمُتَنَبِّي زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (وَمَا لَهَا رَحِمٌ)، فَأَغْرَبَ.

(يُبْقِرُ عَنْهُمْ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشْكِي وَمَا يَسِيلُ دُمٌ)
يُحَاجِي بِذَلِكَ، لِأَن شَقَّ الْبَطْنِ الْحَيَوَانِيَّةُ يُشْكِي وَيُدْمِي. وهذه البحيرة يُشَقُّ بَطْنُهَا عَنْ سَمَكِهَا، فَلَا تَشْكِي وَلَا تَدْمِي بَعْدَ مَا الْحَيَوَانِيَّةُ.

(وَقَدْ تَوَالَى الْعَهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَاءَتِ الْمَطَرَةُ الَّتِي نَسِمْ)
الْوَسْمَى: أَوَّلُ الْمَطَرِ، لِأَنَّهُ يَسِمْ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ. وَالْعَهْدَةُ: الْمَطَرَةُ تَأْتِي بَعْدَ الْوَسْمَى، تَعْهَدُ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ.

وَاعْتِيَادُ الشُّعْرَاءِ الْاعْتِدَادَ عَلَى الْمُلُوكِ بِتَكَرُّرِ مَدَحِهِمْ فِيهِمْ، وَتَمْهِيدِهِمْ بِذَلِكَ الْحَقُوقِ لَأَنْفُسِهِمْ عِنْدَهُمْ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ:

(لَهَا أَخَوَاتٌ غَيْرُهَا قَدْ سَمِعَتْهَا وَإِنْ لَمْ تُزِغْ بِي مُدَّةً فَسَتَسْمَعُ)^(١)

فَيَقُولُ: هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَهَادِ الَّتِي تَتَعَهَدُ الْأَرْضُ، وَأَمَّا الْقَصِيدَةُ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ كَالْوَسْمَى فَقَدْ جَاءَتْ.

(١) مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي تَمَامٍ فِي مَدَحِ أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ الثُّغْرَيَّ (دِيَوَانُهُ ٩٧).

وله أيضاً:

دارُ المَلِمْ لها طَيْفٌ يُهْدَدُنِي لِيَلَّا فَمَا صَدَقْتَ عَيْنِي وَلَا كَذَبًا^(١)

أى يهددنى الطيفُ بالهجر؛ كما كانت رؤيته تفعل فى اليقظة، والحلم جارٍ على عاداته فى اليقظة، فما كَذَبَ الطيفُ فيما تَهْدَدُنِي به، لأن الهجرَ واقع. وما صَدَقْتَ عَيْنِي فى رؤية الخيال، لأنه زور لاحقية. والالف واللام فى (الملم)^(٢) للمرأة، والفعل للطيف ولها. واللام فيها للاستحقاق لا للملك لأن الطيف غير مملوك، وإنما هى مستحقّة له من حيث كان إياها فى المعنى.

(عُمِرُ العَدُوْ إِذَا لَقَّاهُ فِى رَهْجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمُرٍ مَا يَحْوِى إِذَا وَهَبًا)

ليس الموهوب بمحوى فيصح قوله: أَقْلٌ مِنْ عُمُرٍ مَا يَحْوِى إِذَا وَهَبًا، لأن ما فارقه بالهبة، فليس فى ملكه، وإنما عَنِ: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَهَبَ. فاكتفى بالمعلول الذى هو الهبة عن العلة التى هى الإرادة.

(وَتَغِيْطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيْهَا رَكِبًا)

غبطت الرجل: إِذَا تَمَنَيْتَ مِثْلَ مَالِهِ مِنَ النِّعْمَةِ، ولم تُرد زوالها عنه. وحسدته: إِذَا تَمَنَيْتَ مَالَهُ بِزَوَالِهِ عَنْهُ. فجعل الأرض تَغِيْطُ، لأنها جَرِمَ واحد متصل. والذات الواحدة لا يريد بعضها ببعض كراهة، وجعل الخيل تحسد لأنها جمع غير متصل الأجزاء، ولامتدائها وإنما هى أشخاص مفترقة، إن ضمها نوع فهى متغايرة بالشخص، ومشتركة بالنوع، والأشخاص متشاكلة ومتعادية. فمن المؤلف أن يُحِبَّ بعضها بعضاً.

و(أَيْهَا)^(٣): منصوب بركب، ولا يكون بتحسد، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله إلا أن يكون حرف جرّ.

(١) من قصيدة له بديوانه (بيروت ٩٧. والبرقوقى ١: ٨٠) والواحدى ١٥٤.

(٢) (آل) إِذَا دَخَلْتَ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَقَّةِ قَهَى اسْمَ مَوْصُولٍ وَصَلْتَهُ الْاسْمَ الْمُشْتَقَّ الَّذِى بَعْدَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: دَارُ الزَّائِرَةِ أَلْتِى أَلْتِى بِى طَيْفِهَا.

(٣) يريد أن (أى) اسم استفهام لا يعمل فيه ماقبله، وإنما يؤخر عنه عامله. لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة فى جملتها.

(بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِماً حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا)

أى أنه يستبشر بالنية إذا كانت فى سبيل المُعَالَاة^(١)، لأن ذلك يُعقبه^(٢) ذكراً رفيعاً، ومثله كثير، كقول الشاعر:

(إِذَا قَتَلُوا أَقْرَانَهُمْ لَمْ يَذُوقُوا^(٣) وَإِنْ قُتِلُوا لَمْ يَقْشَعِرُوا مِنْ الْقَتْلِ)

إلا أن أبا الطيب أغربَ بقوله: (مبتسماً)، فهو أبلغ فى قلة المبالاة بالنية من قوله: (لم يقشعروا). وقال أبو تمام:

يَسْتَعْزِيُونَ مَنَايَاهُمْ كَانَهُمْ لَا يَيَّاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا^(٤)

إلا أن الابتسام أبلغ من الاستعذاب، لأن الابتسام مُشعرٌ بلذة نفسانية.

ـ ٢٩ ـ

وله أيضاً:

(بَأْبَى الشَّمْسُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا اللَّأْيَسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبَا)^(٥)

الشمسُ هنا: النساء. والجانحات: الموائلُ للغروب. فإن شئت قلت: إنه شَبَّهن بالشمس فى هذه الحال، لأنه لَقِيَهُنَّ، فأظهرن الخَفَرَ، أو خَفَرْنَ فَسَتَرْنَ بعضَ محاسنهن، وأبقين بعضاً: إما للمباهاة، وإما لأنهن لم يمكنهن إلا ذلك، فجعلن كالشمس التى أخذت فى الغروب، فخفى بعضها، وبقي بعضها، كقول قيس بن الخطيم:

تَرَأَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ^(٦)

(١) المعالاة: المناقسة فى العلو.

(٢) أى يورثه.

(٣) فى الخطبتين: «يروهم».

(٤) البيت فى ديوان أبى تمام (ص ٢٠٣ ط بيروت) وهو من قصيدة له فى مدح المعتصم

(٥) مطلع قصيدة له بديوانه فى مدح على بن منصور الحاجب (ديوانه ص ١٠٩).

(٦) ديوان قيس بن الخطيم وفيه «تبدت» مكان «ترأت» ويروى كذلك فى أشعار العرب ص ١٣٣. وفى

كتاب الزهرة للأصفهاني (١: ٧٦)

وإن شئت قلت: إن هؤلاء النساء غيبن في الخدور والهواج، فكأنهن شمسٌ غوارب. هذا قول أبي الفتح، وليس عندي بقوى، لأنهن إذا غيبن في الخدور والهواج، فهن غير محسوسات، والشمس إذا جنحت للغروب فبعضها محسوس، وبعضها غير محسوس. ولم يقل الشاعر: بأبي الشمس غوارباً فيُتَأَوَّل عليه أنه عنى النساء اللواتي أخفتن الخدور، وإنما قال: الجانحات، والجنوح لا يقتضى كُليَّة الغروب.

فإن قلت: فقد قال: (غوارباً)، فأشعر ذلك بغروب كُلي، قلنا: قد أثبت الجنوح قبل ذلك. وإنما قال: غوارباً، وهو يذهب إلى أنها أخذة في الغروب ولما تَغرَبَ بعدُ. كقولهم في الليل إذا يُئِس منه: هو ميّت؛ وإن لم يُمِتْ بعدُ. وقد يجوز أن يُوقع غوارباً على الكل حين غرَب الجزء تجوزاً لاحققة.

- ٣٠ -

وله أيضاً:

(سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبَخْلُ عِنْدَهُ

لَقُلْتُ أَبُو حَفْصَ عَلَيْنَا الْمُسْلِمُ^(١))

أى إنى ارتحت بسلام هذا الطيف على، كارتياحى بسلام هذا الممدوح، فكان سلامه على تسليم أبي حفص على. لكن الفرق بين الخيال وتسليم أبي حفص أن تسليم^(٢) الخيال يتخلله البخلُ بتمام الوصل وتحقيقه، والخوف من فراقه، وألم معاتبته على بطعم الغُمُض^(٣) بعده. فتسليمه كَرُّ بهذه الآفات، وتسليم أبي حفص لا يلحقه بخلٌ ولا خوفٌ، بل هو الشرف السابغ الهنىء.

(وَأَغْرِبُ مِنْ غَنَاءٍ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ وَأَعُورُ مِنْ مُسْتَرْقِدٍ مِنْهُ يُحَرِّمُ)

(١) من قصيدة للمنتبى بديوانه (بيروت ص ١١٤) وهى فى مدح عمر بن سلبسان الشرايى وكان يتولى يومئذ الفداء بين العرب والروم ومظلمها:

نرى عظما بالصد والبين أعظم وننهم الواشين والدمع منهم

(٢) فى (ت): وسلام

(٣) الكلمة سقطت من (م).

ليس الشكل هنا: الصورة لأن صورته موجودة، وعنقاء مُعْرَبٌ معدوم البتَّة. فلا يقال في موجود إنه أعرَبُ من معدوم. والشكل هنا: المِثْلُ، أى إن شَكْلَهُ^(١) اسمٌ واقع على غير مُسمًى، إذ لاشكل له، كما أن العنقاء^(٢) اسم لغير مسمى. وإنما يوجد الشكل ملفوظاً به فى نفى الشكل عنه، أعنى فى قولك: ماله شكلٌ، فتفهّمه، فإنه معنى منطقيّ.

(وأعوزُ من مُستَرَفِدٍ منه يُحرم): أى أن نظيره عُدم، كما أن مسترفِداً منه محروماً عُدم.

وقال: (أَعُوْز) وإنما هو أشد إِعْوَازاً، لأنه جاء به على حذف الزائد. هذا قول أبى الفتح. وليس على حذف الزائد كما قال، لأنه يقال: غَاَزَهُ الأمر وأَعُوْزَهُ. فاعوز فى بيت المتنبي على (عَانَ)، لا على (أَعُوْز).

وإنما يتوهم حذف الزائد إذا لم يوجد عنه مندوحة، كقولهم: ما أعطاه للدرهم وآتاه للجميل وأولاه للمعروف، فإن هذه كلّها على حذف الزائد. والعُسْتَرَفِدُ: طالب الرّقْد، لأن باب استفعل فى غالب الأمر، إنما هو للطلب والمحاولة، كاستخرج واستسَمَن واستَجَاد.

قال سيبويه: وقالوا مرٌ مستعجلاً، أى مرٌ طالباً ذلك من نفسه، متكلفاً إياه.

- ٣١ -

وله أيضاً:

(أَرْكَائِبُ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَدْمُعَا تَطِيسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِيسُنِ الْيَرْمُعَا)^(٣)

أى أن الدمع يؤثر فى الخدود تأثيركُنْ فى اليرمع^(٣)، وهو الكَذَّان.

وَتَطِيسُ: تَكْسِرُ، وليس هناك كَسْر، إنما بالغ فى التأثير، فكُنَى عنه بالكسر، للتكثير.

(١) - (١) ما بين الرقسين وهو قدر سطر ساقط من (ت)

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (بيروت ١١٧. البرقوقى ٤٢٥:١. العكبرى ٢: ٢٥٩)

(٣) واليرمع: حجارة بيض صغار رخوة. والكذّان: الحجارة التى ليست بصلبة (اللسان. كذن)

(نُظِمَتْ مواهبه عليه تَمَائِمًا فاعْتَادَهَا فإذا سَقَطْنَ تَفَرُّعًا)

أى اعتقاده فى مواهبه أنها تقيه الذام^(١) كاعتقاده فى التمانم أنها تقيه السوء، فإذا خلا منهن تَفَرُّعٌ، كَفَرَّعَ ذى التمانم إذا سقطت عنه. وإنما ضرب ذلك مثلاً. ولو قال: فلو سَقَطْنَ تَفَرُّعًا: لكان أشبه بالمعنى، لأن قوله: (فإذا) يُشْعِرُ بسقوطهن فى بعض الأوقات، لكن سقوطها إنما يكون لعدم مالٍ أو انقطاع سؤال، فهذا توجيه: (فإذا سقطن)، و(تمائماً). منصوبة على الحال، وإن كانت اسماً، لأن فيها معنى حَوَارس، وقد يكون الاسم الجامد حالاً، على توهم الصفة، كقوله تعالى: (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ)^(٢). قال سيبويه: (وسمنا من العرب من يقول: العجب من بُرْ مَرَزْنَا به قبل، قفيزاً بدرهم قفيزاً بدرهم^(٣) فقفيزاً بدرهم حال، وهذا واسع كثير.

(يَهْتَرُ لِلجَدْوَى اهْتَزَّازٌ مُهَنْدَرٌ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الوَعَى)

أى اهتزأه للعطايا والجَدْوَى، اهْتَزَّازُ السيف عند الوَعَى، والوعى: صوت الحَرْبِ. والغين^(٤) أعلى فى الحرب. وإنما الوَعَى والوَعَى: الصوت، فسميت الحرب بهما لمكان الصوت.

— ٣٢ —

وله أيضاً :

(وربيعاً يُضاحكُ الغيثُ فيه زَهَرَ الشُّكْرِ من رِيَاضِ المَعَالِي)^(٥)

أى أنه مَطْنَةٌ للنعم، وأهل لواافر القسم، كما أن الربيع مَطْنَةٌ للخصب وزمن للإمراع، مع ما فيه من الاعتدال، وتساوى الأحوال. فلذلك سمي هذا الممدوح ربيعاً. أى أنه مشتمل على النعم المَرِيئِيَّةِ بالشكر كاشتغال زمن الربيع على

(١) الذَّامُ والذَّانُ: العيب.

(٢) الآية ٦٤ من سورة هود.

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (١: ١٩٨).

(٤) فى اللسان (وعى): الوعى والوعى (بالتحريك) الجلبه والأصوات. وقيل: الأصوات الشديدة. والوعى كلها: الصوت، اهـ. ولكن الأشهر فى أصوات المعاربين (الوعى) بالغين.

(٥) من قصيدة للمتنبى بشيوانه (ببورت ١: ٢٢٢). والبرقوقى ٢: ١٣٧، والبيان ٣: ١٩٨ - زبطينها -

صلة الهجر لى وهجر الهلال نكسانى فى السقم نكس الهلال

ضروب النواير، وأنواع الأزاهير. وقوله: (يضاحك الغيث فيه): عنى بالغيث النعمة. وجعل الشكر زهراً، لأن النعمة هي التي أنبتت الشكر، كما ينبت الغيث الزهر، فهذا الممدوح كلما أنعم عليه شكر. وإذا كان غيث وزهر، فلا بد من روضة، وهي الأرض. التي تنبت الزهر، وكل ذلك مستعار.

(وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعْمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ نَيْلِهِ^(١) بِسْؤَالِ)

من طبيعة الكريم، أن يبادر بالنوال من غير أن يُحوج إلى السؤال، لأن في ذلة السؤال ما لا يفي به فضل المسئول. فإذا كان نُدَى من غير مسألة فهي اليد البيضاء التي لم تَشْبِهَا تكدير، ولا خالطها تنغيص. فإذا سبقت المسألة نَوَالِ المسئول الكريم، سرُّ بذلك سروراً مشوباً بالكراهية، إذ طبيعته إثارة الجود قبل السؤال، فَنَعْمَاتِ السائل عنده، كالجراحات التي تُصِيب الشجاع فَتَسْرُهُ من جهة الثبات، سروراً يخالطه الكراهية، لما يلحقه من الألم. وإن شئت: لم تمثل ذلك بجراحات الشجاع، وقلت: إن نغمات سائله جراحات عنده تؤلمه، إذ لم يكن نيله له من غير سؤال.

(وَبِقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ فَصَارَتْ رِكَانَةً فِي الْجِبَالِ)

كأنه استبدَّ بالوقار أجمع، إلا أنه بقيت منه بقية، فتلك البقية عافت نوع الإنسان، لما رآته به من قلة الاحتمال لها، والعجز عن الاستقلال بها، لضعف منته، ووهي قوته. فعدلت إلى أجسام الجواهر الأرضية، وهي الجبال، إذ لم تجد جوهرأ يستقل بها إلا إياها.

وإن شئت قلت: إن لوقاره (هَيُولَى)^(٢) خَلْقٌ منها فما فَضَّلَ من تلك الهَيُولَى يكون رِكَانَةً فِي الْجِبَالِ. وهو قريب من القول الأول.

(وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدَ لَوْنًا وَأَلْقَى لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ)

(١) في الديوان (سبيد) مكان (نيلد)

(٢) الهَيُولَى: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة التي تتكون منها أجسام الأشياء، وهي من اصطلاحات الفلاسفة وأصحاب المنطق (انظر تعريفات الشريف الجرجاني ١: ١٩٨).

الحديد هنا: كناية عن السيوف والأسنة والنُّصال، ولونهن الغريزي: البياض، لكن استعارت لوناً غيره، وهو إحمرارها بالدم، ولذلك جعله مستعاراً، لأنه لون غريب. إنما هو لمكان الدَّم الذي صَبَّغها به، فيقول: لما صَبَّغ سيوفه ورماحه بالدم، أَشَّابَ بأهوالها الأطفال. فكأنهنَّ لما استعارتُ غير لونها، أعارت لونها زوائِبَ الأطفال. وكان لونها قبل ذلك السواد. كما كان لون السيوف البياض قبل ذلك.

- ٣٣ -

وله أيضاً:

(أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الذَّى دَلَّهْتَنِي عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءٍ)^(١)
ليس يأسف في الحقيقة على الأسف، إنما يأسف على تمييزه الذي كان يَعْقِلُ به أسفه. فحقيقة الكلام، أَسْفَى على عَقْلِي الذي كنتُ أَحْصَلُ به أسفى.

(فيه على خفاء): أى إنك قد دلَّهتنى حتى ما أشعر بأسفى.

وقد كان ينبغي له أيضاً أن يذهب عليه، لو كان مُدْلِهاً، أسفه على هذا الأسف، إلى ما لانهاية له، لكن هذا مَقْطَعُ شِعْرِي^(٢) فلا تَنْقُصِينِ بالمنطق، فيفسد. وما أحسن هذا المثل العامى، الذى هو قولهم: الاستقصاءُ فُرْقَةٌ^(٣)، ولاتستخِفْنَ بذكر هذا المثل؛ فقد ذكره أبو نصر الفارابى^(٤) فى باب من البرهان^(٥).

(وشكَّيتى فَقَدْ السُّقَامَ لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ لِمَا كَانَ لى اَعْضَاءِ)

- (١) من قصيدة له بديوانه (بيروت ١٢٥) وهى فى مدح أبى على هارون بن عبد العزيز الكاتب مطلعها:
أمن أزد يارك فى الدجى الرقباء
إذ حيث كنت من الظلام ضياء
(٢) فى ت «تقطع شعري» يريد أن تعبير الشعراء لا يحتمل تطبيق حدود المنطق الدقيقة.
(٣) يريد أن الاستقصاء والمبالغة فى تعداد المآثر والعيوب، يؤدى إلى تباين وجهات النظر واقتراح المتجادلين فيها، فلا يحترم بعضهم لبعض رأياً. وانظر الميلى (مجمع الأشغال ١: ٣٥٧).
(٤) هو أكبر فلاسفة المسلمين له تأليف فى المنطق والعلوم الفلسفية والموسيقى توفى سنة ٣٣٩ هـ (عن ابن خلكان).
(٥) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات (انظر تعريف السيد الشريف الجرجاني).

وهذا البيت أيضاً يشبه الأول: لما لم يَشْكُ فَقَدَ السَّقَامَ لأنه مكروه، والمكروه لا يستوحش أحدٌ من فقده، ولكن شكا فقد أعضائه، لأن السَّقَامَ عَرَضٌ والعَرَضُ لا يكون إلا في الجواهر؛ فإذا عَدِمَ أعضاءه فقد عَدِمَ السَّقَامَ. وإنما شكا في كُلِّ الأكبر، واستسهل الأصغر^(١).

(فَتَبَيَّتْ تُسْنِدُ مُسْنِدُ فِي نَيْهَا^(٢) إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ)

الإِسَادُ: سرعة السير، وقيل: سير الليل. والنَّيُّ: الشَّحْم. وتقدير البيت: فتبييت تُسْنِدُ مُسْنِدُ الْإِنْضَاءِ فِي نَيْهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ. والإِنْضَاءُ: الهزال. أى أن الْإِنْضَاءَ الحادث عليها من التَّعَبِ، يُسْنِدُ فِي نَيْهَا أَى يَسْرِي فِيهِ مُسْرَعًا، فيأخذ منه، كما تُسْنِدُ هِى فِي هَذَا الْمَهْمَةِ الِذِى تَقْطَعُهُ. يقول: يأخذ السيرُ من جسمها كأخذها هِى من المهمة، فقد أفناها السَّيْرُ كما أفنت هِى المهمة، فلم يبق من جسمها شىء، كما لم يبق من المهمة، فمُسْنِدُ فِي الْفَلْظِ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الِذِى فِي تَسْنَدٍ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْإِنْضَاءِ وَالْإِنْضَاءُ: فاعل بقوله: مُسْنَدُ.

وتحقيق الحال فى ذلك، أن يقول: فتبييتُ تُسْنَدُ، وَالْإِنْضَاءُ مُسْنَدُ فِي نَيْهَا، والعائدُ إِلَى الضَّمِيرِ الِذِى فِي تُسْنَدُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ اللَّفْظِيَّةِ، مَا فِي نَيْهَا وَإِسَادَهَا مِنَ الضَّمِيرِ.

وتقدير لفظ البيت، على ما صورته لك يُؤَدِّيكِ إِلَى حَقِيقَةِ إِعْرَابِهِ، لَكُنِّى ذَهَبْتُ إِلَى التَّبَيُّينِ.

(وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلَدِهِ سَالَ الْخُضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ)

(١) أى فى كل من البيتين الآخرين عبرَ المتنبي بلفظ لم يقصد معناه الظاهر وإنما جعله كناية عن معنى آخر. فظاهر فى البيت السابق أسفه على فقده الأسف. وهو يقصد أسفه على فقده العقل والتمييز الذى كان يدرك به معنى الأسف. وفى هذا البيت يشكو فقد السقام، وهو يقصد فقد الأعضاء، التى كان يحل بها السقام. وقد وصف ابن سيده المعنى الظاهر فى البيتين بالأصغر والمعنى المقصود بالأكبر. ولا يخفى ما فى عبارته الأخيرة هنا من إيجاز مرهق.

(٢) فى اللسان (نوى) التى (بالكسر): الشَّحْم والتى (بالفتح): المصدر.

أى أنه يَبْتُ الذهب ويصرفه فى كل وجه، فكأنه بكثرتِه يَسِيل ويُمَاحُ، حتى يَخجل الماء من كثرتِه، فيقف حائراً. يقال: قام الماء: إذا جَمَد فلم يسَل. ومنه قوله تعالى: (إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِماً)^(١) أى ثابتاً غير منصرف، الا ترى قوله بعد هذا: (جَمَدَ الْقِطَارُ...) ^(٢) وإن شئتَ قلت: يَخْجل القطر من سيَلان الذهب،، فيعود سيَلانه - بإضافته إلى سيَلان الذهب - جُموداً، إلا أنه يجمد عن السيَلان.

(مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ)

أى هو من يَهْتدى فى الفعل إلى ما لا يَهْتدى إليه الشعراء فى القول حتى يفعل. يقول: ذهنة فى الفعل أنْفَذَ^(٣) من أذهان الشعراء فى القول، فإذا أغربوا فى مدحه لم يك ذلك الإغراب من غوص أذهانهم على المعانى. إنما نظروا إلى فعله الذى غاص عليه هو بذهنه. فاهتدوا إلى القول بما رأوه من فعله.

ولولا ذلك لم يهتدوا، فإذا فَعَلَ^(٤) تعلموا وصفه من فعله.

(مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضُرُّهُ فِي تَرْكِهِ لَوْ تَفَطَّنَ الْأَعْدَاءُ)

إنما جعل نفعه فى أن يُهَاج، لأنه إذا هِيج أوقع بالأعداء، فأغار وغَنِمَ، وأثرى، واتسعت كَفُّه للجود. وتلك بغيتُه من الثروة. وضُرُّه فى تركه أى إذا سَوَّلَ سَأَلَمَ، وهو فى ذلك يجود بما عنده حتى ينفَد، فلا يجد ما يجود به. فهذا وجه ضُرُّه فى تركه.

وإن شئتَ قلت: البأس وحبُّ الحرب فى طبيعته، فإذا هِيج مُكِّن بما فى طبيعه، والإنسان ينفعه تحريكه^(٥) إلى ما فى سَجِيَّته، لأن فى ذلك كل بلوغ أمنيته،

(١) الآية ٧٥ من سورة آل عمران.

(٢) البيت بتمامه:

جمد القطار ولو رآته كما ترى بهت فلم تبحس الأنواء

(٣) فى ت «ينفد».

(٤) مكان كلمة (فعل) مطموسة فى الخطييين ولعلها مأثبتاء.

(٥) فى نسخة ت (التحريك).

وضرُّه فى تركه: أى أنه مُشْتَتِه للقتال بطبيعته، فإذا سُوِّل اشتاق إلى مشاهدة مافى طبعه، فضرُّه شوقه إلى ذلك إذا لم يمكنه مشاهدته، كقوله هو:

(فلا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يُذَكَّرُ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقُ)^(١)

والقول الأول عندى أحسن، لقوله بعد هذا:

(فَالسَّكْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بِئَوَالِهِ مَا تَجْبِرُ الْهَيْجَاءُ)

أى إنه وجود بماله فَيُكَلِّمُ، ثم يُغَيِّرُ فَتَجْبِرُ الْهَيْجَاءُ مَا أَنْتَلِمُ، ثم يسالم فيعود إلى طبعه الأول من الجود، فكلمة هاضت السَّكْمُ ماله جَبَرَتْهَا الْحَرْبُ، وبالعكس، أى كلما جَبَرَتْهُ الْحَرْبُ هاضت السَّكْمُ.

(يَا أَيُّهَا الْمُحْيَا^(٢) عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ)

(أحيا عليه روحه): بأنه لم يستوهِبه ولو استوهِبه لأعطاه فعُدِمَ، فإن لم يستجده روحه كان ذلك أَحْيَاءً. وَعَدَى (الْمُحْيَا) بَعْلَى، لأنه فى معنى المحبوس عليه روحه.

(أَحْمَدُ عَفَاتَكَ لَا فُجِغْتَ بِفُقْدِهِمْ فَلَنَرُكَ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاءِ)

يقول: أحمدهم على أن لم يستجدوك رُوحَكَ، إذ لو استجدوك إِيَّاهُ، لَحَنَّتْكَ طبع الكرم والسَّخَاءُ على هَيْتِهِ لَهُمْ، فقد استوجبوا أن تَحْمَدَهُمْ على ترك هذه الروح لك، لأنه عَطَاءٌ مِنْهُمْ لَكَ، كما ينبغي لَهُمْ أن يَحْمَدُوكَ عَلَى مَا أُعْطِيْتَهُمْ مِنْ مَالِكَ، فهم يقتضونكَ الشُّكْرَ عَلَى عَطَائِهِمْ، كما تقتضيهمْ أَنْتَ إِيَّاهُ عَلَى عَطَائِكَ، لأن المعطى بطبيعته يجب أن يشكر. فَأَعْطِ مِنْ نَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَمْدُوحُ، كما تطلب من غيرك. بل أَنْتَ أَوْلَى بِشُكْرِهِمْ، لأن الذى تركوا لك، وهو الروح، أَنْفُسُ مَنْ الذى أُعْطِيْتَهُمْ، وهو المال.

(١) البيت من قصيدته «لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقي» وفى التبيان (٣: ٤: ٢) «ومتى يذكر» بالبناء للمجهول وهى أولى.

(٢) رواية التبيان (المجندى) بصيغة اسم المفعول، أى الموهوب له روحه.

وقوله: لَأُجِيعَ بِفَقْدِهِمْ: إنما حد الصنوعة أن تُشكر^(١) لأنها إذا شكرت حُييت وإذا كُفِّرَتْ ماتت، لأن كُفِّرَها له سترٌ.

فيقول: لامات صنائعك عند عُفائك بكُفِّرَها وقَلَّ شكرها. دعا بذلك له. وإن شئت قلت: لأُجِيعَ بحمدِهِمْ: أى لافارقتك المروءة، فيفضى بك فراقها إلى ضد حَمَرِ عُفائك لك.

(لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ إِيَّا إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الْأَحْيَاءُ)
أى أن الأموات أقلُّاء، حتى تعود فيهم، فيكثرُون حينئذ.

وقوله: (إِلَّا إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الْأَحْيَاءُ): جَمْعُ قِلَّةٍ^(٢) عن قوله: إِلَّا إِذَا مِتُّ، أى فإذا مِتُّ وشقيت الأحياء بفقدك، قَلَّتْ الأحياء، وكثرت الأموات. وقال: كثرة قِلَّةٍ: لأن الأموات وإن كثرت أعدائهم، فهم قليل لَعْدَمِهِم للغناء، وأخذهم فى الفناء. وإن شئت قلت: كثرة قِلَّةٍ^(٣) قِلَّةٍ: أى كثروا بك وأنت واحد، والواحد قليل، فتكثرهم بك تكثر قِلَّةً^(٣).

وقد يتجه هذا البيت على معنى آخر، وهو أن الأحياء إنما ينالون الحياة بِنَدَاهُ، فإذا عُدِمَ بالموت، مات الأحياء الذين كانوا يتعيشون بذلك، فكثرت الأموات بموت هؤلاء الأحياء بعده.

وقد يجوز أن يعنى بالأحياء هاهنا أعداءه. يقول: لا تكثر الأموات إلا إذا ضاربك أعداؤك، فَعَلَبَتْهُمْ وقتلتهم، فحينئذ تكثر الموتى بهم. وشقاء الأعداء به قِلَّةٌ إِيَّاهُمْ، وقال: كثرة قِلَّةٍ: لأن ما يدخل تحت الفناء قِلَّةٌ فى الحقيقة. ودل ذلك على أن أعداءه كثير. والقولان الأولان عندى أوجه.

أخبرنى بعض أهل بغداد، أن الممدوح بهذه القصيدة أدركته الوفاة بعد إنشاد المتنبي إياه هذا الشعر بأيام قليلة، فكان يتقلب على فراشه ويردد هذا البيت الذى فسرناه.

(١) الكلمة ساقطة من م.

(٢) فى الأصلين (حممة) يحا بين. ولا يناسب المقام. والجمجمة (بالجيم):. الأ يبين كلامه من غير عى.

(٣) - (٣) مابين الرقمين وهو قدر سطر سقط من ت.

(أَبَدَاتُ شَيْئاً مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوُهُ وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاءُ)

أى أَعَدَّتْ أعظم مما بدأت به، حتى نسى المبدأ به بالإضافة إلى المُعاد.

وإن شئت قلت: أعادَ المعروف كثيراً، حتى صار كأنه لا بدَّ له.

(لَمْ تُسَمِّ يَا هَارُونَ إِلَّا بَعْدَمَا أَقْدَحْتُ رَغْبَتِي وَنَازَعْتِ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ)

أى تَنَافَسَتْ فيك الأسماءُ، رغبة في الشرف بذاتك، وَتَغَالَبَتْ فَلَجَّأَتْ إِلَى الاقتراع ففاز هذا الاسم وهو - هارون - بك. وتقديره لم تسم هارون يا هارون فاكتفى من ذكر المفعول الثانى بقوله: يا هارون، لأن نداء إياه به دليل على أنه اسمه. وهذا من أحسن الحذف وأوجزه.

(فَقَعَدَوْتُ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ)

(وَالنَّاسُ فِيمَا فِى يَدَيْكَ سَوَاءٌ)

أى لم تُسَمِّ بغير هذا الاسم من الأسماء التى نازعته فيك، والناس فيما فى يديك سواء: أى أنه وإن لم تشترك فيك الأسماء فالناس مشتركون فى مالك شريكاً تساوا^(١).

(وَلَجَدْتُ حَتَّى كِدْتُ تَبْخُلُ حَائِلاً)

(لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السَّرُورِ بُكَاءٌ)

إن شئت قلت: بلغ جُودُكَ الغاية. ومعروف أن الشيء إذا انتهى انعكس ضيداً فكذلك جُودُكَ، لما انتهى فلم يك مزيداً، كاد أن يستحيل بخلاً. وقوله: ومن السرور بكاء: [أى]^(٢) أعلمت أن الشيء إذا انتهى عاد إلى ضده كالسرور إذا أفرط كان بكاء. وقال: (كدت تبخل)، ولم يقل: حتى بَخِلْتُ، استقباحاً منه أن يُوجب عليه البخل.

(١) (شرك تساوى): الشرك والشركة بمعنى (القاموس). وكلمة (تساوى) ساقطة من ت.

(٢) [أى] زيادة ليست فى الأصلين. وبها يستقيم المعنى.

وإن شئت قلت: تَنَاهَيْتَ فى الجود، فبخلت أن يُشاركك أحدٌ فى اسمه،
فحال الجودُ بخلا، كما يحول السرورُ بكاءً.

والقول الأول عندى أوجه، إذ لو كان على القول الأخير، لم يكن لـ (كِدْتُ)
معنى لأنه نُقْصَانٌ من مدحه، إذ بُخِّلَهُ بأن يُشَارَكَ فى اسمه الجود غيرُ مذموم.
وأما فى القول الأول فالبخل^(١) المطلق مذموم. فتفهّمه، فإنه جيد لطيف.

وقوله: للمنتهى: أى من أجل الانتهاء.

(لَمْ تَحْكْ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمْتُ بِهِ فَصَيَّبُهَا الرُّحَضَاءُ)
الرُّحَضَاءُ: عَرَقَ الحُمَى يُرَحِّضُ: أى يغسل. أى لم يُحَاكِكَ السحاب بمطره،
ولا ناوأك، لأنه معترف أنك أُنْدَى منه. وإنما تأمل بذلك وأيقن بالعجز عنه،
فحسبك فحْمٌ حمى حُسَّاده، فمطرُها إنما هو عَرَقُ حُمَّاهَا.
(لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوَ)

عَقِمْتُ بمولدِ نَسْلِهَا حَوَاءُ
جَعَلَ الورى جزءاً منه، بعد أن جعله جزءاً من الورى. فالأولُ حقيقة،
والثانى مجاز، لا يكون الكلُّ جزءاً للجزء. هذا خَلْفٌ، لكن جَعَلَهُم منه، إشعاراً أنه
جمال هذا النوع، به عُرف، وإليه نسب، فكأنه إنما يكون منه، كقوله:
(أَنْى يَكُونُ أَبَا الْبَرَايَا أَدَمُ وَأَبوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ)^(٢)
وهذا قبيح داخل فى الشُّنْعِ^(٣).

وقوله: عَقِمْتُ بمولدِ نَسْلِهَا حَوَاءُ: أى لو لم تكن من ولدها كان نَسْلُهَا كلا
نَسْلٍ، حتى كأنها عقيم، لم تلد قط.

وقوله: بمولد نسلها: أى عُدْتُ عَقِيماً على أنها قد ولدت.

(١) العبارة فى ت (فلا يخل بمكلف مذموم) ولا معنى لها.

(٢) من قصيدة له بديوانه مطلعها «اليوم عهدكم فأين الموعد».

(٣) الشُّنْعُ: مصدر شَنَعَ الأمر أو الشئ شناعة وشُنْعاً (بالتحريك) وشُنْعاً (بضم الشين وسكون العين): قُبِحَ
فهو شنيع.

وله أيضاً:

(يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّامِلِ)^(١)

إِنْ شِئْتُ قُلْتُ إِنَّ الظِّبْيَ يُجْهِدُ الْكَلْبَ فَيَشْغَلُهُ عَنِ التَّامُلِ. وَإِنْ شِئْتُ قُلْتُ: إِنَّهُ يَمْنَعُ الْكَلْبَ أَنْ يَتَأَمَّلَهُ بِسُرْعَتِهِ، كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ فَرَساً:

(جَارَى الْجِيَادَ قَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا سَبْقاً وَكَادَ يَطِيرُ عَنْ أَوْهَامِهَا)^(٢)

وهذا أبلغ من قول أبي الطيب، لأن سَبْقَ الوَهْمِ أدلُّ على السرعة من سبق الطُوفِ مع لفظ الطيران، والطيران أبلغ في السرعة، ولذلك شَبَّهَتِ الْعَرَبُ خَيْلَهَا بِالطَّيْرِ كَقَوْلِ لَبِيد:

وَكَاثِنِي مُلْجِمٌ سُوْدَا نِقَا^(٣)

وكقول الآخر:

كَأَنَّ غُلَامِي إِذْ عَلَا حَالَ مَنَّتِهِ عَلَى ظَهْرِ بَارِي فِي السَّمَاءِ مُخَلِّقٍ^(٤)
(لَهُ إِذَا ادْبَرَ لَحَظَ الْمُقْبِلِ)

أَيُّ أَنَّهُ مِنْ تَيَقُّظِهِ يُرَاعِي جِهَاتِهِ، فَكَأَنَّهُ يَرَى مَا وَرَاءَهُ كَرُؤَيْتِهِ مَا أَمَامَهُ.

(شَيْبَةُ وَاسْمُ الْحِصَارِ بِالْوَلِيِّ)

الواسميُّ والوليُّ هنا: مستعار، وأصلهما في المطر، الواسميُّ الأول. والوليُّ

(١) من أرجوزة للمعتنى بديوانه ص (١٣٠) وهي في وصف كلب صيد مطلعها.
«ومنزّل ليس لنا بمنزل»

وانظر التبيان (٢٠١: ٢).

(٢) انظر قصيدة البحتري في ديوانه (٢٥٠: ٢-٢٥٢) ومطلعها: «طفقت تلوم ولات حين ملامه».

(٣) شطر بيت للبيد ورواه اللسان - (سودق) وتمامه:

وَكَاثِنِي مُلْجِمٌ، سُوْدَانَقَا أَجْدَلِيَا كَرُهُ غَيْرُ كُلِّ

وَالسُّودَانَقُ: الصَّقْرُ أَوْ الشَّاهِينُ. وَاللَّفْظُ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ.

(٤) البيت في اللسان (حول) ولم ينسبه إلى قائله. والحال: موضع البلد من ظهر الفرس.

الثانى. يقول: ثانى^(١) جريه مثل أوله كقولهم: فرس ذو عَقَب^(٢). أى جريه الثانى كجريه الأول، وذلك لشدته وصلابته، حتى إن إعياءه كجمامه.

وهذا كقوله فى موضع آخر يصف فرسا:

وَأَقْسَلُ أَى الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ ارْكَبُ^(٣)

أى أنه من المنعة والنشاط فى آخر عدوه، مثله فى أوله، وحسن استعاراته الوسمى والولى لأول الجرى وآخره، لأنهم يستعملون لفظ الغيث فى هذا النحو كقولهم: فَرَسٌ سَكَبَ، وَفَيْضٌ وَغَمَرٌ، وَبَحَرٌ. كل ذلك جواد، وهُنَّ من صفات الغيث والماء. وقالوا: شَابِيبُ الجرى، كقولهم شَابِيبُ المطر، وهى الدُفْعُ منه.

(وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتْفُ النَّتْفَلِ)

أى إذا رأى الكلبُ الظَّبْيَ والنَّتْفَلَ وهو ولد الثعلب، كان عُقْلَةً للظبى يأخذه ويمنعه من الهرب، ويهلك النتفل. وهذا كقول امرئ القيس:

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكِلِ^(٤)

أى أن هذا الفرس قيدٌ للوحش، فكذلك هذا الكلب، عُقْلَةً للظبى، وَحَتْفٌ للنتفل. وقد قال المتنبى أيضاً مثله فى هذا الموضع:

يَنْقُضُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطْهَمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرَبْقَةَ السَّرْحَانِ^(٥)

فقول له: ربيعة السرحان كقول امرئ القيس: قَيْدِ الْأَوَابِدِ، وزاد عليه أجل الظلیم. فبيته هذا الأخير مكافئ لبيته الأول، لأن الْحَتْفَ كالأجل والرَبْقَةَ كالعُقْلَةَ. وصح له الشرف على امرئ القيس.

(١) فى م (بأنى)، تحريف .

(٢) الْعَقَب (يفتح فسكون) الجرى يعى: بعد الجرى الأول، يقول لهذا الفرس عقب لحقنى. وفرس ذو عَقَب (يسكون القاف وكسرها) أى له جرى بعد جرى (اللسان عقب).

(٣) البيت له من قصيدة مطلعها «أغالب فيك الشوق والشوق أغلب» ويروى أيضا «وأصرع» فى موضع «وأقتل»

(٤) عجز بيت من معلقة امرئ القيس وصدره (وقد أغتدى والطير فى وكثانها).

(٥) البيت من قصيدته: «الرأى قبل شجاعة الشجعان».

(لو كَانَ يُبْلَى السُّوْطُ تَحْرِيكُ بَلَى)

أى أن هذا الكلب مَجْدُول مضمَّر كالسُّوْط، فكما أن السُّوْط لا يُبْلِيهِ التحريك، كذلك هذا الكلب لا يبليه شدة عَدُوِّهِ ولا ينقصه، ولو كان السُّوْط - الذى هو شبيه له فى الجَدَل والضَّمْر والاستعمال له - يُبْلَى لَبُلَى الكلب.

(فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجْدُلِ)

أى صُرِّع فصارت قوائمه التى كانت للقفز إلى التجدل. أى اللُّزوق بالجدالة وهى الأرض.

(وَصَارَ مَا فِى مَسْكِهِ^(١) فِى الْمَرْجَلِ)

المرجل: قدر النحاس خاصة، مذكَّر من بين أسماء القدر، يقول: سُلِّخَ عنه جلده، وأُدْخِلَ فى القدر، فعاد ما كان من لحمه فى الجدل رهين المَرْجَل، وأراد: ما كان فى مَسْكِهِ، (ففى مسكه) من صلة الذى^(٢) ولا يكون خبراً لكان هذه المرادة، لأن تلك لاتضمُرُ وتَعْمَل، لأنها فعل كَوْنَى غير مؤثر. ولذلك منع سيبويه إضمارها وإعمالها، فقال: (واعلم أنه، لا يجوز لك أن تقول: عبد الله المقتول^(٣))، وأنت تريد: كُنَّ عبد الله المقتول). ولذلك حمل الفارسى قوله تعالى: (فوجدَ فيها رجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ)^(٤) على الحكاية^(٥)، لا على إضمار (كان) استدلالاً بما قدمت من كلام سيبويه.

(١) رواية الديوان والتبيان: «جلده».

(٢) أى صلة (ما) فى البيت وهو بمعنى الذى.

(٣) الكتاب لسيبويه (١: ١٣٣) أى لا يجوز أن تنصب عبد الله فى المثال الذى ذكره سيبويه (يكن) مضمرة. وقد بين السيرافى فى شرحه للكتاب (مجلد-١ ورقه ٦٢ يمين مصورة جامعة القاهرة) بقوله: لأنه ليس قبله ولا فى الحال دلالة عليه (كن) وإنما يضمرون ما عليه الدلالة من الكلام أو شاهد من الحال. ا هـ.

(٤) الآية ١٥ من سورة القصص.

(٥) نص عبارة الفارسى فى الحجة (ح ٦ ص ١٧ - المصورة) وكما أن قوله (وكلَّهم باسطٌ ذراعيه) فى أنه حكاية حال قد مضت وكذلك قوله تعالى (هذا من شيعته وهذا من عدده) ا هـ.

* * *

قال المحققان: مراد المؤلف أن أبا على الفارسى خَرَجَ قراءة الآية على حكاية الجملة، وإن كان لم يُخْرِجْها على إضمار (كان) للعلة التى أفضح عنها السيرافى فى الحاشية السابقة على هذه بقوله (لأنه ليس قبله ولا فى الحال دلالة عليه (كان)).

والعرب قد تنطق بالخبر وظاهره الوجوب فى وقت الإخبار، وهى تريد به ماضى وماستقبل على وجه الحكاية، كما فى هذه الآية.

وقال النيسابورى: قال الزجاج: قوله تعالى (هذا من شيعته وهذا من عدوه) وهما غائبان على جهة الحكاية، أى وجد فيها رجلين يقتتلان إذا نظر الناظر إليهما قال: هذا من شيعته وهذا من عدوه. (انظر تفسير النيسابورى على هامش الطبرى (ح ٢ ص ٣١).

وله أيضاً:

(رَأَيْنَا بِبَدْرِ أَبَائِهِه لِبَدْرِ وَلُوداً وَبَدراً وَلِيداً)^(١)

معنى هذا البيت: التعجب من خرق العادة، وهو من ظريف المحاجة. فَبَدْرُ الأول: اسم الممدوح. والآخران: عنى بهما البدر المعروف.

يقول: ليس من طبيعة البدر الفلكي أن يَلِدَ ولا أن يولد. فلما رأينا بَدراً هذا الممدوح وأباه، وجدنا بوجودنا إياه بَدراً مولوداً، وجدنا بوجود أبائه وَلُودَ البدر. فقد خرق علينا المعتاد، فوجب التعجب.

وحاصل البيت: وجدنا ببدر هذا الممدوح بَدراً وليداً. ولا كبير فائدة في وجود الآباء، لأن المولود والوالد من باب المضاف والمضاف إليه. فإذا وَجَدَ بَدراً مولوداً، فلا مَحَالَة أن له والدين. فإن ذكره الآباء هنا حَشَوْهُ، إلا أن يُفيدنا بذلك أن آباءه بُدُور. وليس بكبير فائدة أيضاً، لأن النوع لا يلدُ غير نوعه، فتفهّمه.

(طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُوداً)

أى رَضِينَا أن نسجد له إذا رأيناه إكباراً له وإيثاراً، إلا أنه لا يريد ذلك منا، لأن هذا إنما ينبغي لله عز وجل، فطلبنا نحن حينئذ رضاه، بترك السجود الذي رَضِينَا له. فقد مدح بَدراً هنا بشيئين:

أحدهما: جلالة القدر، حتى رُئِيَ أهلاً للسجود له. والآخر: تَوَضُّع بدر عن هذا الذى رَضِيه المتنبى له، قُبْحاً لكلامه، وَتَهَرُّاً فى هذا الموضع وأشباهه لنظامه.

وقوله: فتركنا: معطوفٌ على طلبنا، ولا يكون معطوفاً على رَضِينَا، لفساد المعنى، وأن (الذى)^(٢) لا يعود عليه من المعطوف على صلته شيء.

(١) من قصيدة فى مدح بدر بن عمار مطلعها

أحلمنا نرى أم زمانا جديدا

وانظر ديوانه (بيروت ١٣٣٠).

(٢) (الذى): ساقطة من م.

أم الخلق فى شخص حى أعيدا

(بَهْجَرِ سَيْوَفَكَ أَعْمَادَهَا تَمْنَى الطَّلَى أَنْ تَكُونَ الْغُمُوداً)

أى أن سيوفك مسلولة أبدأ، فأغامدتها خلوة، والسيوف فى الطلى، فتمنى الطلى أن تكون الأعماد، لتخلو منها كما خلّت الغُمود.

(فَانْتَ وَحِيدٌ بَنَى أَدَمٍ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيداً)

أى: واحدهم فى الفضائل، وكرم الشماثل، ولم يحترم الزمان نُظْرَاكَ. بل لك نظراء فى حب المجد، والسعى إلى ابتناء الحمد، ولكنهم لم يؤثروا من ذلك ما أوتيتَه ولاحبُّوا بما حُبَّيتَه، وليس أوانك خلواً من السادة، فتكون أنت إنما سُدَّتْ لَحْلُؤُ الوقت من ذوى السيادة، لأن تلك سيادة لاتتبين لها مزية. وإنما الفخر أنك ذو نظراء، وأنت مُوفٍ عليهم، بخلاف قول الشاعر:

خَلَّتِ الدِّيارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّودِ^(١)

- ٣٦ -

وله أيضاً:

(حَدَقَ يَذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ)^(٢)

أى أنه يذم كل مظلوم فيقيدُه من وآثره، وينصفه إلا من قتلته هذه الحدق، فإن هذا الأمر على جلالته، لايقوى مظلومها ولايقيد قتلها. وهذا نحو قوله فى سيف الدولة:

وَقَىَ الْإِمِيرُ هَوَىَ الْعَيُونِ فَإِنَّهُ مَالاً يَزُولُ بِيَأْسِهِ وَسَخَائِهِ^(٣)

(وَكأنما)^(٤) غَرَّتْهُ عَيْنٌ قَادَتْنِي لَايُبْصِرُ الْخَطْبُ الْجَلِيلَ جَلِيلاً

(١) البيت لحارثه بن بدر فى الأغاني (٤٧٨: ٢٣) وعيون الأخبار (١: ١٦٨).

(٢) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص ١٤٤) فى مدح بدر بن عمار مظلماً:

«فى الخد أن عزم الخليط رحيلاً».

(٣) من قصيدته التى مظلماً «القلب أعلم بأعدول بدائه».

(٤) فى الديوان والبرقوقى (وكانه).

تعجب من الأسد كيف لَقِيَه. ولقائه من أجل الخطوب. لكن عَيْن الأسد غَرَّتْه، فلم تره إياه على صفته التي هو عليها من المهابة والجلالة، فأقدم لذلك، ولو أَرَتْه عَيْنُهُ إياه على ماهو به، لأحجم ولم يُقَدِّم، وهذا كقوله في موضع آخر:

ذَمُّ الدُّمُسْتَقِّ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعْتُ سُوْدَ الْغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَرَعُ^(١)

أى أن عيني الدُّمُسْتَقِّ احتقرنا المسلمين، فارتاه جموعهم قليلة، فأقدم فوقع عليه البلاء، فذم عينيهِ، لكذبهما حين ألقى الأمر على خلاف ما أوهمتهما. ونحوه قوله تعالى: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقُّنُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ)^(٢). إلا أن رؤية الدُّمُسْتَقِّ والأسد لما أَلْفَيَاهُ دون ماهو به، خلاف هذا الذى فى التَّنْزِيل من جهة وموافق من جهة، وذلك أن تقليل الكفار فى أعين المؤمنين إنما كان تثبيتاً لقلوب المؤمنين، فذلك خير أريد بهم، كما أريد بالأسد والدُّمُسْتَقِّ الشرَّ فالخير للمؤمنين والشر لهما. وأما قوله تعالى: (وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) فهذا مطابق لحال الأسد والدُّمُسْتَقِّ، لأن الله تعالى إنما قلل المؤمنين فى عيون الكافرين ليحقرهم فَيَتَّبِعُوا. ولذلك قال تعالى (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)^(٣) أى إنما قلل الكفار فى أعين المؤمنين ليكون أجراً للمؤمنين عليهم، وقلل أولئك فى أعين الكافرين ليقدّموا عليهم، فتدور عليهم دائرة السوء.

- ٣٧ -

وله أيضاً:

(أَبْعَدُ نَائِي الْمَلِيحَةِ الْبَخْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تَكْلُفُ الْإِبِلُ)^(٤)

جعل النأى أنواعاً، أبعدھا البُخْلُ، إذ سائرُ أنواع النأى يُرجى دُنُوهُ، إمّا بإيَاب المحبوب وإمّا بتجشُّم السيرِ إليه. فأما البخلُ فلا احتيال فيه، لأنه من قِيلَ المحبوب نفسه^(٥)، لا من قبل نَائِي أَوْجَبَهُ. ولذلك قال: (فى البُعد ما لا تَكْلُفُ

(١) من قصيدته التى مطلعها «غبرى بأكثر هذا الناس ينخدع». وانظر التبيان للعكرى (٢٢:٢).

(٢) الآية ٤٤ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ٤٤ من سورة الأنفال.

(٤) مطلع قصيدة له بديوانه (بيروت ١٣٥ - والبرقوى، ١٤٨:٢) وهى فى مدح بدر بن عمار.

(٥) كلمة (نفسه) ساقطة من ت.

الإبل): أى أن بُخْل هذه المليحة مسافةً نفسانية ليس للإبل فيها عمل، فلا تَكْلُفُها ولا تَعْمَلُ^(١) فيها. إنما تكلف الإبلُ قطع الأرض.

وهذا كقوله هو:

لو عَدَا عَنْكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بُغْدُ لَأَزَانَ الرُّسَيْمِ مُخِ الْمَنَاقِي^(٢)

أى لو كان بعدك من جهة المسافة الأرضية لأَعْمَلْنَا إليك الإبل حتى نُهْزِلَهَا ولكنْ بعدك نَفْسَانِي. إنما هو من جهة هجرك. فالهَجْرُ هنا كالبخل فى بيته الأول إلا أن البيت الأول أَوْجَزُ، لأنه انتظم قَضِيَّتَيْنِ كل واحدة منهما مُسْتَغْنِيَةٌ بذاتها مع قصر عروضه.

(مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلٌ)

أى أنها تملُ كل دائم، إلا مَلَلَهَا فَإِنَّهُ دَائِمٌ، وهى مع دوامه لَاتَمَلُّهُ. (فَمَا) على هذا مفعول بمَلُولَةٍ، لأن مفعولاً عند صاحب الكتاب مما يتعدى.

ومن رواه تدوم: جعل (ما) جَحْدًا، أى مَا تَثْبُتُ. دَامَ الشئ: ثبت. حكى سيبويه^(٣) عن العرب: (ما تدوم لى أدوم لك) أى أدوم لك ما تدوم لى. وأراد ماتدوم صلتها أو ماتدوم لمليل.

(بِصَارِمِي مُرْتَدٍّ بِمُخْبِرَتِي مُجْتَرِي بِالظَّلَامِ مُشْتَبِلٌ)

أى لاصاحب لى فى سَفَرِي إلا سيفي مُرْتَدٍّ يَأْ بِهِ، ولا دليل لى إلا خَبِرْتِي بِالْفَلَاةِ، ولا مانع لى من الأعداء سوى الذى يستترنى عنهم.

(١) فى ت: «تعمل».

(٢) من قصيدة للمتنبى مطلعها «أتراها لكثرة العشاق»

ويسمى المخ راراً إذا كان رقيقاً. والرسيم: سير الإبل. والمناقى جمع منقبة وهى العظم الكثير المخ. (٣) الكتاب لسبويه (١: ١٥٣) قال: «وسألته (الخليل) عن قوله (ماتدوم لى أدوم لك) فقال: ليس هذا جزءاً من قبل أن الفعل صلة لما، فصار بمنزلة (الذى) وهو بصلته كالمصدر، ويقع على الحين- كأنه قال: أدوم لك دوامك لى) فما، ودمت، بمنزلة الدوام..»

وقوله: (بِمَخْبَرْتِي مَجْتَرِي): كقوله :

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا نَكِيلٍ وَوَجَّهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا^(١) لِيَامِ

ورفع ذلك كله بإضمار مبتدأ، أي أنا مُرتدٍ بِمَخْبَرْتِي، مجتَرِي، مشتمل...

(أَصْبَحَ مَالاً كَمَالِهِ لَذَوِي الْحَا جَاةً^(٢) لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلُّ)

أَي نُصَرِّفُهُ عَلَى احْتِكَامِنَا وَاقْتِرَاحِنَا، كَمَا يُصَرِّفُ مَالَهُ، فَلَا هُوَ يَبْتَدِنُنَا بِالْعَطَاءِ، وَلَانَحْنُ نَسْأَلُهُ. أَيْ فَمَا أَنَا لَا نَسْتَاذِنُ مَالَهُ، بَلْ نَأْخُذُهُ مُحْتَكِمِينَ، كَذَلِكَ لَا نَسْتَاذِنُ بَدْرًا^(٣) فِي أَخْذِ مَالِهِ. فَقَدْ اسْتَوَى هُوَ وَمَالُهُ فِي أَنَّهُمَا لَا يُسْتَاذِنَانِ، وَلِذَلِكَ قَالَتِ الْعَرَبُ: مَا هُوَ إِلَّا هَشِيمَةٌ كَرْمٌ^(٤): أَيْ يَأْخُذُهُ الْوَارِدُ كَيْفَ شَاءَ، لَا يَعْسُرُ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، كَمَا أَنَّ الْهَشْمِيَّةَ، وَهِيَ الْعَوْدُ الْيَابِسَ لَا تَتَعَذَّرُ عَلَى مُحْتَطِبِهَا وَلَا تَحْوِجُهُ إِلَى تَعَبٍ فِي تَنَاوُلِهَا.

(إِنْ أَذْبَرْتُ قُلْتُ: لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتُ قُلْتُ: مَا لَهَا كَفْلٌ)

التَّلِيلُ: الْعُنُقُ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الصَّدْرِ، أَيْ صَدْرُهَا الْمَقْبِلُ يَحْجُزُ عَنْ كَفْلِهَا، وَكَفْلُهَا الْمُدْبِرُ يَحْجُزُ عَنْ صَدْرِهَا، فَانْتِ مِنْ حَيْثُ تَأَمَّلْتَهَا رَأَيْتَهَا مُشْرِفَةً، وَالْمُسْتَحْبُ مِنَ الْفَرَسِ أَنْ تَهْتَزَّ مَقْبِلَةً وَتَنْصَبَّ مَدْبِرَةً، فَبَاهْتَزَّازَهَا مَقْبِلَةً يَخْفَى الْكَفْلُ، لِإِشْرَافِ التَّلِيلِ، وَبِانْصِبَابِهَا يَخْفَى التَّلِيلُ لِإِشْرَافِ الْكَفْلِ.

(أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاضِي الْهَنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ)

جَعَلَ اسْمَهُ وَهُوَ بَدْرٌ، دَالًّا عَلَى صَوْرَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْبَدْرَ إِنَّمَا يُسَمَّى بِهِ الْقَمَرُ إِذَا قَابَلَ الشَّمْسُ فَاْمْتَلَأَ نُورًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَعْدٌ لَاتَّخَسَّ.

يقول: فَانْتِ خِلَافُ هَذَا الْاسْمِ، أَيْ خِلَافَ طَبِيعَةِ الْمَسْمُومِ بِهَذَا الْاسْمِ فِي الْحَرْبِ، لِأَنَّكَ فِي السَّلَامِ طَلَّقُ نَيْرٌ، وَحِظْكَ السَّعَادَةُ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْبَدْرِ وَفِي الْحَرْبِ

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَهَا فِي مِصْرٍ وَقَدْ أَصَابَتْهُ الْحُمَى (دِيَوَانُهُ ٤١٢ وَالتَّبْيَانُ ٤: ١٤٣).

(٢) هَذِهِ رِوَايَةُ الدِّيَوَانِ وَالتَّبْيَانِ. وَرِوَايَةُ ابْنِ سَيِّدِهِ «الْحَاجَاتُ».

(٣) هُوَ بَدْرُ بْنُ عِمَارٍ الْمَدُودُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ.

(٤) يُقَالُ هَذَا لِلرَّجُلِ السَّحَّ الْجَوَادِ.

عَبُوسٌ مُهْلِكٌ، وتلك طبيعة رُحْلٍ. فانت في الحرب على غير ما أنت به في السلم طبيعةً. فقد وجب لاسمك في الحرب أن يكون غير اسمك في السلم. وقال: (أنت نقيض اسمه) ولم يقل: ضد اسمه، لأن النقيض أشدُّ مباينةً لنقيضه، من الضدِّ لصدِّه.

(أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمَنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَعْىِ رُحْلٌ)

أى أنك سَعَدَ في السلم، وشيمنتك في الحرب ضدَّ ذلك، وليس بالبدر ولا برُحْلٍ في الحقيقة، وإنما عني بالبدر أنه مُسْعِدٌ، وبرُحْلٍ أنه مُتَحِسٌّ، والمنير هنا: مفيد لأن البدر قد يتلبَّسه الغيم فلا يُبَيِّنُ.

(مَدَبْتُ فِي رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يَقْطَعُ الْأَمْلَ)

أى كَفُّكَ مجتمع الآمال قد اتَّصَلَتْ بها، كأنْ غُرِقَتْها قد صارت آمالاً، والطبيب لامتعرفة له ببضْعِ الآمال، ولا بمعاناتها، إنما يعانى الأبدان، فلا تلحقه ملاماً، لأنك كلَّفته مالا يُحْسِنُ، والإنسان إنما يلام على تقصيره فيما يُعْزَى إليه علمه، فإن قصر فيما ليس من علمه فغير ملوم.

وقوله: (كيف يقطع الأمل) لم يُرد القطع المُفْسِدُ، وإنما أراد كيف يقطع الأمل للإصلاح.

- ٣٨ -

وله أيضاً:

(فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَرْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالًا)^(١)

أى أنى ملازم لظهر بَعِيرِي، فكأنى مقيم، وأنا مع ذلك سائر. فإمكانى يتقسم ما بين الحالين. لأنى لاظاعن ولا قاطن.

(إِلَى بَدْرِ^(٢) بْنِ عِمَارِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهَالِلاً)

البدرُ يبدو هلالاً ثم يزيد، ولا يسمى بدرًا حتى يكمل، وبدر بن عمار لم يك قطُّ هلالاً، بل لم يزل كاملاً. وهذا مَقْطَعٌ شعري، لأنه لم يك قطُّ هلالاً ولا بدرًا.

(١) من قصيده له بديوانه (بيروت ١٤٠) ومطلعها

«بقاني شاء ليس هم ارتحالا»

وانظر التبيان (٣: ٢٢١).

(٢) في الديوان والتبيان «إلى البدر»

وكانه لم يزل بدرأ، لأن ذلك لم يزل اسمه^(١). وهذا البيت وإن كان المقصود به المدح ظاهراً فقد يجوز أن يقصد به الذم باطناً. لأنه لا بد من على الحقيقة إلا وقد كان في غرة الشهر هلالاً. وهذا لم يك هلالاً، فليس إذن بدرأ.

فالحاصل له من ذلك، أنه بَدَرُ بالتسمية، لا بالطبيعة، فيكون ذلك مقتضياً للهُزُو، فخرج مُشَبِّهاً لقوله:

وفارقتُ شَرَّ الأرض أهلاً وثُرى بها علويُّ جدُّه غيرُ هاشم^(٢)
(جوابُ مُسألي أله نظيرُ ولا لك في سؤالك لا، ألا، لا)

تقديرُ البيت: جوابُ مُسألي: (أله نظيرُ): ألا، لا، أي ليس له نظير، فـ (لا) جَحْدُ، وألا: استفتاح (ولا لك في سؤالك) نظير، لا، أيها السائل، فلا الثانية تأكيد، وإنما حاجة الكلام: ولا لك أيها السائل نظير، إذا شككت في أنه لا نظير له، حتى أحوّجك ذلك إلى السؤال. فقوله: (ألا، لا): خبر المبتدأ الذي هو قوله: (جوابُ مُسألي). وقوله: (ولا لك) معطوف على قوله: (ألا، لا) فَعَكْس، بأن قدم المعطوف على المعطوف عليه.

(وقالوا: هل يُبَلِّغُكَ الثُرى ما فقلتُ نعم إذا شئتُ استيفالاً)^(٣)

أي أنا معه فوق الثُرى، فإذا أردت أن يبلّغني إياها، فإنما أبلغها بأن يحطني إليها، فأن لا أريد منه بلوغ الثُرى، إلا أن أشاء التَّسْفُلَ لأن العالي لا يبلغ ما هو أخفض منه إلا بأن يحط إليه.

وهذا كقوله:

فَوَقَّ السَّمَاءَ وفوقَ ما طَلَبُوا فإذا أرادوا غايَةً نَزَلُوا^(٤)

(١) في م «لأن ذلك اسمه»

(٢) انظر التبيان للعكبري (١: ١١٠-١١٧).

(٣) هذا البيت متقدم في الديوان بأربعة أبيات على البيت السابق.

(٤) انظر الديوان (ببروت ٤٦٦) والبرقوقي ٢: ٢١٣ والتبيان (٣: ٣١٠).

أى أن علَّوهم الآن فوق كل غاية، فإذا أرادوا غاية محدودة، نزلوا إليها، إلا أن هذا البيت الآخر أفخم معنى. وأصل ذلك قول البحرى لمحمد بن على:

لمحمد بن على الشرف الذى لا يُلحظ الجِزَاء إلا من عل^(١)
أى أنه فوق الجزاء، فإذا لحظها فإنما يلحظها من فوقها.

(فَقَدَّ وَجَلَّتْ قُلُوبُ مِنْكَ حَتَّى غَدَتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وَجَالًا)

أى وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ، حتى غَدَتْ أَوْجَالُهُمْ؛ فَوَجَلَّتْ الأوجال، وهذه مبالغة كقولهم: جُنُّ جُنُونِهِ. وقالوا: شِعْرُ شَاعِرٍ^(٢). ومثله كثير حكاه سيبويه وسائر أهل اللغة. قال سيبويه: سألت الخليل عن ذلك، فقال: أرادوا المبالغة والإشادة. وَوَجَال: جمع وَجَل كوجاع ووجع ولو قال: وَجَالِي؛ يريد جمع وَجَل، لكان كحَبِجٍ وَحَبَّاجِي وَحَبِطٍ وَحَبَّاطِي.

(يَفَارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ الْمُلاقِي فِرَاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرَّجَالَ)

أى إن سَهْمُكَ كلما لاقى رجلاً خَرَقَهُ وَنَقَذَ منه على ما هو به من قوته الأولى عند فراق القوس، وذلك دَأْبُهُ ما لَقِيَ الرجال وإن كثروا. يصفه بجودة الرُمى وقُوَّة النَّزْع. فما: منصوبة على الظرف، والقوس: فى موضع نصب. أى فراقه القوس. فأضاف المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى (لَا يَسْنَأُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ)^(٣).

(١) البيت من قصيدة مطلعها وأهلاً بذيكم الغيال المقبل « (ديوانه ٢: ١١٨) وقيل: (٢) فى اللسان (شعر): "وشعرُ شاعرٍ" جيد. قال سيبويه: أرادوا به المبالغة والإشادة. وقيل: هو بمعنى مشعوره، والصحيح قول سيبويه، وقد قالوا: كلمة شاعرة أى قصيدة،، (٣) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

وله أيضاً:

(أَفَدَى الْمَوْدُوعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا نَظْرًا فُرَادَى بَيْنَ زُقَرَاتِ زُنَا)^(١)
أَي حَضَرَ الرَقِيبَ فَجَذَرَهُ، فَقُلْتُ نَظْرَاتِهِ، وَغَلَبَتِ الْحَسْرَةُ، فَكَثُرَتْ زُقَرَاتُهُ.
حَتَّى كَانَتْ الزُقَرَاتُ ضِعْفَ النَظْرَاتِ. فَلِذَلِكَ جَعَلَ النَظْرَاتِ فُرَادَى، وَالزُقَرَاتِ
ثَنَاءً. وَاحْتِاجَ إِلَى قَصْرِ (ثَنَاءً) وَثَنَاءً مَعْدُولٌ عَنْ (اِثْنَيْنِ) الْمَقْتَضِيَةِ (ثِنْتَيْنِ)
ثِنْتَيْنِ^(٢)، وَلَا تَكُونُ مَعْدُولَةٌ عَنْ (اِثْنَيْنِ اِثْنَيْنِ) لِأَنَّ الْمَعْدُولَ بَعْدَ الْمَعْدُولِ عَنْهُ.
وَقَالَ. زُقَرَاتُ فَاسْكُنِ الْغَاءَ لِلضَّرُورَةِ، كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ:
أَبَتْ ذِكْرًا عَوْدُنَ أَحْشَاءِ قَلْبِهِ

خُفُوقًا وَرَقَصَاتِ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ^(٣)
وَتَوَقُّدَتِ أُنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِيقُ الْعَوَازِلِ بَيْنُنَا^(٤)
أَشْفَقُ مِنْ احْتِرَاقِ الْعَذُولِ مَعَ شَتَائِهِ لَهُ، خَشْيَةً أَنْ يَنْمَ احْتِرَاقُهُ بِمَا هُمَا
عَلَيْهِ مِنْ تَوَقُّدِ النَّفْسِ. فَقَالَ: إِنْ الْعَوَازِلُ إِنَّمَا احْتَرَقْنَ بِتَوَقُّدِ أَنْفَاسِهِمَا عِنْدَ
التَّقَائُمِ، وَأَرَادَ (أَنْ تَحْتَرِقَ الْعَوَازِلُ) أَيْ (مَنْ أَنْ) فَحَذَفَهَا، وَأَبْطَلَ عَمَلَهَا
بِحَذْفِهَا. وَإِنْ شَتَتْ نَصَبْتَ الْفِعْلَ عَلَى مَكَانِ (أَنْ)^(٥) فَكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ مُؤَكَّرٍ غَابَ
وَبَقِيَ تَأْثِيرُهُ دَالًّا عَلَيْهِ.

(مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طُلُقَائِهِ)^(٦) مَنْ لَيْسَ مِنْ دَانٍ مِمَّنْ حَيَّنَا^(٧)

(١) مِنْ قَصِيدَةِ الْمُتَنَبِّئِيِّ فِي مَدْحِ بَدْرِ بْنِ عِمَارٍ مَطْلَعُهَا

الْحُبَّ مَانِعَ الْكَلَامِ الْأَلْسَا وَأَلَذَّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا

دِيوانه (ص ١٥٠) والبرقوقي ٤٣٨: ٢.

(٢) أَيْ لِأَنَّ ثِنْتَيْنِ تَطَابِقُ زُقَرَتَيْنِ تَأْنِيهَاً.

(٣) دِيوانُ ذِي الرُّمَّةِ (٥٧٨). وَرَقَصَاتُ: أَصْلُهَا رَقَصَاتُ (بِفَتْحِ الْقَافِ، وَسُكُونِهَا لِضْرُورَةِ الْوِزْنِ) كَمَا فَعَلَ

الْمُتَنَبِّئِيُّ فِي زُقَرَاتِهِ. وَأَوْرَدَهُ الْفَارَسِيُّ فِي الْحِجَّةِ (٩٥: ١)

(٤) هَذَا الْبَيْتُ مُتَقَدِّمٌ فِي الدِّيوانِ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ.

(٥) نَصَبَ الْفِعْلَ عَلَى مَكَانِ (أَنْ) كَمَا قَالَ طَرَفُهُ فِي مَعْلَقَتِهِ:

أَلَا أَهْبَذَا الرَّجُلِي أَحْضَرَ الرُّغَى وَهَلْ أَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي

فَقَدْ نَصَبَ (أَحْضَرَ) بِأَنَّ مَقْدَرَهُ فِي غَيْرِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَجِبُ فِيهَا إِضْمَارُ (أَنْ) عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ.

أَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَيُزِيلُونَ (أَحْضَرَ) بِالرَّفْعِ عَلَى الْقِيَاسِ بَعْدَ حَذْفِ (أَنْ) كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (وَمِنْ

آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا).

(٦) الطَّلَاقُ: جَمْعُ طَلَبٍ وَهُوَ الْأَسِيرُ خُلِيَ سَبِيلَهُ.

يقول: عِدَاهُ قَتْلَاهُ وَأَسْرَاهُ، وَمَنْ أَقَلَّتْ مِنْهُمْ فَإِنَّمَا هُوَ طَلِيقُهُ، بِصَفْحِهِ عَنْهُ.

(من ليس ممن دان ممن حَيَّنَا) دَانَ الرَّجُلُ: أَطَاعَ. أَى من لم يكن من دائنيهِ فهو من مُحَيَّنِيهِ. وأَرَادَ: دَانَ لَهُ، فَحَذَفَ لِلْعِلْمِ بِهَا. (وَمَنْ) هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي، كَانَهُ قَالَ: الَّذِي لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مَعْدُودٌ فِي طَلْقَانِهِ، وَالَّذِي لَيْسَ مِنْ دَائِنِيهِ مُحَيَّنٌ. فَقَوْلُهُ: (مَنْ طَلَّقَانِي) فِي مَوْضِعِ خَبَرِ الْمَبْتَدَأِ، الَّذِي هُوَ (مَنْ) الْأَوَّلَى. وَقَوْلُهُ: مِمَّنْ حَيَّنَا خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ، الَّذِي هُوَ (مَنْ) الثَّانِيَةِ.

(وَقَطَّعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحَ وَرَكَائِبِي فِيهَا وَوَقَّعْتُ الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا)

أَيِ أَفْنَيْتِ الْأَمَكَةَ وَالْأَزْمَنَةَ وَالرَّكَائِبَ. وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: وَوَقَّعْتُ الضُّحَى وَالْمَوْهِنَ لِأَنَّ الْمَوْهِنَ نَحْوُ مِنَ الزَّمَنِ اللَّيْلِيِّ، نِصْفُ اللَّيْلِ. وَالضُّحَى: أَوَّلُ الزَّمَنِ النَّهَارِيِّ. فَجَائِلٌ هُوَ الْمَوْهِنُ الَّذِي هُوَ نِصْفُ الزَّمَنِ اللَّيْلِيِّ، بِالضُّحَى، الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الزَّمَنِ النَّهَارِيِّ. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: غَنَى بِالضُّحَى الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَبِالْمَوْهِنِ اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَأَقَامَ الْجُزْءَ مَقَامَ الْكُلِّ، كَمَا أَقَامَ الْكُلُّ مَقَامَ الْجُزْءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَنْتُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْطَحِينَ * وَيَا لَيْلٍ) ^(١) لَكَانَ جَائِزاً، فَتَقَفَّهْمُ فَإِنَّهُ لَطِيفٌ.

(أَمْضَى إِزَادَتَهُ فَسَوَّفَ لَهُ ^(٢) قَدْ وَاسْتَقَرَّبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا) ^(٣)

إِنْ شِئْتَ قُلْتَ: مَتَى قَالَ غَيْرُهُ: سَوْفَ أَفْعَلُ، قَالَ هُوَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَسَبَقَ. وَمَتَى قَالَ غَيْرُهُ: ثُمَّ النِّجْمُ أَوْ السَّمَاءُ مُسْتَبْعِدٌ، قَالَ هُوَ - (هُنَا) مُسْتَقَرِّباً.

وَأِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِذَا نَوَى أَمراً سَابِقَ نِيَّتِهِ بِفَعْلِهِ، فَصَارَ الْمُسْتَقْبَلُ مَاضِياً، وَمَتَى لَحِظَ أَمراً بَعِيداً أَعْمَلَ عَزَمَهُ، فَقَرَّبَ عَلَيْهِ مَتَنَاوَلَهُ.

(نَيْطَطُ حَمَائِلُهُ بِغَاتِقِ مِحْرَبٍ ^(٤) مَاكِرُ قَطُ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْتَنَى)

إِنَّمَا يَكُونُ الْكُرُّ بَعْدَ الْإِنْتِنَاءِ فَالْإِنْتِنَاءُ عَلَيْهِ لَهُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِنْتِنَاءٌ لَمْ يَكُنْ كُرُّ، لِأَنَّهُ إِذَا ارْتَفَعَتِ الْعِلَّةُ ارْتَفَعَ الْمَعْلُولُ، فَيَقُولُ: هَذَا الْمِحْرَبُ مَاكِرٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْتَنَ، فَيُعَقَّبُ الْإِنْتِنَاءُ بِالْكَرِّ.

(١) الْآيَةُ ١٣٧ مِنْ سُورَةِ الصَّافَاتِ.

(٢) اسْتَعْمَلَ (قَدْ) هُنَا اسْتَعْمَالَ الْأَسْمَاءِ، وَلِذَلِكَ أَعْرَبَ (قَدْ) وَنَوْنَهَا.

(٣) ثُمَّ: إِشَارَةٌ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ وَ(هُنَا) إِشَارَةٌ لِلْمَكَانِ الْقَرِيبِ.

(٤) الْمِحْرَبُ (بِكسر الميم): الشَّجَاعُ صَاحِبُ الْحَرْبِ الْمَعَارِسِ لَهَا.

(تَنَقَّاصِرُ الْأَفْهَامِ عَنْ إدْرَاكِهِ مِثْلُ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْذُّنَا)

غاية ما أدركت الأفهام، الفلك وما فيه، فأما ماهو فيه، فلم يُدركه ولمْ
ولاقهمْ؛ فيقول: إدراكه مُعَوِّزٌ كإدراك ما فيه الدنيا والفلك. والذُّنَا: جمع الدنيا،
كالغُلَا جمع الغُلَا، وهذا مُطَرَّد^(١).

(لَا يَسْتَكِينُ الرَّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ إِلَّا يُحْسِنًا)

أى لا يتصورُ الخوفُ بين ضلوعه ، ولا يتصورُ أيضاً بينها العلمُ بالآ
يُحَسِّن. بل هو مُحَسِّنٌ لَأَنْ يُحْسِنَ وَغَيْرُهُ مُحَسِّنٌ إِلَّا يُحْسِنُ. أى الإحسانُ غلبه.
والإحسان هنا يجوز أن يكون المعرفة، كقولك فلان مُحَسِّنٌ لعلم كذا، ويجوز أن
يكون الإحسان الذى هو ضد الإساءة، فكأنه قال فى كل ذلك: ولا يُحَسِّنُ تركُ
الإحسان؛ إنما يُحَسِّنُ الإحسانَ. وهذا كقول الآخر أَشْهَدُنَاهُ أَبُو الْفَتْحِ^(٢):

تُحْسِنُ أَنْ تُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رُمْتُ سِرْوَى الْإِحْسَانِ لَمْ تُحْسِنِ

إِلَّا أَنْ هَذَا الْبَيْتُ بَعِيدٌ، لِأَنَّهُ نَسَبَ إِلَى الْمَمْدُوحِ مَرَامَ غَيْرِ الْإِحْسَانِ.

(سَلَكْتُ تَمَاثِيلَ الْقِيَابِ الْجَنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَنْزَنْ فِيكَ الْأَعْيُنَا)

أى سَلَكْتُ الْجَنِّ صُورَ الْقِيَابِ، لَتَنْتَظِرَ إِلَيْكَ شَوْقًا، وَإِنَّمَا قَالَ:

(تَمَاثِيلُ الْقِيَابِ) وَلَمْ يَقُلْ (الْقِيَابِ)، لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجَنِّ تَأَلَّفَ التَّصَاوِيرِ
الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَشْكَالِ الْحَيَوَانِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا كُرِهَ اتِّخَاذُهَا فِي الثِّيَابِ
وَالسُّتُورِ وَالْبُسْطِ لِهَذَا.

(وَعَجَبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَا وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السُّنَا)

الظُّبَا: السِّيُوفُ. وَالسُّنَا: الضُّوءُ. أَى عَجِبْتُ مِنَ السِّيُوفِ حَتَّى أَسِئْتُ
بِالْعَجَبِ، وَأَخْلَدْتُ إِلَيْهِ، فَلَمْ أَعْجَبْ بَعْدَ، وَرَأَيْتُ لِمَعَانِيهِمْ حَتَّى عَشَى بِصَرَى فَلَمْ
أَر. فَصَدَرَ الْبَيْتُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

(١) يَطْرُدُ هَذَا فِيمَا كَانَ وَصْفًا عَلِيًّا (فَعَلِيًّا) مُؤَنَّثُ أَفْعَلِ الَّذِي لِلتَّفْصِيلِ، أَنْ يَجْمَعَ عَلَى (فَعَلٍ) بِضَمِّ (الْفَاءِ)
صَحِيحًا كَانَ أَوْ مَعْتَلًا مِثْلُ: صَغُرَ وَكَبُرَ وَدَنَا وَغَلَا.

(٢) هُوَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ جَنِّي اللَّغَوِيُّ التَّحْوِيُّ تَلْمِيزُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ، وَكَانَ صَدِيقَ الْمُتَنَبِّئِيِّ وَقَدْ شَرَحَ دِيْوَانَهُ
كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَى ذَلِكَ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ: وَقَوْلُهُ: أَشْهَدُنَاهُ أَى فِي كِتَابِهِ «وَالْبَيْتُ فِي التَّبْيَانِ (٤: ٢٠١)».

عَلَى أَنَّهَا الْإِسَامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَانِبَ حَتَّى^(١) لَيْسَ فِيهَا عَجَانِبَ
 (فَطِنَ الْفَوَادُ لِمَا أَتَيْتَ عَلَى النُّوَى وَلِمَا تَرَكْتَ مَخَافَةً أَنْ يَفْطُنَا)
 أَيْ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى الْعِلْمِ بِمَا صَنَعْتُ، حَتَّى عَلِمْتَ مَا تَرَكْتُهُ مَخَافَةً أَنْ يَفْطُنَ
 بِهِ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ شُكْرِي وَثَنَانِي عَلَيْكَ، وَهُوَ الَّذِي فَطَنَ
 فَوَادَكَ لَهُ. وَكَذَلِكَ فَطَنَ أَيْضاً لِمَا تَرَكْتُهُ؛ خَوْفاً أَنْ يَفْطُنَ لَهُ، مِنْ تَنْقُصِكَ أَيْضاً،
 فَلَوْ لَمْ يَكُنْ تَرَكِي لَذَلِكَ إِلَّا مَخَافَةً أَنْ يَفْطُنَ فَوَادَكَ لَهُ، فَكَيْفَ وَطَبِيعَتِي فَيْكَ خِلَافُ
 ذَلِكَ. وَالْبَيْتُ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْإِخْلَالِ بِقَدْرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ^(٢).
 وَيَقْوِيهِ قَوْلُهُ:

(اضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ شَيْئاً^(٣) هَيْئاً)
 أَيْ عُوْقِبْتَ عَلَى تَقْصِيرِي عَنْ وَاجِبِكَ، بِفِرَاقِكَ الشَّدِيدِ عَلَى الْكُرْهِ إِلَيَّ، فَلَيْسَ
 الَّذِي لَا قِيَّتَهُ مِنْ ذَلِكَ بِهِيْنِ، أَيْ بِيَسِيرٍ. وَلَا يَرِيدُ الْهَيِّئَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْعَزِيزِ.

— ٤٠ —

وَلَهُ أَيْضاً:

(يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِفْ لَالٍ جُوداً كَانَ مَالاً سَقَاماً)^(٤)
 أَيْ يَتَشَافَى بِالْجُودِ، حَتَّى كَانَ الْمَالُ مَرَضٌ يَبْغِي إِزَالَتَهُ، وَالْإِقْلَالُ بُرٌّ
 يَطْلُبُهُ.

وَقَوْلُهُ (كَانَ مَالاً سَقَاماً) - أَرَادَ كُنْ جُوداً مَالاً، لِأَنَّ الْمَالَ لَا يُقَالُ لَهُ سَقَامٌ إِذْ
 هُوَ جَوْهَرٌ وَالسَّقَامُ غَرَضٌ.

(حَسَنُ فِي غُيُونِ أَعْدَائِهِ أَفْدَ بَحْ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السُّوَامُ)^(٥)

(١) انظر ديوان أبي تمام وروايته (حتى ما بهن).

(٢) في التبيين للمكبري (٢٠٥:٤): «وكان قد وشى إليه به، فكانت مع هذا قد اعترف بتقصير كان فيه وقد بيته بعد، لأن سياق الأبيات يدل عليه».

(٣) في التبيين (٢٠٥:٤) والديوان: (منه) في مكان (شيئا).

(٤) ديوانه ص ١٦٥ وهو من قصيدة في مدح أبي الحسن علي بن أحمد المرعي الخراساني مطلعها:

لافتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو معارب لا ينام

(٥) السوام: الإبل الراعيه حيث شامت.

أى هو حَسَنُ الصورة غاية إلا فى عيون أعدائه، لعلمهم بإهلاكه إياهم،
أقبح من ضيفه فى عيون السَّوَامِ، لعلمها إذا رأت الضيف أنها منحورة، كقول
الشاعر:

حبيبٌ إلى كلب الكريم مَنَاحُهُ بَغِيضٌ إلى الكؤمَاءِ والكلبُ أَبْصَرُ^(١)

ومثله كثير. فقوله: (فى عيون أعدائه): ظَرُفٌ لأقبح، ولا يتعلق بحسن، لأنه
لا يحسن فى عيون أعدائه. وتقدير البيت: حسن فى عيوننا معشر أحبابه ومن
لا يَشْتَقِي به، لكنه بخلاف ذلك فى أعين عداه. وقد بالغ بالقبح ولم يبالغ بالحسن،
لأن قُبْحَه فى عيون أعدائه، أمدح له من الحسن فى عيون أحبابه.

(وَعَوَارٍ لَوَامِعٌ دُمُهَا^(٢) الْحِلُّ) وَلَكِنْ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ

اللوامع: السيوف لبريقها. ووصفها بالعُرَى: لاعتياها مفارقة أغمادها.
وعَوَارٍ: جمع عار، لاجمع عُرَيَان، لأن فُعْلَانَ لا يكسرُ على (فَواعل)، (دُمُهَا
الحل): أى أنها مستحيلة للدماء، على أن زِيَّهَا الإحرام: أى أنها مجردة أبداً
كالمُحْرَم لا يَسْتَفِكُ الدماء. فقد اجتمع فى هذه السيوف طبيعة الحل وزِيُّ
الإحرام.

(وَمِنْ الرُّشْدِ لَمْ أَرْزُكْ عَلَى الْقُرْبِ بِ عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْمَامُ)

كان قريباً منه فلم يَزُرْه، ثم بَعْدَ فزاره، ليكون ذلك أدلُّ على إجلاله وإعظامه
له، فأوجبته^(٣). وأراد: من الرُّشْدِ أنى لم أَرْزُك. وقوله (على البعد): متعلق
بيعرف. وعلى القرب متعلق بأَرْزُك.

(١) البيت فى الحامسة (شرح المرزوقى ٤: ١٦٥٤) ولم ينسبه لقائل.
(٢) فى الديوان والبيان: (دينها الحل). أى لاتتحرك عن شئ. وإحرامها: تجريدها من الأغماد.
(٣) أوجب الإعظام وأكده ببعده عنه وعدم زيارته إياه حين كان قريباً منه أى صير المتروك واجبا.

وله أيضاً:

(تَخْلُو الدِّيارُ مِنَ الظُّبَاءِ وَعِندَهُ مِنْ كُلِّ ثَائِبَةٍ خَيَالٌ خَائِلٌ)^(١)

كَنَى بالظباء عن الحِسان. أى تخلو الديار ممن بها. والخيال غير مفارق لى. وكَنَى بالتائبة عن صغارها، لأن الجداية^(٢) وهى الصغيرة من الظباء تتبع أمها. ولما جعل المرأة غزاةً جعل الخيال خاذلاً، كما تَحْذُلُ الظبية عن القطيع، أى تَتَأَخَّرُ.

وإن شئت قلت: جعل الخيال بمنزلة ولد الغزال، ورَبِية الخيال بمنزلة الغزال. فتابعة بمعنى متبوعة على هذا القول. وجعله الخيال بمنزلة الولد لها تعسف لأن الخيال روحانى، فهو ألطف من ربة الخيال، كما أن الصغير الجسم ألطف من الكبير. وخَائِلٌ: أى خَذَلَهَا وزارنى. فَمَرٌ - على هذا - تكون للتبعيض وللجنس، فَتَفْهَمُهُ.

(كَافَأْنَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَهَا فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلٌ)

كافأنا: من الكَفَى، وهو المثل، والمها: بقر الوحش: يُشَبَّه النساء بهن فى سواد الحَدَق. والحبائل: الشُرَكَ، واحدها: حيلة، أى صِدْنَا الْمَهَا وهن أشباه النساء، بحبائل منصوبة لهن فى التراب، فكافأنا عن فعلنا بأشباههن بأن صِدْنًا كما صِدْنَاهُن، طلباً لثأرهن، إلا أن النساء صِدْنًا بحبائل لم تُنْصَبَ لَنَا فى التُّرَاب، وهى الأعين والحدود وغيرهما، من المحاسن الظاهرة، كالمباسم والأعطاف والقدود، وكلهن حبائل إلا أنها لا تَثْبُتُ فى التراب.

(مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرِّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَالِجٌ)

كَنَى بالجادر هنا عن النساء، كما كَنَى عَظَمَن فى البيت الذى قبله بالظباء أى ينبغى أن تُعَدَّ جاذِرُ الإنس من طاعِنِي تُغَرِّ الرجال، لأنهن يفعلن من القتل

(١) من قصيدة له يدعوانه (ص ١٧٧) والبيان (٣: ٢٥٠) ومظلمها: «لك يامنازل فى القلوب منازل»
(٢) الجداية (يفتح الجيم وتكسر): الذكر والأُنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وعدا وتشدّد (اللسان-جدا).

مألا يفعل الطاعن. وينبغي أن يُعدَّ الحلي^(١) من السلاح، لأنه سلاح النساء، كقول الأعشى:

إِذَا هُنَّ نَارِزْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُونِ^(٢)

يعنى بما تَصَمَّنَتْ الْجُونُ من الطَّيِّبِ وسائر أنواع الزينة. ولو جعل السلاح محاسنهنَّ لكان اليق بالشعر. ولكن لما كان السلاح فى المعتاد لَيْسَ بجزء من الْمُتَسَلِّحِ، جعل سلاحهن ما ليس بجزء منهنَّ، وهى الدَّمَالِجُ والخَلَاخِلُ. وكان مَصْنُوعُ الذهب والفضة، كمَصْنُوعِ الحديد لرجال الحرب.

وقد يجوز أن يكون أراد. من طاعنى تُغَرُّ الرجال جَانِدُ، ومن السلاح تُمَلِّجُ وَخَلَّخَالُ. يذهب فى ذلك إلى التعجب. وحذفت الألف التى لفظها الاستفهام، ومعناها هنا الإنكار. لأن اللفظ مُكْتَفٍ بِذاته، لما فيه من معنى التعجب، كقول أبى تمام:

أُسْرِيْلُ هُجِرَ الْقَوْلَ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِنَّنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوْتُهُ^(٣) عِنْدِي

أى أُسْرِيْلُ، فحذف الألف. ومثله كثير إذا تضمن الكلام معنى الإنكار والعجب.

(١) فى اللسان (حلا) عن الليث والحلى كل حلية حلَّيت بها امرأة أو سيفاً ونحوه»
(٢) انظر ديوانه بتحقيق د. محمد حسين ص(١٧). والمِصَاعُ: مصدر ماصع أى قاتل وجالد. والجُونُ: جمع جُوْنَةٍ وهى السُّفَطُ فيه طيب المرأة وزينتها.
(٣) انظر شرح ديوانه (دكتور محمد عبده عزام) والرواية فيه (أأليس) فى موضع (أسريل).

وله أيضاً:

(صَغُرَتْ كُلُّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرَتْ عَنْ لَكَائُهُ وَعَدَدَتْ سِنُّ غُلَامٍ)^(١)

أى فَعَلَتْ الصَّنَائِعَ الْحِسَانَ. فصغرَتْ كل صَنِيعَةٍ جَسِيمَةٍ فَعَلَهَا غَيْرُكَ، بالإضافة إليها. وَجَلَّتْ عن التشبيه بشيء من الأشياء التى لانظير لها فى العالم. كالشمس والبدر والبحر. وعددت سِنُّ غلام: أى ثَلَّتْ هذه النهاية، وبلغت تلك الغاية فى حَدِّ صباك. فذاك أغرب وأشرف.

فقوله (وعددت سن غلام) جملة فى موضع الحال. كانه قال: بلغت كل ذلك غلاماً، وكان ينبغى أن يقول: (صَغُرَتْ كُلُّ عَظِيمَةٍ) مكانَ (كَبِيرَةٍ) لأن الصَّغَرَ عند الأوائل، إنما يقابله العِظَمُ. ولكنه حمله على طريق اللغة، لأن الكبير وإن كُنِيَ به عن المُسِنَّ، فقد يكون للعظيم. إلا أن غير المشترك فى التقابل، خير من المشترك، فتفهّمه.

(مَهْلَأُ أَلَى لَيْلَةٍ مَا صَنَعَ الْقَنَاسَا فِي عَمْرِو حَابٍ وَضَبَّةِ الْأَعْتَامِ)

أراد عَمْرُو حَابِسٍ، فَرَحَّم المضاف اضطراراً، كقوله أنشد سيبويه^(٢):

أَوْدَى ابْنُ جُلْهَمٍ عَبَادُ بَصِرْمَتِهِ إِنْ ابْنُ جُلْهَمٍ أَمْسَى حَيْئَةَ الْوَادِي^(٣)

قال: أراد ابن جُلْهَمَةَ، والعرب يُسمون الرجل جُلْهَمَةَ، والمرأة جُلْهَمَ. كل ذلك حكاة سيبويه^(٤).

(١) من قصيدة للمثنى بدويانه ص ٤٢٥ والنبهان (٦:٤) والبرقوقي (٢٨٨:٢) ومطلعها «ذكر الصبا ومرايح الآرام»

(٢) انظر الكتاب لسبويه (١:٣٤٤).

(٣) قال الأعلام الشنترى فى شرح البيت: البيت للأسود بن يعفر والشاهد فى قولهم (جُلْهَمَ) وأنه أراد أمه (جُلْهَمَ) فلا ترخيم فيه على هذا، لأن العرب سمت المرأة جُلْهَمَ بغير هاء، والرجل جُلْهَمَةَ (بالها). كذلك جرى استعمالهم للأسمين. وإن كان أراد أباه فقد رخم.

والصُرْمَةُ: القطعة من الإبل مابين الثلاثين إلى الأربعين. ومعنى أودى بها: ذهب بها. وأمسى حية الوادى: أى يحمى ناحيته ويتقى كما يتقى من الحامية لواديه. والوادي: المظمن من الأرض. (٤) انظر اللسان (جلهم) وقد أنشد البيت وهو للأسود بن يعفر، وقال: قال سيبويه: والعرب يسمون الرجل جُلْهَمَةَ والمرأة جُلْهَمَ. والجُلْهَمُ الفارة الضخمة وحى من ربعة يقال لهم الجلاهم.. اهـ. وانظر الكتاب لسبويه (١:٣٣٤)

والاغتمام: جمع أَغْتَمَّ. كَسُرَ أَفْعَلَ على أفعال، وهو قليل. ونظيره أَعْزَلَ
وَأَعْزَالَ، وهو الذى لاسلاح له، وأغرل^(١) وأغرال وهو الذى لم يُخْتَنَ.

(أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَتُجُومٌ بَيَضٌ فِي سَمَاءٍ قَتَامٍ)
لما استعار للدم أرضاً، استجاز تسمية جُثثِ القتلى أحجاراً وشبه البيض
للمعانها فى القتام بالنجوم النيرة فى الظلام.

(وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ)
أى وفى ذلك الْمُعْتَرَكِ أذرع قطعت من قوم كانوا يُكْنُونُ أبا زيد، وأبا عمرو،
وأبا عبدالله، وغير ذلك من أنواع الكُنَى. فلما قُطِعَتْ منهم ماتوا، فكنى كل واحد
منهم (أبو الأيتام).

- ٤٣ -

وله أيضاً:

(عَذِيرَى مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنُ جَوَانِحِي بَدَلِ الْخُدُورِ)^(٢)
عَذَارَى: أى خطوبُ آبٍ ز لم تُصِيبْ أحداً قبلى. هذا معنى العُدْرَةِ فيهن.

(وَمِنْ) هاهنا للتبيين. أى ليست هؤلاء العَذَارَى من النساء، إنما هى من
أمور الدهر، أى أعذرنى، أو مَنْ عاذرى؟ وقوله: (سَكَنُ جَوَانِحِي بَدَلِ الْخُدُورِ)
جملة فى موضع الصفة لعَذَارَى، وبهذه الصفة مع قوله: (من أمورٍ) خُلُصَ
عذارى الخطوب هنا: من عذارى النساء لأن عذارى النساء لا يَسْكُنُ الجوانح
إِنَّمَا يَسْكُنُ الخدور. فأتقاهم جوانحه لعَذَارَى الهموم مقام الخُدُور لعذارى النساء

(١) ويقال له أيضاً (أرغل) (المخصص ١: ٣٢) وفى اللسان (رغل) الرُّغلة: القلفة والأرغل: الأتلف وكذلك
الأرغل. وغلَامُ أرغل بين الرُّغَلِ أى أغرله وهو الأتلف.
(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (ص ١٦٨) والنبهان (٢: ١٤١).

و(بَدَلْ) ظرف. أى مكان الخدور، كما حكاها سيبويه^(١) من قول العرب: إن بَدَلَكَ زيدا، أى إن مكانك. قال: ويُقال للرجل: اذهب معك بفلان، فيقول: معى رجل بَدَلْ فلان، أى يغنى غَناءه، ويكون فى مكانه.

== ٤٤ ==

وله أيضاً:

(مَنَافِعُهَا مَاضِرٌ فِى نَفْعِ غَيْرِهَا تَغْذَى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ)^(٢)

أى إن ضَرْمَهَا لنفسها منفعةٌ لها، إذا جَرُّ ذلك نفعاً لغيرها تقوتاً بالمجد، واحتساب الأجر. كقوله تعالى: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)^(٣). أى طلباً للأجر. ثم فسّر قوله: (منافعها ما ضرّ فى نفع غيرها) بالنصف الثانى، فقال: (تَغْذَى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ). أى أنها تجوع لتخصّ غيرها بطعامها، فهي تَغْذَى بذلك الجُوع ولايؤثر فيها، بل هو نماء لجسمها. وتعتش لتخصّ غيرها بشرابها، فذلك العطش رِى لها، إذ هو فى سبيل المجد.

فتلخيص القضية. أنها تَغْذَى بالجوع، وتَرْوَى بالعطش.

وكان وجه الصنعة - لو استقام له الوزن - أن يقول. تَشْبَع وتَرْوَى، ليقابل الجُوع بالشَّبَع، كما قابل العطش بالرِى. لكن لما كان فى التَغْذَى ما يُشعر بأنه ربما كان معه الشَّبَع، تسمّع به، وأراد (أَنْ تَظْمَأَ) فأبدل الهمزة إبدالاً صحيحاً، حتى الحقاها بحروف العلة، وذلك لحاجته إلى الوصل، لأن الهمزة لا يوصل بها الروى، ولا يطرّد هذا فى كل شىء.

(١) عبارة الكتاب لسيبويه (١: ٤٠٠) فى باب ما ينتصب من الأماكن والوقف «ومن ذلك قول العرب: هو موضعه، وهو مكانه، وهذا مكان هذا. وهذا رجل مكانك إذا أردت البذل. كأنك قلت: هذا فى مكان ذا وهذا رجل فى مكانك ويقال للرجل: أذهب معك بفلان فيقول: معى رجل مكان فلان. أى معى رجل يكون بدلا منه ويغنى عنه ويغنى عنه مكانه،،

(٢) من قصيدة فى رثاء جدته ومطلعها.

فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما

وانظر ديوانه ص ١٧٤ والتبيان (١٠٣٠٤).

(٣) الآية ٩ من سورة الحشر.

وليس لك أن تقول: إنه خَفَّفَ الهمزة تخفيفاً قياسيًّا، لأن الهمزة إذا خففت تخفيفاً قياسيًّا، لم توصل به، لأنه في نية الهمزة. فمن حيث لا يوصل بالهمزة مُخَفَّفَةٌ، لا يوصل بها مخففة تخفيفاً قياسيًّا، فتفهمه فإنه لطيف.

(إذا قل^(١) عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بُعِدِمِ فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مِمَّنْ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا)

أى إن الممكن من المطالب، إذا لم يعزم عليه طالبه، كان بمنزلة الممتنع. والفرق بين الممكن الذى لا يجد عَزْمًا وبين الممتنع، أن الممكن إذا عَزِمَ عليه نيئ، والممتنع لا يئال البتة ولو عزم عليه. وقوله: (فأبعدُ شَيْءٍ مِمَّنْ): يريد فأبعد السمكات ممكن لا يعزَم عليه. ولا يجوز أن يكون شَيْءٌ هاهنا يجمع الممكن والممتنع، لأن العقل لا يشك في أن الممتنع أبعد الأشياء.

وتلخيصه: إذا قلَّ عَزَمِي بعد مطلبى فأبعدُ منه مطلبٌ ممكن، لم يجد لَدَيَّ عزمًا.

- ٤٥ -

وله أيضاً:

(سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتُهَا ذَانِ الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا)^(٢)

السَّرْبُ: القطيع من الظباء والشاء والبقر. وَعَنَى (بالسَّرْب) هنا النساء، تشبيهاً لهنَّ بالظباء. والمحاسنُ: واحدها حُسْنٌ على غير قياس. وذواتها: صَوَاحِبُهَا. أى هَوَاى سِرْبٍ حُرِمَتْ ذَوَاتِ مُحَاسِنِهِ، وذَوَاتِ المحاسن هنَّ ذلك السَّرْب. فكانه قال: حُرِمَتْهُ، بآن حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. وقد يجوز أن يكون سِرْبٌ مبتدأ، ومحاسنه مبتدأ آخر، أو بدلاً من سِرْبٍ. وحُرِمَتْ ذَوَاتُهَا: خبر عن المحاسن، والمبتدأ الثانى وخبره: خبر عن سِرْبٍ. فلا يحتاج على هذا القول إلى إضمار (هَوَاى). وَأَن يكون سِرْبٌ خبر مبتدأ مضمَر: أولى كما قدمنا، لقيح

(١) ويروى قل (بالقاف) أيضاً وفي رواية الفاء يرتفع (خوف) لأنه يكون فاعلاً والقاف نصب على المفعول له.

(٢) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه ص ١٨٥ يمدح بها أباً أيوب بن أحمد بن عمران الأنطاكي وانظر التبيان (١: ٢٢٥).

الابتداء بالنكرة. ثم قال: (دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا): إنما دَنَتْ صِفَاتُها عليه، لأنه يُقَدَّرُ على وصفهن بما أُوتِيَتْهُ مِنَ اللِّسَنِ، وَالْمَنْطِقِ الْحَسَنِ. وَبُعِدَتْ مَوْصُوفَاتُ السَّرْبِ، لِأَنَّهُنَّ مَقْصُورَاتُ مَحْجُوبَاتٍ، أَوْ مَمْدُوعَاتٍ، وَالضَّمِيرُ فِي (مَوْصُوفَاتِهَا): رَاجِعٌ إِلَى السَّرْبِ وَإِنْ كَانَ مَذْكَراً. لَكِنْ جَازَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمَاعَةِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعاً إِلَى الصِّفَاتِ، لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ.

(وَكَأَنَّهَا شَجَرٌ بَدَأَ^(١) لَكِنَّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الدَّرُءَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا)

أَي كَأَنَّ الْعِيسَ شَجَرٌ مِنْ عُلوِّهِنَّ. وَالْعَرَبُ تَشْبِهُ الدَّمُولَ كَثِيراً بِالنَّخْلِ، وَذَلِكَ لَمَّا يَضَعُونَ عَلَى الْهُوَادِجِ مِنَ الرِّقْمِ وَالْعُهُونِ الْمَلُونَةِ، فَيَشْبَهُونَ ذَلِكَ بِالزَّهْرِ وَالْبُسْرِ^(٢) الْمَلُونِ. وَلَمْ يَشْبِهُهُ الْمَتَنَّبِيُّ الْهُوَادِجَ وَمَا عَلَيْهَا بِنَكْرِ النَّخْلِ، وَإِنَّمَا عَنِ عُلوِّ الْإِبِلِ، فَشَبَّهَهَا بِالشَّجَرِ عَامَةً، ثُمَّ قَالَ: (لَكِنَّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرَاتِهَا) يَعْنِي بِذَلِكَ: إِبْعَادَ الْإِبِلِ حَبَائِثِهِ عَنْهُ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

(لَا سِرَّتِ مِنْ إِبِلٍ لَوْ أَنِّي فَوْقَهَا لَمَحَتْ حَرَاةٌ مَذْمَعِي سِمَاتِهَا)

دَعَا عَلَيْهِنَّ أَلَّا يَسْتَرْنَ، إِشْفَاقاً مِنْ بَعْدِ حَبَائِثِهِ عَنَّا إِذَا سَارَتْ.

(وَتَرَى الْمُرُوَّةَ وَالْفُتُوَّةَ وَالْإِبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَّائِهَا)

يَعْنِي أَنَّ الْمَلَانِحَ يَعْشَقْنَ، وَهُوَ يُوَثِّرُ عَلَيْهِنَّ الدَّرُوَّةَ وَالْإِبُوَّةَ وَالْفُتُوَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ يَنْهَيْتُهُنَّ عَنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَيَأْمُرْنَ بِحَذِّهِنَّ أَنْفُسَهُنَّ. فَعَلِمَ الْمَلَانِحُ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ يَضُرُّرْنَ بِهِنَّ عِنْدَهُ، كَمَا تَضُرُّ الْمَرَأَةَ عِنْدَ بَعْضِهَا ضَرَائِهَا، إِذَا لَوَاهُنَّ لَوَاصِلُهُنَّ.

(وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبِ غَادَرَتْهَا أَقْوَاتٌ وَحَشٍ كُنْ مِنْ أَقْوَاتِهَا)

الْمِقْنَبُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَيْلِ. أَي صَرَفَتْ مِقْنَبٌ غَيْرِي بِمِقْنَبِي. فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبِ غَادَرَتْهَا) وَقَوْلِهِ: (أَقْوَاتٌ وَحَشٍ كُنْ مِنْ أَقْوَاتِهَا) أَي

(١) فِي الدِّيَوَانِ وَالنَّبِيَانِ: «بَدَأَ».

(٢) زَهْرُ النَّبْتِ: تَوْرُهُ. وَأَزْهَرُ النَّبْتِ: إِذَا تَوَرَّ وَظَهَرَ زَهْرُهُ. وَالْبُسْرُ: التَّمَرُ قَبْلَ أَنْ يُرْبَطَ. (اللِّسَانُ).

صَرَعَتْ هذه المَقَانِب، فتركتها أقواتاً للوحوش التي كانت من أقوى المقانب، فعاد الأمر بالعكس. وجعل الوحش الأكلة لهم مما كانوا يقتاتون به، لأن العرب تاكلُ الذنب، والضُّبُع والهلياع^(١) والفهد ونحو ذلك من أكلة الإنسان. وقد شبه بعضهم هذا البيت بقول البحرى:

كلانا بها زُرْبٌ يحدثُ نفسه بصاحبه والجِدُّ يتبعه الجَدُّ^(٢)
وليس مثله، لأن البحرى لم يأمل أكلَ الذنب كما أُمِّلَ الذنبُ أكلَه وإنما قال:
كلانا خاتل لصاحبه، الذنب يريد أغلى، وأنا أريد قُتْلَه.

(أَقْبَلْتُهَا^(٣)) غُرَزَ الجِيَادَ كَأُنْمَا أَيْدَى بَنَى عمرانَ فى جِبْهَاتِهَا
الكريم يوصف ببياض اليد، وهذه الخيل التي أقبَلْتُها هذه الوجوه. هُنَّ غُرُ،
فكان غُرُها أيدي هؤلاء موضوعة فى جبهاتها. يعنى أقبَلْتُها خيلاً سابقة،
يَقْبَلُونَ جِبَاهَهَا كما تقبَلُ أيدي بنى عمران. فهذا معنى التشبيه.

(تَكْبُو وَرَاعَكُ يَا ابْنُ أَحْمَدَ قُرْحُ لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنَ الْإِتْيَا)
الْقُرْحُ هنا: كناية عن الرجال الكهول المَذْكُونِ^(٤). وأصله فى الخيل،
واحدها قارح، وهو الذى أتى عليه خمسُ سنين من يتأجِه. فشبه الممدوح
بفرسٍ جواد، وشبه مبارزيه بخيل قُرْح، كقوله:

فدئُ لأبى المِسْكِ الكرامُ فإنَّها سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَنَّهُمْ^(٥)

أى بفرسٍ أدْهَم. وخصه بالدُّهْمَة، لأنه غنى به كافوراً.

وقوله: (ليست قوائمهْن من آلياتها): أى ليست قوائمها آلات لها لأنها تعثر
وتكبو وتضعف عن مجاراتها، فكان هذه القوائم ليست من آلاتها^(٦). إذ لو كانت

(١) الهلياع (بالعين) من صغار السباع. (اللسان).

(٢) البيت من قصيدته فى وصف الذنب، وأولها: «سلام عليكم لاوفاً ولاعهد». وانظر ديوانه ط. هندية (١٨٦:١).

(٣) يقال: أقبَلته الشئ أى جعلته قبالة.

(٤) من ذكَّى الرجل (بشديد الكاف) إذا أسن وبَدَن. والمذكَّى أيضاً: البسنُ من كل شئ.

(٥) من قصيدة له فى كافور مطلعها «فراق ومن فارقت غير مذم» انظر الديوان ٤٥٩ والتبيان (١٣٧:٤).

(٦) (ليست من آلياتها): أى آلات لها، أى أعوانا مسعفه لها.

الآثار لها لنصرتها ولم تخنها ولا أظهرت فضلك أيها الممدوح على هذه القُرْح. وإنما قوائمها من الآتك أنت، لدالاتها على سبقك، إذا كُبت هذه القرح وراك، فهن الآتك المبيّنة لفضلك لا الآتها، لأن من نصرك وخذل مناوئك، فإنما هو آلة لك لا لمناوئك، وإن كان أهلاً له، وجزءاً منه، كقوله تعالى: (يَأْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)^(١) أى ليس من أنصارك ولأمعاضدك، إنما هو من أعدائك. ولم ينفر أنه ابنه حقيقة، لأن نساء الأنبياء لم يفجرن.

وذكر القوائم هنا، لذكره الخيل، ذهباً إلى الصنعة. وإنما القوائم هنا كناية عن الخصال والفضائل النفسانية. وقيل: إن الضمير فى الآتها لـ «وراك»، أى لا يتبعك إلا خيل قوائمها أثبت من قوائم هذه القُرْح. وأما قوائم هذه فمقصرة عن متابعتك، والصبر على مجاراتك.

(سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا التَّى سَقَّتِ الْوَرَى بِنْدَى^(٢) أَبَى أَيُوبَ خَيْرُ نَبَاتِهَا)

الصنعة سارية فى هذا البيت، وذلك أنه جعلَ للنفوس منابت، وليست النفوس نباتية فتنبت، وإذا لم تنبت فلا تثبت لها، ومعناه: سقى الله أهل هذا الممدوح بذاته لأنهم أجواد، فإذا أفاض عليهم جوده، أفاضوه على من سواهم. وقوله: (خيرُ نباتها) الهاءُ للمنابت. ودعا للمنابت بسقى النبات لها، وتغذيتها إياها، قلباً للعادة. لأن المُنْتَبِ يغذى النبات، والنبات لا يُغذى المُنْتَبِ، إذ المُنْتَبِ غير نام، ولكنه أغرب بذلك، وجعل الممدوح خَيْرُ نبات المنابت التى هو منها، لأنه أشرفها وأوسطها، فالباء^(٣) التى فى قوله: (بندى أبى أيوب) على هذا التفسير متعلقة بسُقِيَتْ. وقد يجوز أن تكون متعلقة بسَقَّتِ. ويكون سقى المنابت غير مُبَيَّن. فكأنه قال: سُقِيَتْ منابتها، وأمسك ولم يذكر ما تُسقى به.

(١) الآية ٤٦ من سورة هود.

(٢) يروى (بندى) كما فى التبيان (١: ٢٣٠) وهذا البيت متقدم فى التبيان على البيت السابق له.

(٣) جعل الباء فى (بندى) بيانية. فإذا علقت بالفعل الثانى المبنى للمعلوم، خلا الفعل الأول فى المبنى للمجهول من معنى الباء وهو البيان.

(لَوْ مَرَّ بِرَكْضٍ فِي سَطُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيمَاتِهَا)

يصفه بالحق في الفروسية. وخص المهر ليكون أغرب، لأنه إذا فعل ذلك بالمهر وهو غير ماهر ولا مَرْتَضٍ، كان أقدر أن يفعل ذلك بالقارح^(١)، لارتياضه وانقياده.

(يَضَعُ السَّنَانُ بَحِيثُ شَاءَ مُجَاوِلًا^(٢) حَتَّى مِنَ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا)

يصفه أنه حاذق بالطعن، حتى إنه يضع السنان في خَرَّتِ الأذن. وقوله مُجَاوِلًا: حال مُفِيدَةٌ^(٣). والمُجَاوِلُ: المُجَارِي فِي مَيْدَانِ الطَّعْنِ، وذلك أنه إذا فعل وهو جائل في الحرب، كان أقدر عليه وهو في الميدان وادع.

(لَاخُلُقٌ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا)

أي المعروف عنك الجود بكل ما سئلته، فلا أحد أسمح منك إلا إنسان عرف هذه الشيمة منك، فلم يسألك نفسك. وجعله أسمح منه، لأنه بذل له أنفس الأشياء، فكانه قد جَادَ عليه بما لم يجد هو بمثله على أحد، لأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود وهذا كقوله هو:

يَأْتِيهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ^(٤)

وقد أنعم^(٥) شرحه فيما تقدم. ورأى^(٦): مقلوبة عن رأى، قال الشاعر:^(٧)

فَلَيْتَ سُويْدًا رَأَى مَنْ قَرَمْنَهُمْ وَمَنْ خَرَّ إِذْ يَحْدُونَهُم بِالرَّكَائِبِ

وَيَذْكُرُ عَلَى أَنْ (رَأَى) مَقْلُوبَةٌ عَنْ رَأَى، أنه لم يأت لها مصدر، إذ الأفعال المقلوبة لامصادر لها عند سيبويه، ولا أعرف أحداً خالفه. ولو كانت (رَأَى) لغة في رأيت، لكان لها مصدر. وهذا أصل من أصول التصريف، فتفهمه.

(١) القارح من الخيل: هو الذي دخل في السنة الخامسة.

(٢) (مجاوِلًا) أي مدافعا ومطارداً. و(أَخْرَاتِهَا): جمع خَرَّتِ (بضم الخاء وفتحها) وهو الثقب في الأذن.

(٣) أي حال مؤسفة لأمزجة لما قبلها.

(٤) انظر ماسبق (مقطوعه ٣٣)

(٥) أي شرح شرحاً دقيقاً وأقياً فيما تقدم.

(٦) قال ابن سيده في المحكم: «رَأَى لغة في رأى والاسم الرُّي» ونقله عنه صاحب اللسان في (رَأَى).

(٧) هو قيس بن الخطيم. وقد أنشد البيت صاحب اللسان في (رَأَى) منسوباً إليه. وأورده شاهد على أنه يقال (رَأَى) في رأه وفيه (بالركائب) في موضع (كالجلاب) التي هي رواية الأصل.

والخَلْقُ في هذا البيت: بمعنى المخلوق. ولذلك أُبدل (عارف) منه. إذ لو كان الخَلْقُ مصدرًا لم يُجْزَ إبدال (عارف)^(١) منه، لأن الجواهر^(٢) لا تبدل من الأغراض. وإنما كان يُصَيِّه على الاستثناء المنقطع، مع أن المصدر لا معنى له في هذا البيت. ولذا حَذَرْنَا منه إغرابا (بالإعراب).

(غَلِيتَ الَّذِي حُسِبَ الْعُشُورُ بَايَةً تَرْتِيْلُكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا)

غَلِيتَ في الحساب، وَغَلِطَ في القَوْل. هذا فَرْقٌ. وقيل: هما سواء. يمدح إمام انطاكيا، فيصفه بتجويد التلاوة، وحُسن التَّأْدِيَةِ، حتى جعل حُسْنَ لفظه وترتيله للقراءة في الإعجاز، بمنزلة الآية، فيقول: يجب أن تكون قراءتك هذه مضافة إلى الآيات، تُعَدُّ بصورة في النفس آية، فقد غَلِطَ حُسَابُ الْعُشُورِ إذا لم يُعَدُّوا قراءتك منها. وكان يجب أن يقول: ترتيلك للعشور من آياتها، أو الأغشَار من آياتها، فكان أذهب في الصنعة.

وهذا البيت كله (خَلَفَ)^(٣) من وَجْهَيْنِ. أحدهما: طريق الغُلُو الذي لا مَسَاغَ له في الذات اللقْنة^(٤). والآخر: أن الترتيل عَرَضٌ في اللفظ وليس بذات لفظ، والآية لفظ. وإنما التَّرتِيلُ في ذات اللفظ كالْعَرَضِ في الجوهر، فلا ينبغي أن يُعَدَّ ماهو عَرَضٌ في الجوهر جزءاً من ذات الشيء، فتفهِّمُهُ، فإنه لطيف المعنى^(٥).

(لَا تُعْذَلُ الْمَرَضَ الَّذِي بَكَ، شَسَائِقُ أَنْتَ الرَّجَالِ، وَشَسَائِقُ عِلَاتِهَا)

كان هذا الممدوح عليلاً، فيقول: لاتلم المرض المعتمد^(٦) لك، والحالُ بك، لأنك محببٌ إلى النفوس وإلى أحوال النفوس، فكما أنك تَشْوِقُ النفوس فتذهب

(١) عارف: اسم فاعل ومعناه ذات موصوفة بالمعرفة.

(٢) يريد بالجواهر أسماء الذوات الجامدة.

(٣) في المصباح المنير: والخَلَفُ - وزان فلس - الردى من القول. يقال: سكت ألفاً ونطق خلفاً. أي سكت ألف كلمة ثم نطق خطأ.

وقال أبو عبيد في الأشغال: الخَلَفُ من القول: السقط الردى. وفي التاج عن ابن برى: ويستعار الخلف لما لاخير فيه

(٤) يقال: غلام لقن: سريع الفهم (اللسان - لقن)

(٥) أي دقيق المعنى غامضة.

(٦) يقال: فلان عמיד: أي شديد المرض لا يقدر على القعود حتى يُعْمَدَ بالوسائد. ثم اتسع فيه فقيل: عמיד. (أساس البلاغة).

نحوك، وتحلُّ بك، كذلك الأحوال، والعلة نوعٌ من الحال، فلا عتاب عليها في حبها لك.

فتلخيص البيت: لا تُعذِّل مرضك، لأنك تشوق الرجال، وتشوق علَّها. فشائق: خبرٌ مبتدأٌ مقدم، وأنت مبتدأ. أي أنت شائقُ الرجالِ وعلَّها. ولا يجوز أن يكون شائقٌ مبتدأ، وأنت فاعل بشائق، لأن اسم الفاعل إنما يعمل عمل الفعل إذا كان (معتمداً)^(١) على شيء قد عمل في الاسم قبله، أعني، كأن يكون خبراً لمبتدأ، أو فاعلاً لفعل، أو صفة لموصوف^(٢)، أو حالا لذي حال، ونحو ذلك، فإما أن يكون يعمل عمل الفعل وهو مبتدأ، فلا يجوز. فلو قلت: ضاربٌ زيداً تُريد: اضربُ زيداً كان خطأ.

(فَإِذَا نَوْتُ سَفْرًا إِلَيْكَ سَبَقْتُهَا فَأَصْنَفْتُ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا)

هذا البيت متعلق بهذا البيت الذي قبله: أي أن الرجال إذا نوتُ سفراً إليك سَبَقْتُهَا^(٣) بإضافتك أحوالها، قبل إضافتك إياها. وإضافته لحالاتها قبله لها بجسمه، لأنه في ذكر المرض، والمرض عَرَضٌ، والعَرَضُ يطلب مَحَلًّا، ومحلّه الجسم. ويشبه ذلك قوله بعد هذا:

(وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا مَا عَذَّرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا)

أي إذا كانت الأمراض أعراضاً، ولم يكن للعَرَضِ بُدٌّ من جسم، وأمكن العَرَضُ جسمك الذي هو خير الجسم، فكيف يُعذر على تركه.

(١) [معتمداً] زيادة يتضح بها الكلام.

(٢) إن لم تكن الصفة المشتقة معتمدة على شيء مما ذكره ابن سيده، فإنه يشترط فيها لتعمل عمل الفعل أن تكون معتمدة على ما يقر بها من الفعل كالاستفهام والنفي. وهذا عند نواة البصرة. أما نواة الكوفة فلا يشترطون الاعتماد على النفي والاستفهام، ويجوزون أن تكون الصفة مبتدأ، وما بعدها فاعل أو نائب فاعل سدّسد الخير. (انظر الأشموني. باب إعمال الفاعل).

(٣) في التبيان (١: ٢٣٤) قال ابن فورجة: الناس يروون (سبقتها) (بالتاء) والصراب (بالتون) لأن المعنى إذا نوت الرجال السفر إليك سبقت العلل الرجال وجاءتك قبلها. ويصح بالتاء على تمحل بأن يقال: سبقت إضافتها بإضافة حالاتها فيكون من باب حذف المضاف. ويريد بالعالات حالات مرضهم الذي ذكره. اهـ.

(فَالْيَوْمَ صَبَرْتُ إِلَى الذِّى لَوْ أَنَّهُ مَلَكَ الْبَرِيَّةَ لَا سَتَقْلُ هِبَاتِهَا)

هذه الهاء فى موضع المفعول به، أى لاستقل أن يهبها لعالم آخر. فكان يجب على هذا أن يقول: لاستقل هبتها، لأن الهبة هنا المصدر، لا الموهوب، ولكنه جمع المصدر، لأنه عنى به الموهوبين، ولأنه مصدر متنوع، لأنه كان يهبها فردى ومتنى، ومازاد على ذلك من الكم، فقد تنوع المصدر باختلاف الأعداد، فاستجاز الجمع^(١) لذلك.

(مُسْتَرْخَصٌ نَظَرُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رَجُلِهِ بَدِيَاتِهَا)

«مَا بِهِ نَظَرْتُ»: يعنى أعيين البرية. أى أن النظر إليه رخيص بأعينها يعنى بفقدائها الأعين. وكذلك عثرة رجله لو اشتريت بديات البرية لكانت رخيصة.

— ٤٦ —

وله أيضاً:

(وَتَرَكْتُ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا

تَدَاوِلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْعَشْرُ)^(٢)

يعنى لا يسمع شيئاً، كقول النابغة:

«وَتَلَّكَ التَّى تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ»^(٣)

والدوي: الصوت. وهذا البيت مضمن بما^(٤) قبله. أى إنما المجد السيف، والفتكة البكر، وأيام حرب يُسمع لها من اجتماع الأصوات المختلطة الواصلة إلى الأذان، مثل صوت البحار الذى يسمعه الإنسان إذا أطبق أذنيه بأنمله.

(١) الأصل فى المصدر عند أصحاب اللغة الأ يُغنى ولا يجمع، لأنه جنس يصدق على القليل والكثير والواحد وغيره، إلا إذا قصد به الأنواع مثل جمع علم وفهم على علوم وفهم. (انظر كليات أبى البقاء - حرف الميم -)

(٢) البيت وما بعده من قصيدة مطلعها «أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر» وانظر ديوانه ص ١٨٩ والبيان (١٤٨: ٢).

(٣) صدره كما فى ديوانه «أَتَانِي أَبْيَتَ اللَّعْنِ أَنْكَ لَعْنَتِي» وانظر مختارات الشعر الجاهلى (١: ١٥٧).

(٤) هو قوله ولا تحسين المجدزفاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر ومضن: أى مكمل لمعناه، وهو عيب عند أصحاب العروض. وقد سبق مثله.

والأنمل هنا: الأصابع، واحدها أنملة، من باب تَمْرَة وتمر^(١)، وليس بتفسير أنملة لأن هذين البنائين إنما يكسران على (أفاعل).

وقوله «تداول سمع المرء»: يجوز أن يكون السمع اسماً للأذن، فلا يحتاج في هذا القول إلى حذف. ويجوز أن يكون السمع هنا: الحسُّ لا الجوهر الذي يُحسُّ به، فإذا كان ذلك، فلا بد من حذف، كأنه قال: تداول موضع سمع المرء. وإلى هذا ذهب أبو علي في قوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ)^(٢) وجهه على الوجهين جميعاً.

(إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ)

عَلَى هبة، فالفضلُ فيمنُّ له الشُّكْرُ

أى إذا اضطُررت إلى ناقص فتفضل عليك فشكرته فقد حصل الفضل لذلك الناقص، فمن الحق أن تتحامى رجاء الناقص^(٣)، لئلا يتيح لك فضلاً^(٤) منه عليك، فيكون الفضل له. وقال: (الفضل فيمن له الشكر) أى: الفضل للشاكر، لا للمشكور، لأنه يُشَرَّفُ هذا الناقص بشكره. أو ينفعه به.

(وَعَيْشٌ ظَنَنْتُا تَحْتَهُ أَنْ عَامِراً عَلَا لَمْ يُمِتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرٌ)

عامر: جدُّ هذا الممدوح. يصف سحاباً بكثرة الماء، حتى كأن عامراً ذا علأ إلى الفلك فأمطر الناس جوده، أو دفن في السحاب، فهو يجود بالماء وإن كان فيها ميئاً.

(١) يريد أنه من باب اسم الجنس الجمعى الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء. وليس من صيغ جموع التكثير. (٢) الآية ٧ من سورة البقرة.

(٣) تنازع شراح المتنبي في تفسير معنى البيت. ومن أحسن التوجيهات قول ابن القطاع: إنما أراد أبو الطيب، إذا لم يرفعك فضلك عن شكر ناقص فالفضل له لئلا ينهأ أن يمدح ناقصاً. وهذا من كلام الحكمة. قال الحكيم: من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل، يرفع قدر الجاهل عليه. وفيه نظر إلى قول الطائي:

عباش إنك للثيم وإننى إذ صرت موضع مطلبى للثيم.

(٤) فى ت «تفضلاً».

وقوله: (لم يمت) بدل من قوله: (علاً). وقد يجوز أن يكون حالاً من الضمير الذى فى علا أى علا غير مَيِّتٍ.

(او ابنُ ابنه الباقي^(١) على بن أحمد، يَجُودُ به لو لَمْ أَجُرْ وَيَدْرِ صِفْرُ) أى لولا أنى جُرْتُ به خالى اليد منه، لما شككت أن أحدهما هناك. ويدى صِفْرُ: جملة فى موضع الحال.
(إليك طَعْنًا فى مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ.

بكلِّ وآم^(٢) كُلُّ ما لَقِيتْ نَحْرُ)

أى قطعنا إليك الأراضى البعيدة بكل ناقة خفيفة مؤنَّقة، تفعل فى الأرض البعيدة ماتفعل الطُّعنة فى النحر. ومعناه أنها تتوغل كالطعنة فى الصدر، وتبلغ الغاية، كما تبلغ الطعنة إذا وصلت إلى القلب.

(إذا وَرِمَتْ من لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لها كان نَوَالاً صَرٌّ فى جِلْدِها النَّبْرُ) النبر: دُوْبِيَّةٌ تلسع الإبل، فَتَحْبِطُ^(٣) مواضع لسعها وترم، يقول: إذا لسعها النبر لم تَأْلَمْهُ، لاعتيادها إياه، وطَيَّبَ نفسها، وَفَرِحَتْ له، حتى كأن تلك اللسعة التى أورمت جلدها، صرَّت فيها نوالاً لها، فهى تفرح لذلك، كما يفرح المُعْطَى بالعطية.

وقوله: «كان نوالاً»: يجوز أن يكون نوالاً منصوباً بكان، والجملة التى هى (صرٌّ فى جلدها النَّبْرُ): خبر كان. وفيه ضعف لأن اسم (إن) نكرة غير مؤيدة بالصفة.

وخير منه عندى أن يكون فى (كان) إضمار الشأن أو الحديث، أى كان الأمر أو الحديث، ونوالاً: مفعول لصَرِّ فقوله: «نوالاً صَرٌّ فى جلدها النَّبْرُ»: تفسير للضمير الذى فى (كان).

(١) كلمة والباقي: صفة لابن المنسوب. سكن الياء فيه لضرورة الشعر انظر التبيان (١٥٣: ٢).

(٢) الواء: الناقة الشديدة النجبية من الإبل، والذكر: وأى وانظر اللسان (وأى).

(٣) الحبط: الانتفاخ أيا كان من داء أو غيره. يقال حَبِطَ جلده: ورم. وقال فى اللسان: وفى الصحاح: «ورِمَ يَرِمُ بالكسر، نادر».

(فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى)

وَدُونُكَ فِي أَحْوَالِكِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ

قوله: (دُونََ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى) حال، أَى جِئْنَاكَ وَأَنْتِ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ، وَهِيَ دُونُكَ فِي الْمَجْدِ وَشَرَفِ الْقَدْرِ.

(لِإِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُؤَادُ وَهَمَّتِي أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشُّطْرُ)

الأَوْدُ: الْإِحْيَاءُ، وَأَحْدَهُمْ وَدٌ^(١). فيقول: هَذِهِ الْأَعْضَاءُ مِنِّي تُحِبُّ مَاقَابِلَهَا مِنْ أَعْضَائِكَ الَّتِي أَسْمَاؤُهَا هَذِهِ.

وقوله: (وَالشُّطْرُ): أَى كَانَ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ مِنِّي شَقِيقَةً سَمِيَّتْهَا مِنْكَ، حَتَّى كَانَهُمَا اقْتَسَمَتَا جِزَاءً مِنَ الْعَنْصَرِ الَّذِي مِنْهُ كَوْنُهَا. وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْأَعْضَاءِ، فَكَانَ لِإِسَانِي مُوَافَقاً لِللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَقُولُ، وَعَيْنِي مُطَابِقَةً لِعَيْنِكَ تَسْتَحْسِنُ مَا تَسْتَحْسِنُ، وَفُؤَادِي مُلَائِمٌ لِفُؤَادِكَ، يَهْوِي مَا يَهْوَاهُ، وَهَذِهِ عُمْدَةُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ فَالْجَمْلَتَانِ شَقِيقَتَانِ. فَنَحْنُ إِذَنْ شَقِيقَانِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَهَمَّتِي، فَزِيَادَةٌ، لِأَنَّ الْفُؤَادَ مَحَلَّ الْهَمَةِ، فَهُوَ يَغْنَى عَنْهَا.

(١) الْوَدُ: الْوَدِيدُ وَالْجَمْعُ أَوْدٌ. وَيُقَالُ: وَدَكَ وَوَدِيدَكَ كَمَا تَقُولُ: حُبُّكَ وَحَبِيبُكَ.

وله أيضاً:

(أَقْلُ فَعَالِي بَلَّة أَكْثَرُهُ مَجْدُ وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نَلْتُ أَمْ لَمْ أُنَلْ جَدُّ)^(١)

بَلَّة: يُنْصَبُ بها ويجر، النصب على أنه اسم للفعل كَرُويدَ. والجر على أنه مصدر. وإن لم يكن له فعل، فقد وجدنا مصدراً دون فعل، كويل وأخواتها.

أَي أَقْلُ فَعَالِي شَرَفُ. دَعُ أَكْثَرُهُ، كقول القائل فكيف أَكْثَرُهُ. وهنا إفراط في القول، إلا أن الشرف يتفاضل في ذاته، فإذا كان أَقْلُ فَعَالِهِ شَرَفاً، فأكْثَرُهُ شَرَفٌ أَعْلَى من ذلك.

وقوله: (وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نَلْتُ أَمْ لَمْ أُنَلْ جَدُّ). الهاء عائدة إلى المجد، أَي وَذَا الْجِدُّ فِي طَلْبِهِ جَدُّ.

الجدُّ: الاجتهاد والتشمير. والجدُّ: البَحْتُ. ويقول: جدى في الأمور بَحْتُ. وإن لم أنل به بَحْتاً، لأن الجدَّ معدود في السعادة، لكونه من الفضائل النفسانية، التي تبعث عليها الأئمة والشهامة، كما أن التواني يُعَدُّ في الشقاوة لكونه من الرذائل التي يبعث عليها العجز والسامة، يقول: فانا إن لم أنل بسعيي حظاً نلت به عند نفسي وغيري عُذْراً أَحْصَلُ به على راحة نفسي، لا يلحقني ملال من أحد: كقوله:

(وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ)^(٢) ؟

(سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَّا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا التَّئَمُّوا مُرْدِ)

مشايخ: جمع مَشَيْخَةٍ، حكيانه عن أبي زيد، وقد يجوز أن يكون جمع مَشْيُوءَاءَ، الذي هو اسم لجمع شَيْخٍ، فكان ينبغى على هذا (مَشَايِخِ)، لكنه اضطر فحذف، كقوله:

(١) مطلع قصيدة للمتنبي بديوانه (١٩٨) والبيبان (٣٧٣: ١) يمدح بها علي بن محمد بن سيار.
(٢) شطر بيت لعروة بن الورد، وروى صدره أساس البلاغة (نجع): (البلغ عُذْراً أَوْ يُصِيبَ رَغْبَةً) ولم ينسبه. ويقال: رجل منجج: ذو نُجَجٍ.

والبكراتِ الفُسُجُ العظامسا^(١)

فشبهم بالمُرْد، لأنهم التثموا حتى لم تظهر لحاهم، كما لم يظهر للمرد لِحَى. ولو اتزن له لكان أحسن أن يقول: كأنهم من شدة ما التثموا، لأن كيفية الالتئام حَجَبَتْ لحاهم، بإحكامهم إياها. والشدة كيفية، والطول كمية فالكيفية أولى بما ذهب إليه.

وإن قلت: إنهم أطالوا الالتئام حتى حُسِبُوا مُرْدًا كان له وجه.

(تَلَجْ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا جُفُونِي لِعَيْنَيَّ كُلِّ بَاكِيةٍ خَدُّ)
أى إن جفونى مساربٌ للدمع لا يخلو منها، حتى كأنها خدٌ لكل باكية.
فالدمع يلازمها كما يلازم خدُّ الباكية.

وإن شئت قلت: ذهب فى ذلك إلى غزى الدمع. أى أن جفون دموعى مُجْتَمِعِ الدموع، حتى كأنها خدٌ لِعَيْنَيَّ كل باكية.

(سَرَى السِّيفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي)

إلى السيفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللَّهُ لَا الْهِنْدُ)

صاحبى: نعت للسيف. ولا يكون على حد قولك (ضاربى) المنقولة من قولك: زيد ضاربٌ عمرًا؛ لأنه لا يقال: زيد صاحبٌ^(٢) عمرًا، وذلك أن هذه الصفة جُرِّدَتْ من معنى الفعل، فلم يعدوها من المصادر^(٣)، وقولهم: (لَلَّهِ دَرْكٌ) فدرك:

(١) هذا عجز بيت من الرجز لفيلان بن حرث الرعى (الكتاب لسبويه ١١٩: ٢) والخصائص لابن جنى (٦٢: ٢) وصدره قد قرئت ساداتها الرواسا

(والعِظْمُوس من النوق الفتية الحسناء. والجمع. العظاميس وقد جاء فى ضرورة الشعر عظامس. وحقه أن يجمع على عظاميس بقلب الواو التى قبل الآخر ياء لكنه اضطر إلى تخفيفه فى الشعر. والبكرات: جمع بكرة وهى الناقة الفتية. والرواس: جمع راتسه وهى السريعة المتقدمة. والفُسُجُ: جمع فاسج وهى التى ضربها الفحل قبل أن تستحق الضراب وانظر المحكم (٣٧١: ٢) واللسان (فسج). كلمة(صاحب) أصلها اسم فاعل من الصحية. فهى صفة مشتقة لكنهم جردوها من الوصفية وجعلوها

اسما للرجل أو الشئ الذى يستعين به الإنسان كالسيف ونحوه وهى مثل (جارية) أصلها صفة من الجرى ثم جعلت اسما للسفينة. ومثلها أيضا كلمة(درّ) أصلها مصدر درّت الناقة ندر ثم جعلت اسما للبن.

(٣) (فلم يعدوها من المصادر) أى لعلها من الصفات أولعلها ليست مشتقة من المصدر مباشرة فى وضعها أو مكانها لأنها حين نقلت من الوصفية إلى الاسمية انقطعت صلتها بالمصدر فلبست مشتقة منه مباشرة.

مصدر وقد أجمدوه حتى قال سيبويه: هو بمنزلة قولهم: (لله بلادك) وقوله: (مما تطيع الهند)، يعنى السيف الذى عنصره الحديد، وهو الذى تطيع الهند. والسيف الثانى: هو الممدوح، وهو الذى يطبعه الله لا الهند، لأن الهند لا تخلق وإنما الخالق الله وحده:

(يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرُّدُّ)

يصفه بالقوة فى الرماية، والعلم بها، فيقول: يصرف سهمه كيف شاء، حتى لو أراد رده بعد إرساله مثلاً، أمكنه ذلك. و(يمكنه): يجوز أن يكون معطوفاً على (يُصِيبُ). فيكونان جميعاً داخلين تحت (يكاد). ويجوز أن يكون من الفعل الذى هو خبر (يكاد) فيكون ذلك أبلغ. وكلتا القضيتين داخلة فى الامتناع، لا يجوز أن يصيب شيئاً قبل رميه له. ولا أن يقارب ذلك. وكذلك القول فى القضية الثانية.

والهاء فى (رميه) يجوز أن تكون ضميراً (لشئ) فيكون مجروراً فى موضع نصب. كانه قال: من رميه هو. ويجوز أن يكون ضميراً لفاعل، والمفعول على هذا محذوف، أى من قبل رميه إياه.

== ٤٨ ==

وله أيضاً:

(حَوْلَى كُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلِقُ)

تُخْطِئُ إِذَا جِئْتَ فِي اسْتَفْهَامِهَا بِمَنْ^(١)

أى إنهم لا يعقلون و(مَنْ) إنما يستفهم بها عن يعقل، فإذا استفهمت عن هؤلاء بمن فانت مخطئ، إذ لاحظ لهم فيها وإنما حظهم (ما) التى هى لما لا يعقل.

وإن شئت قلت: إنهم وإن كانت صُورهم صَوَّرَ الناس، فهم بهائم، لجهلهم، وإنما تُعامل الأنواع بطبائعها لا بأشكالها، ولذلك أخذت الحكماء فى حدودها

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص ١٧٠) والبيان (٤: ٢١٠) يمدح بها أبا عبد الله الخصيبى، ومطلعها: «أفاضل الناس أغراض لنا الزمن»

طبائعها دون صورها، حتى إن بعضهم قال استضعافاً للحدِّ المأخوذ من الصورة: (فإنه لا يُستنكر أن يكون إنسان على شكل سمكة، كما لا يستنكر أن تكون سمكة على شكل إنسان). وأراد (تُخْطِىء)، فابديل إبدالاً صحيحاً للضرورة، كما أنشد سيبويه: (فارعى فزارة لاهناك المرتع)^(١).

ولو خفف تخطى تخفيفاً قياسياً فجعلها بين بين، لانكسر البيت، لان الهمزة المخففة تبيّن بين عند سيبويه بُرمتها^(٢) مخففة.

(وَمُدَقِّعِينَ بِسُبُرُوتٍ^(٣) صَحْبَتُهُمْ عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنٍ)

أى ورب فقراء بأرض قفر صحبتهم ولبت بهم (عارين من حُلَل): أى هم اللصوص لا يتسربلون، (كاسين من دَرَن): يصف شَعْنَهُمْ وَقَشَقْشَقَهُمْ. وإنما يُعَدَّد ما مُنِيَ به وبلى، من مكاره الأيام، وصحبة من لم يكن أهلاً للصحبة.

(كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِى خَوْضٍ مَهْلَكَةٍ وَقَتْلَةٍ قُرِئَتْ بِالذَّنَمِ فِى الْجُبْنِ)

أى: كم إنسان أقدم، فسلم وعلا مع إقدامه، ولم يضره اقتحامه الهلكة، وآخر جُبْنٌ، فقتل مع جُبْنِهِ، ومات مع ذلك، مذموماً على نكوله مَلُوماً. وقوله: «فى الجُبْنِ» متعلق بِقَتْلَةٍ كانه قال: وَقَتْلَةٍ فِى الْجُبْنِ قُرِئَتْ بِالدم، كما أن قوله (فى خوض مهلكة) متعلقة بمخلص وعلا.

(مَدَحَتْ قَوْماً وَإِنْ عِشْنَا نَظُمْتُ لَهُمْ

قَصَائِدُ مِنْ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ)

(١) هذا عجز بيت للفرزدق وصدره (راحت بمسلمة البغال عشية) وقد استشهد به سيبويه فى الكتاب (١٧: ٢) على أنه أبطل الألف فى (هناك) من الهمز لضرورة الشعر (أى أبطل للضرورة وليس على التخفيف) قال: ولو جعلها بين بين لانكسر البيت.

(٢) برمتها: أى يجرأها، وذلك أن همزة بين بين تنطق بين الهمزة وحرف العلة الذى تدل عليه حركة ما قبلها، فهى مؤلفة من جزء من حروف العلة (الألف أو الواو أو الياء). وقد جاء فى اللسان (بين): «ومعنى قول سيبويه بين بين أنها ضعفية ليس لها تمكين المحققة ولا خلوص الحرف الذى منه حركتها».

وانظر شرح المفصل لابن يعيش: مبحث تخفيف الهمزة (١٠٧: ٩)

(٣) السبروت: الأرض القفر لانيات فيها.

عنى بالقصائد: الجيوش، وإنما كنى عنها بذلك، لقوله: (مدحت قوماً) واستعمل النظم مكان الحشد، لمكان القصائد، وجعلها من جياذ الخيل والحصن، لأنه عنى بالقصائد العساكر، والعساكر إنما تأتلف من الخيل وفُرسانها، ولو قال: (من إناث الخيل والحصن) لكان أذهب فى الصنعة، لأن الحصن: الفحول من الخيل، فكان يطابق الإناث، كقوله تعالى: (وَيْتُّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا نِّسَاءً)^(١). وأما (من جياذ الخيل والحصن)، فقسمة غير سالمة، لأن الحصن قد تدخل فى جياذ الخيل، وكذلك جياذ الخيل قد تدخل فى الحصن، إذ بعض الجياذ حصان، وبعض الحصن جواد. ومن عنى بالحصن الجياذ، ما ذهب فى باب القُبْح، لأنه لا يوجب قسمتها، إذ الجياذ هى الحصن.

(تَحْتَ الْعَجَاجِ قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ إِذَا تُنْوَشِدُنْ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أَذُنْ)

عنى بالقوافى الخيل، وخصها بالذكر لأنها أشرف مافى الشعر، لاشتغالها على اللوازم، كالرؤى والصلة والخروج والرَدَف والتأسيس، وغير ذلك من طوائف القافية، وإذا جادت القوافى؛ سرت جودتها فى الشعر. واستجاز أن يجعل القوافى (مُضْمَرَةٌ)، لكنايته بها عن الخيل.

(إِذَا تُنْوَشِدُنْ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أَذُنْ): فرق مليح صحيح، لأنهن لسنن فى الحقيقة قوافى، فتلج فى المسامع، وإنما هن خيل، وليس هناك تناشد. إنما استجازه للفظ القصائد والقوافى.

(غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدُ فَجْرٍ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ^(٢) الْجَفْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسْنِ)

يستغرب العبادة مع الشباب. و(بعيد فجر ليلته): أى لاينام، فأخر ليلته بعيد من أولها. (مُجَانِبُ الطرف للفحشاء والوسن): هذا اختصار مليح. وما أحسن مقابلته الشباب بالفحشاء، والسهر بالوسن. وكأنه قال: غَضُّ الشَّبَابِ، مجانب الطرف للفحشاء، طويل الليل، مجانب الطرف للوسن.

(١) الآية ١ من سورة النساء.

(٢) رواية الديوان والبيان «مجانِب العين».

(أَلْقَى الْكِرَامُ الْأَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ

عَلَى الْخَصِيبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسُّنَنِ)

(الألى): بمعنى الذين. بادوا من صلة (ألى). أى باد هؤلاء الكرام والقوا مكارمهم على هذا الممدوح، كأنهم كَفَّلُوهُ إياها، كما يَكْفُلُ الوصىُ اليتيم.

(فَهْنُ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كُلُّمَا عَرَضَتْ

لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَّ)

فهْنُ: يعنى هذه المكارم الملقاة عليه التى كَفَّلَهَا. يقول: هذه المكارم التى مات أهلها، وبقيت يتامى فى حجر هذا القاضى الممدوح، فهو يفرق أمواله فيهم، ويبدؤهم بالمجد والمنّة. فهما من جملة الأيتام، يظهرهما ويؤثرهما، كما يفعل الرَّابُّ الْمُشْبِلُ^(١).

وقوله: (بدا): أراد (بدا) فأبدل إبدالاً صحيحاً للضرورة. كما تقدم فى تخطئ ونحوها.

- ٤٩ -

وله أيضاً:

(لَقَدْ حَازَنِي وَجْدُ بَمَنْ حَازَهُ بُعْدُ قِيَا لَيْتَنِي بُعْدُ وَيَالَيْتَهُ وَجْدُ)^(٢)

أى الوجد خلّقى فقد حازنى، والبعد خلّقه فقد حازه، يقول: فياليتنى بُعْدُ لأحوزه كما حازه البعد، وياليتته وَجْدُ فيحوزنى كما حازنى الوجد، فنجتمع ولانفترق.

(سُهَادَ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادُ وَقِسْلَامُ رَعَى سِرْبُكُمْ وَرَدُ)

(١) الرَّابُّ: من ربّى الصبى برّه ربا: إذا تعهده بالتغذية والتنمية والحراسة. والمُشْبِلُ: ذو الأشبال أى الأطفال. وأصل الشبل: ولد الأسد ويقال: لبؤة مشبل: معها أشبالها.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (ص ٢٠٦) وشرح الواحدي (٣١٠) والبرقوقى (٢٤٤: ١).

استحسن كل مكروه أتى من قبلهم؛ واستلطف كل جافر لهم، حتى جعل
 السَّهَادَ رِقَاداً، والقَلامَ^(١) - وهو ضرب من الحمض - وَزْدَاً. كل ذلك لحبِّ إياهم.
 إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَقْتَ بَعْدِهَا وَمِنْ عَهْدِهَا أَلَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ
 شِيمة المرأة: القَدْر. وهى التى عَهدت^(٢) عليه فمتى غدرت فقد أوفت
 بعهدا

(وَسَيْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا سَأَلْتُهُ لِيَضْرِبَ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ)
 أقسم بسيفه، ثم تلقى القَسَمَ بقوله للمدوح، لأنَّ السيف، أى إنك أمضى
 من السيف بل أنت السيف فى الحقيقة، إذ لولاك لم يكن للسيف غَنَاءٌ كقوله:
 إِذَا ضَرَبْتَ يَمِينَهُ بِالسَّيْفِ فِى الْوَعَى^(٣)

تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ
 (وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ): الشئ إنما يُصَان بما هو دونه فى القَدْر،
 ليكون له وَقَاءً. يقول: فانت أشرف من السيف، لأن السيف مطبوع من الحديد،
 وأنت تلبس الدروع والجواشِنَ والتُّرُك^(٤)، فهن لك كالغمد. وإذا كنت أنت
 مصوناً بما السيف منه مصنوع، فلا محالة أنك أشرف من السيف، لأن السيف
 مساوٍ للدرع فى القَدْر؛ لأن جواهرهما سَوَاء. والدرع لك لباس. والغمدُ فى قوله:
 (ومما السيف منه لك الغمد): مرقوع بالابتداء. وخبره: (مما السيف منه)،
 فغمدك من الحديد الذى طُبِعَ منه السيف.

(١) القَلَامُ: نبات كرمه الرائحة من الحمض، أى النبات الذى فيه ملوحة أو حموضة ترعاه الإبل بعد الحَلَّة،
 وهى النبات الحلو، والمرعى كله إما حمض وإما حَلَّة.

(٢) حق العبارة أن تكون (وهى التى عهدت عليها) أو (وهو الذى عهدت عليه) فالضمير فى (عليها)
 للشَّيْمة، وفى (عليه) للغدر.

(٣) صدر البيت فى الديوان والتبيان: «إذا ضرت فى الحرب بالسيف كفه».

(٤) التُّرُك: جمع التُّرِكَة: بيضة الحديد والجواشِن: جمع جوشن وهو الدرع.

(كَأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرُ فَفِيهَا الْعَبِيدُ وَالْمَطْهُمَةُ الْجُرْدُ)

العسكر إنما يأتلف من الخيل والرجال. وهذا يَهَبُ الخيل والعبيد. فهذا وجه الكيفية في تشبيهه عطاياه بالعساكر. ثم يكثر هبة هذين النوعين، حتى يعود في كثرة العسكر. فهذا تشبيهها بالعساكر من جهة الكمية. والعطية: المُعْطَى لا العطاء إذ لو كان ذلك لم يجز تشبيه العَرَضُ بالجواهر، فتفهّمه.

(حَبَانِي بِأَثْمَانِ السُّوَابِقِ دُونُهَا مَخَافَةَ سَيَرَى إِنَّهَا لِلنُّوَى جُنْدُ)

(وَشَهْوَةَ عَوْدِي إِنْ جُودَ يَمِينِهِ ثَنَاءُ ثَنَاءَ وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ)

أى أعطاني الدنانير دون الخيل، مخافة أن أبين عنه، لأن الخيل جُنْدُ للنُّوَى وأعوان. (وَشَهْوَةَ عَوْدِي) أى أراد أن أقيم قِيَوَالِي لى عطاياه. إِنْ جود يمينه ثَنَاءُ ثَنَاءُ: أى أياديهِ مَتْنًى؛ وهو فى ذاته فَرْدُ. وإن شئت عَنَيْتُ بالعود، أنه معدوم النظير فى جوده، كما يقال: رجل واحد: لَمْ يَمِثْلْ لَهُ، قال أبو ذؤيب: (١):

يَحْمَى الصَّرِيْمَةُ أَحْدَانُ الرَّجَالِ لَهُ صَنِيدٌ وَمُجْتَرِيٌّ بِاللَّيْلِ هُمَاسُ (٢)
فكأنه قال: والجواد بها أَوْحَدُ.

(قَهْمٌ فِي جُمُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَايَةِ وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ لَا يُحْسُ بِهِ الْخُلْدُ)

ابن داية: الغراب، سُمِّيَ بذلك لأنه يقع على دَايَةِ البعير، وهى فِقَارَتُهُ، فيعقرها. والعرب تصف الغراب بصحة البصر، حتى عَنُوا بِهِ فَقَالُوا: أَبْصَرَ مِنْ غَرَابٍ، وَالْخُلْدُ (٢): فَارَةٌ عَمِيَاءُ لَأَسْمَعَ بِهَا، زَعَمُوا.

(١) البيت من شعر مالك بن خالد الخزاعي كما فى ديوان الهذليين (٤:٣) وليس لأبى ذؤيب. وقد ورد البيت بهذه الرواية فى اللسان أيضا. وهو فى ديوان الهذليين «أحمى الصريمة» وأحدان: جمع واحد وهو الرجل الواحد المتقدم فى بأس أو علم أو غير ذلك كأنه لَمْ يَمِثْلْ لَهُ. ويقال فيه أيضا (وأحدان). والهماس: السَّيَّارُ بِاللَّيْلِ

(٢) الهموس والهماس من أسماء الأسد أيضا، وسمى الأسد هموسا لأنه يهمس همسا أى يمشى مشيا بخفية فلا يسمع صوت مشيه.

(٣) الخلد: ضرب من الجرذان عمى لم يخلق لها عيون (اللسان).

يقول: فما يراهم الحديدُ البصر ولا يُحِسُّ بهم الذكيُّ الحسَّ مبالغة. وليس يذهب في ذلك إلى قلة جموعهم، وخفوت لُجْمهم^(١)، إنما يذهب إلى احتقارهم، وقلة غنائهم، ومثله في ذلك الاستضعاف قوله:

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ بِالخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَاسِعًا^(٢)

- ٥٠ -

وله أيضاً:

(أَرَايْضُ مُعْوَصَاتِ الْقَوْلِ قَسْرًا فَاقْتُلْهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ)^(٣)

أى أنا ذو بديهة، فإذا عورضت في قول الشعر فرغت وغيرى يعد في تلحينه وتسديته ومعاناته، وليس هناك قتل ولا طراد، وإنما استعارهما. وأقتلها: بمعنى أصيبها وأملكها كقولهم: قتلنا الأمر علماً. والمُعْوَص: الأبي الممتنع.

- ٥١ -

وله أيضاً:

(أَنَا لَا تَمِي إِنْ كُنْتُ وَتَتَ الْوَائِمِ عِلِمْتُ بِمَا بَى بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ)^(٤)

قوله: (أنا لا تمي إن) كقوله: أنا مثلك إن فعلت كذا. أى صيرتني الله مثل لا تمي في قلة اللب والجهل بالحب. وقيل أراد أنا لاتم نفسي أى جعلنى الله لائماً لها، وهذا أضعف في العربية، إنما تستعمل العرب في مثل ذلك أنا لاتم نفسي. هذا مذهب سيبويه^(٥). وقد أنشد بعض الكوفيين:

(١) خفوت اللجم: ضعف صليلها عند السير.

(٢) هذا البيت من قصيدة له ومطلعها (أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا) وقد تقدمت ص ٣٥.

(٣) أحد بيتين له في ديوانه (بيروت ٢٤٦) وشرح الواحدي (ص ٣٦١). وأول البيتين:

أَتَنَكَّرُ مَانَطَقَتَ بِهِ بِدْبِهَا وَلَيْسَ بِمَنَكَّرِ سَبْقِ الْجَوَادِ

والمُعْوَصَات من الشعر: عريضه وهو المكشكش الذي يصعب استخراج معناه.

(٤) مطلع قصيدة للمتنبي بسببوانه (ص ٢٠٩). والتبيان (٤: ١١٠) يمدح بها أبا الحسن بن عبد الله بن طنج.

(٥) ذكر سيبويه هذا الموضع في الكتاب (١: ٣٨٥) بقوله في باب (هذا ما لا تجوز فيه علامة المضمر المخاطب، ولا علامة المضمر المحكلم، ولا علامة المضمر المحدث، عنه الغائب).

(ندمت على ما كان منى عدمتني)^(١)

فعلى هذا يجوز (أنا لأتمى) أى لاتم نفسى .

يقول : إن كنت علمت بحالى وعقلت أمرى بين تلك المعالم، كقول الاشترا:

بُعِثْتُ وَفَرِيْ وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَا وَلَقِيتُ أَضْيَافِيْ بَوَجْهِ عُبُوسٍ^(٢)

إن لم أشنُ على ابن حرب غارة تعدو ببيض فى الكريهة شُوسِ

(وَلِكُنْتُ مِمَّا شُدِّهْتُ مُتَّيْمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِيْ بَائِحٌ مِّثْلُ كَاتِمٍ)

أى ولكنى متيم كسالى مما شُدِّهْتُ وَذَهَلْتُ^(٣). أى قد أفرط ذهولى، حتى كائى ذهلت عن الهوى، فُعدْتُ كَالسَّالِي، ومعنى كل ذلك أنه يريد: لم يخلص لى حال ولا يُنَبِّت لى حقيقة، وإنما يقول إنه بقى فقيد العقل، وَمَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ لَمْ يَنْبُتْ لَهُ تَذَكُّرٌ وَلَا سَلَوٌ، ونحو هذا قوله تعالى فى صفة أهل النار: (لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا)^(٤). وإن شئت قلت: ذهلت عن الشكوى، حتى كائننى سالى وذهوله عن الشكوى إما أن يكون غيم جسده بتلاشى جسمه كقوله هو:

وَشَكَيْتِي فَقَدْ السَّقَامُ لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِيْ أَغْضَاءُ^(٥)

وقلبى بائح مثل كاتم: أى أنه قد ظهر على الحب، فكان قلبى بائح به وهو مثل كاتم، أى أنه لم يقصد إظهار ذلك. ومعنى كل ذلك نفى القصد لأحواله.

(عَنِ الْمُقْتَنَى بِذَلِّ التَّلَادِ تِلَادُهُ وَمُجْتَنِبِ الْبُخْلِ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ)

أى يقتنى^(٦) بذل التلاد مكان تلاده، فأعقبه ذلك ذكراً فى البذل، فكانه قال: عن المقتنى الذكر الجميل، ببذل التلاد مكان تلاده. الذى كان اقتناه، لما فى تلاده من البقاء^(٧) فى الذكر الجميل المقتنى مكانه. من البقاء^(٨).

(١) شطر بيت لقيس بن ذريح وعجزه « كما يندم المغبون حين يبيع ».

(٢) انظر شرح الحماسة للمرزوقى (١٤٩:١) وعجز البيت الثانى هنا هو عجز بيت ثالث وروايته.

إن لم أشن على ابن حرب غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس

خيلا كأمثال السعالى شزبا تعدو ببيض فى الكريهة شوس.

(٣) يقال : ذهلت عنه وذهلت وأذهلتى كذا وكذا عنه. (اللسان. ذهل)

(٤) الآية ٧٤ من سورة طه.

(٥) انظر ماسبق فى شرح هذا البيت (مقطوعه ٣٣ من هذا الكتاب).

(٦) فى ت: اقتنى.

(٧) فى ت: (الفناء)، وفى م (المعتاد) وكلاهما تحريف.

(٨) (من البقاء) يظهر أن هذه العبارة تكرر لسابقتها عن سهو من النسخ.

فتلاده عندي^(١) - منصوب بالظرف، كما أنك لو أظهرت المضاف المحذوف
فقلت: مكان تلاده، كان منصوباً على الظرف، فلما حذِف المضاف، عمل الفعل
فى المضاف إليه ذلك العمل نفسه، كقوله تعالى: (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا
فِيهَا)^(٢).

ولو قال: (تلاده)، فرفعه بالمُقْتَنَى على السعة لجاز، أى كأن ماله يدعوهُ أَنْ
يبيذه فَيَقْتَنُوهُ بذلك فخرأً. فكانَ المال هو المقتنى له ذلك. ولا كلام فى قوله:
(وَمُجْتَنِبِ الْبَخْلِ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ) لظهوره.

(كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَنكَ، وَلَا قَاوَمْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ)

إن شئت قلت: إن حسادك جاودوك فى الجود والبأس، حتى غلبتهم فيهما،
فكانك بعد غَلَبِكَ إياهم ماجاودوك ولاقاتلوك. ثم جعل للقضية مثلاً مطلقاً، أى
أيها الإنسان مَنْ غَلَبِكَ بعد ماغلبته فكانك ماغلبته، وإن شئت قلت: كل من
جاودته فَقُتِه، وكل من حاربتَه غلبته، حتى كأنك إنما اخترت من المُجَاوِدِينَ
والمحاربين من وثقت بظهورك عليه، ولم يكُ ذلك قصدك، إذ لو كان ذلك لم يك
محموداً منك، لأنك لم تَشْجُعْ إِلَّا على من علمت أنه دونك ولا جارتك فى الندى
إلا من علمت أنك فوقه. هذا كله لايمدح به. ولكنك إنما كنت الظاهر على
المجاودين المحاربين، بفضيلتك النفسانية، ومزيتك الطبيعية إِلَّا أنك اخترت من
هو دونك. وقوله: (من لم تقاوم) كقوله: ولاقاتلت من بانت شجاعته عليك، فهذا
اللفظ المسلوب^(٣) فى معنى لفظ آخر مُثَبَّت، وإنما ذكرت لك هذا لتثبت قدمك فى
تَبَيُّنِهِ.

(١) يريد أن (تلاده) فى آخر الشطر من بيت المتنبي منصوب على الظرفية، لأنه على تقدير (تلاده) ثم
حذف المضاف فقام المضاف إليه مكانه، كما فى قوله تعالى (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ) إذ تقديره: وأسأل أهل
القرية.

(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف.

(٣) المسلوب: أى المنفى بدليل مقابله بعد ذلك بقوله (فى معنى لفظ آخر مثبت).

وله أيضا:

(غَدَا النَّاسُ مُقْتَلِيهِمْ بِهِ لِاعْدِمَّتْهُ وَأَصْبَحَ دَهْرِي فِي ذِرَاةِ دَهْوَرَا)^(١)

أى فيه من الفضائل مافى كل الفضلاء. فقد صار الناس به ناسين. ولا يعنى بالناس جميع نوع الإنسان، لأن فى جماع النوع رفيعاً وضيعاً، وإنما عنى بالناس الفضلاء من الناس، ولولا ذلك لم يقتض مدحاً، كقول أبى نواس:

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٢)

لم يرد العالم كله، إنما عنى رفعتهم وخيارهم.

(وأصبح دهرى فى ذراه دهوراً):

يقول: جنيت من لذيت تمر العيش فى دهرى عندّه، ماجناه أهل كل دهر من حلو تمر دهرهم، فصار دهرى بذلك دهوراً.

وله أيضا:

(وَكَمْ مِنْ غَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَقْتَهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ)^(٣)

قد يكون القول صحيحاً فى ذاته، ولا تلوح صحته إلى الجاهل به، فيعيبه، لأنه يظنه على خلاف ماهو به. ومن كلام الحكماء: (من علم أنس، ومن جهل استوحش). وقال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)^(٤) أى لو فهموه لعلومه، فآمنوا به. ويشبه هذا البيت قوله هو:

(وَمَنْ يَكْ ذَا قَمٍ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرَأً بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا)^(٥)

(١) البيت أحد أبيات ثلاثة فى مدح أبى محمد الحسن بن عبد الله بن طغج (ديوانه ٢١٥)

والتيبان (١٤٥:٢).

(٢) تقدم التعليق على هذا البيت مقطوعة ص ٣٧.

(٣) من قصيدة له بديوانه (ص ٢٣٢) والتيبان (٤: ١٢٠).

(٤) الآية ٣٩ من سورة يونس.

(٥) انظر ديوانه (ص ١٣٩) والتيبان (٣: ٢٢٨).

وله أيضا:

(كَفِرْنُدَى فَرِنْدُ سَيَفِي الْجُرَّازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُذَّةٌ لِلْبِرَّازِ^(١))

الفرند: ماء السيف، فارسي معرب. إنما هو ما بين الباء والفاء. والعرب تعرَّب مثل هذا بالفاء المحضة، والباء المحضة هذا قول سيبويه^(٢) في باب اضطراد الإبدال في الفارسية.

الجُرَّاز: الماضي النافذ. وإنما شبه فرنده بفرند السيف، لأن فرند السيف دليلٌ عَلَى مضاء حَذِّهِ. وعنى بفرند نفسه هنا شَحْوُ بِهِ، وتغير لونه من الأسفار والتعب، فجعله فَرِنْدًا، لأنه دليل على مضاء عزمه، كما أن فرند السيف دليل على مضاء حده.

ففى ذلك شبه فرنده بفرند السيف، وإن لم يكن شَحْوُ به فى الحقيقة فرندًا، بل هو خلاف الفرند، فإنما سمَّاه به، لأنه محمودٌ منه، كما أن ذلك محمود من السيف. ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم (لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمِسْكِ)^(٣) وليس الخُلُوف بطيب، ولكن لدلالته على ما يحبه الله عز وجل من الصيام.

وأما ابن جنِّي فقال: عَنَى أن جوهر سيفي كجوهري. فإن كان عنى بالجواهر الفرند، فخطأ، لأن الفرند^(٤) إنما هو صفاء السيف بما يحدث من الصَّقَال^(٥)، فهو لذا عَرَضَ.

(١) يمدح بهذه القصيدة أبا بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب (دبوته ٢٠٢ ص) والتبيان (١٧٤: ٣) والبرقوقي (٣٧١: ٢).

(٢) قال سيبويه فى الكتاب (٣٤٢: ٢) حاكيا عن العرب طرائقهم فى تعريب الألفاظ الفارسية: ويدلون من الحرف الذى بين الباء والفاء ألفا نحو الفرند والفندق. وربما أبدلوا الباء لأنها قريبتان. قال بعضهم: البرند.

(٣) الحديث فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير (مادة- خلف) وروايته فيه (لخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

(٤) هذه العبارة سقطت فى ت.

(٥) الصقل: الجلاء. صقل الشيء بصقله صقلا وصقلا فهو مصقول وصقيل: جلاء. والاسم: الصقال. وفى الأصل (الصقالة) بالطاء ولعلته تحريف من الناسخ.

وإن كان غنى بالجوهر سيئ هذا السيف، أى أن سيئ فى نوع الإنسان كسيف سيئ فى نوع الحديد، فصفا فهمى من جهة شرف جوهرى، كما أن صفا هذا السيف من جملة شرف جوهره، فهو حسن.

ويقوى ذلك أنه قد استطرد فى أبيات السيف من هذا الشعر، تشبيهه نفسه به، وجعله نفسه فى نوعه، كسيفه فى نوعه. ثم أخبر عن نفسه فقال: هو لذة العين، أى أنظر إليه فأستملحه، وهو أيضاً عُدَّة للقتال.

(ودقيق قدي^(١) الهباء أنيق مَثَوَالٍ فى مُسْتَوٍ هَزْهَانٍ) أى وفيه فِرْنْد دقيق، قدر الهباء فى شكله وتضاؤله، متوال: متتابع. فى مستو، أى فى متن مُستَوٍ. فأقام الصفة مقام الموصوف، وقواها بهزها، فحسن ذلك.

(يَا مُزِيلَ الظلام غنى وروضى يَوْمَ شُرْبِي وَمَعْقَلِي فى الْبَرَانِ) البران: الصحراء. يقول لسيفه: إذا اسودت الدنيا على بنزول الملمات، كسفتها عنى وفرجتها. وقد يعنى به أنه يزِيل الظلام عنه بِمَانِهِ وضيائه. (وروضى يوم شربى): شبهه بالروض فى خضرته، وجعله روضة يوم شربه، على ما جرى به عادة الشجاع من تلقفه^(٢) سيفه وتنزيهه طرفه فيه، متملاً لحسنه وماهية جَوْهَرِهِ. وكان أذهب فى الصنعة أن يقول: (وروضتى) لأن الرّوض جمع، وهو يخاطب واحداً، ولكن هذا واسع كثير. (ومَعْقَلِي فى الْبَرَانِ): أى انى أمتنع بك إذا امتنع غيرى بحصن، لأن الشجاع إنما يلجأ إلى سلاحه لا إلى معقل، كقوله هو:

(جواشئها الأسنة والسيوف)^(٣)

وكقوله: (فلا أحارب مدفوعاً إلى جُدُر)^(٤)

(١) فى اللسان (قدا) يقال: هو مئى قدى رمح (بكسر القاف) أى قدره. وقال الأزهري: قدى وقاد وقيد كله بمعنى قدر الشئ.

(٢) كلمة (تلقفه) غير واضحة فى الأصل. وفى اللسان (لقف): اللُقْف: سرعة الأخذ لما يرمى إليك باليد.

(٣) عجز بيت له بديوانه (٢٥٣: ١) وصدره فيه: «فدعه لئى فإنك من كرام» والجوشن: اسم الحديد الذى يلبس من السلاح. والجوشن: الدرع.

(٤) عجزه كما فى ديوانه «ولا أصالح مغروراً على دخن».

وإن شئت قلت: إذا كنتُ في الصحراء فلم أجد معقلاً، فانت أيها السيف
هناك معقلى.

(إن بَرَقَ إِذَا بَرَقْتَ فَعَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَلْتَ ارْتَجَازِي)

يذهب بذلك إلى التقريب بين نفسه وسيفه، لَمَّا أن مثل نفسه به في جوهره
أراد أن يكمل تشبيهها به في أغراضه، فيقول: أيها السيف، لا تظنني مُقَصِّراً
عنك، بأن لَأَمْعَ لِي كَلَمْعِكَ، ولا صليل لي كصليلك، فإنك إن قَدَرْتَ ذلك، فانت
مخطئ، لأن ما يوازي لمعك وصليلك مني، أشرف من لمعك وصليلك. أنا أفعل
بك يوم الرُّوع ما يكسو جبيني وسائر وجهي ضياءً، استبشاراً به وفرحاً. فذلك
البشر هو بَرَقِي المُوازِي لبرقك، وأرتجز بشعري إذا صَلَلْتُ فيقوم ذلك مقام
الصليل لك فإنني لا يُقَصِّرُ حالي عن حالك.

(وَلَقَطَعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكَلَانَا لَجِنْسِهِ الْيَوْمَ غَازِ)

وهذا أيضاً زيادة في تقريبه بين نفسه وسيفه. يقول: أنا أقتل أقراني وهم
جنسي، وأنت تقطع عليهم الدروع والمفاير والتُّرُك^(١)، وكل ذلك جنسك، فقد
حكيتُ فعلك في نوعك، بفعلتي في نوعي. أنا إنسان أقتل إنساناً، وأنت حديد
تقطع حديداً.

وهذا من أبداع الصنعة، مثل نفسه بذاته، في سيفه بذاته، ثم عَرَضَهُ
المتصل به الذي لا يتعداه، كالبرق والصليل، ثم في عَرَضِهِ الذي يُوقِعُهُ بغيره،
عن حركة واستعمال، وهو قَطْعُهُ الحديد، فقدم ما هو من الذات لا يتعداها، وأخر
ما يتعدى الذات. فتفهمة فإنه غريب.

(كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا وَبِهِ لَا يَمِنُ شَكَاها الْمَرَاذِي)

أي كيف لا يشتكي هذا الممدوح وهو الذي يتحمل المغارم، ويتكلف المؤن
بذاته وماله، فيه المرَازِي. وكيف تشكاها هؤلاء وقد احتملها هو عنهم.
فالعجب من شكواهم ولا رُزءَ بهم، ومن يحتمل الرزية عنهم لا يشتكي. فتقدير
القضية: وبه المرَازِي لا يمين شكاه.

(١) التُّرُك والثريكة: بيضة الحديد للرأس والجمع ترائك وتريك.

والمرآزي: جمع مَرَزَنَة^(١)، وكان حكمه المرآزي، فابدل إبدالاً صحيحاً قياسياً، لأنه لا يوصل بالهمزة المخففة إلا هكذا، أعنى أن تبدل ابدالاً محضاً، حتى تلحق بحروف العلة، ولذلك استشهد سيبويه على أن الهمزة تبدل إبدالاً صحيحاً في حال الاضطرار، كبيت عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

وكنـت اذلـم مـن وئـد بـقـاعٍ يُشـجـجُ رَأْسَه بالفـهـرِ واجـي^(٢)
اعتقد البدل في واج صحيحاً، لأن القطعة جيمية، فالوصل ياء محضة. وهذا الاستشهاد من دقائق سيبويه، ولطائفه التي بز فيها المماري، وسبق المجاري.

- ٥٥ -

وله ايضاً:

(فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرٍ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فَيْكَ عُلُوُّ قَدْرِ الْقَائِلِ)^(٣).

أى أن مدحك يُشَرِّفُ مَانحك، فكلمنا شكرتك على نوالك بالشعر، رفع شعري فيك من قدرى، فاقترضانى الشكر على ذلك شكراً آخر، إلى غير نهاية.

(فمتى أقوم بشكرك) يُؤنسُ نفسه من القيام بشكره، ويجعله داخلاً فى الامتناع.

فهذا استفهام فيه معنى النفى، أى لا أقوم بشكر ذلك أبداً.

(١) فى اللسان (رزأ): والمرزنة والرزنة: المصيبة والجمع: أرزاء ورزايا (ولم يذكر لفظ المرآزي).
(٢) البيت من شواهد سيبويه (الكتاب ٢: ١٧٠) والخصائص: (٣: ١٥٢) والمحكم (١: ٧) وشرح المفصل لابن يعيش (٩: ١٤٤) والشاهد فيه قوله (واجي) فقد أبدل الشاعر من همزة (واجي) ضرورة. وقال فى اللسان (وجأ) بعد أن روى البيت: فإنما أراد واجي بالهمزة فحول الهمزة (يا) للوصل ولم يحملها على التخفيف القياسى.

وقال ابن يعيش: "والإبدال هنا أسهل لأن الهمزة طرف، والطرف مما يسكن فى الوقف والهمزة إذا سكنت وانكسر ما قبلها قلت يا نحو قولك فى نثر بير"
والواجي: من وجأ الوند: إذا ضربت رأسه ليرسب تحت الأرض. والتشجيع ضرب رأسه. والفهر: الحجر ملء الكف.

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى مدح بدر بن عمار (ديوانه ص ١٥٤) والتبيان (٣: ٢٤٧).

وله أيضا:

(كان على الجوانب منه ناراً وأيدى القوم أجنحة الفراش)^(١)

أى على جوانب هذا السيف نار. شبه لَمَعَه إذا هُزُّ بلسان النار، وشبه أيدى القوم فى تطايرها حَوَالى ناره بالفراش المتهافت فى النار. وقال: أجنحة الفراش، لأن تطايرها إنما يكون بالأجنحة. وقد كان يعنى من ذلك الكلام: (وأيدى القوم فراش). ولكن أبدع بقوله: (أجنحة الفراش) ولامعنى لرواية من روى (كأن على الجماجم) لقوله: «وأيدى القوم» وإنما كان يسوغ لو قال: وهن أجنحة الفراش يعنى الجماجم. فأما كون السيوف على الجماجم كالنار وتطاير الأيدى مع ذلك، فتشبيه بعيد.

(يُدْمَى بَعْضُ أَيْدِي الْخِيلِ بَعْضاً وَمَا بَعْجَايَةً أَثَرُ ارْتِهَاشِ)

العُجَايَةُ: عَصَبَةٌ^(٢) فوق الحافر. والارتهاش: أن تضطرب يد الفرس، فتنتعقر ذراعه، لأن ذلك الاضطراب يحدث عنه اصطكاك. فيقول: إنما دميت أيدى هذه الخيل بعجلة الهزيمة، والازدحام فى الهرب، لابتارتهاش كان أصابها. ولو وصفها بالارتهاش، كان ذلك عيباً لها، ولم يقتض مدحاً.

(لَقَوْهُ حَاسِرُراً فِى دِرْعٍ ضَرْبٍ دَقِيقِ النَّسْجِ مَلْتَهَبِ الْحَوَاشِي)^(٣)

أقام الضرب فى تحصينه له، مقام درع دقيقة النسج. ووصفها بالتهاب الحواشى، ذهاباً إلى حِدَّة ضربه.

(مِنْ الْمُتَمَرِّدَاتِ يُذَبُّ عَنْهَا بِرُمَحَى كُلِّ طَائِرَةِ الرُّشَاشِ)

أى قوسى هذه متمرده كالشيطان المريد، أذُبُّ عنها بالطنع المرش^(٤).

(١) من قصيدة للمتنبى فى مدح أبى العشائر الحمدانى (ديوانه ٢٤٢) والتبيان (٢: ٢٠٧) والرواية فيها «على الجماجم» ومعناه أن يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها والسيف يلمع كالنار عليها. ولم يرض ابن سيده رواية من روى الجماجم.

(٢) فى اللسان قال ابن سيده فى معتل اليا: العُجَايَةُ عَصَبٌ مركب فيه فصوص من عظام كأشكال فصوص الخاتم تكون عند رَسِّ الدايه... وقال ابن سيده: وقيل العُجَايَةُ كل عَصَبَةٍ فى يد أو رجل. وقيل هى عصبة باطن الوظيف من الفرس والشور والجمع عُجَى وعُجَى عَلَى حذف الزائد فيها وعجايها (عن ابن الأعرابى) (اللسان- عجا).

(٣) هذا البيت متقدم على قوله (كأن على الجوانب... البيت) فى الديوان والتبيان.

(٤) يقال: أرشت الطعنة: جأت بالرُشَاش وهو الدم.

ولو قال: يَذُبُّ عنها رمحى بكل طائفة الرشاش، لكان أليق؛ لأن الرمح فاعل
لطعنته. والطعنه منفعة له. فكانه عكس إدلالاً واتساعاً.

(عَلَيْكَ إِذَا هَزَلْتُ مَعَ اللَّيَالِي وَحَوْلِكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشٍ)

الهزل هنا: مثل^(١) لإدبار الدول، والسمن: مثل لإقبالها. يقول: إذا ساعدك
الزمان بإقبال عليك تهازشوا في طلب المنفعة حواليك.

وذكر الهراش تخصيصاً لهم، لأنه من فعل الكلاب. فإذا ألمت بك نوائبه فهم
عليك أعوانه. والعرب تكنى بعلَى على خلاف ماتكنى عنه بـ(مع) فمع واللام:
للموالاة. وعلى: للمخذلان والمعادة. قال تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ)^(٢) ومعنى هذا البيت متداول كثير. ومنه قول بعض المحدثين:

وكننت أخشى بإخاء الزمان فُلماً نبا صرت حرباً عواناً^(٣)

وتقدير البيت: عليك مع الليالي إذا هزلت، وحولك في هراش إذا سمنت.
أى أنهم هم كذلك.

- ٥٧ -

وله أيضاً:

(خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَّا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبِلَةٌ)^(٤)

الصرْم: الجماعة من الناس، أى أنه خال عندى وإن كان فيه أهل، لأنهم
غير أحبائى الذين عهدت بها، وهو موحش وإن كان فيه صرْم من الناس لعدم
أولئك الأحباء ويقويه بعد هذا:

(لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْغَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا لَخَلَّتْهَا تَفْلَةٌ)

(١) أى استعارة.

(٢) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٣) هذا البيت أحد أبيات ثلاثة بعث بها إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات يستعطفه.

وبعده فى عيون الأخبار (٨٤:٧)

وقد كنت أشكو إليك الزمان فأصبحت فيك أدم الزمانا

وكننت أعسك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

(٤) القصيدة فى مدح أبى العشار الحمدانى (ديوانه ٢٤٨) والبرقوى (١٨٧:٢) ومطلع القصيدة.

لاتحسبوا ريعكم ولا تظلمه أول حى فراقكم قتله

وترويح الإبل: ردها إلى المراح، وهى مأوى الإبل ونحوها.

وإنما تحسنُ الأمكنه في عيون المحبِّين باحتيازها المحبوبين. وقوله: (وفيه أهل): جملة في موضع الحال. وكذلك قوله: (وفيه صيرم) جملة في موضع الحال أيضاً، فإذا رَدَدْتُها إلى الأفراد، فكأنه قال: خلا عامراً، وأوحشنا أهلاً.

(يُنصِّرُهَا الْغَيْثُ وَهِيَ ظَامِئَةٌ إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطْلُهَا)
ينصرها: يُسْقِيها قال:

مَنْ كَانَ أَخْطَأَهُ الرِّيحُ فَإِنَّمَا نُصِرَ الْحِجَارُ بِغَيْثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

وإنما قيل في المكان المسقى: نصره الغيث لأن المكان في غالب الأمر إنما يُهَجَّرُ لَجَدْبِهِ. فذلك الهجر خَذْلٌ له. فإذا سَقَى أَغْشَبَ وَأَخْضَبَ فاستدعى مَنْ رَحَلَ عَنْهُ، فكأنه نُصِرَ بالمعاودة، كما خَذِلَ بالثَّرَك، ولذلك دُعِيَ للدار بالسُّقْيَا، لتخصِبَ فيعَاوِدَهَا من حلِّ بها، فَيَعُودَ عامراً ما كان منها غامراً.

يقول: الدار ظامئة إلى من رَحَلَ عنها، إلا إلى الغيث الذي ينصرها هذا وسحبها هَطْلًا، ليكون ذلك أبلغ في استغراب الظمِّ وما أشبه هذا بقوله:

. إذا أُرِدَتْ كُغْمِيَتُ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَحْبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودًا^(١)

قوله: (وهي ظامئة): جملة في موضع الحال. وكذلك (وسحبها هَطْلًا) والسُّحْبُ: جمع سَحَابٍ لاجمع سحابة لأن (فَعَالَةً) لَا تَكْسُرُ عَلَى فَعْلٍ. إنما جمع سحابة: سحائب.

(وَاحْرِبَا مِنْكَ يَاجِدَايَتَهَا مُقِيمَةً فَاغْلَمَى وَمُرْتَجِلَةً)

الْجِدَايَةُ: الظبية. أى: واحربا منك ياظبية هذه الدار. أقمتِ أو ارتحلتِ، لأنك إن رحلتِ عَدَمْتُكَ، ولا خفاء بحال من عَدِمَ حبيبِهِ. وإن أقمتِ مُنِعْتِ مَنَى وَقُصِرْتَ عَنْى. فَمَقَامُكَ وَارْتِحَالُكَ سِوَاءً، كلاهما عَائِدٌ عَلَى الْبَحْرَبِ، وهو الْهَلْكَ. ومثله قول الآخر:

(وَالْقَرِيبُ الْمَمْنُوعُ مِنْكَ بَعِيدٌ).

وقوله: (منك): أى من حَبِّكَ ومن أَجْلِكَ. واستعمل (وَا) هنا دون (يَا). لأنه أشهر أعلام^(٢) التَّفْجُعِ وَالنَّدْبَةِ.

(١) من قصيدة له في هجاء كافور. مطلعها «عيد بأية حال عدت يا عبيد».

(٢) أعلام: علامات. والنديبة عند النحويين أدواتها (وا) في الأكثر الأعم. و(يا).

(وَيَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ أَوَّلُ مُحْمُولٍ سَيِّبِهِ الْحَمَلَةَ)

جعلهم محمولين حاملين لأنهم إذا حملوا إلى المعطين البدر والثياب كانوا في جملة الهبات فكانهم حملوا أنفسهم مع حملهم الهبات. وقوله: (أول محمول سيبه) قدمهم في السيب لأنهم أشرف أنواعه. وقال: (بيض غلمان) يعنى: الصقلب والروم لأنهم أئمن من الزنج والثوب وأحسن في الأعين وهذا البيت كقوله:

كَانَ عَطِيَاَتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرُ فِيهَا الْعَبْدِيُّ وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ^(١)

(وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لَا يُقْتَرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلُهُ)

أى أنه يركب الهول دائماً، لا يُقْتَرُهُ ولا يُرْحَهُ، فلو تجسم الهول، فكان مركوباً يُشَدُّ عليه الحزام، لَهَزَلْ ذلك المَحْزَمُ، بدوام الركوب وملازمته، وخصَّ المَحْزَمُ دون طوائف الجسم، لأنه موضع الركوب والهَمْزُ.

(قَدْ هَذَبْتُ قَهْمَهُ الْفَقَاهَةَ لِي وَهَذَبْتُ شِعْرِي الْفَصَاحَةَ لَهُ)

الفقاهة : الفَهْمُ. تقول العرب: ماله فقاها ولا فصاحه.

يقول: فقاهته في الشعر قد هذبت فهمه لى، باستحسانه ما أنقح من شعري فيه، حتى ما يستحسن غيره من الشعر المتعسف المَحْشُوبِ^(٢). وهذبت فصاحته شعري له، أى لما علمت أنه فصيح، نَقَّيْتُ ألفاظ شعري واستجديتها، فكانت فصاحته هى التى هذبت شعري.

(فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرُهُ أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِي فَعَلَهُ)^(٣)

أى أعظموا فعل أبى العشائر، وَأَصْغَرُهُ هُوَ، أى استصغَّره، لأنه صغير بالإضافة إليه، كما هو عظيم بالإضافة إليهم. ثم قطع فقال: «أكبر من فعله الذى فعله»: أى الفاعل أكبر من الفعل المنفصل عنه.

(١) من قصيدة فى مدح على بن الحسين الهزاني ومطلعا:

(لقد حازنى وجد بمن حازه بعد)

(٢) فى أساس البلاغة: خشبت الشعر واختشبت: قلته كما جاء غير متأنق فيه.... وشعر خشيب ومَحْشُوب.... وكان الفرزدق ينقح الشعر، وكان جرير يخشب وكان خَشْبٌ جرير خيراً من تنقيح الفرزدق.

(٣) هذا البيت متقدم فى عدة أبيات فى الديوان على سابقه.

(فصرتُ كالسيفِ حامداً يَدُهُ مَايَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ)

أى أجاد الفهم عني، كما أجاد الضرب بالسيف، فأنا كسيفه فى أنى أحمد فهمه، كما يحمد السيف يده. إلا أن السيف يَحمد منه جسمانياً وهو يده وأنا أحمد منه نفسانياً وهو فهمه.

(مايحمد السيف كل من حملة): أى ليس كل حامل له يجيد الضرب به، فيكون حامداً لكل من حملة. وكذلك أنا، ليس كل أحد يفهم شعري، فأحمدهم كما حمِدَ هذا الممدوح.

- ٥٨ -

وله ايضاً:

(أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ

وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ)^(١)

إن شئت قلت: طال على الليل فلاصبح، وأسهرنى الحزن فلا رقاد، وكل ذلك بمغيب من أحببت. فيقول: أعيدوا الكواعب إلى، فإذا كان ذلك قَصْرَ ليلي، وجاء الصباح. ورددوا الحبايب إلى، فإن رُقَادِي عندهن، فإذا عُدْنَ عاودنى نومي.

وإن شئت قلت: غاب عنه الصباح بمغيب الكواعب، لأن الدنيا تُظلم على المحزون، فإذا أراد أن يُردَّ ذلك عليه، استدعى أن يُردَّ إليه الرقاد. لأنه قد كان يرى الخيال فيه وفى الخيال أُنس، فلما عدم الرقاد، عدم الخيال الذى كان بآنس به.

وقوله: (فهو لحظ الحبايب) أى أن سبب رُقَادِي نظرى إليهن، فإذا لم ألحظهن سهرتُ غَرَضاً^(٢) إليهن.

(أَرَاكَ ظَنَنْتِ السَّلَكُ جِسْمِي فَعُقَّتِيهِ عَلَيْكَ بِدُرٌّ عَنْ لِقَاءِ الثَّرَائِبِ)

(١) مطلع قصيدة له فى مدح أبى القاسم طاهر بن الحسين العلوى (ديوانه بيروت ص ٢٢٥) والبيان (١٤٧:٢).

(٢) الغرض (بالتحريك) مصدر غرض إلى جانبته: إذا اشتد شوقه إلى لقائهن..

السلك: الخيط. يقول: عهدت جسمي ناحلاً: فلما رأيت السلك حسبته إياه؛
ومن عادتك البخل بالعناق. فَحَجَزْتَ بَيْنَ السَّلَكِ وَبَيْنَ تَرَاتِكِ بِنِظَامِ الدَّرِّ عَلَيْهِ،
جرياً على ما اعتدتيه من البخل.

وقوله: (عليك): ظرف في موضع الحال.

(إليك فإنني لست ممن إذا انقضى

عِضَاضُ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَابِ)

ضُرَّ العَقْرَبِ، أسهل من ضُرَّ الْأَفَاعِي، فهو يزجر عاذلته على اقتحام
المهالك، والاهتجام على صعاب المسالك، فيقول لها: إِيْلِكَ؛ فَإِنِّي لَا أَصْبِرُ عَلَى
الصَّغِيرِ مِنَ الْأَذَى، فَرَقًّا مِنَ الْعَظِيمِ؛ وَإِنْ كَانَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ؛ كَمَا أَنَّ سَمَّ
العقارب أخفُّ من سَمِّ الْأَفَاعِي؛ وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ:

* إِنْ الْمَنِيَّةُ عِنْدَ الذَّلِّ قَنَدِيدٌ *^(١)

(إِنَّا نَسِي وَعِيدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ

أَعَدُّوا لِي السُّودَانَ فِي كُفْرِ عَاقِبِ)

(كُفِّرَ عَاقِبِ): موضع بالشام، وأرصد له فيه قوم يريدون إهلاكه.
(والأدعياء): ناس ادَّعَوْا إِلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلام.

(وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدَى قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ)

أَيُّ لَوْ صَدَقُوا^(٢) هَؤُلَاءِ الْأَدْعِيَاءَ الْمُوعِدُونَ لِي، فِي ادَّعَائِهِمْ قُرْبَى عَلَى عَلَيْهِ
السَّلام، لَحَذَرْتُهُمْ لِشَرِّهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ، فَهَلْ فِي وَحْدَى يَكُونُ قَوْلُهُمْ
صَادِقًا، كَمَا يَكُونُونَ فِي نَسَبِهِمْ، كَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي تَوَعُّدِهِمْ إِيَّايَ.

(بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجُرْ نَوَائِبِي وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْ رِكَائِبِي)

أَمَا جَرُّهُ نَوَائِبِهِ: فَكُنَايَةٌ عَنِ الْغَزْلِ وَالْتَفَتِي، كَقَوْلِ الْآخَرِ:

(١) عجز بيت للمتنبى وصدره «وعندها لذ طعم الموت شارب».

(٢) (صدقوا هؤلاء): الواو (فاعل) وهؤلاء بدل منه. أو هؤلاء هو الفاعل والواو علامة على أن الفاعل جمع مذكر. وهذه لغة بني العارث بن كعب وجماعة من العرب، وهي شائعة حتى اليوم في بلاد المغرب.

أَيَّامَ اسْحَبْ لَمْتُى غَفَرُ الْمَلَأْ وَأَغْضُ كُلُّ مُرْجُلٍ رِيَانٍ^(١) .

وأما وطه ركانبه المكان، فكناية عن الغزو^(٢)، يقول: كلُّ مكان قد شاهدت
إما طالبَ غَزَلٍ، أو غَارِيَّ أَمَلٍ.

(كَانَ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ)

فَأَثَبَتْ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ)

أى إن مواهب هذا الممدوح مُشْرِقَةٌ وَمُغَرَّبَةٌ. فكان رحيلي كان من كَفِّه،
وهى مكانُ العطايا، فَأَثَبَتْ كُورِي فى ظهورِ مَوَاهِبِهِ فهى تُشْرِقُ بى وتُغَرِّبُ. ووجه
اتصال هذا البيت بالذى قبله، أنى لم أَدْعِ موضعاً إلا أتيتُه، كما أن مواهب
طاهر لم تدع موضعاً إلا أَتَتْهُ. وإنما صح لى ذلك بإثباته رحلى على ظهور
مواهبه السيارة.

وجعل للمواهب ظهوراً، لذكره الكُور الذى موضعه الظُّهْر. وهذا مجاز. إذ
لاظهر لمواهبه ولايطن.

(فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَسِرْنَ فِئَاءَهُ وَهُنَّ لَهُ شَرِبٌ وَزُودُ الْمَشَارِبِ)

يُحَقِّقُ تَشْرِيقُ مَوَاهِبُهُ وَتَغَرِّيُّهَا، وَأَخَذَهَا مِنَ الدُّنْيَا فى كُلِّ أَفْقٍ وَقَطْرٍ.
فيقول: لم يبقَ خَلْقٌ إلا وقد وردت هبات طاهر فناءه؛ إما قادماً بها من لدنه، وإما
محمولة إليه. والخلق هنا: بمعنى المخلوق، إذ لا معنى للمصدر فى هذا
الموضع.

(وَهُنَّ لَهُ شَرِبٌ وَزُودُ الْمَشَارِبِ): أى وهى وإن كانت مشارب للآملين، فإنها
تطلب الآملين الزُّوَارُ؛ مع طلبهم إياها طلب العطاش للمشارب. وقوله:

(وَهُنَّ لَهُ شَرِبٌ): يتعجب من أنها لهم شرب، وهى تطلبهم طلبَ الظَّمآنِ
للماء. وهذا نحو قول أبى تمام:

(١) أنشد البيت صاحب اللسان (مادة غضض) بهذه الرواية غير منسوب لقائله ثم قال: قيل يعنى به الشعر
فالمرجل على هذا الممضوط، والريان: المرتوى بالدهن وأنشده فى (مادة-رجل) برواية (أيام ألحف مثزوى
عفر الشرى) ثم قال: أراد بالمرجل الزق الملآن من الخمر وغضه: شربه. ابن الأعرابي: قال المفضل: يصف
شعره وحسنه. وقوله أغض: أى انقص منه بالمقراض ليستوى شعره. والمرجل الشعر المسرح.

(٢) فى التبيان (١: ٤٩-٥٠) قال ابن فورية: ليس فى البيت مايدل على أنه وطئه غازيا، فكيف قصره
على الغزو، ووجوه السفر كثيرة.

فاضنحت عطاياه نوازع شروداً يسائلن في الأفاق عن كل سائل^(١)

إلا أن بيت أبي الطيب أغرب. وتلخيصه: فلم يبق خلق لم يرد فناءه وروود
المشارب، على أنهم شرب لذلك الخلق.

(فقد غيب الشهاد عن كل موطن ورد إلى أوطانه كل غائب)

أي دعا صيته في السخاء الناس حتى غابوا عن أوطانهم، مسافرين إليه.
ثم أغنى هؤلاء السفر^(٢): فردهم إلى أوطانهم، وكفاهم^(٣) عن السفر إلى غيره. بما
أفادهم إياه. قال بعض النقاد: وهذا كقول أبي نواس:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام^(٤)

وليس عندي مثله، لأن المتنبي قال: أغنى هذا الممدوح قصاده، وردهم إلى
أوطانهم، فكفاهم السفر. وأبو نواس قال: إذا بلغت المطي بنا هذا الأمير،
حرماً ظهورها على الرجال: أي لم تتركبها أبداً؛ ولا امتنهاها، جزاء لها على
تبلغها إيانا أملنا من لقائه. ولم يذكر عطاء؛ ولا كفاية سفر، ألا تراه يقول بعد
هذا: مبينا لعة تحريم ظهورها علي الرجال:

قر بننا من خير من وطئ الحصى فلها علينا حرمة وزمام

(أناس إذا لاقوا عدى فكانم سلاح الذي لا قوا غبار السلاهب)

السلاهب: الطوال من الخيل وغيرها، وإن شئت قلت: سلاح أعاديهم
بمنزلة غبار الخيل في أنه لا يعبأ به. وخص السلاهب، لأن الطوال أخف،
فغبارها أخف.

وإن شئت قلت: إن سلاح من لقيهم إنما هو إثارة الغبار بالهرب
والانتهزام، وجعل ذلك سلاحهم، لأنه هو الذي يقيهم، كما يقي السلاح غيرهم،
أي ذلك الذي يقوم لهم مقام السلاح.

وإن شئت قلت: كان السلاح هنا الدرع والجُنن^(٥) أي هي عليهم أوهى
نسجاً من الغبار تخرقها الرماح، كقوله في صفة الرماح:

(١) ديوان أبي تمام (بيروت، ٢٢) وشرح ديوان أبي تمام للدكتور محمد عبده عزام.

(٢) السفر (يسكون الفاء): المسافرين.

(٣) الفعل (كفى) يتعدى إلى المفعول بنفسه، ولكنه هنا قد ضمه معنى (أغناه) فعداه (بعض).

(٤) البيت والبيت الآتي بعده في ديوان أبي نواس (ط. الحميدية ص ٥٥) وهو من قصيدة بمدح بها محمداً
الأمين.

(٥) الجنن: جمع جنة (بضم الجيم) وهي كل ما يوقى به المحارب نفسه من عدوه من درع وتروس ومقفر
ونحوها.

قواض مواض نسج داودَ عندها إذا وقَّعت فيه كنسج الخدرنق^(١)
الخدرنق: العنكبوت؛ شبه الدروع في خرق الرماح لها، وسهولة ذلك منها
عليها، بيت العنكبوت.

(رَمَوْا بِئَوَاصِيهَا الْقَسِيَّ فَجَثَّتْهَا)

دَوَامِي الْهَوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ

أَي رَمَوْا هَذِهِ الْخَيْلَ بِالْقَسِيِّ، فَعَكْسٌ، (وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ)؛ فَجَاءَتْ دَوَامِي
الْهَوَادِي، وَهِيَ الْأَعْنَاقُ وَالْمَقَادِمُ، لِإِقْدَامِهَا. وَسَلِمَتْ جَوَانِبُهَا، لِأَنَّهَا لَمْ تَسْتَعْرِضْ
وَلَمْ تَسْتَدِيرْ. وَكُنَى بِالْجَوَانِبِ هُنَا عَنِ الْأَعْجَازِ وَالْأَعْطَافِ جَمِيعاً، وَهُمْ يَصِفُونَ
الْمُقَدِّمَ بِأَن جُرِّحَ فِي أَمَامِ جِسْمِهِ، وَالْمُدْبِرَ بِخِلَافِهِ، كَقَوْلِ الْقُطَامِيِّ:

لَيْسَتْ تَجْرُحُ فُرَّاراً ظَهْرَهُمْ وَفِي النُّحُورِ كُلُّوْمٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ^(٢)
وقوله: (دوامي الهوادي): أراد دَوَامِي، فَسَكَنَ اضْطِرَّاراً.

(يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَائِبِ فِي الْوَرَى)

فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِي الْكَوَائِبِ

أَثَرُ فِيهَا بِاعْتِلَانِهِ عَلَيْهَا. يَقُولُ: أَثَرُ هُوَ فِي الْكَوَائِبِ؛ وَهُوَ مِنَ الْوَرَى فَكَيْفَ
زَعَمُوا أَنَّ الْكَوَائِبَ تَوْثِرُ فِي الْوَرَى. يَذْهَبُ إِلَى تَكْذِيبِ الْمُنْجِمِينَ، فَيَقَعُ فِيمَا هُوَ
أَوْحَشُ وَأَفْحَشُ^(٣) مِنْ قَوْلِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ هَذَا الْمَدْدُوحَ أَثَرُ فِي النُّجُومِ بِفَضْلِهِ
عَلَيْهَا. وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ:

فَتَبًّا لِسَيْنِ غَبِيرِ النُّجُومِ وَمَنْ يَدْعَى أَنَّهَا تَعْقِلُ^(٤)

وَقَدْ عَرَفْتَكَ فَمَا بَالُهَا تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ

(يَرَى أَنْ مَاصَاً بَانَ مِنْكَ لَضَارِبٍ بِأَقْسَلِ مُمَا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ)

(١) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ. يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الرِّمَاحَ إِذَا وَقَعَتْ فِي دُرُوعِ الْأَبْطَالِ
خَرَقَتْهَا كَمَا تَخْرُقُ نَسِجَ الْعَنْكَبُوتِ (انظر التبيان ٣٠٤: ٢).

(٢) دِيْوَانُ الْقُطَامِيِّ ص ١٢٠. وَأَنْشَدَهُ فِي الْلسَانِ (بَلَد) شَاهِداً عَلَى أَنَّ الْأَبْلَادَ: جَمْعُ بَلَدٍ (بِالتَّحْرِيكِ) وَهُوَ أَثَرُ
الْجَرَحِ.

(٣) كَلِمَةُ (أَفْحَشَ) سَاقِطَةٌ مِنْ ت.

(٤) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا (أَيَنْفَعُ فِي الْخِيْمَةِ الْعَذْلُ) (دِيْوَانُهُ ٣٠٦) وَالتَّبْيَانُ (٣٠٦: ٣).

أى يرى أنه ليس الذى بان منك لضارب، بأقتل ممّا بان منك لعائب.

أى العيب أقتل من الضرب . ففى (أن) مُضمَر على شريطة التفسير^(١)، وما الأولى نفى، والثانية بمعنى الذى والجملة بكليتها تفسير المضمَر على شريطة التفسير.

(حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً

سَقَاهَا الْحِجَا سَقَى الرِّيَاضَ السُّحَابِ)

الحديقة : الروضة : شَبَّهَ القصيدَة بها فى حسنّها، إلّا أن الذى قام لها مقام السحاب للحديقة، إنّما هو عقلى، بأنّه سقاها بفكره وتأمّله، سَقَى السحاب الرِّياض، كقول أبى تمام فى صفة الشُّعْر:

ولكنّه صوبُ العُقُولِ إذا انْجَلَتْ

سَحَابُ مِنْهُ أُعْقِبْتُ بِسَحَابِ^(٢)

وأراد سَقَى السحاب الرِّياضَ ففصل بين المضافين اضطراراً

- ٥٩ -

وله أيضا :

(كَتَمْتُ حَبْكَ حَتَّى عَنكَ تَكْرَمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فَيْكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي^(٣))

أى كَتَمْتُ حَبِّي عن الأناج، حَتَّى عَنكَ، وإنّما كان كتمانهُ تَكْرَمَةً لك، ثم غلبنى ذلك فاستوى سِرِّي وجَهْرِي، أى أظهرت منه مثل ما كنت أخفى.

(كَانَهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جِسْمِي فَصَارَ سَقْمِي بِهِ فَي جِسْمِي كِتْمَانِي)

أى كَانَ الحب زاد حَتَّى سَقِمْتُ، ففاضَ بَعْضُ سَقْمِي إلى جِسْم كِتْمَانِي، فمرض الكتمان، وبَطَل^(٤)، فظهرَ الحُب . وهذا اعتذار منه إلى محبوبه فى إعلانهِ

(١) ويسميه النحويون ضمير الشأن أو ضمير القصة، وتفسيره القصة التى بعد (أن).

(٢) من قصيدة أبى تمام التى مطلعها «على مثلها من أربع وملاعب».

(٣) انظر ديوان المتنبي (بيروت ٢٦) والتبيان (١٩٢: ٤)

(٤) يقال: بطل بطلا وبطولا وبطلانا: ذهب ضياعا وخسرا (القاموس).

بحبه. أى إنما كان ذلك لهذا . واستعار للكتمان جسماً، وإن كان عَرَضاً، لأنه ذكر السُّقْمَ ، والسُّقْمَ عَرَضٌ، والغَرَضُ لابد له من محل.

وان شئت قلت : الهاء فى كانه راجعة إلى الكتمان وإن لم يَجْرُ له ذكر، كقوله: من كَذَبَ كان شراً، أى كان الكذب^(١) شراً له. حكاة سيبويه. ومثله كثير فى التنزيل وغيره. فيكون المعنى على هذا، كان الكتمان فاض عن جسدى فتَغَشَّى الجسم^(٢)؛ واستتر السقم الحال فيه باستتار جسمى، لأنه إذا استتر الجوهر الحال فيه العَرَضُ، استتر^(٣) العَرَضُ فى أغلب الأمر . ولما قال إن الكتمان مشتمل على الجسم كاشتغال الثوب، استجاز أن يجعل الكتمان جسماً مؤلفاً، وقد خفى جسمه وظهر ما فاض عليه من الكتمان، فكان السُّقْمُ فى جسم الكتمان.

- ٦٠ -

وله ايضا:

(وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنْنَا سَنُطِيعُهُ لَمَّا عَلِمْنَا أَنْنَا لَا نَخْلُدُ)^(٤)

أى علمنا أننا فى طاعة الفراق^(٥) والانقيادله، لتيقننا الموت، الذى هو أشد أنواع الفراق، لأنه اضطرارى الوجود، وغيره من أنواع الفراق ممكن لا واجب ، وكأنه قال : نحن متيقنون لو وقوعه، لعلمنا أننا نموت . وذكر الطاعة، لأن الامتناع من الموت ممتنع.

ومن ظريف هذا البيت : إيجابه إطاعة الجنس، وجعله علة ذلك إطاعة النوع الضرورى، لأن النوع قابل لاسم الجنس. وهذا منه تفلسف منطقى بديع.

- ٦١ -

وله ايضا :

(أَعْلَى قَنَاقَ الْحَسِينِ أَوْسَطُهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمَى رَجُلَاهُ)^(٦)

(١) يريد أن اسم كان ضمير راجع إلى المصدر (الكذب) المفهوم من الكلام، ولم يصرح به، ومثله قوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) فإن الضمير (هو) راجع إلى العدل المفهوم من السياق.

(٢) تغشى الجسم: علاه وستره.

(٣) استتر: ساقطه من ت.

(٤) من مقطوعه أربعة أبيات (ديوانه ٢٠١) والتبيان (١: ٣٨٤).

(٥) الفراق: مصدر وهو اسم جنس تحته أنواع منها فراق الموت وهو أمر طبيعى حتم لامفر منه فكذاك الفراق فى الدنيا ينبغى أن نطبعه ونتقبله قياساً على الموت لأن كلا منها نوع تحت جنس واحد.

(٦) القصيدة فى أبى العشائر الحمدانى (ديوانه ص ٢٥٢) والتبيان ٤: ٢٦٣ ومطلعها:

الناس مالم يروك أشياء والدهر لفظ وأنت معناه

(فيه): أى فى المأزق. ومعناه: أنه لما طعن بها الفارس حُثَّتْ، وتَقَوَّست. أحد طرفيها فى المطعن^(١) والآخر فى يد الطاعن، فيعتمد عليه، فصار أوسطها أعلى أنبوب فيها. (وأعلى الكمى رجلاه) أى يطعن الفارس فيخر مكبوا^(٢): أعلاه رجلاه وأسفله رأسه.

(تُشِيدُ أَتَوَابُنَا مَدَائِحَ بِأَلْسُنِ مَالِهِنَ أَفْوَاهِ)

أى تدل من رآها أنا قد مدحناء، فأخذنا مدحه^(٣)، فتخبر عن جودة المدح بوجودتها، إذ لا يكافىء الممدوح الناقد بالجيد إلا على الجيد. وقيل: عنى أنها جُدد، فهي تُقَعِّع^(٤) وهذا لا يلتف إليه.

(إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ)

(بها): أى بالحلل. يقول: إذا رأى الأصم علينا هذه الحلل التى كساناها أبو العشائر، علم أننا داعون له من أجلها، وشاكرون عليها، لما يرى من بهايتها وستائها وإن لم يسمع شكرنا إياه، ولا دعاينا له. فعيانه موثوق به، بل هو أشد إعراباً عن ذلك من اللسان. لأن اللسان ربما حذف إما اختصاراً وإما لكثرة^(٥). ونحو هذا البيت قوله هو:

خَلَقْتُ صِفَاتُكَ فِي الْعَيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَمَالُ مِسْمَعِي مِنْ ابْصِرَا^(٦).

ونظير البيت الأول قول الأسود، وهو نُصِيب:

فَعَا جُوا فَأَتَتْهُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلَهُ وَلَوْ سَكَّوْا أَتْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٧).

(١) أى فى مكان الطعن.

(٢) (مكبوا) هكذا فى الأصل. والفعل (كبا) فعل لازم: كَبَا يَكْبُو كَبْوًا وَكَبُورًا: انكب على وجهه ويكون ذلك لكل ذى روح (عن ابن سيده فى اللسان) ولعله ضمن الفعل (كبا) معنى الفعل (نكس) أو الفعل (قَلَب) وهما متعديان ثم اشتق منه (مكبوا) أى منكساً أو مقلوباً.

(٣) كذا فى الخطيتين. ولعله قد سقط من العبارة شئ أى فأخذنا جزء مدحه أو نوال مدحه حللاً، فهى تخبر عن جودة المديح بوجودتها.

(٤) أى يسمع لها صوت عند احتكاكها ببعضها ببعض.

(٥) اللكنة: عجمة فى اللسان وعي^١ (اللسان لكن).

(٦) البيت من قصيدة له فى مدح أبى الفضل بن العميد ومطلعها «باد هواك صيرت أم لم تصبرا»

وانظر ديوانه ص (٥٢٢).

(٧) البيت لنصيب فى ترجمته فى الأغاني (حـ: ٤٠: ٤٠).

وقال قوم لم يَكُنْ يا أبا العشائر، فقال:

(قالوا ألم تَكُنْهُ فَقُلْتُ لَهُمْ ذَلِكَ عِى إِذَا وَصَفُوه)

قالوا (ألم تكنه): يُخْرِجُ ظاهره على أنه قد كُنَّاه، لأنك إذا قلت مُكْرَأً: ألم تقم؟ فمعناه: قد فعلت القيام. وإذا قلت أَقُمْتُ، لم يكن فيه إثبات أنه قام، وإنما هو إنكار أمر القيام. والمتنبى لم يَكُنْ أبا العشائر فى القطعة التى قبل هذه. وإنما قال له هؤلاء المطالبون المتتبعون لِرَئْسه: (ألم تَكُنْهُ^(١))؟ وهم مستفهمون لامنكرين، فلم يشعر هو لمكرهم، فاعترف لهم، فقال: لا. ثم أعلم ماحأوله هؤلاء الحاسدون منه، فقال هذا الشعر معتذراً وحكى ماواجهوه من لفظ الاستفهام.

(لا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لُبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ)

أى إن صفاته مغنية عن تسميته وتكنيته، لأنه منفرد بها لا يَشْرُكُ (فيها) إذ هى صفات لا يُحَلَّى بها غيره. فصارت كالاسم، بل هى أشد اختصاصاً له من الاسم والكنية، لأن حُسَيْناً وأبا العشائر كثير. والصفات التى لأبى العشائر هذا، لا تَلْحَقُ إلا بإياه. فصارت لذاته كالحد للنوع المحدود. ولذلك سُمِّى تكتيته مع وصفه بإياه عيًّا.

- ٦٢ -

وله أيضاً :

(كَيْفَ تَرْتِىِ التى تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي)^(٢)

أى لا يسعها الرثاء للباكين، لأنه ليس يبكى من هجرها^(٣) واحد، بل كل واحد. وإنما كانت ترثى لو انفرد بك بالبكاء، فأما جميع الباكين من هجرها، فلا يسعهم رثايتها^(٤) لهم. وإن شئت قلت: إن كل جفن رآها بكى من هجرها إلا جَفْنُها وحدها، فإنه لا يبكى، لأنها لا تهجره. ويقوى ذلك قوله بعد هذا:

(١) فى التبيان (٢٦٦:٢) وقال قوم لأبى العشائر: ما كُنَّاك وأنت تعرف بكيتك. فكانهم حاولوا إفساد ما بينهما.

(٢) من قصيدة فى مدح أبى العشائر الحسين بن على بن حمدان. مطلعها:
أترأها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقه فى المآقى

(ديوانه ص ٢٣٦) والتبيان (٣٦٢:٢).

(٣) فى - م: لهجرها.

(٤) رثايتها: مصدر رثت المرأة بعلها ترثية وترثوة (اللسان - رثى) ومعنى ترثى هنا: ترثم.

(أَنْتِ مِنْهُ فَتَنْتِ نَفْسَكَ لَكُنْ لَكَ عُوفِيَتْ مِنْ ضَنْيٍ وَاشْتِيَاقٍ)

فهى لا ترثى لذلك من غيرها؛ لأنها مُعفاة منه. وتقدير البيت: كيف ترثى التى ترى كل جفن رآها غير راق إلا جَفَنَها (فغير جَفَنَها) استثناء (وغير راق) حال. وإذا رَدَدْتَ غير راق إلى الاسم المحصل فكأنك قلت: كيف ترثى التى ترى كل جفن رآها باكياً، لأن (غير راق) معناه: باك. كما أنك إذا قلت: زيد غير عالم. فغير عالم كقولك: جاهل وأراد: راقنا، فأبدل إبدالاً صحيحاً، للوصول^(١).

(لَوْ عَدَا عَنْكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بَعْدُ لَأَرَاكَ الرَّسِيمَ مَسْحُجَ الْمَنَاقِي)

عدا: صرف. وأراد: آذاب. والرسيم: ضرب من السير. والمناقى: الإبل السَّمان. أى لو كان المانعُ عنك بعداً لا هَجْراً، لَسَرَّنا ذأباً حتى تُهْزَلَ إبلنا، فيذوب مُحْها، فاكتفى بذكر المُسبَّب عن ذكر السبب.

ومثله قوله:

أَبْعَدُ نَائِي الْمَلِيحَةِ الْبَخْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تَكْلُفُ الْإِبِلُ^(٢)

(وَلَسَرَّنا وَلَوْهَ وَصَلْنَا عَلَيْهِهَا مَثَلِ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ)

الأرماق: البقايا. أى سرفاً إليك على هذه الإبل التى كانت تعود أرماقاً ونحن كالأنفاس عليها خِفَةً، لما لحَقْنَا من النُّحول: كقوله:

بَرَّتْنِي السُّرَى بَرَى الْمُدَى فَرَدَدْنِي

أَخَفَّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرَمِي^(٣)

(فمَثَلِ أَنْفَاسِنَا): حال من الضمير الذى وصلنا (وعلى الأرماق) ظرف متعلق بأنفاسنا.

(١) الرّوصل فى اصطلاح أصحاب القوافى: الحرف الذى بعد حرف الرّوى، وقد يكون أحد حروف أربعة وهى الألف والراء والياء والهاء (انظر تاج العروس - وصل)

(٢) انظر شرح البيت فى المقطوعة ٣٧.

(٣) انظر ديوانه ص ٦٦ والتبيان (٤: ٥١) وفيه: برانى فى موضع (برتنى).

وإن شئت قلت : ولو وصلنا على هذه الإبل فقد استكرهت حملنا فضعفت عنه لما لحقتها من المشى، كما استكرهت أرماقنا حمل أنفاسنا لذلك.

(كَاثَرْتُ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لِي بِمَا نَوَّكْتُ مِنَ الْإِيرَاقِ)

الإيراق: التجنّب والمنع. يقول : كاثرت عطاء الأمير بمنعها. يصفها بكثرة ذلك منها. فكانه قال : عارضت جودةً يبيخلها، ليكون أبعث على حبها،

كقول العرب: (تَمَنَعِي أَشْهَى لَكَ)^(١). وقد يكون أنه وصفها بالعفة، كما وصف الأمير بالكرم: أى أن عفتها فى نوع العفة، ككرم الأمير فى نوع الكرم.

(يَابْنَى الْحَارِثُ بْنُ لَقْمَانَ لَا تَعْدَمُ كُمْ فِى الْوَعَى مَثَوْنُ الْعِتَاقِ)

فى الوعى اختصاص حسن. يصفهم بالشجاعة إذ لا يُدْمَنُونَ ركوب الخيل أبدا لإراضتها وسياستها.

(طَاعَنُ الطُّعْنَةِ الَّتِي تُطْعَنُ أَلْفِي لَقَى بِالذُّعْرِ وَالِدُمُ الْمُهِرَاقِ)

الفيلق^(٢): الكتيبة. والذُّعْر: الفرع. أى أنها طعنة تملأ صدور الكتيبة كلها دُعراً، وإن لم تكن تقع الطعنة إلا بواحد. فكانه بذلك قد طعن الفيلق كله، فيفرون.

(هُمُّهُ فِى ذَوَى الْأَسِنَّةِ لَا فِيدَ هَا وَاطْرَافُهَا لَهُ كَالنُّطَاقِ)

أى حَفَّتْ به الأسنة، حتى صارت له كالنُّطَاقِ، فَهُمُّهُ حينئذ فى قتل ذوى الأسنة: وأسْرهم لا فى دفع ما أحقق به من الأسنة لهوانها عليه، وحقارتها لديه.

وقوله: (واطرافها له كالنطاق): جملة فى موضع الحال، يستغرب ذلك، وهذه حاله. وشبهه بعض النقاد بقول أبى تمام:

إِن الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هُمُّهَا يَوْمَ الْكُرِيهَةِ فِى الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ^(٣)

(١) لم نهند إلى هذا فى كتب الأمثال.

(٢) فى اللسان (فلق): كتيبة قِيلَق: شديد شبهت بالداهية. وفى التهذيب: الفيلق: الجيش العظيم. وفى أساس البلاغة: رماهم بفيلق شهباء وهى الكتيبة المنكرة.

(٣) انتظر قصيدته التى مطلعها والسيف أصدق أبناء من الكتب..

وليس مثله، لأن أبا تمام نفى عن الممدوح حُب السَّلْب وأبو الطيب ذكر أن أبا العشائر لا يعبأ بالأسنة المَحْدَقَة به لشجاعته، ولم يذكر حُب سَلْب ولا ضِدَّه، وقال (وأطرافها) ولم يقل (وهي) ، لأن الأسنة لم تخالط لحمه بَعْدُ، وإنما هي على ظاهر جسمه، فأطرافها هي المَحْدَقَة به لا جُمْلَتِها.

(جَاعِلٌ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إِنَّ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقٍ)

أى يجعل درعه منيته التي تقيه العار، إذا لم يجد غير الموت واقياً. وكان أظهر من ذلك - لو أثّر له - أن يقول : جاعلُ منيته دِرْعَهُ.

(وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ)

يُسَفِّهُ رأى من شحَّ وجِبْن. فيقول: لا معنى للأسى قبل فرقة الروح، لأنه فى حد الوجود، فإذا حل به العدمُ وأزال الوجود فلا أسى هناك؛ فمن الحكم^(١) ألا يكون أسى. وقيل: الأسى لا يكون بعد الفراق، وإنما هو قبل الفرقة، فعلى هذا يكون صدر البيت تسفيهاً لرأى المشفق على الذات، وعجزه اعتذار له،

(لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسٍ فَعَلَكَ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ)

جعل لفعله شمساً: استعارة لحسن أفعاله وإنارتها. فيقول: ليس ثنائى عليك فى نوع الثناء مثلَ فعلك فى نوع الفعل ، ولكن فعلك شمس وثنائى، إشراقها ، أى إن ثنائى يَنْشُرُ فعلاً وَيُبَيِّنُهُ^(٢) كما يظهر الإشراقُ جوهرَ الشمس. وكفى عن فعله بالشمس، وعن ثنائه بالإشراق، لأن الشمس أشرف من الإشراق؛ من حيث كانت جوهرأ والإشراقُ عَرَضُ فيها.

- ٦٣ -

(وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُودِ)^(٣)

غير أعدائه: الحِمَام الطَّبِيعِى . فيقول: لو لم أخف عليه الموت إلا من قبل أعدائه لتيقنت^(٤) أنه خال: لقصور عداؤه عنه . وهو نحو قول جرير:

(١) من الحكم: أى من الحكمة.

(٢) فى ت: ويثبته.

(٣) من قصيدة قاها المتننى وقد وشى به إلى السلطان فضيق عليه وجسه فكتب اليه من الحبس (أيا خدّ الله ورد الخدود) (انظر ديوانه ص ٥٣) والتبيان (١: ٣٤١).

(٤) فى م: لتيقنا.

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا أبشر بطول سلامة يامرئع^(١)

إلا أن قول أبي الطيب أبلغ، لأن جريراً بثّر مريعا بطول السلامة، ولم يفصح بالخلود. وأبو الطيب أراد أن يبشره بالخلود.

- ٦٤ -

وله أيضا:

(قَطَعْتَ ذِيَاكَ الْخُمَارَ بِسُكَّرٍ وَأَذْنَتْ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُثُوساً)^(٢)

الخُمَار: أخف من السكر. فيقول: كنت أشكو هجرَكَ مع القرب، فأتبعني بَيْنُكَ، وهو أشد من الهجر الذي كان مع دُؤُو الدار، وقرب المزار. وكثيراً ما يستعمل هذا النحو، أعنى أنه يستصغر العظام، بإضافتها إلى ما هو أعظم منها، كقوله:

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أُسْتَعْظِمُ النَّعْوى

فقد صارت الصغرى التى كانت العظمى^(٣)

وكقوله:

ولم يُسْمِعْهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَإِنَّمَا أَجَلٌ مِنَ السَّقَمِ الَّذِى أَذْهَبَ السَّقَمَ^(٤)

(وَبِهَ يُضَنُّ عَلَى الْبَرِيَةِ لَا بِهَا وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهِ يُوسَى)

أى يُضَنُّ عَلَى الْبَرِيَةِ أَنْ يُعَدَّ مِنْهَا وَإِنْ كَانَ مِنْ نَوْعِهَا، لَأنه أشرف منها جوهرأً وفعلاً. فكأنه إنما يُعَدُّ فى نوع آخر غير نوع الإنسان، ولا يُنْفَسُ^(٥) بالبرية عليه، لأن خطره أنفس من خطرهما، فتقديره: لَا بِهَا عَلَيْهِ. فحذف (عليه) للعلم بها، وكذلك يُحَرَّنْ عليه منها: أى يُحَرَّنْ عَلَى أَنْ يُعَدَّ مِنْهَا، فَيُبَخَسْ حقه، وَلَا يُحَرَّنْ عَلَيْهَا مِنْ كونه معدوداً فيها بالنوعية لأنها دونه فى القدر والخطر.

(١) ديوان جرير (ط الصاوى ص ٣٤٨).

(٢) ديوانه (ص ٥٨) والبيان (١٩٣: ٢).

(٣) من قصيدته فى رثاء جدته (البيان ١٠٣: ٤).

(٤) هذا البيت وسابقه من قصيدة واحدة وبينهما أبيات.

(٥) يُنْفَسُ: أى يُضَنُّ (مبنية للمجهول).

وإن شئت قلت: إنه إنما يُحْزَنُ عليه من بينهم إذا هلك، لا عليها إذا هلكت،
لعجز غنائها عن غنائها .

فَمِنْ عَلَى القول الأول للغة أى مِنْ أَجلها، وعلى القول الثانى بمعنى من
بَيْنَها .

وأراد : (يُؤسَى)؛ فأبدل إبداءاً صحيحاً للرَدْف^(١)، فى قول أبى الحسن^(٢).
وهو تخفيف قياسي فى قول أبى عثمان^(٣)؛ لأنه يرى الرَدْف بالتخفيف القياسى
معاملة للفظ.

- ٦٥ -

وله أيضاً:

(مَرَّتْكَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةَ الْخَمْرِ

فَهُتَّتْهَا مِنْ شَارِبِ مُسْكِرِ السُّكْرِ)^(٤)

أى أنت سكران صاحباً^(٥) بأريحية خَلَّتْكَ؛ فإذا شربت الخمر أسكرتها
بفضل سكر أريحيته. وقال مُسْكِرِ السكر ولم يقل مُسْكِرِ الخمر لأن إسكاره
السكر أبلغ من إسكاره الخمر. وهو أذهب فى الشعر وأغرب؛ لأن العَرَض
لا يَحْمَلُ عَرَضاً؛ ففقهه. وقال مَرَّتْكَ؛ وإنما هو مَرَاتِكَ^(٦)؛ فأبدل إبداءاً صحيحاً،
كقوله: (فَارْعَى فِزَارَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ)^(٧).

(١) قال ابن سيده: الرَدْف: الألف والواو والياء التى قبل الروى وسى بذلك لأنه ملحق فى التزامه وتحمل
مراعاته بالروى فجرى الرَدْف للراكب. أى يليه لأنه ملحق به (تاج العروس واللسان- ردف) وقال
الجوهرى: الرَدْف فى الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروى ليس بينهما شئ فإن
كان ألفاً لم يجز معها غيرها، وإن كان واواً جاز معه الياء.

(٢) أبو الحسن: هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشع. أخذ عن سيبويه، وهو الطريق إلى كتابه.
وله كتب فى النحو والعروض وهو الذى استدرك على الخليل البحر السادس عشر من محور الشعر.

(٣) أبو عثمان هو بكر بن محمد بن بقية المازنى (ت ٢٤٧هـ) وهو صاحب أول كتاب مستقل فى علم
التصريف، وأشتهر بتصريف المازنى وقد طبع حديثاً بمطبعة مصطفى البابى الحلبي بتحقيق العالم
الأستاذ عبد الله أمين.

ومراد أبى الحسن الأخفش بما نقله عن المازنى أن تخفيف الهمزة إذا كانت رَدْفاً تخفيف قياسي
مطرده، لأن الرَدْف لا يكون إلا حرف مد ولين.

(٤) أحد أبيات ثلاثة قالها المتنبي فى أبى الحسين على بن إبراهيم التوحي وقد دخل عليه وهو يشرب.
(الديوان ص ٨٤) والبيان (١٣٧: ٢).

(٥) كذا ينصب (صاحبا) ولو رفعه لكان مثل: الرمان خلوحامض، وهو أحسن.

(٦) لما أبدل الهمزة فى (مَرَاتِكَ) ألفاً للضرورة، التقت ساكنه مع تاء التانيث فحذف الألف للتخلص من
التقاء الساكنين.

(٧) هذا عجز بيت للرزق. وقد تقدم شرحه ومحل الاستشهاد عليه (مقطوعة ٤٨).

وله ايضا:

(يَا أَخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى
لَأَخُوكَ ثُمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَارْحَمِ) (١)
(يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ
قِيلَ: يَخَاطِبُ مَحْبُوبَتَهُ. جَعَلَهَا أَخْتًا تَعَفُّفًا عَنْهَا، وَتَنَرُّهَا عَنِ الْفُجُورِ بِهَا.
(لَأَخُوكَ): يَعْنِي نَفْسَهُ. (ثُمَّ): أَيْ فِي مَوْضِعِ الْقِتَالِ. وَ(اعْتَنَاقُ الْفَوَارِسِ) أَرْقُ مِنْكَ
فِي الْهَوَى وَارْحَمِ، ذَلِكَ عَلَى قِسَاوَتِهِ فِي الْحَرْبِ، يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ الْبَيْتِ.
أَيْ إِنْ أَخَاكَ وَهُوَ يَعْنِي نَفْسَهُ يَنْظُرُ إِلَيْكَ فَيَعْجَبُهُ حَسَنُكَ، إِلَّا أَنَّهُ يَعِفُّ
تَشْرِفًا لِأَتَدِينَا، وَعِنْدَهُ مَعَ عِفَّتِهِ، أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِي حَكْمِهَا الَّذِي هُوَ نِكَاحُ
الْأَخَوَاتِ.

وإن شئت قلت: إنه يتغزل بأخت رجل شجاع، فيقول لها: أخوك على شدته
ويسألكه، أرق منك وأرحم، ثم أخبر عنه أنه يرنو إليها مع العفاف الذي توجب
منافرة الطبيعة لنكاح الأخوات، فيذم نفسه على ذلك العفاف الطبيعي. وعنده أن
المجوس تصيب في نكاح الأخوات.

وقد قيل في هذين البيتين قولاً لا ينبغي أن يلتفت إليه لسخفه.

وقوله المجوس: أراد المجوسيين، فلذلك أدخل عليه الألف واللام. ولو عني
القبيلة لقال: إِنْ مَجُوسَ كَقَوْلِهِ:

أَحَارَ أَرِيكَ بَرَقًا هَبَّ وَهْنًا كَنَارِ مَجُوسٍ تَسْتَعْرِ اسْتِعَارًا (٢)

(رَاعَتْكَ رَاعِيَةُ الْبَيَاضِ بَعَارِضِي) (٣) وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَأَعَ الْأَسْحَمُ

(١) من قصيدة يهجو بها إسحاق بن إبراهيم (ديوانه ٥٧) والتبيان ٤: ١٢١) ومطلعها
لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرضا نظرت وختل أنى أسلم.
(٢) البيت في اللسان (مجس) وقال: قال ابن برى: صدر البيت لامرئ القيس وعجزه للتوأم الشكرى وكانا
يتباريان. يقول امرئ القيس شطرا ويجيزه التوأم فيقول الشطر الثاني ليعلم أيهما أشعر.
(٣) كلمة (بعارضى) كنا وردت في البرقوقى وفي طبعة بيروت (بمفرقى).

الراعية: أول ما يظهر من الشيب. والعرب تصف المرعى بالسواد، فإذا حَلَّتْ الشَّيْبَةُ جعلوها (راعية) لذهاب السواد، كما تُذهِبُ الراعيةُ من الماشية خضرةَ المرعى.

(وَلَوْ أَنَّهُ الْأَوَّلَى لِرَاغِ الْأَسْحَمِ): أى لو تقدم البياض قبل السواد، ثم أعقبه السواد لكان أروع؛ لأن السواد أروع من البياض وأهول.

(وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلَمُ)

المعنى: والظلم من تأليف خلق النفوس. ومعنى الظلم: وضع الشئ فى غير موضعه. وتأليف النفوس من أربعة أشياء متنافرة: من حارٍ رطب، وبارد رطب، وحار يابس، وبارد يابس. وهى ما اعتدلت صُلَحَ الجسم، وإذا اختلفت فسدت الجسم، فهل يوجد (١) ؟

(وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقاً وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ)

أى يعظم ساكناً بهيئته، فيغرُّ من رآه ، فإذا تكلم صغر من لُكنته، كقوله:

وَكَاثِنْ تَرَى مِنْ صَامَتٍ لَكَ مُعْجَبٍ

زيادته أو نقصه فى التكلم (٢)

(ويكون أكذب ما يكون ويقسم) : أى إذا تناهى فى الكذب أقسم عليه أنه حق له.

- ٦٧ -

وله أيضا:

(كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ أَمِنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْغَرَقِ) (٣)

اللُّجَّة مَهْلِكَةٌ لِلأرواح، والسَّمَاح مَهْلِكَةٌ لِلْمَالِ. فيقول: أيها السامح اعظم، حتى تكون لُجَّةً مَهْلِكَةً لِمَا لَهُ، فإن سيفه يحلف عليه بالإغارة والنُّهْبَةَ جميع ما

(١) كذا جاءت هذه العبارة وهى ناقصة، ولعل تمامها بمساعدة القرائن أى (فهل يوجد من لا يظلم) ؟
(٢) البيت من معلقة زهير. يقول: كم صامت يعجبك صمته فتستحسنه، ولكن تظهر زيادته على غيره ونقصانه عنه عند تكلمه.

(٣) هذا البيت من جملة سبعة أبيات له فى الديوان (ص ٢٥٤) والبيان (٣٧٢: ٢). وأولها
لَا مَ أَنْاسَ أَهْلُ الْعِشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالتَّيْرِ وَالْوَرَقِ

تتلفه أنت . ولما جعل السماح لجة استعار اسم الغرق للفقر . ونظير هذا قول الشاعر:

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مَنَا يَعِشْ بُحْسَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ

وقال: كن (لُجّة) ولم يقل : كن بحرًا ، لأن اللُجّة أهول ما في البحر، ألا ترى أن العرب تسميها (العَوْطِب) ^(١)، لما يحدث فيها من العَطَب أو يُخَاف، ولم يُسمُوا جملة البحر عَوْطِبًا.

-٦٨-

وله أيضًا:

(أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتُكْرَهُ) ^(٢)

الكريم يكره ذكر إحسانه إلى مؤمليه، حذرًا أن يظنوا ذكر ذاك اعتدادا به . عليهم ومنا ، فكان من يذكر عنه؛ يُشيع عنه ما يكره إشاعته؛ وَيَنْمُ به . والقطعة رائية ولا تكون هائية، لأن بعد هذا البيت بيتاً آخره (نَصْرُهُ) ^(٣) ؛ فهذه هاء إضمار؛ متحرك ما قبلها ؛ وهاء الإضمار المتحرك ما قبلها؛ لا تكون رَوِيًّا.

فإن قال قائل: قد قال في المصراع الأول من هذا الشعر (أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه) فَقَفَى بالهاء . قُلْتُ: لم يُقَفْ بهاء . وليس الشعر بمصرع، وإنما هو في البعد من التصريح، بمنزلته لو قال : (إذا ذكرتك أمثل) مع قوله تكره . فهذا احتيالٌ لطفه له أهل بغداد ^(٤).

(١) في اللسان (عطب): العَوْطِب الداهية، ولجة البحر، وهما من العَطَب وقال ابن الأعرابي: العَوْطِب: أعمق موضع في البحر.

(٢) هذا البيت أحد ببشين خاطب بهما سيف الدولة (ديوانه ٢٩٧) والتبيان (٢: ٩١)

(٣) هو البيت: وإذا رأيتك دون عرض عارضاً أيقنت أن الله يبغى نصره

(٤) يريد أن أهل بغداد حسنوا للمتنبي أن يدخل في شعره شيئاً من دقة الصنعة فحاكاهم في مذاهبهم.

والذي عندي أن أبا الطيب كان جاهلاً بصناعة القوافي؛ فإنها مهنة دقيقة، يعجز عنها الشعراء؛ ويفلّطون فيها. نعم وقَلَّ من يعرفها من النحويين إلا الخليل^(١) وأبا الحسن^(٢) إماميهما وقليلاً بعدهما.

-٦٩-

وله أيضا:

(وَمَنْ خَلَقْتَ عَيْنَاكَ بَيْنَ جَفْوَنِهِ

أَصَابَ الْحَدُورَ السَّهْلَ فِي الْمَرْتَقَى الصَّعْبِ)^(٣)

أى أن قلبى متنزه بمناعته؛ أى بشجاعته؛ دافع عن نفسه ببأسه. ولكن من كانت له عين كعينك، أصاب الأمر الصَّعْبَ بالسَّهْلِ السَّهْلَ. أى فذلك ممكن لك متى على تمنّعه على غيرك. والانحدار سهل؛ والارتقاء صعب. فمن كان الارتقاء عليه فى سهولة الانحدار، فكل صعب له سهل، كقول البحرى

وَمُصْعِدٌ فِي هَضَابِ الْمَجْدِ يَطْلُعُهُ كَأَنَّهُ لِسُكُونِ الْجَاشِ مُنْحَدِرٌ^(٤)

وقد بالغ أبو الطيب بالمقابلة بين الحَدُورِ السَّهْلِ والمَرْتَقَى الصَّعْبِ؛ لسرى طبيعة الضد فى الوصفين والمَوْصُوفَيْنِ. قابل الحَدُورَ بالمَرْتَقَى، والسَّهْلَ بالصَّعْبِ. ولو أمكنه أن يقابل الحَدُورَ بالصَّعُودِ؛ لكان أذهب فى الصنعة ليوازن اللفظين.

(١) هو الخليل بن أحمد مخترع علم العروض والقوافي.

(٢) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وهو الإمام الثانى لهذه الصناعة وقد استدرك على الخليل البحر السادس عشر (المقدار).

* * *

يقول محققا هذا الكتاب: ومع احترامنا لرأى العالم اللغوى الجليل ابن سيدة. فإننا نضيف إلى الخليل وأبى الحسن، فيلسوف الشعراء الأكبر أبا العلاء المعرى. فقد كان علمه بأعاريض الشعر وقوافيه فى وزن علم الخليل وأبى الحسن. رحم الله جميعهم. كما تدل على ذلك مقدمة سقط الزند لأبى العلاء، ولزومياته التى التزم فيها ما لا يلزم.

(٣) من مقطوعه أربعة أبيات (ديوانه ٣٠١) (التيبان ١: ٤٧).

(٤) من قصيدة للبحرئى بديوانه يمدح بها على بن مرّ الطائى مطلقها: (فى الشيب زجر له لو كان ينزجر)

وانظر ديوانه (ط. هندية ٢: ٤٣).

وله أيضا:

(وَقَاؤُ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَا سُمُهُ

بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ)^(١)

يخاطب خليله. وإنما كثرت مخاطبة العرب خليلين وصاحبين: دون أقل أو أكثر؛ لأن أقل السُّفَر المتُرافقين ثلاثة، فالواحد يخاطب صاحبيه. يذهبون في ذلك إلى أنه إن اختلف الاثنان قَتَلَ الأَقْوَى الأَضْعَف. فإذا كان لهما ثالث؛ توسط فحال بينهما في الأغلب. فلذلك لم يَصْطَحِب في، الأكثر، أقل من ثلاثة لهذه العلة. هذا معنى مخاطبة العرب في أغلب الأمر الاثنيْن، حتى تجاوزوا في ذلك إلى أن خاطبوا الواحد بخطاب الاثنيْن؛ كقوله تعالى: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ)^(٢) ومن كلامهم: يَا حَرَسِي^(٣) اضْرِبَا عُنُقَهُ. وقال:

فَإِنْ تَرَجُّرَانِي يَابْنَ عَفَّانَ أَزْدَجِرُ^(٤)

والطاسم: الدارس. وَأَشْجَاه: أَشَدُّ إِشْجَاءً وَإِحْزَانًا. ولا يكون فعلاً لمقابلته إياه بقوله: أَشْفَاه. وَأَشْفَى: اسم لا فعل. يقول: وقاؤ كما أيُّها الخليلان الألائمان بأن تسعداني على بكائي في هذا الربع الدارس، كهذا الربع الذي بكيتُهُ، وذلك في تَرْك المساعدة في الوقوف به معي^(٥) ففي ذلك أَشْبَهه وَفَاقًا كما للربع دروساً وطُموساً. ثم قال: (والدمعُ أَشْفَاه سَاجِمُهُ): أي لا تلوماني على البكاء، فإن أَشْفَى الدَّمْع سَاجِمُهُ. وقد يجوز، (الدمعُ أَشْفَاه سَاجِمُهُ أي بالإسعاد وبالدمع الذي أَشْفَاه سَاجِمُهُ. أي وفاق كما بالإسعاد لي، والبكاء معي (دارس) قد قارب العَدَم، كما أن الربع كذلك، فكلما أَشْجَاه لي

(١) مطلع قصيدة له في مدح سيف الدولة (ديوانه ٢٥١) والنبهان (٣: ٣٢٥).

(٢) الآية ٢٤ من سورة ق.

(٣) الحرسي: واحد حرس السلطان وهم الحراس المرتبون لخدمة السلطان وحراسته (اللسان-حرس).

(٤) صدر بيت لسعيد بن كاهل وعجزه «وإن تدعاني أحم عرضاً منعماً» وروي (أنزجر) في مكان (ازدجر) والشاهد فيه أنه خاطب الواحد (ابن عفان) خطاب المثنى بقوله (فإن تدعاني).

(٥) في م- (بمعنى) وفي ت (يدمعي) وكلاهما تحريف.

مَادَرَسَ، وَقَدِيقَنْعَ الْمَشْوُوقُ مِنْ صَاحِبِهِ أَنْ يَقِفَ مَعَهُ عَلَى الرَّبِيعِ عَازِلًا، أَوْ عَازِرًا
وإن لم يَشْرَكَه فِي شَوْقٍ وَلَا بَكَاءٍ ، كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ^(١)

قَفَ مَشْوُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ عَزُولًا
فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَبُو الطَّيِّبِ عَدِمَ هَذَا كُلَّهُ مِنْ خَلِيلِيهِ، وَأَيُّهَا مُوَافَقَتُهُ عَلَى
وَجْهِ : لَا مَشْوُوقِينَ وَلَا مُسْعِدِينَ ، وَلَا عَازِرِينَ .

وَالدَّمْعُ عَلَى هَذَا، مُعْطُوفٌ عَلَى مَوْضِعِ (بِأَنَّ تَسْعِدًا) أَيْ بِالْإِسْعَادِ .
وَبِالدَّمْعِ الَّذِي أَشْفَاهُ سَاجِدُهُ، يَعْنِي بَكَاءَهُ مَعَهُ . وَالْبَاءُ فِي (بِأَنَّ تَسْعِدًا): مُتَعَلِّقٌ
بِمَحْذُوفٍ . أَيْ وَفَاوَكَمَا بِالْإِسْعَادِ . وَلَا تَكُونُ مُتَعَلِّقَةً : «بِوَفَاوَكَمَا» الْأُولَى، لِأَنَّ قَدْ
أَخْبَرَتْ عَنْهَا بِقَوْلِكَ : (كَالرَّيْعِ) فَمَحَالُ أَنْ تَخْبِرَ عَنِ الْاسْمِ وَقَدْ بَقِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ،
لِأَنَّ هَذَا الْمَتَعَلِّقَ بِهِ جُزْءٌ مِنْهُ . فَكَمَا لَا يَخْبِرُ عَنِ الْاسْمِ قَبْلَ تَمَامِ حُرُوفِهِ، كَذَلِكَ
لَا تُخْبِرُ عَنْهُ وَقَدْ بَقِيَ مَا هُوَ جُزْءٌ مِنْهُ .

(سَقَاكِ وَحَيَاتِنَا بِكَ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَا تَمُتُ)

جَرَى فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى مَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَطَرَانِقِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَحْيُونَ بِالنُّورِ
وَأَصْنَافِ الْأَزْهَارِ . فَلَمَّا أَبْصَرَهَا فِي الْخُدُورِ جَعَلَهَا نُورًا فِي كَيْمَتِهِ^(٢) فَعَدَا لَهُ
بِالسُّفْيَا، لِيَنْعَمَ وَيَحْسُنَ وَدَعَا لِنَفْسِهِ أَنْ يَحْيَا بِذَلِكَ النُّورِ .

(إِذَا ظَلَمْتَ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظَرٍ أَثَابَ بِهَا مَغْيَى الْمَطْيِ وَرَازِمَةً)

يُرِيدُ أَنْ النَّظَرَ إِلَيْهَا سَبَبٌ لِقَوْلِ الشَّعْرِ فِيهَا، وَالتَّغْنَى بِهِ فِي الطَّرِيقِ، وَجَمِيعُ
مَا يَتَصَرَّفُونَ بِهِ، وَيَحْدُونَ بِهِ، فَتَنْشِطُ الْإِبِلُ لَذَلِكَ، إِذْ مِنْ طَبْعِهَا أَنْ تَنْشِطَ لِلْحَدَاءِ .

(قَفِي تَغْرَمِ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي)

بِثَانِيَةِ وَالْمُتَلَفِ الشَّيْ غَارِمَةً^(٣)

يَقُولُ : لَحَظْتُكَ فَأَهْلَكْتَ اللَّحْظَةَ مُهْجَتِي . فَقَفِي عَلَى حَتَّى أَلْحَظَكَ أُخْرَى،
فَقَرَدْتُ عَلَى مَا أَذْهَبَتِ الْأُولَى وَذَلِكَ أَنَّ لِكُلِّ نَظْرَةٍ أَنْظَرَهَا تَأْثِيرًا فِي فَاذٍ قَدْ عَدِمَتْ

(١) فِي الْخَطِيبِيِّ (أَبَى تَمَامٍ) وَلَعَلَّهُ سَهُوٌ مِنَ النَّاسِخِ وَإِنَّمَا الْبَيْتُ لِلْبَحْتَرِيِّ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا (ذَاكَ
وَادَى الْأَرَاكِ قَاجِسٍ قَلِيلًا) .

(٢) فِي اللِّسَانِ (كَمْ): كُمْ كُلُّ نَوْرٍ وَعَازِهِ . ثُمَّ قَالَ: "الْجَوْهَرِيُّ: الْكَيْمُ (بِالْكَسْرِ) وَعَا: الطَّلَعُ وَغَطَا: النُّورُ" .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى سَابِقِهِ فِي الدِّيَوَانِ

المهجة بالأولى، فعمل الثانية ردها، لأن الشئ إذا انتهى فى ضد انعكس إلى ضده.

(وَتَكْمَلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَا وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ)

أى كمال العيش، يعنى جميع طبقاته، فأولهن الصبا : وهُو من النشوء إلى الشُّباب، وعَقِيبُهُ الشباب^(١)، وبعده غائب لون العارضين، وهو الشيب مالم يَقدُم، فإذا قدم فقد كَمَلَ العيش وما بعد الكمال إلا النقص. والهاء فى (قادمه) راجع إلى اللَوْن ولا يكون راجعاً إلى (غائب) ، فيكون من إضافة الشئ إلى نفسه ، وليس كذلك إذا كان مضافاً إلى اللون، لأن اللون جنس انقسم إلى نوعين: غائب وقادم؛ والنوع غير الجنس، فكانه قال: وتكملة العيش الصَّبَا وعَقِيبُهُ، وسَوَادُ الشَّعْرِ وبياضه، لأنه إذا كان البياض غائبا، فالسواد حاضر.

(وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلُّهُ حَيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ^(٢) أَنَا شَائِمُهُ)

قوله: (فى فَاَزَة) يعنى فَاَزَة ديباج ضربت لسيف الدولة، والحيا هنا الخصب، ويعنى به سيف الدولة . والشائم^(٣) : الناظر.

(إِذَا ضَرَبْتَهُ الرِّيحُ مَاجَ كَانِمًا^(٤) تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَذَايَ ضَرَاغِمُهُ)

أى هذه الفَاَزَة مُصَوَّرَة بِصُورَة خَيْلٍ وَأَسَدٍ، فإذا مرت به الريح حركت الفَاَزَة، فتحركت هذه الصُّور بحركاتها، فَتَخَيَّلُ أَنَّ مَذَاكِيهَا، وهى الخيل المصورة فيها تجول، وأن ضراغمها تَذَايَ^(٥) : أى تمرمرًا سريعاً . ومن روى: تَذَايَ أى تهمس^(٦) المشى لَتَحْتَل. والضراغم : الأسد . واحدها ضِرْغَمٌ وضِرْغَامٌ وضِرْغامة . وأن يكون فى البيت جمعٌ ضِرْغَمٌ أولى، لأنه إن كان جمع

(١) عقيبه : الذى يعقبه.

(٢) الفَاَزَة: قُبَّةٌ أَوْ خِيْمَةٌ أَوْ مِظَلَةٌ وَفِي اللِّسَانِ (فوز) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ.

وَالْفَاَزَة مِظَلَّةٌ تَنْدُ بِعَمُودٍ، عَرَبِيٌّ فِيمَا أَرَى.

(٣) الشائم: الناظر إلى البرق يرجو المطر. وعنى بالبارق الممدوح أى أن مايرجوه من كرم الممدوح هو أحسن من مساء الشبيبة.

(٤) رواية الديوان والتبيان (كأنه).

(٥) دَايَتُ لِلشَّيْ خَتَلْتُهُ. وَرَأَى الذَّنْبَ دَاوًا وَهُوَ شِبْهُ الْخَنْتَلِ وَالْمَرَاوَعَةِ.

(٦) فى اللسان (همس) قال: الجوهري: همس الأقدام أخفى ما يكون من صوت الوطء والأسد الهموس: الخفى الرطى: قال أبو الهيثم: سمى الأسد هموسا لأنه بهمس أى يعشى مشيا بخفية فلا يسمع صوت وطره.

ضِرْعَامُ أَوْ ضِرْغَامَةٌ ، لَزِمَ (ضِرَاغِيم) لِأَنِ الْاَلْفَ إِذَا كَانَتْ رَابِعَةً فِي الْوَاحِدِ ، صَارَتْ يَاءً فِي الْجَمْعِ ثَابِتَةً ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ ، كَمَا أَتَشَدُّ سَيَبُوبِيهِ :

وَالْبِكْرَاتِ الْفُسَّجِ الْعَطَامِسَا^(١)

وَإِنَّمَا حَكَمَهُ الْعَطَامِيسُ ، فَحَذَفَ لِلضَّرُورَةِ ، فَإِنْ يَكُنْ ضِرَاغِمُهُ جَمْعَ ضِرْعَمٍ وَهِيَ لُغَةٌ مَشْهُورَةٌ حَكَاهَا ابْنُ دُرَيْدٍ وَغَيْرُهُ ، أَوْجَهَ مِنْ أَنْ يُوجَّهَ عَلَى الضَّرُورَةِ .

(فَقَدْ مَلَأَ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَأَ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاجِمُهُ)

(وَمَلَأَ الْقَنَا مِمَّا تَذُقُ صُدُورُهُ وَمَلَأَ حَدِيدُ الْهَنْدِ مِمَّا تَأْطُمُهُ)

ذَكَرَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ أَنَّ (تُغَيِّرُهُ) فِي الْبَيْتِ مِنَ الْغَيِّرَةِ ، يَرِيدُ أَنَّ الصَّبِيحَ يَغَارُ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَفْعَلُ فِيهِ ، مِنْ قَلْبِهِ إِلَى ضِدِّهِ ، مِنْ شِدَّةِ الْقِتَالِ ، وَكَذَلِكَ اللَّيْلُ أَيْضًا يَغَارُ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ يُصَيِّرُهُ يَوْمًا ، لِإِظْهَارِهِ فِيهِ السِّيُوفَ وَالرَّمَاخَ ، مِنْ ضِيَائِهَا .

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ جَنِيٍّ : أَرَادَ تُغَيِّرُ فِيهِ ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ اخْتِصَارًا وَقَالَ فِي (تَزَاجِمِهِ) : أَيْ تَسْرِي فِيهِ ، فَاسْتَعْمَلَ (تَزَاجِمَهُ) فِي مَوْضِعِهَا وَالْهَاءُ فِي (تَزَاجِمِهِ) مَفْعُولٌ بِهِ ، وَلَيْسَتْ بِمَعْنَى (تَزَاجِمَ) فِيهِ . وَقَالَ الْوَحِيدُ^(٢) : لَيْسَ هَذَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ (تُغَيِّرُهُ) وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّكَ تَسِيرُ فِي بَيَاضِ الْحَدِيدِ ، مِنْ الْبَيَاضِ وَالِدُرُوحِ ، فَكَانَ الصَّبِيحُ يَغَارُ عَلَيْهِ إِذَا رَأَى ضِيَاءَ غَيْرِهِ قَدْ أُلْبَسَ بِهِ .

وَقَوْلُهُ : (وَمَلَأَ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاجِمُهُ) : يَعْنِي بِالْغُبَارِ ، كَأَنَّهُ لَيْلٌ آخَرُ يَزَاحِمُ اللَّيْلَ الَّذِي هُوَ الظُّلْمَةُ . وَقَوْلُهُ : (وَمَلَأَ حَدِيدُ الْهَنْدِ مِمَّا تَأْطُمُهُ) أَيْ تَلَاطُمُهُ بِأَمثَالِهِ ،

(قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمِرَاقِ هَيْبَةٌ وَانْفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهُ)

يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَسْتَرُونَ سِيُوفَهُمْ وَيَخْفَوْنَهَا هَيْبَةً وَمَخَافَةً مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . وَعَزَائِمُهُ أَنْفَذُ مِنْ شِفَارِ سِيُوفِهِمْ .

(سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا)

سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ

(١) انظر الكتاب لسببويه (١١٩:٢) وما سبق شرحه (المقطوعة ٤٧) .

(٢) هو سعد بن محمد بن علي بن الحسن الأزدي المعروف بالوحيد ، أحد شراح المتنبي وهو عالم عراقي شاعر . وكان عالما بالنحو والعروض ، ولم يصل إلينا كتابه (توفي سنة ٣٨٥هـ) (عن بغية الزعاع) .

ويروى: (فَوْقَهَا)، فيكون قوله: (العِقْبَان) فى أول البيت كناية عن الخيل، كما قال:

تَظُنُّ فِرَاحَ الْفُتُخِ أَنْكَ زَرْتَهَا بِأَمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَامُ^(١)

السحابُ: جمع سحابة . وكل جَمْعٌ يَنْقُصُ عن واحد بالهاء، فلك تذكيره وثانيته، فأنت فى قوله (تحتها)، وذَكَرَ فى قوله : صوارمه، أخذاً بالأمرين . ولا يمكنه هنا غير ذلك، لمكان الوزن، وأن هذا الشعر موصولٌ، ليس له خروج^(٢)، أعنى أنه ليس بعد هائه حرف لين . وقيل تأنيث هذا النوع الجمع ، وتذكيره على الجنس . أى قد حُشِرَت العقبان فى أفق جيشة، ثقةً منها بما يُقْتَلُونَ، فيكون رزقاً لهذه العقبان، كقول الأفوه^(٣):

وَتَرَى الطَيْرَ عَلَى أَثَارِنَا رَأَى عَيْنٌ ثَقَّةً أَنْ سَتُمَارِ^(٤)

فالعقبان على هذا الجيش كالسحاب، لتكاثرهما واشتباهما ولونهما . والجيش تحت هذا السحاب، الذى هو من العقبان، سحابٌ آخر . فإذا استسقت السحاب الأعلى يعنى العِقْبَان، سَقَّتْهُ صوارمُ هذا السحاب الأسفل، الذى هو الجيش، بأن تضع لها القتلى، فتتنزل عليها، فتخصب . وجعل الأسفل يَسْقَى الأعلى: إغراباً، لأنه بعكس ما جرت عليه العادة، من أن الأعلى هو الذى يَسْقَى الأسفل.

وقال: (إذا استسقت) وإنما العِقْبَان وسائر سباع الطير مستطعمةٌ لأمسئسقية؛ لأنه ذكر السحاب؛ والسحاب مُسْتَسْقَى . كقول أبى ذؤيب فى صفة السحاب:

تَرَوْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ^(٥)

(١) هذا البيت من قصيدته «على قدر أهل العزم تأتي العزائم»
(٢) قال الخليل: الخروج الألف التى بعد الصلة فى القافية كقول لبيد (عفت الديار محلها فمقامها) فالقافية هى الميم، والهاء بعد الميم هى الصلة لأنها اتصلت بالقافية، والألف التى بعد الهاء هى الخروج (اللسان-خرج).
(٣) فى م. «الآخر» تحريف والأفوه: شاعر جاهلى قديم والبيت من شعره فى خطبة بدار الكتب (رقم ١٢ ش ورقه ١٨).
(٤) قوله «ستمار» أى تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى وانظر البيت فى التبيان أيضا (٣: ٣٣٩).
(٥) روى البيت فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبدالمجيد (٣: ٣٧٢) وكذا فى الخصائص (١: ٤٨٠). بهذه الرواية. ويروى فى ديوان الهذليين ص ٥١:

«ثم تنصبت فى موضع» وترفعت» وقيله هذا البيت:

سقى أم عمرو كل آخر ليلة
حناتم سود ماؤه نجيج.
والحناتم: سحاب سود. واحدها: حنتم.

ومن الحسن أن تكون الرواية «يزحف» على لفظ التذكير؛ توطئة لقوله :
صوارمهُ، فيكون ضرباً من الإشعار . وجعلها تزحف لكثرة الجيش، كما قالوا:
كتيبة جرارة، أى لا تقدر على السير إلا رويداً؛ لكثرتها .

(سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيْتُهُ

عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ)

الهاء فى لقيته : عائدة على سيف الدولة . وعلى : متعلقة بسلكتُ .

فالمعنى : إن عزمه مؤيد فاستعار أنه ركبه . وسلكت صرُوف الدهر عليه .

- ٧١ -

وله أيضاً:

(أَطْرَحَ الْمَجْدَ عَنْ كَتْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرَكَ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِمُ^(١))

كَتَى بالمجد عن الرمح الذى يُحْمَل على الكتف مُعْتَقِلاً ؛ لما كان المجد يُكتسب به . فهذا من باب الاستغناء عن ذكر السبب بذكر المُسَبِّب . وإن شئت قلت : جعل الرمح هو المجد مبالغة . كقولهم : ما زيد إلا أكل وشرب ؛ وإن شئت كان الحذف ؛ (أى ذا المجد) وهو الرمح أيضاً ، لإدراك المجد به . (وأطلبه) : أى أطلب أثراً بعد عين . وأترك الغيث فى غِمْدِي : يعنى السيف الذى هو سبب خصب المعيشة . وليس الغيث هنا ذات السيف . وإنما عَنَى الغيث . وإن شئت قلت : جعله الغيث مبالغة ؛ إذ كان سبباً له ، ثم قال وأطلب الرزق على غير هذا الوجه الذى لا يكرُم عيش ولا يُخَصِّب إلا به^(٢) به ، كقول النبی عليه السلام : «الخير فى السَّيْفِ والخير مع السَّيْفِ» .

وأصل الانتجاع : طلب الكلا . ثم صار كل طلب : نُجْعة . وحسن لفظ الانتجاع لتقديم ذكر الغيث .

(ذَمُّ^(٣) الدُّمُسْتَقْ عَيْنِيهِ، وَقَدْ طَلَعْتُ سُوْدُ الْغَمَامِ فَظَنَسُوا أَنَّهَا قَرَعُ)

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة (ديوانه ٣١) والتبيان (٢٢٢:٢) وشرح البرقوقى (٢٩٣:٢) ومطلعها:

إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا .

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع

(٢) هذه عبارة (ت) وعبارة م «ولا خصب» .

(٣) رواية الديوان «لام» .

أى غرّت الدُمستق عيناه ، ثم توهّم جيش سيف الدولة قليلاً وهو كثير ، فاقدم اغتراراً بما خيلته إليه عينه ، فذمّ عينيه ولا مَهْماً إذ لم تخبراه باليقين ، فترّياه الجيش على ما هو به من الكثرة ، لأنه لو صدّقناه لم يُقيم . والقرنُ : قطع السحاب المفترقة . يقول : ظنّ الجيش قليلاً كقرع السحاب ، وهو كسود الغمام ، وإنما شَبَّهه بالغمام السّود ، لأنه أهول منطراً ؛ ولأن فيه صَواعق بلاغيّث ، فهي أشبه بصفة الجيوش من جهة العاقبة واللون ، ألا تراهم قالوا : كتيبة جاءوا^(١) وخَضراء^(٢) وخَصيف^(٣) . وكل ذلك إلى السواد .

فتلخيص البيت : ذم الدُمستق عينية حين أو همتاه الجيش قليلاً وهو كثير ، فاقدم ، وكان اذهب فى الصنعة - لو أثرت دون زحاف - أن يقول : (فَطَنُ) ، بلفظ الإفراء لانه إخبار عن الدُمستق ، ولكنه حمل الضمير عليه وعلى من حوله .

(كأنما^(٤)) تَتَلَقَّاهُمْ لِسِنِّكَهُمْ فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِى الْأَجْوَافِ مَا تَسْنَعُ
أى كأنّ خيله تريد سلوك عِده ، كما يَسْلُكُ السهمُ الرميّة ثم يَمِرُّ ، فالطعن يفتح فى أجوافهم ما تسع الخيل ، إشادةً بالطعن ، وتشبيهاً له . كقول قيس بن الحطيم :

سَلَكْتُ بِهَا كَفًى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا يرى قائمٌ من دُونِهَا مَا وَرَءَهَا^(٥)
وأراد ما تَسَعُ الخيل ؛ فحذف المفعول ، لتقدم ذكر الخيل .

(دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْفَرِّ^(٦)) طَافِحَةٌ عَلَى نَفُوسِهِمُ الْمُقَوَّرَةُ الْمُرْعُ

أى قد تَغَشَّتْهُمُ الخيلُ حتى صارت أقرب إليهم من السَّهَامِ التى فيهم ، مبالغة وليس بحقيقة ، لأن السَّهَامَ ، التى فيهم أقرب إليهم من الخيل التى عليهم . (دُونَ الْفَرِّ) : أى أن الخيل تمنعهم الْفَرَارَ . وقال : (على نفوسهم) ، ولم

(١) أى كدراء اللون فى حمرة ، وهو لون صدأ الحديد (أساس البلاغة) .

(٢) سميت بذلك لخضرة الحديد (الأساس) .

(٣) قبل لها ذلك لبياض الحديد وسواد الصدأ (الأساس) .

(٤) رواية الديوان والتبيان : (كأنها) .

(٥) البيت فى ديوانه ص ٣ وقبله .

طعن ابن عبد القيس طعنه ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاعها

(٦) رواية الديوان : «ودون الفَرِّ» باللقاف وقد عرض ابن سيده لذلك فى شرحه . والسهم (كسحاب) : السموم ووجه الصيف .

يقول على أبدانهم؛ لأن نفوسهم قد فاضت عن أبدانهم ، فكان الخيل عليها دون أجسامهم ، وقيل معناه: إن هذه الخيل تسبق السهام وتغوت حتى تغنى عن القُر.

ويروي (ثون السهام ودون القُر) فيكون المقوَّرة على هذا الدروع التي قد أخلقها التداول؛ حتى عادت كالمقوَّرة من الخيل وهي الضامرة - المتجردة^(١) (والمزَع) على هذا : التي قد تمزقت أشلاؤها أى قد تمزعت كما يتمزغ اللحم أى يتبدد . فيكون المعنى أنه لا تقيهم الكُسى حرّاً ولا برداً؛ ولكن هذه الدروع المقوَّرة . والرواية الأولى أصح .

(إذا دعا العليُّ عُلجاً حالَ بينهما أظمى تُفارقُ منه أختها الضلعُ)

رمح أظمى : أسمر؛ وقيل : ظمان إلى الدم ؛ والأول أولى ؛ إذ لو كان من الظماً لكان حرياً أن يُسمع مهموزاً ، ولم أسمعه كذلك . إلا أن مثل هذا الإبداع قد يجوز في الضرورة كقوله: (لأهناك المَرْتع)^(٢) ولا حاجة بنا إلى توجيه ذلك هنا، إذ المشهور في كتب اللغة أن الأظمى : الأسمر يقول : إذا تداعى العجلجان لتناذر أو تشاور أو تناحر ، حال بينهما رمح أظمى يدخل بين الضلعين؛ فيفجر بينهما حتى يتفرقا .

(ومنه): أى من أجله . وحسن ذلك المفارقة هنا لقوله : (حال بينهما). وكان من حُسن الصنعة لو اتزن له - أن يقول : إذا دعا العليُّ صاحبه ليوازن به قوله : (أختها الضلعُ)؛ لأن الأخوة والصحبة من باب المضاف ولكنه ذلك أراد : كأنه قال : إذا دعا العليُّ صاحبه أو أخاه.

(كَمَ من حُشاشةٍ بطريقِ تَضَمَّنْهَا للباتراتِ امينُ ماله ورعُ)

الحُشاشة : النفس . وقيل ، بقيئتها . والباتراتُ : السيوف القاطعة والأمينُ هنا : القَيِّدُ ، ونفى الورع عنه إغراباً بأمين لا ورع له . وإنما سماه أميناً لحفظه على السيف ما استودعه إياه من الأسارى ؛ حتى يردُّهم إليه عند القتل فهو

(١) في الخطبة م (المتجددة) بالذال.

(٢) هذا جزء بيت للفرزدق وتماهه كما في الكتاب لسبويه (١٧٠: ٢)

راحت بمسلة البغال عشية فارعى فزاره....

والشاهد في قوله (لاهناك) أصله (لاهناك) فخفف الهمزة لضرورة الشعر.

أمين لذلك . وليس له وَرَعٌ لَأَن الْوَرَعَ إِنَّمَا يَكُونُ عَنْ قَصْدٍ ، وَالْقَصْدُ إِنَّمَا يَكُونُ لَذَى الْعَقْلِ . وكذلك أمانته غير حقيقية . ولو كان أميناً عاقلاً لكان وَرِعاً إِذْ لَا أَمَانَةَ إِلَّا بِوَرَعٍ .

(يَقَاتِلُ الْخَطُوهُ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النُّومَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ)
أى تقصر خطا هذا الأسير بضيق القيد، إذا أراد أن يخطر . ويطرد النوم عنه تَرْتُمُ حلقه كقول أبى نواس^(١):

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حَلْقَةٌ لَهَا خَطُوهُ عِنْدَ الْقِيَامِ قَصِيرٌ
وَالْمَقَاتِلَةُ وَالطَّرَادُ فِي الْبَيْتِ مُسْتَعَارَانِ.

(قُلْ لِلدُّ مُسْتَقٌ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَائِنُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا)
خيانتهم إياه: خلافهم له ؛ بسعيهم إلى النهب وأسلاب العدو المفزوعين^(٢) وإسلامه إياهم له : تركه الطلب بثارهم ؛ أو رضاه لهم ما حل بهم .

(وَجَدْتُمْوهُمْ نِيَاماً فِي دِمَائِكُمْ كَانَ قِتْلَاكُمُ إِيَاهُمْ فَجَعُوا)
أى خافوكم؛ فآلقوا نفوسهم فى دماء قتلاكم؛ لتحسبوهم منهم ، ففتجافوا عنهم ؛ وكأنهم هم المفجوعون بقتلاكم ، يُلقون أنفسهم عليهم كاللقاء المفجوع نفسه على القتل تأسفاً . وقيل : كان المسلمون يأتون قتلَى الروم يتخللونهم؛ فينظرون من به رَمَقٌ فيقتلونه ، فبينما هم كذلك أَكْبُ عليهم المشركون فقتلوهم.

(تَشْتَقُّكُمْ بِفَتْأَهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ)

(بفتاها): أى بفارسها . ذهب فى لفظ الفتى إلى الرفع من شأن الفارس؛ كقولهم: (أنت الفتى كل الفتى) لا يُذهب به إلى فتاء السن: لكنه كقولك : أنت الرجل . تمدحه بالصبر والثبات والنجدة، لا تعنى به الرجولة، التى هى الذكورية(والضربُ يأخذُ منكم فوق مايدعُ) . ذهب قوم إلى أنه عنى أن القتلى أكثر من الناجين . وهو لعمرى قُوِيلٌ. والذى عندى أنه لم يعن بذلك الكم ؛ وإنما

(١) انظر ديوان أبى نواس (ط الحميدية ص ٧٩) وهو من قصيدة له يمدح بها الخصب أمير مصر. وفى الشطر الأول منه (جلية) فى موضع (حلقه).

(٢) فى ت (العدو المسرعين).

عَنَى أَن الضَّرْبَ يأخذ النفوس، ويدع الأبدان؛ والنفس فوق الجسم فى لطف الجوهر؛ وبشرف العنصر. فهذا معنى قوله : ما يدع. لا الكمية التى ذهب إليها أولا .

- ٧٢ -

وله ايضا:

(يَرُدُّ يَدَا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهَوَىٰ فِى طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ)^(١)

(يرد يدا عن ثوبها) : كناية عن العفاف . والثوب هنا يجوز أن يعنى اللباس؛ وأن يعنى بعض طوائف جسمها، كقول الآخر :

خَرَّقُوا جَيْبَ فَنَاتِهِمْ لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرُّجُلَةِ^(٢)

قليل : يعنى بالجيب القبل. قوله (وهو قادر) : أى متمكن بها ، لا يتقى رقيباً لأن ذلك فى النوم. وأثبت لنفسه قدرة فى نومه لأنه قد انتهى للنائم أفعال اليَقَظ وإن كانت غير مقصودة .وقد قيل : إن قوله (يرد يدا عن ثوبها وهو قادر) : أن هذا إنما هو فى اليقظة . وإنما أراد وهو يقظان فلم يتزن له، فكنى بالقدرة عن اليقظة لأن اليقظان أملك لذاته من النائم مع أن قادراً مقلوب لفظ راقد . فأنا ب المقلوب فى المقابلة مناب الضد الذى هو يقظان . (ويعصى الهوى وهو راقد): أى أنه يملك نفسه عن شهوته فى حال النوم ، وتلك حال لا يغلب فيه عقل شهوة ، لأن التحصيل حينئذ عازب؛ فهو يَغْرُبُ بتمالكه عن محبوبه فى حال الرقاد .

وجملة معنى البيت: انه اعتاد العفاف فى يقظته؛ كقوله هو:

وترى المروءة والفتوة والأبوة ة فى كُلى مליحة خُراتها^(٣)

فاذا رأى الطيف أراه النوم ما تعود من العفة فَعَفُ، فإن ذلك من خلق النفس كثير. أعنى أن ترى فى حلمها ما تعودته يَقْظَى؛ ولذلك علة ذكرها حذاق القدماء جالينوس وغيره . والطيف فَعَلٌ من طاف يطوف، إلا أننا لم نسمع فيه

(١) من قصيدة فى مدح سيف الدولة (ديوانه ٣١٨ والتبيان ٢٦٨: ١) والبرقوى (١٧١: ١) مطلعها: «عواذل ذات الخال فى حواسد».

(٢) البيت فى اللسان (رجل) وقوله بيت آخر:

غير جيران بني جبلة

كل جار ظل مفتبطا

(٣) انظر ماسبق شرحه لهذا البيت (مقطوعة ٤٥)

طَوْفًا^(١) . وقد يكون (فَعَلًا) من طاف يطيف: سُمِّيَ بالمصدر، لأن طاف يطيف عندنا من باب باع يبيع واسع. ولا أحمله على ما ذهب اليه الخليل فى طاح يططح قياساً عليه؛ لأن باب باع يبيع واسع كثير.

وباب «طاح يططح» قليل، لا يُوجد لها أخت إلا تاه يتيه فى لغة من قال : تَوَهَّتْهُ . وحكى أبو زيد : ماهَت الرَكِيَّةُ ثَمِيه وهو من الواو فهى الثالثة «لِطَاحٍ وَتَاهٍ» على قول الخليل:

(مَخْضِبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَانَهُمْ^(٢)) وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ
أى هذه البلاد مُخَضَّبَةٌ، الدماء فيها جارية، والأشلاء مُنْكَبَةٌ وَمَبْطُوحة
فكانها مساجد مُحَلَّقة لا نكباب القتلى وإن لم يكونوا ساجدين.

(تَنَكَّسَهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ وَتَطَعَنُ فِيهِمُ الرِّمَاحُ الْمَكَائِدُ)
تنكسهم: تقلبهم على رءوسهم . فيقول: من شأن تنكيسك لهم عن متون
خيلهم وهم ركبان لها . فلما تركوا الخيل ، وركبوا الحصون والقلاع وَقُنَّ
الجبال مكان الخيل؛ فلم يمكنك تنكيسهم بالرمح حينئذ، كما كنت تنكسهم به
فُرسانا ، أقمت كَيْدَكَ لهم مقام الرمح فنكستهم عن الجبال به. وقوله
:(والرماح المكايِدُ) : أى المكايِد هى التى قامت مَقَامَ الرماح لأنك وصلت
بالمكيدة إلى مثل : ما كنت واصلاً إليه بالرمح . وقد أجاد فى تطبيقه
قوله:(والسباقات جبالهم) بقوله: (والرماح المكايِد).

(فَتَى يَنْتَهِي طَوْلُ الْبِلَادِ وَوَقْتُهُ تَضَيِّقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ)

(١) يعنى ابن سيده أنه لم يسمع فى طيف الخيال، طوف الخيال، مع أن أصل المادة واوى العين، ومثله طاح يططح (بالياء) فى المضارع مع أنهم يقولون (طَوَّحْتُ). فأصله إذن واوى العين. ومثله الفعل (تاه) يتيه (بالياء) فى المضارع. فأصله بالواو فى المضارع، لأنهم يقولون أحياناً (تَوَهَّتْ) بالواو، وهى الأصل فى المادة.

وكل هذا عند من يقول: إن الأصل فى المضارع من هذه الأفعال أن تكون عينه واواً (وانظر الكتاب لسيبويه ٣٦١: ٢).

(٢) فى الديوان والتبيان: (كانها).

أى همته يَقْصُرُ عنها الدهرُ فهو يشتهى طول الدهر ليس همته، وجيشه عظيم تضيق عنه البلاد فهو يشتهى أن تتسع البلاد وتطول لتحمل جمعه. فالأوقات أزمّة تضيق عن همته ، والمقاصدُ أمكنة تضيق عن جيشه.

وفى البيت حذف . وتمامه - لو اتزن - فتى يشتهى طول البلاد لجيشه، وَسَعَةً الأوقات لهُمته. فهمته تضيق عنها الأوقات وجيشه تضيق عنه البلاد.

(أَحْبَبْتُ يَا شَمْسُ الزَّمَانَ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لَأَمْنَى فَيْكَ السُّهَاءُ^(١) وَالْفَرَاقِدُ)

جعله شمس الزمان وبدره ليخبر عنه بكمال النورية وأنه يعم الليل والنهار بضوئه وهذا أحسن. لأن الممدوح موجود نهاراً وليلاً فهو للنهار شمس وللليل بدر، واختار البدر على القمر، لأن القمر ربما لم يُغْنِ ضَوْؤُهُ كبير غناء مع ما أثره من الوزن. وجعل غيره من الأملاك بالإضافة إليه سُهَاءً وفراقد . ولا خفاء بما بين الشمس والبدر وبين السُّهَاءِ والفراقد من المراتب فى النور.

فيقول : أنا أحبك أيها الملك الذى هو فى الملوك كالشمس والبدر فى النجوم ، لعظم نفعتك وجسامته غنائك فى نوعك ، وإن لَأَمْنَى فَيْكَ: أملاك هم فى الملوك كالسُّهَاءِ . والفراقد فى الكواكب فكيف أطيع من هو كالسها والفراقد فيمن هو كالشمس والبدر وهما مُغْنِيَانِ عن السها والفرقدين . بل أحدهما مُغْنٍ عنهما . والسُّهَاءِ والفرقدان لا يتجزءان منها ولا من أحدهما وقال : (والفراقد). وإنما هو (الفرقدان) لأنه جمعها. بما حولهما، أو على أنه جعل كل جزء منهما فرقداً وقد فعلت العرب ذلك قبله كثيراً كقوله:

وَدُونَ الْجَدَى الْمَأْمُولِ مِنْكَ الْفَرَاقِدُ^(٢)

وحكى سيبويه: أنهم يقولون للبعير (ذو عَتَانَيْنِ) كأنهم جعلوا كل جزء منه عُنْتُوناً^(٣).

(١) السها: كوكب صغير يخفى الضوء فى نباتات نعش الكبرى، يمنحن الناس به أبصارهم. والفرقدان: كوكبا فى نبات نعش الصغرى. (اللسان)
(٢) عجز بيت أنشد صاحب اللسان فى (فرقد) عن ابن سيده ولم يذكر قائله وصدره «لقد طال ياسودا» منك المواعيد» (٣) سيبويه (الكتاب ٣: ١٣٨).

وقال جرير : أنشده سيبويه:

قال العوانلُ ما لجهلك بعدما شابَ المفارقُ واكتَسَيْن قَتِيرًا^(١)

- ٧٣ -

وله ايضا:

(يَحِيدُ الرمحُ عنك وفيه قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أن يَنَالَ وفيه طَوْلُ)^(٢)

أى هيبتك فى فؤاد القرن تخذل يده فيحيد رمحك عنك مهابةً لك بعد أن سدده ويقصر الرمح أيضاً أن ينالك هذا القرن به، حذره إقدامك عليه وإن كان طويلاً. وإنما يعنى بطول الرمح العمل به، وجودة التصريف له، لا الطول الذى هو ضد القصر. لأن الطول عيبٌ وذلك أن الرمح إذا كان طويلاً خانَ فضعف.

- ٧٤ -

وله ايضا:

(شَفَنَ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبَ شَفَنَ قَبِيلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ)^(٣)

الشَّفَنُ: النظر من فوق إلى أسفل. (خمس) أى بعد خمس بين يوم وليلة. والعرب تُغَلِّب فى مثل^(٤) هذا المؤنث على المذكر لسبق الليلة لليوم فى تاريخ الشهر.

أى ركبت فرسانك خيلهم إلى عدوهم وطوّوا عليها المراحل ليلاً ونهاراً فما نزلوا عنها^(٥) حتى هجمت بهم على مطلوبهم. فكان نظرهن إلى من طلبته من العدو قبل نظرهن إلى نازل عنهن. أى لم ينزل أحدٌ منهم عنها فتنظر إليه. وإنما أدركوا ما طلبوه ثم كان النزول بعد ذلك.

(١) البيت لجرير فى ديوانه (٢٨٩) وهو من شواهد سيبويه (١٣٨:٣) على أنه جمع مفرق الرأس على مفارق. ووجه ذلك أن يجعل كل جزء منه مفرقاً على الاتساع. والقدير: الشيب من القتر وهو الغبار. (٢) من نصيدة له مطلعها:

رويدك أيها الملك الجليل تأتى وعدده مما تنيل

(٣) من قصيدته «إلام طماعية العاذل» ديوانه (٢٧٠) والتبيان (٢٥:٣).

(٤) كلمة (مثل) ساقطة من م.

(٥) فى م (عليها) تحريف.

(فَأَقْبَلَنَّ يُحَزِّنُ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنُّحْلِ وَالْعَاسِلِ)

ينحزن : ينفعل^(١) وَيَحْزِنُ^(٢) فقلبت الواو ألفا لا نفتاح ما قبلها ، فالتقى بذلك ساكنان فحذف الأول لالتقائهما . أى كانت خيلُ عدوك أمامك وهو^(٣) فى آخرها من خوفك . وهى بينك وبينه نوافر . فاقتضى البيت ثلاث تشبيهات اختصرها بأن ردها إلى اثنين . وشرح ذلك أنه شبه الممدوح بالعاسلِ وعدوه بالعسل المطلوب للشئور^(٤) وصحابه بالنحل التى يُفَرُّها العاسلُ ليصل إلى العسل المطلوب . وعنى بالخيل هنا: أصحاب الخيل . واكتفى من تشبيه عدوه بالعسل لفظاً لأن كلامه يقتضى ذلك وهو^(٥) من حُسْن دليل الخطاب: لأنه إذا كان عاسلٌ ونحل فهناك عَسَلٌ لا محالة ، وقوله: (ينحزن قدامه) : أى ينحاز بعضهم إلى بعض .

(وَمَا بَيْنَ كَأَذَى الْمُسْتَغِيرِ كَمَا بَيْنَ كَأَذَى الْبِئْسَاءِ)

الكأذة : لحم الفخذ ألغُه منقلبة عن واو . قالوا ثوب مكؤذ : بلغ الكأذة . والمستغير : الفرسُ المُغِير ، بناه على استفعل لأنه طَلَبٌ ، والطلب يأتى على استفعل كثيراً . عليه بنى سيبويه^(٦) باب استفعل .

يقول: قد تفرج ما بين أفخاذ الخيل بالركض ، كما يَفَرِّج ما بينهما إذا تفرجت للبول أى فتحت أفخاذها .

(فَلَقَيْنَ كُلَّ رُدَيْنِيَةٍ وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ)

يقول: إن خَيْلَ سيف الدولة لقيت^(٧) مع الخارجى بعد جَهِدِها أشدَّ الأعراب الذين يَغْدُونَ الخيلَ الكرام التى تُؤَثِّرُ باللبن عند قِلَّة . ولقيتْ جَيْشاً [الخارجى

(١) ينفعلن من الانفعال وهو التأثير وليس يريد وزن الكلمة.

(٢) فى اللسان (حوز) انحاز القوم: تركوا مراكزهم ومعركة قتالهم وسالوا إلى موضع آخر. وتحوز عنه وتحيز: إذا تنحى وأصلها: تحيز فقلبت الياء واوا لمجاورة الياء . وأدغمت فيها .

(٣) فى م : (وهى) ولعل الصواب ما أثبتنا والضمير عائد إلى (عدوك) وبهذا يستقيم التعبير .

(٤) يقال: شرت العسل أشوره شورا: جنيته وجمعه من الخلية .

(٥) وهو: ساقطة من م .

(٦) انظر الكتاب لسيبويه (٢: ٢٣٩) .

(٧) (مع) سقطت من (ت) ومثلها موجودة فى عبارة صاحب التبيان عند شرحه البيت .

من الأعراب يقاتل^(١) على ناقة^(٢) قد تيقن استهلاك أصحابه دونه. فأعرض عن ركوب الخيل. ووصفه بحاله في كذبه ودعواه^(٣).

إنما الشائلُ بغير هاء: اللأحق، وبالهاء: التي خف لبنها. والخيل إنما تغذى بلبن الشائلة^(٤) لأن اللبن إذا خف مرأ ونجع^(٥).

وإنما أراد هذا الشاعر الشائلة^(٦) فحذف الهاء للضرورة.

والمصبوحة: المسقية الصبوح وهو ما اصطبح بالغداة حاراً. أى كل فتاة ردينية وفرس مكبونة وهى أقوى الخيول. أنشد سيبويه^(٧):

لا يحمل الفارس إلا الملبون المخص من أمامه ومن دون
(وطفن يجمع شذأنهم كما اجتمعت درة الحافل^(٨))

«شذأنهم»: من شذ منهم. والدرة: اللبن يجتمع فى الضرع. «والحافل»: إما أن يكون جملة^(٩) فيعنى به الناقة، فيكون من باب ناقة بازل أى من المؤنث الذى لاهاء فيه. وإما أن يكون جزءاً فيعنى به الضرع وهو عندى أجود لأنه موضع تحفل اللبن.

ومعنى البيت: أنه عنى طعنت كل طعنة عظيمة تجمع المتفرقين على صاحبها، تعجباً من سعتها، كما تجمع الدرة فى الضرع المحفل كقول الشاعر:

- (١) هذه العبارة قد سقطت من الأصلين ومحلها خال. وقد استرحناها من قول الخطيب فى شرح البيت التالى كما نقله صاحب التبيان (٢٦:٣).
- (٢) قال الخطيب: يقول: إنه ركب جملاً وأشار إلى أصحابه يحشم على القتال وأعرض عن ركوب الخيل ليتقنه أن أصحابه يهلكون دونه وأن الغلبة له
- (٣) وصف المتنبي ذلك الخارجى. فقال: (وجيش إمام على ناقة: صحيح الإمامة فى الباطل)
- (٤) (٣) ما بين الرقعين ساقط من ت.
- (٥) فى اللسان (مرأ) يقال: مرأتى الطعام وأمرأتى: إذا لم يشغل على المعدة وانحدر عنها طيباً. و(نجع) الطعام فى الإنسان بنجع نجوعاً: هنا أكله وصلح عليه ونجع فيه الدواء. وأنجع: إذا نفع.
- (٦) هذا الرجز من شواهد سيبويه فى الكتاب (٤٧:٢). والملبون: الذى يسقى اللبن ويؤثر به لكرمه وعتقه والمحض: الخالص.
- (٧) حفل الشاة: جمع اللبن فى ضرعها ليرى حافلاً. وضرع حافل: وضروع حفل وحوافل. ونهى عن بيع المحفلة (أساس البلاغة).
- (٨) جملة أى جملة الناقة كما يفهم من كلامه وشرحه.

تركتُ بنى الهُجَيمَ لهم دَوَارٌ إذا تمضى جماعتهم تعود^(١)

والدُّرة فى الدر كالحلية فى الحلَى . أعنى أن هاء التانيث تعاقب^(٢) الفتحة .
ومثله بَرَكٌ وبِرْكة وهى الصدر . وحَب^(٣) وهى بذور الصحراء .

(وَأُنْبِتُ مِنْهُمْ رَبِيعَ السَّبَاعِ فَأُثْنْتُ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ)

أقام الأشلاء للسباع ، مقام الربيع للماشية . والأول (ربيع للسباع) إنما هو
على المثل^(٤) كما قيل : فلان يَزْعَى فى لحوم الناس . يقول : أَلْقَيْتَ لَهَا الْأَشْلَاءَ
فَأُخْصِنْتُ كما تخصب السَّوَام^(٥) فى الربيع . ونحوه قول

وَأَصْبَحْتُ بِقُرَى هِزْرِطَ جَانِلَةً تَرْعَى الظُّبَا فى خَصِيبِ نَبْتِهِ اللَّمَمُ^(٦)

يَعْنَى الروس جعلها خصيبة إشعاراً بأن أصحابها شُبَّانٌ . وقوله : (فَأُثْنْتُ
- بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ) : مبالغة وإفراط ومذهب شعري غير حقيقى . لكن يقول : إن
السَّبَاعَ قد اعتادت ذلك منهم حتى عَقَلَتْ أَنَّهُ من لدنْه فَشَكَّرَتْ لذلك .

(وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهْ شَيْبَةُ الْأَبْلَقِ الْجَانِلِ)

أى خبرك مشهورٌ ظاهر شهرته كشهرة الأبلق الجائل . وذلك أن الأبلق
مشهور فى موضعه . فإذا^(٧) جال كان أشهر له ، لأنه يُعرف فى مواضع . وكذلك
خبرك سائر مشهور^(٨) فى كل موضع .

(١) البيت لعنتره فى ديوانه ٢٨٢ وشرح الحماسة للمرزوقى (١٤٦:١) والدوار (ككتان) ويخفف وهو
الأشهر: صنم كانت العرب تنصبه ويجعلون موضعاً حوله يدورون به . شبه المقاتلين المجتمعين حول ذلك
الرجل ينظرون طعنته الواسعة . ثم ينصرف جمعهم ويأتى منهم جمع آخر يبرجال يدورون حول صنم لهم .

(٢) تعاقبها إذا زالت .

(٣) الحَبُّ (بالفتح) اسم جنس واحدته حَبَّة (بالفتح) أيضاً وهو عام فى كل مايلذره الزارع بيده كحب القمح
والشعير .

أما الحبة (بكسر الحاء) ففيها خلاف عند أئمة اللغة . فقيل: هى بذر كل نبات ينبت وحده من غير
أن يُبَذَّر وقيل: هى اسم عام للحبوب المختلفة من كل شئ وقيل: هى بذور الأعشاب والبقول البرية (انظر
اللسان - حَب).

(٤) أى على الاستعارة .

(٥) السَّوَام: الإبل المرسلة فى الربيع لترعى وتسمن .

(٦) ديوان المتنبى (ص ٣٥٥) والتبيان (٤: ٢٠) .

(٧) هذه عبارة ت . وفى م (فإذا كان جال) .

(٨) كلمة (مشهور) سقطت من م .

وله أيضا:

(وَلَهُ - وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ - مَوَاهِبُ

دُرُّ الْمُلُوكِ لِدُرِّهَا أَغْبَارُ^(١))

الغُبرُ : بقية البن في الضرع . فيقول : هباتك كأول الدرّ، وهبات الملوك كبقايا اللبن بعد الحلب . وأوضح من هذا أن يقول : إن مواهب الملوك وإن كثُرت وغُزرت بالإضافة إلى مواهبك ، كالغُبر بالإضافة إلى الدرّ الذي هو أغزر اللبن؛ فهذا أبين . والأول وجيه . واللأم في قوله (لدرّها) بمعنى إلى: أى درها بالإضافة إلى درها .

وقوله : (دُرُّ الملوك لدرها أغبار) : جملة في موضع الصفة للنكرة . فكأنه قال : وله مواهب دُرُّ الملوك لدرّها أغبار . وإذا رَدَدَتْ هذه الجملة إلى المفرد، فكأنه قال : وله مواهب فائقة .

وقوله : (وإن وهب الملوك) : معناه : أُجْزِلَ الهبة . فهذا يُحَسِّنُ معنى البيت . ويدلّك عليه قوله : (دُرُّ الملوك) فقد أوضح ماأراده في قوله : (وإن وَهَبَ الملوك) ولا تكون وَهَبَ هنا مجردة من معنى الغَزَاة لأن الممدوح إذا فاق واهباً غير مُجْزِل ، لم يك ذلك فضلاً إنما فضله أن يفوق المُجْزِلين .

(وَيَدِينُونَ مَا أَنَا مِنْ وَدَائِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى الْمَطْيُ وَيَقْرَبُ الْمُسْتَنَارُ)

أى بأقل من هذا الوداد الذى أضمره لك تعمل المطي فى الأسفار إلى المودود حتى تنضى ، فيقرب بذلك ما كان بعيداً . وذلك أن الشوق يحمل على احتثاث^(٢) المطي وإغذاذ^(٣) السير كقول الشاعر:

(١) من قصيدة له بديوانه (ص٢٧٧) والتبيان (٢: ٨٦) ومطلعها:

سرّ حيث حلّ تحله التوار وأراد فيك مرادك المقدار.

يراجع التبيان والديوان

(٢) فى ت: (اختلاف) مع موضع (احتثاث) تحريف.

(٣) يقال: أغذ فى السير: أسرع فيه.

كَأَنَّ عَلَيْهَا سَانِقًا يَسْتَحْجُّهَا كَفَى سَانِقًا بِالشَّوْقِ بَيْنَ الْأَصَالِ
وقال :

وَعَوْدٌ قَلِيلُ الذَّنْبِ عَاوَدَتْ ضَرْبُهُ إِذَا هَاجَ شَوْقٌ مِنْ مَعَاهِدِهَا كِبِيرُ^(١)
وَالْمُسْتَارُ^(٢): مُفْتَعَلٌ مِنَ السَّيْرِ . أَيْ : يَقْرُبُ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَسَارُ إِلَيْهِ وَإِنْ
كَانَ بَعِيدًا .

- ٧٦ -

وله أيضا:

(وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلُقُ الْبَحُورُ الْعِظَامُ^(٣))
أَيْ إِنْ هَمَّتْ لَا تَسْتَقِرُّ لِأَنْ شَيْتَمَكَ الْحَرَكَةُ كَمَا أَنَّ الْبَدْرَ شَأْنُهُ الْحَرَكَةُ دَائِمًا
كَلِمَا غَابَ مِنْ مَوْضِعٍ طَلَعَ عَلَى آخَرَ . وَكَذَلِكَ الْبَحْرُ يَتَمَوَّجُ فَلَا يَسْتَقِرُّ . وَكُنِيَ
بِالْقَلْقِ عَنِ التَّمَوُّجِ لِأَنَّ الْقَلْقَ ضِدُّ الطَّمَأْنِينَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ . وَ(كَذَا): مَجْرُورٌ فِي
مَوْضِعٍ نَصَبٍ . أَيْ مِثْلُ طُلُوعِكَ تَطْلُعُ الْبُدُورُ ، وَمِثْلُ قَلْقِكَ تَقْلُقُ الْبَحُورُ ، وَمِثْلُ
طُلُوعِهِ بِطُلُوعِ الْبَدْرِ وَقَلْقُهُ بِقَلْقِ الْبَحْرِ إِشْعَارًا بِأَنَّ الْمَمْدُوحَ كَالْبَدْرِ جَمَالًا
وَكَالْبَحْرِ نَوَالًا . وَقَوْلُهُ: (الْعِظَامُ): مُوَازِرَةٌ لِلْبُدُورِ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ الْبَحُورُ وَلَمْ يَذْكُرِ
الْعِظَامُ لَمْ يَكْ مُطَابِقًا لِلْبُدُورِ ، فَتَفَهَّمَهُ .

(وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكِتَابَ حَتَّى تَتَلَقَّى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ)
الفقهية: مَا يَلِي مِنْ فِقْرِ الْعُنُقِ . وَقِيلَ الْفِهَاقُ: مَوَاصِلُ الْأَعْنَاقِ فِي الرُّعُوسِ
أَيْ يَنْقُصُ الْأَعْضَاءَ وَيُبْضِعُهَا ، حَتَّى يَلْتَقِيَ طَرَفَا الْجِسْمِ عَلَى بَعْدَ بَيْنِهِمَا . وَإِنْ
شَتَّتْ قَلَّتْ : يَضْرِبُ الْهَامَ ، فَتَسْقُطُ عَلَى الْأَقْدَامِ .

(فَكَثِيرٌ مِنَ الشَّجَاعِ النَّوْقَى وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ الْكَلَامِ)

(١) فِي ت: مِنْ مَعَاهِدِهَا ذَكَرَ .

(٢) الْمُسْتَارُ: مُفْتَعَلٌ مِنَ السَّيْرِ ، أَيْ هُوَ اسْمُ مَكَانٍ مِنْ اسْتَارِ الْمَكَانِ إِذَا سَارَ إِلَيْهِ فِي مَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ .

(٣) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مَطْلَعُهَا :

«أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَبْهَذَا الْهَامَ نَحْنُ نَبْتَ الرِّيَا وَأَنْتَ الْغَنَامُ»

أى هيئته ترع قلب ذوى النُجدة وقلوب ذوى البلاغة، لأن هذا الممدوح شجاعٌ بليغٌ قد بلغ الغاية فى الفضيلتين ، فأبعدَ غايات الشجاع وأعلى منازلهُ أن يُحسن التوقى من هذا الممدوح ولا يتحدث بالظهور عليه، لأن ذلك منه سفةٌ رأى . وأبعد غايات البليغ أن يقدم فيسلم عليه ولا يتحدث بإسهابٍ فى مخاطبته ولا إطناب . وهذافى أسلوب قول الشاعر:

يُغْضَى حياءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَاسِمُ^(١)

ولأبى الطيب فضل ذكر الشجاعة والبلاغة فى بيت واحد وإفراد كل واحد من الفضيلتين بمصراع.

- ٧٧ -

وله أيضا:

(ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسِّيَاطِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا^(٢))

يصف خيل الروم . وذلك أن سرية الروم رأت جيش سيف الدولة فظنته جيشها فهزمت نحوه تريد للحاق، فتبين لهم قبل أن يلحقوا أنها خيل الإسلام ، فانصرفوا هاربين عنها مُجْدِّين يضرِبونها بالسياط للإذبار كما يضرِبونها للإقبال . و«عن» ها هنا : لِمَا عدا الشيء أى مبعدين عنا لها . وقوله: تعارفنا: أى افترقنا فعرفونا وعرفناهم.

(وإن كُنْتُ سيف الدولة العَضْبَ فيهم

فدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ^(٣) الْقَنَا اللَّدْنَا)

اللَّدْن : اللين. ذَكَرَ عَلَى اللفظ لأن القنا وإن كان قناة فلفظه لفظ المذكر وما خرج من الجميع على هذه الصورة جاز تذكره وتأنيثه . يقول إن كنت أنت

(١) المشهور أن هذا البيت للفرزدق من قصيدة له فى مدح على بن زين العابدين، ولم نجدنا فى ديوانه (ط. الصاوى) وتنسب لغيره وهو الصحيح.

(٢) من قصيدة فى سيف الدولة وقد عزم على محاربة الروم ومطعمها: تزور ديارا مانحب لها مغنى ونسأل فيها غير ساكنها الإذنا

(الديوان ٣١٦ والبرقوقي (٤١٨:٢) والتبيان (١٦٧:٤) .

(٣) فى بعض النسخ: «قبل اللقاء»

سيف الدولة والسيف أشرف السلاح، وهو المستغاث به إذا اشتد البأس، لأن الرماح والسهام قد فنيت، فَعُدْنَا نحن حينئذ رماحا وقَدَمْنَا، فإذا فنيْنَا أو قاربنا ذلك فكُن أنت سيف الدولة الذى يكون به الضَّرَابُ إذ لا يباشر ذلك إلا مثلك . وهذا نحو قول الآخر

فلما لم نَدْعُ قَوْساً وَسَهْماً مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشُوا إِلَيْنَا^(١)

- ٧٨ -

وله أيضا:

(اِخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَأْمَطُرُ وَمَنْ لَهُ فِى الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ)^(٢)

أراد دهماً هاتين الْفَرَسَيْنِ ، فاكتفى بالإشارة من التنبيه. تقول العرب: تا، وهاتا ، وتى ، وهاتى ، وقوله : يا مطر: يخاطب سيف الدولة جعله مطراً بجوده .(ومن له فى الفضائل) : عطف على قوله : (يأْمَطُرُ) والخيرُ: جمع خَيْرَة وهو الشئ المختار. أى له من الفضائل أشرفها، أو من نوع كل فضيلة أشرفه . أراد وَمَنْ لَهُ من الفضائل الخير فوضع «فى» موضع «من» . والفضيلة : الخصلة التى يُسْتَحَقُّ بها الفضل، وضدها الرذيلة.

- ٧٩ -

وله أيضا:

(حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُزْنِ فِيهِ كَثُومُ السَّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ)^(٣)

أى هذه المرأة حسان طاهرة نقية من الشُّوبِ^(٤) كماء المُرْنِ فى المُرْنِ قبل انحطاطه إلى الأرض ومُمارَجَتِه طبيعة التراب . فالهاء فى قوله (فيه): راجعة إلى المُرْنِ . (كثُومُ السَّرِّ) : يعنى محاسن خَلَقَها وَخَلَقَها ؛ وكتمها إياه : صونها له

(١) من قصيدة لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهنى (الحماسة: شرح المرزوقى ١: ٤٤٢).

(٢) قالها فى سيف الدولة وقد خيره بين فرسين دهماً وكميت (ديوانه ٢٨٢) والدعما: السوداء. وتين: اسم إشارة للمؤنث.

(٣) من قصيدته له بديوانه (ص ٢٦٧) فى رثاء والده سيف الدولة، مطلعها:
نعد المشرفية والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال.

(٤) الشوب : الخلط. أى برتية مما يدنُس النفس من العيوب.

حتى لا يُطْلَع عليه منها . ولما كَتَى بالسَّرِّ عن المحاسن الخَلْقِيَّةِ والخَلْقِيَّةِ كَتَى عن صونها بالكتمان . وكأنه إنما سَمَّى ذلك سِرًّا لأنه مما يجب ألا يُعرف من النساء . (صادقة المقال) أى لا تُدْخَلُ فى ريبة فتحتاج إلى افتعال التأويل والتحِيلُ للاعتذار ، ولكنها حسنة الخفايا سألمة الإرادة ، فصدقها يُغْنِيها عن التماس الكذب . وإن شئت قلت : وصفها بصدق المقال مُطلقاً لأن ذلك من أجلِّ ما يُمدح به ولا خفاء بمزية الصدق .

(فلا غِيضَتْ بِحَارِكِ يَا جَمُوماً عَلَى عُلَلِ الْغَرَائِبِ وَالذُّخَالِ)

بحر جَمُوم : كثير الماء ، وكذلك البئر . والذُّخَال : أن تُدْخَلَ بعيرا قد شرب بين بعيرين لم يشربا . والغرائب : الإبل الواردة حياض غير أهلها ، فهي مدفوعة عنها ممنوعة دُونها ، كقول الحجاج (ولأضرِبْ بِنُكْمِ ضَرْبِ غَرَائِبِ الْإِبِلِ)^(١) وغِيضَتْ ، نقصت . غاض الماءُ وَغِيضَتْهُ وفى التنزيل . (وغيضَ الماءُ)^(٢) والعُلَلُ : الشُّرْبُ الثانى من الذَّهْل . فيقول : لا غِيضَتْ بحارك : أى لا قَصُرَ جُودُكَ عن كثرة ما يَرُدُّهُ من الغرائب وذوات الذُّخَال وكلاهما نوع غير مستحق للورود ، فكفى بهم عمن لا يستحق جُودَ هذا الممدوح . وإن شئت قلت : كَتَى بهما عن المقيمين والطارئين عليه . أى عَمَّ جودك الفريقين . يدعو له بذلك .

- ٨٠ -

وله ايضا:

(بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرُّمْلِ مَا بِكَ فِى الرُّمْلِ)

وهذا الَّذِى يُضْنِى كَذَلِكَ الَّذِى يُبْلِى^(٣)

منك : أى من أجلك . تقديره: بنا فوق الرمل من الحزن بك والأسف عليك ما يُتَحَفَّنُ وَيُضْنِىنا كما بك فى الرمل . إلا أن هذا لنا مُضْنٌ وذاك مُبْلٌ وكلاهما مشتبهان فى أن عملهما التَّنْقُصُ والفساد ، إلا أن حالك البَلَى وحالنا الضَّنَى وقال : (وهذا الَّذِى يُضْنِى) فأشار إلى الضَّنَى إشارة القُرب لأنه مُشَاهِد .

(١) من خطبة الحجاج حين ولأه عبد الملك بن مروان أمر العراق .

(٢) الآية ٤٤ من سورة هود .

(٣) مطلع قصيدة بديوانه (ص ٢٧٩) فى رثاء أبى الهيجا عبد الله بن على سيف الدولة .

وقال: (كذلك الذى يُبلى) : فأشار إلى البلى إشارة البعد لأنه مُعَيَّب عنه.

(تَرَكْتُ خُدُودَ الْغَانِيَاتِ وَقَوَّعَهَا

دُمُوعُ تَذِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ)

هؤلاء الغواني^(١) كُحِّلَ الْأَعْيُنَ كَحَلًّا طَبِيعِيًّا . والكحلُّ الطبيعى يزيده الحسن حسناً لأن كلَّ طبيعى يُقَوِّىءُ المكتسبُ المشاكِلُ له ، فيقول : إن دموع الغانيات الكحلُّ المكتحلات تغسل الكحلَّ الذى هو زيادة فى حسن الكحلِّ فيزول حسن الكحلِّ ويبقى حسنُ الكحلِّ فقد زال الحسنُ المكتسبُ الذى كان زيادة فى الطبيعى فنقص الحسن عما كان عليه إذ كان المكتسب موجوداً مع الذاتى ، وكان الدمع هو الذى أذابه ونقصه . ولا يَكْنَى فى حدِّ الحقيقة عن تنقُّص الحسن بالإذابة ، لأن الحسن عَرَضٌ فلا يذوب ، وإنما تذوب الجواهر ، لكن لما كانت زيادة الحسن بالكحلِّ وكان الكحلُّ جوهرًا ، استجاز إيقاع الإذابة على العَرَضِ الحادث عنه فتفهمه .

(تَبَلُّ الثَّرَى سُودًا مِنَ الْمَسْكِ وَخُدَّهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعْرِ الْجَلِّ)

أى بَكَيْنَ دَمْعًا مشوباً بدم ، لإفراط الحزن عليك ، تقطرت حُمْرًا ووقعت على الذوائب المنتشرة^(٢) على الخدود للحزن ، وفيها أفواه المسك فسقطت إلى الأرض سُودًا بالمسك وخُدَّهُ دون الكحلِّ لأنَّ الكحلَّ قد أذابه الدمع وأسأله . وقال (تبل الثرى) : فأشعر بأنها خرقت الأرض لشدة وقوعها وغزارتها حتى رَسَخَتْ فى الثرى

(السَّتْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ رِمَاحُهُمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ)

لما استعار للبخل مهجة مقتولة ، فجعلها إحدى قتلاهم ، وكان البخل إنما يُقْتَلُ بالنَّدَى ، جعل نداهم رُمَحًا يُقْتَلُ به البخل . وقيل : من رماحهم نداهم : أى يجودون بما أفاءت عليهم رماحهم . والأول أولى لقوله : ومن قتلاهم مهجة البخل .

(١) الغانية: التى غنيت بحسنتها عن الزينة.

(٢) فى م: (المنثورة). ولعله تحريف من الناسخ. ويشهد للمنثورة قول الشاعر
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
فى ليلة فارت لبالى أربعا.

وقوله: «مهجة البخل»: تفلسفُ لأنه إذا قُتلت المهجة - والمهجة قِوام المقتول - أغنى ذلك عن وصف الجُملة بالقتل . وهذا منه احتيال مليح لتسوية إعراب الرُوى . وليس للبخل مُهجةٌ . إنما المهجة للحيوان، فاستعارهُ . وسَهّل ذلك حين استعار القتل للبخل . وقال: (أَلست). فأخرج اللفظ مُخَرَج الاستفهام ومعناه الإثبات والتقرير كقوله تعالى (أَلستُ بريكَم^(١)) ؟ قال جرير:

الستم خَيْر من ركب المطايا واندَى العالمين بَطُون رَاحِ^(٢)
فمعناه أنت من القوم الذين شأنهم كذلك، كما أن معنى (أَلستُ بريكَم): أنا رِئِكم . ومعنى (الستم خير من ركب المطايا) : أنتم خير من ركب المطايا .

(وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرْدُ عَلَى الصَّقْلِ)
أى إذا نزلت بك الملمات ثَبَّتَ من صبرك، وتبين من جَلَدك ما يزيدك فى النفس جَلالاً، لأن ذلك عين الخُبر والمِحْنة، كما أن السيف إذا أخذ منه الصَّقْل جلا عن^(٣) جوهره الذى كان يخفيه منه الصُّدَى فازداد شرفاً^(٤) بذلك ؛ ولذلك قالوا : خرج منها كالشُّهاب . أى بينَ الفضل واضح الشرف . وقابل مر^(٥) الحوادث بالصَّقْل لأن ذلك كله رَوْدُ^(٦) واختيار وداعية ألى الوقوف الصحيح من الشئ .

(بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ إِلَى بَطْنٍ أَمْ لَا تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ)
يعنى أنه عاد من بعد الحمل الذى تبعته الولادة إلى بطن أم لا تضع حملها
يعنى الأرض لأن من تضمنته لا يخرج منها إلا إلى الْحَشْرِ، فجعل تضمينها له كَالْحَمْلِ به ، ونفى عنها التُّطَرِيق الذى هو ضد الحمل وكل ذلك مستعار .
(وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ نَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ)

(١) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٢) البيت من قصيدته فى مدح عبد الملك بن مروان مطلعها:

أتصحبوا أم فؤادك غير صاح عشية همّ صحبك بالرواح.

(٣) فى م: (عنه) .

(٤) فى م: (شرفاً) تحريف.

(٥) فى م: من .

(٦) فى م: (زور) تحريف. ويقال: رازه بروزه رَوَزاً؛ جَرَّبَ ماعنده وخيره والرَّوْز: التجربة (اللسان - روز).

قوله: (دق شخصه) : كلام شعري^(١) لأن الموتَ عَرَضَ والعرض لايشخصُ، إنما التشخيص للجواهر . وقد يتجاوز بالعَرَضُ المحسوس كالحمرة والصفرة . فأما الأعراض النفسانية فلا تُشخصُ . وسوَّغ ذلك قوله فيه (سارق) لأن السارق لا يكون إلا شخصاً ، فلما نسب إليه صفة لا تكون إلا فى الجواهر، وهو السرُّق، استعار له التشخص . (يصُولُ بلا كف ويسعى بلا رِجْل) : أى أنه عَرَضَ والعرض لايد له ولا رِجْل .

(يَرُدُّ أَبُو الشَّجَلِ الْخَمِيسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوَلَادَةِ لِلنَّمْلِ)

يَعِذُّرُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِى أَنَّهُ لَمْ يَطُقْ دَفْعَ الْمَنِيَةِ عَنْ ابْنِهِ . يَقُولُ : إِنْ الْأَسَدُ يَرُدُّ الْخَمِيسَ عَنْ شَيْئِهِ وَذَلِكَ لِكِبَرِ أَجْرَاهُمْ وَعَظَمِ أَشْخَاصِهِمْ، وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَمَا يُولَدُ لِلنَّمْلِ تَأْكُلُهُ إِذْ لَا يَطِيقُ دَفْعَهَا لِدَقَّةِ أَشْخَاصِهَا فَكَذَلِكَ الْمَوْتُ لَوْ تَجَسَّمُ لِرُدِّهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ عَنْ ابْنِهِ، وَلَكِنَّهُ عَرَضٌ غَيْرُ مُتَجَسِّمٍ وَلَا مُحْسُوسٍ ، فَلَا قُوَّةَ بِهِ عَلَيْهِ ، بَلْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْذَرُ مِنَ الْأَسَدِ لِأَنَّ النَّمْلَ وَإِنْ دَقَّتْ فَهِيَ مَرْتِيَةٌ وَالْمَوْتُ غَيْرُ مَرْتِيٍّ ، فَدَفَعَهُ أَبْعَدَ مِنَ الْإِمْكَانِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ بَعْضِ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ يَوْصِي ابْنَهُ: (فَإِنَّمَا تُغَرِّمُ مَنْ تَرَى وَيَغْرُكُ مَنْ لَا يُرَى) . يَعْنِي الْمَوْتَ وَهُوَ الَّذِي لَا يُرَى .

= ٨١ =

وله ايضا:

(فَمَا تُرْجَى النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ أَحْمَدُ حَالِيَهُ غَيْرُ مَحْمُودِ)^(٢)

أى أحمد حالى الدهر أن يمدُّ للإنسان فى العمر ويسلمه ثم يُفْضَى به بعد ذلك إلى الهلكة ، وتلك حال غير محمودة لمصيرها إلى ما لا يحمد ، لكنها أحمد الحالين ، فما ظنك بالآخر .

وإن شئت قلت : أحمد أحوالك بقاؤك بعد صديقك، وتلك حالٌ غير محمودة لما هو به من تعجُّل الوجَلِّ وانتظار الأجل . وهذا إفراط من القول لأنه إذا كان

(١) بل هو استعارة بالكناية . والمجاز والاستعارة قياسيان . وإنما يعاب فيهما ما فيه بُعد .

(٢) من قصيدة بديوانه (٢٩٤) ومطلعها « ماسدكت علة بمولود »

الأحمد غير محمود فهو مذموم لا محالة. فأى صفة تقع على الأذم والمحمود مذموم ، ما هى إلا ان الأذم اذهب فى باب الذم، وإلا فالذم مشتمل عليها، فذكر محموداً لأنه ذهب إلى الأحمد .

(تَحْمِلُ أَعْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ فَانْتَقِدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ)

الأخدود : الشق الواسع فى الأرض يُخَدُّ فيها : أى يحفر . شبه الضربة العظيمة بها ، وكان أبو وائل تغلب هذا ، قد أسرته بنو كلاب ، فَضَمِنَ لَهُم الْفِدَاءَ عن نفسه، فكان مكان ما ضمن لهم من الفدية أن غزاهم فأوقع بهم . ألا ترى إلى قوله فيه وفيهم :

فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقِنَا الذَّابِلِ (١)
وَمِنْهُمْ الْخَيْلَ مَجْنُونَةً فِجْنُنٌ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلٍ.

فيقول : تحمل لهم أعمادُ السيوف ماضمنه لهم من الوَيْقِ (٢) والعَيْنِ وغيرهما، وذلك منه هُزءٌ بهم. أى إنما كان الفداء المحمول إليهم أن ضُرِبُوا بما فى الأعماد وهى السيوف . فكانت كل ضربة على قدر الأخدود عِظْماً . ولما كان المعتاد فى الفداء الذهب والفضة بالأغلب جعلَ السيوف نقوداً والأعماد أكياساً، وحَسُنَ ذلك لأن السيف من الحديد، والحديد يَشْرُكُ الذهب والفضة فى أنه جوهراً معدنى كما أنهما معدنيان . فانتقدوا الضرب ، أى قام لهم مقام النقد. وقيل : وقع بهم أجود الضرب كما يختار المنتقد أجود الدراهم والدنانير، وكله هُزءٌ.

وقوله: «كالأخاديد» : فى موضع الحال . أى انتقدوا الضرب عريضاً ومستطيلاً . والضرب ها هنا يجوز أن يكون الجنس ، وأن يكون جمع ضَرْبَةٍ . فقد ذهب محمد بن يزيد فى قوله تعالى : (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ) (٣) إلى أنه جمع تَوْبَةٍ ، إلا أن أكثر ذلك إنما هو فى الجواهر المخلوقة دون الأعراض، نحو

(١) البيتان من قصيدته.

إلام طماعية العاذل ولا أرى الحب للعاقل.
(٢) الورق: الفضة. والعين: الذهب أو ما ضرب من الدنانير.

(٣) الآية ٣ من سورة غافر.

لَوْزَة وَلَوْز ، وموزة وموز : وقد جاء فى الجوهر المصنوع منه شئ كدواة ويؤى ، وسفينة وسفين . فأما فى العَرَض فقليل كما قلنا . لكنى أوشر أن يكون الضرب هنا جمع ضرْبَة لقوله (كالأخايد) مع ما أَسْتَأْ (١) محمد بن يزيد فى قوله تعالى : (وَقَابِلِ التَّوْبِ) . وأضمر السيوف فى قوله : (تحمل أغمادها) للعلم بمكانها ، كقوله تعالى : (كُلُّ من عَلَيْهَا فَنَانِ) (٢) وأيضاً فقد جاء ذكر الجنود والسيوف متصلة بهم فكانها مذكورة .

(مَوْقِعُهُ فى فَرَاشِ هَامِهِمْ وَوَرِيحِهِ فى مَنَآخِرِ السَّيِّدِ)

الْفَرَّاش : قشور تكون فى الرأس على العظم دون اللحم ، وقيل : ما يتطاير من عظام الرعوس واحده بالهاء . (مَوْقِعُهُ) : وقوعه . أى يقع هذا الضرب برعوسهم فَتَنْشُمُ الذَّنَابُ رائحة الدم فتقطع (٣) إليهم لتأكلهم . فالهاء فى قوله : (ورِيحه) ليست للضرب لأن الضرب لا طبيعة له فيكون ذا ريح ، وإنما الهاء للدم ، فأضمره لمكان العلم به ،

وقد يجوز أن تجعل الريح للضرب وإن كان فى الحقيقة للدم لأن الدَّم إنما حدث عن الضرب فكان الريح للضرب . وإن شئت قلت : إذا وقعت الضربة أَرَشَتْ دَمًا فتغير منه الهواء ، حتى يَنْشَقُّ (٤) الذَّنْبُ رائحته فيستدل عليه .

وقوله (فى مناخر السَّيِّدِ) كان ينبغى أن يقول فى مَنَآخِرِ السَّيِّدِ أو فى مَنَآخِرِ السَّيِّدِ . ولكنه جعل كل جزء من المنخر مَنَآخِرًا ، ثم جمعه كما حكاه سيبويه (٥) من قولهم للبعير : ذو عثانين . كأنهم جعلوا كل جزء منه عُثْنُونًا . وعليه وجه قول العرب : أتيتك عُثْنِيَّات (٦) قال : جمعوا لأنه حين ، كلما تصويت فيه الشمس ، ذهب منه جزء . وأنشد قول جرير :

قال العواذلُ ما لجهلك بعدمَا شَابَ المَفَارِقُ واكتسبن قَتِيرًا (٧)

(١) أَسْتَأْ : أعلمنا . قال صاحب المصباح : آتت الشئ بالمد : علمته . وآتسته : أبصرته .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الرحمن .

(٣) قطع المغازة قطعاً وقطع النهر قطوعاً : عبره . (أساس البلاغة) .

(٤) يقال : نشق الريح نشقاً (يسكون الشين) ونشقا (يفتحها) واستنشقا وتنشقها .

(٥) انظر الكتاب لسيبويه (٢: ١٢٨) .

قال : ومن ذلك قولهم للبعير ذو عثانين كأنهم جعلوا كل جزء منه عثنوناً ونحو ذا كثير .

(٦) عبارة سيبويه فى الكتاب (٣: ٤٨٤) وسألته (الخليل) عن قول بعض العرب : أتيتك عُثْنِيَّات

ومُعْغِيَّات فقال : جعل ذلك الحين أجزاءً لأنه حين كلما تصريت فيه الشمس ذهب منه جزء فقالوا :

عثنانات كأنهم سموا كل جزء منه عشيبة . اهـ .

(٧) ديوان حرير ص ٢٧٦ يهجو الأخطل .

وإن شئت قلت : إنه عنى بالسَّيِّد هنا : النوع فجمع المنخر لذلك وكل واسع^(١) .

(ثُمَّ غَدَا قَيْدُهُ الْحِمَامَ وَمَا تَخَلَّصَ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ)

صَفَّدْتُ الأسير وصَفَّدْتَهُ : أو ثقته . وأصفدت^(٢) الرجل : أعطيته بالآلف لاغير . فمصفودٌ على صَفَّدْتَهُ . وكانت أغلال العرب القد^(٣) . ولهذا قالوا فى المرأة السيئة الخلق: غُلٌّ قَمِلٌ ، لأنهم كانوا يشدُّون القيدَ على الأسير فيقمل. فمعناه: كان هذا الميت أبو وائل أسيراً فى يد العدا فَأَنْقَذْتَهُ منهم ثم غدا بعد ذلك فى أسر الموت فلم يك بك قدرة على تَنْقُذِهِ^(٤) منه، وما يخلص منه يمين مصفود . وَعَدْرُهُ لعجزه عن تَنْقُذِهِ إياه من الموت ، فالموت لا يخلص [منه]^(٥) من أوثقه . فَأَنْتَ ياسيف الدولة غير ملوم على أن لم تنقذه من الحِمَام كما تنقذه من الأنام . (قَيْدُهُ الْحِمَامَ) : مبتدأ وخبر فى موضع خبر غَدَا، واسم غدا : مضمّر فيها كما حكاها سيبويه من قولهم : (كل مولود يولد على الفطرة)^(٦) حتى يكون أبواه اللذان يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه) أضمر اسم يكون فيها، وجعل الجملة فى موضع الخبر، وأنشد:

إذا ما المرء كان أبوه عَيْسُ فَحَسْبُكَ مَا تَرِيدُ إِلَى الْكَلَامِ

ولو قال : (ثم غدا قَيْدُهُ الْحِمَامَ) أو (قَيْدُهُ الْحِمَامَ) ، لكان حسناً، لكنه لما كان ذكره إنما هو لأبى وائل ، وقد أجراه كثيراً ، أكد ذلك بالمحافظة عليه

(١) وكل واسع: هذا قول الخليل فى العبارة السابقة. ونحو هذا كثير. أى وكلا التخريجين له شواهد كثيرة فى كلام العرب.

(٢) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢٥٢. وفى أساس البلاغة: صفده وأصفده: أعطاه. وتقول: إن أفدنتى صرفاً فقد أصفدتنى ألفاً.

(٣) القد: القيد. وهو السير من الجلد غير المدبوغ. ويقال: أسره بالقد (الأساس).

(٤) أنقذه من اليأس واستنقذه وتنقذه: إذا نجاه (الأساس).

(٥) آمنه [زيادة تستقيم بها العبارة.

(٦) انظر الكتاب لسيبويه (٣٩٦: ١) وفيه بعد أن روى الحديث "... فأحد وجهى الرفع أن يكون المولود مضمرًا فى يكون، والأبوان مبتدأ وما بعدهما مبنى عليهما، كأنه قال: حتى يكون المولود أبواه اللذان يهودانه وينصرانه. ومن ذلك قول الشاعر:

إذا ما المرء كان أبوه عيسُ فَحَسْبُكَ مَا تَرِيدُ مِنَ الْكَلَامِ.

فأضمره . ألا ترى قوله : (قد مات من قبلها)^(١) ... وقوله : «ما كنت عنه»^(٢) ...
وقوله : (أين الهبات التي يفرقها)^(٣) إلى سائر ما في القطعة من إخباره عن أبي
وائل ، واستفهامه عنه .

- ٨٢ -

وله أيضا:

(ولا فَضَّلَ فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لِقَاءَ شُعُوبِ)^(٤)

فيها : أى فى الدنيا . وشُعُوبُ : المنية تشعب أى تفرق ، وأنشد يعقوب:

فقام إليها بها جازرٌ ومن تدع يوماً شُعُوبٌ يُجِبهَا^(٥)

يعزى عن الدنيا ويقول: إن تمام هذه الفضائل فيها إنما هو بتيقن الفناء
أى لولا خوف الموت ، شجع كل الناس وجادوا وصبروا فلم يك أحد
مخصوصاً بهذه الفضائل دون صاحبه، ولو كان كذلك لم يك لهذه الفضائل
فضل، لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها . فلو عُمِد الضد خفى ضده .

وإن شئت قلت : لو أمِن الموتُ لما كان للشجاع فضل، لأنه قد أمن الموت
. وكذلك السخى والصبور لأن اعتقاد الخلود، وتنقل العُسْر إلى اليسر والشدة
إلى الرخاء مما يُسَكِّن النفوس ويسهل البؤس . هذا قول أبى الفتح، وهو حسن

وقوله: (لولا لقاء شُعُوب) أراد لولا تيقن لقائها . و(الفتى) هنالما يعنى به فتاء
السنن^(٦) إنما يراد به المدح . كقولك : أنت الرجل أى الجلد الصابر وكقول
الذهلى^(٧).

-
- (١) البيت بتمامه (قدمت من قبلها فأشره
(٢) تمامه (ماكنت عنه إذا استغاثك يا
(٣) تمامه (على الزرافات والمواعيد).
(٤) من قصيدة بديوانه (٢٧٢) مطلعها:

لا يحزن الله الأمير فإنى لأخذ من حالاته بنصيب.

- (٥) البيت لأبى الأسود الدؤلى فى إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٧ وقبه (ذابح) مكان (جازر).
وشعوب: اسم للمنية وهى معرفة لاتدخلها الألف واللام.
(٦) فى م: (ذا السن) وتفظنه محرفا عن (فتاء السن) يريد حدائه السن.
(٧) هو مالك بن خالد الهذلى كما فى ديوان الهذليين (٥:٣) واللسان (قمح).

فَتَى مَا ابْنُ الْأَعْرُ إِذَا شَتَوْنَا حُبُّ الزَّادِي شَهْرِي قُمَاح^(١)

كنى بالفتوة عن الكرم ، كأنه قال : ابن الأعر كرم مُتَقَتَّ ، ولولا ذلك لم يعمل (فتى) فى (إذا) لأن الظروف لا تعمل فيها إلا^(٢) الأفعال أو ما هو فى طريقها ، وإذا قلت زيد فتى، تعنى به السن ، فليس فيه معنى فعل.

(فَعَوُضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْأَجْرَ إِنَّهُ أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ)

إن شئت عَنَيْتَ بالمثاب سيف الدولة، وإن شئت عَنَيْتَ به الأجر الذى أُثِيبه.

إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابِيهَا بَخْبَثٍ ثَنَّتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبٍ

المصاب هنا الإصابة لأن المصدر قد يخرج على شكل المفعول به لأنه فى المعنى مفعول ، فمن ذلك الميسور^(٣) والمعسور والمعقول والمجلود. فأما فيما جاوز الثلاثة فمُطْرَد كالمَوْفَى فى معنى التوفية، والمقاتلة فى معنى القتال أنشد سيبويه:

أَقَاتِلْ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُقَاتِلًا وَأُنْجُو إِذَا لَمْ يَنْجُ إِلَّا الْمَكْيَسُ^(٤)

وَالْخُبْتُ فِي هَذَا الْبَيْتِ : كَنَايَةٌ عَنِ الْجَذَعِ ، وَجَيْشَانِ النَّفْسِ عِنْدَ الْفَرْعِ .
وَالطِّيبُ : كَنَايَةٌ عَنِ الصَّبْرِ وَالتَّوْطِينِ . أَيْ إِذَا جَزَعَ الْفَهْمُ فِي أَوَّلِ نَزُولِ الْمَصَابِ بِهِ رَاجَعَ أَمْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَى الصَّبْرِ .

وإن شئت قلت : من لم يوطَّن نفسه للقاء المصائب قبل نزولها صعبت عليه عند حلولها فليستشعر اللبيب التوطن^(٥) على لقاء المكروه، لأنه إذا لم يفعل ذلك، ونزل به ما يكره ، عظم عليه وجزع منه، ثم يحول بعد ذلك إلى الصبر، إذ

(١) يقال لشهرى كانون: شهرا قساح لأن الإبل ترفع رأسها فيهما عن الماء لبرده.

(٢) إلا ساقطة من الأصلين والكلام بدونها خطأ.

(٣) هذه الكلمات الأربع - ولها نظائر - هى مصادر جاءت بزنة اسم المفعول من الثلاثى تقول: ماله معقول ولا مجلود: أى عقل وجلد.

(٤) البيت فى اللسان (قتل) وهو لزيد الخيل وقد ورد كذلك فى الخصائص لابن جنى (١: ٣٧٣) والكتاب لسيبويه (٢: ٢٥٠).

(٥) م: (المراض) وفى ت (التراطن) وكلاهما تحريف.

لَجَدَوِيْ لَهُ فِي الْجَزَعِ . فَالْحَكَمُ أَنْ يَبْتَدِيْ أَوَّلًا بِمَا يَعُودُ إِلَيْهِ آخِرًا كَقَوْلِ
الشاعر:

رَأَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَى غَايَةٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا^(١)

وقد فسر المتنبى معنى هذا المتقدم بقوله بعد هذا:

(وَلِلْوَاكِدِ الْمُحْزُونِ^(٢) مِنْ زُفْرَاتِهِ سَكُونٌ عِزَاءٍ أَوْ سَكُونٌ لُغُوبٍ)

أي لابد للمحزون أن يسكن حزته : إما تعزياً وهو الحميد، وإما إعياء وهو
اللُغوب . وإن شئت قلت : إن لم يصبر تعزياً واحتساباً ، وإلا صبر لُغوباً حين
لا أجر ولا فضل.

= ٨٣ =

وله أيضاً:

(قَلِمٌ لَا تَلُومُ الَّذِي لَأَمَّهَا وَمَا فَصُّ خَاتِمِهِ يَذْبُلُ)^(٣)

كأن لائماً لأم هذه الخيمة على عجزها عن الاستقرار على سيف الدولة
والاعتلال^(٤) له حين تقوضت . فيقول: لا ينبغي أن تلام لأن ذلك ليس في
وسعها، ولا استطاعتها، وليس على تارك ما لا يطيق لوم. فإن كان الإنصاف أن
تلام هذه الخيمة على ما ليس في طوقها ، فلم لا تُلوم لائمها على أن لم يطق أن
يجعل فص خاتمه يذبُل؟ لأنهما قد استويا في العجز وإنما كان ينبغي أن
يلومها من أطاق التختم بهذا الجبل . فإذن لا أحد يقدر على ذلك فلا تلوَمَنَّ
الخيمة على تقوضها ، وضعفها عن حمل سيف الدولة، لأن العجز عن الممتنع
قد وضع فيه العذر ، و(لِمَ) : لغة في (لِمَ) فاشية معروفة .

(فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ)

(١) ورد البيت في الخصائص (٤٣٠: ١) غير منسوب لقائله وصدره فيه: «رأى الأمر يفضى إلى آخر».

(٢) رواية الديوان والبيان (وللواجد المكروب).

(٣) من قصيدة له بديوانه (بيروت ٣٠٦ والتبيان ٦٦: ٣) حين ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة فهبت عليها
ريح شديدة فسقطت فقال: (أينفع في الخيمة العذل)

(٤) أي اختراع علة حسنة لسقوطها. والهاء في (له) راجعة إلى العجز عن الاستقرار.

أى لم يقوضها ليحزنك ، ولكن أشار عليك بالرحيل نحو ما اختاره لك من الجهاد؛ وسلوك سبيل الرشاد. والإشارة من الله عز وجل عليه : إنما هي إلهامه إياها، وليست على حد الإشارة الإنسانية، لأن هذه إنما هي الجوارح . وربنا تعالى يجلب عن ذلك .

(رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِى لَوْنِهَا كَلَوْنَ الْغَزَالَةِ لَا يُغْسَلُ)^(١)

وهذا عذر الخيمة فى سقوطها ، أى أنها رأت لون نورك فى لونها كنور الشمس فراعها ذلك ، لأنها ظننتك الشمس ؛ التى هى الكواكب، فلذلك سقطت لأنها استعظمت حملها لك ، وقوله : (لَا يُغْسَلُ) أى اتصل نورك بها، حتى صار فيها كالشامة التى لا تُمحى بالغسل.

(وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَمَا بِأَلْهَا تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تُنْزِلُ)

هذا البيت شنيع^(٢) وكُفِّرَ لِمَا عَنِ أَنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبُ غَيْرُ عَاقِلَةٍ ، لأنها لو كانت عاقلة لعرفتكَ ، وتبينت أن محلك فوق محلها ، فكانت تنزل إليك فإذا لا تنزل ، فهى غير عارفة بك ، وإن هى غير عارفة بك ، فهى غير عاقلة . ولعمري، فقد ذهب فى ذلك إلى تكذيب من ادعى أن الكواكب تعقل وإن كان قد غلا .

== ٨٤ ==

وله أيضا:

(وَمَا عَقَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَقَاهُ مِنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا)^(٣)

أى لم تعف الرياح هذا المنزل، وإنما عفاه بتنقلهم عنه وإجلالهم له.

(نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْعَيْنُ شَكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَاً)

شكرى : أى ملأى لم تقض بعد . والماق : مجتمع الدمع . فلما رأيتهم متحملين ، فاض الدمع من جميع جوانبها ولم يخص الماق وحده، بل صارت العين كلها للدمع مجرى، فكانها كلها ماق ، كقول الشاعر:

(١) ورد هذا البيت فى الديوان متقدما على ما قبله فى جملة أبيات.
(٢) قد غلا المتنبي فى هذه المعانى على سبيل تخيل الشعراء، وهو لا يريد تقرير حقيقة علمية؛ ويقول ابن سيده (ولعمري فقد ذهب فى ذلك إلى تكذيب من ادعى أن الكواكب تعقل وإن كان قد غلا)
(٣) من قصيدة فى مدح سيف الدولة (ديوانه ٢٨٩) والتبيان (٢: ٢٩٤) ومطلعها:
أبدرى الدمع أى دم أراقا وأى قلوب هذا الركب شاقا.

أَقْلَبُ عَيْنِي فِي الْفَوَارِسِ لَا أَرَى حِزَاقاً وَعَيْنِي كَالْحَجَاةِ مِنَ الْقَطْرِ^(١)
 أى تملأت كلها من الدمع حتى عادت كالحجاة ؛ وهى ثَفَاخَةُ الماء .

ولا أقول : إن الألف فى «ماق» مبدلة من الهمزة، لمكان الريف، لأنهم قد
 قالوا «ماق» بزنة «مال» وكسروه على أمواق كأموال، فدل ذلك على أن الفه
 منقلبة عن واو ؛ كآلف مال. ولو لم نعرف ماقاً مكسراً على أمواق ، لعلمنا أن
 ألفه منقلبة عن همزة ، لقولهم مَاقٌ مهموزة .

(وَحْشُرُ تَثَبْتُ الْإِبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقاً)
 إن شئت قلت : إذا نظرت العين استحسنته ، فلم نَعُدْهُ ، وتثبت فيه . فكثر
 الناظرون إليه من كل جانب كأنه متنطق بالحدق .

وإن شئت قلت: تثبت الأبصار فيه لبضاضته ونعمته ؛ فكان ما ثبت فيه من
 حَدَقِ الناظرين إليه نطاق له. وأراد كأن عليه نطاقاً من الحدقِ المُحْدِقِ به .

(أَبَاحُ الْوَحْشِ يَاحُشُّ الْأَعَادَى فَلَمْ تَتَّعِرْضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا)
 الوحشُ مؤنث . ويروى (أَبَاحَكَ أَيُّهَا الوحش الأعادى) . والأعادى: جمع
 الجمع : عدو وأعداء وأعادى ؛ وأصله أعادى كقاعى؛ فحذفت إحدى اليامين
 تخفيفاً، ثم حذفت الأخرى لغيره؛ وصار التنوين عوضاً منها. وأراد
 (الأعادى) لأنه فى موضع نصب؛ بكونه مفعولاً ثانياً لأباح فاضطره الوزن إلى
 تسكين الياء . والرفاق : جمع رُفْقَةٍ كحُفْرَةٍ وحِفَارٍ ، وعلبة وعِلَابٍ والمعنى أيتها
 الوحش ؛ قد أباحك هذا الممدوح أعاديته قتلهم وصَرَغَهُمْ لك ؛ وحكُّك فى أكلهم
 ، فَلَمْ تَتَّعِرْضِينَ لَهُ الرفاق السائرة إليه ، وقد أغناك عن الاعتساسة^(٢) والطلب
 فيمن أَجْزَرَكَ^(٣) من أعاديته؛ وجَعَلَهُ^(٤) لك أَكِيلَةً.

(١) البيت فى اللسان (حجا) غير منسوب وروايته (أقلب طرفي) وجمع حجة حجا مقصور وحجى والحجة:
 ثَفَاخَةُ الماء من قطر أو غيره. وفى التهذيب «وعيناي فيها».

(٢) فى م: (الأعشاس) تحريف. والصواب ما أثبتناه عن (ت). ويقال: اعتسى الشئ: طلبه ليلاً أو قصده.
 والاعتساسة والاعتسام: الاكتساب والطلب (اللسان-عس).

(٣) يقال : أجزرتك بعيراً أو شاة: دفعته إليك لتجزره (أساس البلاغة).

(٤) هذه رواية (ت) وفى م: (له).

(إِذَا أُنْعِمْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعُدُوا جَعَلْنَهُمْ طِرَاقًا)

الطَّرَاقُ : ما اطبقت عليه النعل فَخُرِّزَتْ به ؛ وهو طبقتة السفلى . وقيل الطراق : نعل تُطْرَح تحت النعل ؛ استظهاراً وتوكيداً . أى أنها إِذَا أُنْعِلَتْ فى طلب قوم أدركتهم فداستهم فصارت أشلاؤهم نعالاً لتلك النعال .

(أَقَامَ الشَّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتْ الْأَمْطَارُ فَاقَاً)

انتظر الشعر أن تُحِسَن فأشكرُ وأشعر . فلما فاقت عطايك الأمطار ، فاق شعري الأشعار كقول البحترى:

فقد أتتك القوافى غيباً فائدة كما تفتح بعد الوابل الزهر^(١)

(يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ وَعَمَّا لَمْ تُلْقُهُ مَا الْأَقَا)

لَاقَ الشَّيْءَ وَالْأَقَا : أمسكه . ولاقَ هو نَفَسُهُ : أمسك . أنشد سيبويه :

تقول إذا استهلكتُ مالا للذم فُكِيهَةٌ هَشِيءُ^(٢) بكفيك لائق

يقول : يقصر البحر عن يمينك جوداً ؛ ويقصر ما أَلَقَ من الأعلاق ، عما بذلته أنت . أى إنما تعطيه أنت أكثر مما يمسه البحر فى ذاته .

- ٨٥ -

وله أيضا:

(لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لَوْلَا إِذَا كَارَ وَدَاعِيهِ وَزِيَالِهِ)^(٣)

أى مثله لا يستطيع الحُلْم أن يُصَوِّرَه ، لأنه أرفع من ذلك . لكنى تذكرته حين تذكرت وداعه ومزايته؛ فثبت ما امتثلت منه فى هاجسى؛ فأرانى النوم إياه . فإذن لم يجدْ لديه إلا تذكَرُهُ له . وهذا رأى بعض الفلاسفة فيما يراه النائم .

(١) من قصيدة للبحترى مطلعها «فى الشيب زجر له لو كان ينزجر» .

(٢) فى الكتاب لسيبويه (٤١٧:٢) يريد (هل شئ) فأدغم اللام فى الشين . والبيت لطريف بن تميم العنبري .

(٣) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٢٨٤ بمدح بها سيف النولة والزبال: المزايمة والمفارقة .

وقال أبو تمام:

زَارَ الْخِيَالَ لَهَا لَا بَلْ أَزَارَكُهُ فِجْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنَمْ^(١)

وإن شئت قلت : إنه بالغ بصفة هجر محبوبه له فقال : لا يسمح لى بمواصلته فى يقظة ولا نوم ؛ وإنما أطلت تذكره ؛ وواصلت ذلك ليلاً ونهاراً حتى رأيت خياله. وأبلغ منه قول الآخر :

«صَدْتُ وَعَلِمْتُ الصَّدُودَ خِيَالَهَا»

فهذا يصف أنه لم يرَ خيالها.

(إِنَّ الْمَعِيدَ لَنَا الْمَنَامُ خِيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالَ خِيَالِهِ)

أى كنا قبل النوم نتخيل خياله بالتذكر والتفكر ؛ فلما نمنا رأينا خيال ذلك الخيال الذى كنا تخيلناه.

وإن شئت قلت : إنه كنى بذلك عن قلق الزمن الذى استمتع فيه بالخيال . والإعادة بمعنى المُعاد ، وضع المصدر موضع الاسم ولا يكون الخيال هو الإعادة ، لأن الخيالَ جوهرٌ والإعادة عَرَضُ.

(نَجْنَى الْكَوَاكِبِ مِنْ قَلَانِدٍ جِيدِهِ وَنَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ)

السابق من هذا البيت إلينا ؛ أنه شَبَّه دُرَّ قَلَانِدِهِ بالكواكب لبياضه ، وخاله بعين الشمس لا ستدارته ولونه ، إن كان من ذهب. ولكن ألطف من هذا أن يقول إن هذا المحبوب ممنوع لا تصل اليد إلى العبث بقلاند جيده، ولا تمسُّ خَلْخَالَهُ الأيدى، فيقول : من مسَّ قَلَانِدَهُ فكأنه جَنَى الْكَوَاكِبِ لُبْعُهَا ومناعتها ، ومن نَالَ خَلْخَالَهُ؛ فكأنه نال الشمس لذلك أيضاً مع التشبيه الذى تقدم ذكره . ولو قال : «وننال الشمس من خَلْخَالِهِ» كان كافياً فى المعنى. لكن قال : «عين الشمس» لأن هذه الجارحة مستديرة .

وإن شئت قلت: إنه عنى بعين الشمس حقيقة جوهرها ، لأن هذه الجارحة من الحيوان.

(١) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ومطلعها «سَلَّمَ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بَنَى سَلَمَ».

(بِئْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فَيْكُمْ وَسَكَنْتُمْ وَطَنَ^(١) الْفُؤَادِ الْوَالِه)

فيكم: أى من أجلكم ، كما تقول : هُجرت فيك : أى من أجلك وليست (فى) هنا للوعاء (وسكنتم وطن الفؤاد): كان يُغْنَى من ذلك أن يقول : وسكنتم الفؤاد . ولكنه وطأ بذكر الوطن صنعة وتسبباً ، إلى حفظ إعراب القافية وجعل الهاء الأصلية فى الواله ، لأن العرب تصل بها أصلاً كما تصل بها زائدة . قال:

حورية أولعتُ بأشعتها رها ناصلةُ الحَقْوَيْنِ من إزارها^(٢)
يُطَرِّقُ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ حِذَارِهَا أَعْطَيْتُ فِيهَا طَانِعاً أَوْ كَارِهَا
حديقةً غلباءَ فى جدارِها وفَرَساً أنثى وعبدأ فَارِهَا
فوصلتُ بالهاء الأصلية فى قوله كَارِها وفَارِها كما وصل بالزائدة فى سائر الأبيات .

(قَدَنُوتُمْ وَدُنُوتُكُمْ مِنْ عَيْدِهِ وَسَمَحْتُمْ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ)

أى فكرتُ فيكم فادناكم فؤاده ، ولم تدنوا أنتم بإرادتكم . فالسَمْنُ للفؤاد لا لَكُمْ ، وسماحتم وسماحكم من ماله . أى سمحتم له بالزيارة ، وسماحكم من لدنّه ، لأنه إنما كان لِمَا امتثلّه خاطركم من ذكراهم ، وتصوّر لقيامهم . ولما ذكر السماح استجارَ ذكر المال ، وإلا فلا حقيقة له .

(إِنِّى لِأُبِغْضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرْنِى^(٣) زَمَانَ وَصَالِهِ)

إنما شئتُ الطيف ، لأنه وصله أيام هجر الحبيب له ، وهو المَوْجِبُ لزيارة الطيف لأن إمكان الوصول لا يكاد يكون مع خيال ، إنما الخيال مع عدمه لما يحدث من الشوق والتوق .

(١) وهذه رواية الديوان أيضاً . وفى التبيان فى المتن (ظَنُّ) وقال فى الشرح ويروى (ظَنُّ) الفؤاد بالظاء المعجمة والنون ، يريد فى ظَنِّ وفكرى .

ويروى (ظى الفؤاد) . وليس بشئ .
(٢) الأبيات الثلاثة فى اللسان (فرد) والأول فى (نصل) برواية (ضورية) مكان (حورية) والروى فيها هو (الراء) و (الهاء) وصل والألف: خروج وقال فى اللسان «إنما عنى أن جفونها ينصلان من إزارها لتسلطها وتبرجها وقلة ثقفها فى ملابسها لأشراها وشرها .

(٣) رواية الديوان (يهجرنا) .

وقيل معناه : إذا كان الحبيب يهجرنى زمان وصال الخيال، وهذا من الضعف بحيث لا يلتفت إليه . وإنما نقلته تعجباً.

(إِن الرِّيحَ إِذَا عَمَدَتْ لِنَاضِرٍ اغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنْ اسْتِعْجَالِهِ)

أى لهذا الممدوح من شيمة المبادرة إلى الجود ، ما يغنى عن السؤال، كما أن للريح من السرعة ما يغنى عن الاستعجال لها . والهاء فى استعجاله يجوز أن تكون للناظر، فتكون فى موضوع الفاعل، أى عن استعجاله إياها، ويجوز أن تكون للمُقْبِل، فتكون الهاء فى موضع المفعول . وذلك أن الاستعجال مصدر ، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول.

(غَرَبَ النُّجُومُ فَفُزْنَ دُونَ هُمُومِهِ وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ)

أى قد نال ما هو أعلى من النجم، وهمته فى ذلك غير مقتنعة بما نالت، ولا مقتصرة عليه ، فهى تطالبه بما أبعد من مطالعها ومغاريها.

- ٨٦ -

وله أيضا :

(الْفَاعِلُ الْفَعْلُ لَمْ يَفْعَلْ لِشِدَّتِهِ

وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يَتْرَكَ وَلَمْ يَقُلْ)^(١)

أى يفعل الذى لم يفعله غيره، بل عجز عنه وقصُر، لشدته وثقل مَنُونته، و(القائل القول لم يترك): أى لم يترك الناس اجتهداً فى أن يقولوا مثله، فهذا معنى قوله «لم يترك» : لكن لم يقدرُوا عليه، فهذا معنى قوله: «ولم يقل». وهو كقول البحرى:

فى غاية طُلُبْتُ وقصُر دُونَهَا مَن رَامَهَا فَكَانَهَا مَا تُطَلَّبُ^(٢)

أى لما كان الطلب علّةً للإدراك؛ ثم لم تك هذه الغاية مُدْرَكَة، كان الطلب كأن لم يكن.

(١) من قصيدة بديوانه (ص ٢٧٥) والنبهان (٣: ٣٧) ومطلعها:

«أعلى الممالك ما بينى على الأسل».

(٢) من قصيدة بديوانه (ط. هندية ١: ٦٢) يمدح بها إسحاق بن إبراهيم.

وتقدير البيت: الفاعل الفعل الذي لم يُفعل؛ والقائل القول الذي لم يُقُلْ؛
فحذف (الذي) ومثله كثير؛ أنشد سيبويه:

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْئَمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمٍ^(١)
(هو الشجاع يُعَدُّ البخل من جُبْنٍ وهو الجواد يُعَدُّ الجُبْن من بخلٍ)

أى إنه شجاع جواد؛ لأن إحدى هاتين الصفتين منوطة بالأخرى؛ لأن
الشجاع يجب له أن يعلم أن البخل جُبْنٌ وهلَّعٌ من الفقر؛ فإن كان بخيلاً فهو
ناقص الشجاعة؛ لحذرهِ من الإعدام؛ ويحبُّ للجواد أن يعلم أن الجُبْن بخلٌ
بالنفس؛ فإن لم يك ذا شجاعة فهو ناقص الكرم؛ لبخله بذاته.

فهذا الممدوح قد تبيَّن له أن البخل جُبْنٌ؛ وإن الجبن بُخلٌ، فلم يرض إحدى
هاتين الخطتين دون صاحبتها؛ فشجَّع وكَرَّم. ومثله قوله هو أيضاً:

فقلت إن الفتى شَجَاعُهُ تُرِيهِ فِي الشُّعْ صَوْرَةُ الْفَرَقِ^(٢)

وقد أجاد ابن الرومي تلخيص ذلك وتسهيله؛ فقال:

البخلُ جبْنٌ والسماحُ شَجَاعَةٌ لا شكَّ حينَ تصحَّحَ التَّحْصِيلَا^(٣)
جُبْنُ البخلِ من الزَّمانِ وصَرَفِهِ فتَهَيَّبَ الإقْضَالَ والتَّوِيلَا

(وَكَمْ رَجَالٍ بَلَا أَرْضَ لِكثَرَتِهِمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ)

أى كانوا كثيراً قد غَطُّوا الأرض بكثرتهم حتى خَفِيَتْ ، فكانهم بلا أرض
البَيَّةُ ؛ يقول : قَتَلْتَهُمْ أَنْتَ؛ حتى عادت تلك الأرض الموطأة بكثرتهم؛ أرضاً
لا تُرى فيها رَجُلًا. وأوقع (كَمْ) على جميع هذا ؛ لأنها خبر.

قال:

كَمْ دُونَ سَلَمَى فَلَوَاتٍ بَرِيدٍ مُنْضِرِيَةِ لِلْبَازِلِ الْقَيْدُودِ^(٤)

(١) البيت من شواهد سيبويه (الكتاب ١: ٣٧٥) وقال بريد مافى قومها أحد، فحذفوا هذا كما قالوا: لو أن
زيداً هاهنا وإنما يريدون لكان كذا وكذا.

(٢) من قصيدته فى أبى العشائر ومطلعها:

لَا مِثْلَ أَنَا أَبَا الْعِشَائِرِ فِي جُودِ يَدِيهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ.

(٣) لم تهتد إليهما فى ديوانه.

(٤) القَيْدُود: الناقة الطويلة الظهر. قبل وزنه: فيقول، من القود. (اللسان- قد).

وقوله: (تركت جمعهم أرضاً بلا رَجُل) جملةٌ فى موضع جر، لأن موضع (كم) هنا رفع بالابتداء.

(يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاطِرِينَ لَهُ فِيمَا يَرَاهُ الْقَلْبُ فِي جَذَلٍ^(١))

أى قد أطاعتك أمالكُ ، وحكمك الزمان فى نيلك كل ما سعت إليه، وبُنيت هواك عليه، فما تقع عينك من المرئيات إلا على ما يسُرهما ويؤديان به إلى فؤادك ما يخبرك ويسرك. وقال: وحكم الناظرين وحكم القلب: أى حكم ناظرِيه وحكم قلبه. وكلتا الجملتين فى موضع الحال من الضمير فى الفعل، أعنى (يسير) أى: يا من يسير مسروراً جَذَلِ الفؤاد.

(أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ^(٢) فِي اخْلَاقِكَ الْاَوَّلِ)

السابق إلى من هذا البيت، أنه رأى منه تغيّراً عما كان عليه من تفضيله على من سواه من الشعراء، فقال له: اعدِل كما كنت فاعلا.

وأما ابن جنى فقال : سألتَه عن هذا فقال : كان سيف الدولة قد ترك الركوب أياماً، فحضضته بذلك على المُعاودة.

ـ ٨٧ ـ

وله أيضاً:

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمَقْدُمُ أَتَى فَصَبِيحٌ قَالَ شِعْراً مُتَيِّمٌ^(٣)

من شأن الشعراء إذا أرادوا المدح، أن يقدموا النسب . هذا هو الأغلب، حتى سمّوا الشعر الذى لا يُصدر بالنسب خَصِيّاً، حكى هذا عن أبى زيد.

فالمتنبى قد خَرَقَ فى هذا الشعر عادتهم، وأنكرها عليهم، وجعل ابتداء شعره مدح سيف الدولة . ثم قال: (أكلُ فصيح قال شعراً مُتَيِّمٌ)؟ هذا فى اللفظ إنكارٌ، ظاهره استخبار، وهو فى الحقيقة خبر منقضى. أى ليس كل فصيح شاعراً مُتَيِّماً، فيلزمه النسب إذا مدح،

(١) فى الديوان: (الجذل).

(٢) رواية الديوان (لنفسك).

(٣) مطلع قصيدة له فى سيف الدولة بديوانه (٣٠٢) والتبيان (٣٠٣: ٣٥٠) والبرقوى (٢٤٩: ٢).

(فَجَازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ حُكْمُهُ وَبِأَنَّ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مِيسَمٌ)

أى إذا سَارَ آثار الغبار، فحكم على الشمس بالسوداد. وهو ضدُّ لونها. وإذا سَارَ ضاعف الغبار. وكَلَفَ البدر. والميسم على هذا القول من الوسم - الذى هو العلامة بالنار والقطع، وليس بآلة هنا، إذا لا معنى لذلك، وقيل الميسم هنا الحسن. أى فاق البدر والأول أولى.

وتقدير البيت: فجاز له حُكْمٌ على كلِّ شىء، حتى على الشمس. وبأن له وسمٌ على كل شىء، حتى على البدر. وينبغى أن يكون الفعل مَنُوباً مع حتى، كأنه قال: حتى جاز على الشمس، وحتى بأن على البدر، أى إلى أن. ولا تكون حتى هنا حرف غاية، وتكون داخلية على «على» لأن حتى وعلى حرفان، ولا يدخل حرف على حرف. فلا بد من تقدير حتى (بإلى أن). وإذا قدرتها بإلى أن، فقد حصل الفعل: لأن «أَنَّ» لا بد لها من الفعل.

(وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ^(١) وَالْقَنَا وَلَا رُسُلُهُ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَفَرُمُ)

أى الذى يقوم له مقام الكتب، إنما هو السيوف. والذى يقوم له مقام الرُّسُل، إنما هو الجيش العظيم، يُهْدِيهِ إِلَى عَدُوِّهِ. وإنما نفى الإخلاق إلى الكتب والرسول، لأن ذلك تَأَنٍّ، وَأَخَذَ بِالْهُوْنِيِّ.

(يَطَّانُ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حِمْلَتُهُ وَمَنْ قِصَرِ الْمُرَّانِ مَا يَقُومُ)

القِصْد: كِسْر الرماح، وأحدثها: قِصْدَةٌ. وَالْمُرَّانُ: وَشِيح^(٢) الرماح إذا لَانَ وَتَخَلَّقَ، مِنَ الْمُرَّانَةِ: وهى اللين، ألا تراهم قالوا فى هذا المعنى: رَمَحَ لَدُنْ . وَاللَّدْنَةُ : اللَّيْنُ. ومن هنا زعم سيبويه أنه إذا سَمَّيْتُ بُمُرَّان^(٣) صرفته : لتصوره معنى من اللين فيه. ومعنى البيت: أَنَّ خِيْلَهُ يَطَّانُ مِنْ أَعْدَائِهِ، مَنْ لَمْ يَحْمِلْنَهُ . فوضع الماضى موضع المستقبل.

(١) رواية الديوان (المشرفية عنده... ولا رسل).

(٢) فى اللسان (وشح) الوشيج: شجر الرمان وأحدثها وشيجة.

(٣) قدر سيبويه النون فى (المُرَّان) أصلية، فلذلك لم يمنع المسمى به الصرف، وإنما يمنع من الصرف إذا

كانت الألف والنون فيه زائدتين مثل غضبان وجوعان.

وقال سيبويه (١١:٢) وسألت الخليل عن رجل يسمى (مركانا) فقال: اصرفه. لأن المركان إنما سمي للينه فقال: هو فعَّال، وإنما المَرَكَنة: اللين.

وإنما توضع الأفعال بعضها موضع بعض فى غالب الأمر مع الحروف
نحو قولك: إن فعلت فعلت: أى إن تفعل أفعَل، وقولك: وألله لأفعلت، تريد:
لأفعل،

(ومن قِصْدِ المُرَّانِ ما لا يَقُومُ) أى قد بالغت فى تحطيم الرماح وتغويجها ،
حتى ليس فى الإمكان أن يُجْبَرَ عَنْ كسرِها؛ ولا أن يَقُومَ مُنَادُها^(١).

وقيل: (من لَأَ حَمَلَتْه) ^(٢): دعاء للمدح : أى لا غَلَبَ عِدَاؤه حِرابه، فيملكوا
خيلهم.

والأول عندى أولى ، لقوله: (ومن قِصْدِ المُرَّانِ ما لا يَقُومُ) فهذا خبر، إلا أن
تضع (يَقُومُ) موضع (قُومَ) فَيَتَوَجَّه معنى الدعاء، وقد يجئ لفظ الدعاء مساوياً
للفظ الخبر ، كما يكون ذلك فى الأمر والنهى، كقول الشاعر، أنشده يعقوب:

كَمَلَقَى عِقالٍ أو كَمَهَلِكِ مَالِكٍ وليس لَحَى هالكِ بَوْصِيلِ^(٣)
وقال الهذلى^(٤).

لَيْسَ لِمَ يَتِ بِوَصِيلٍ وَقَدْ عَلِقَ فِيهِ طَرْفُ المَوْصِلِ
فمعنى هذا كله : ولا وُصِّلَ هذا الحَى بهذا الهالك . وهذا دعاء قد خرج
على لفظ الخبر، ومثله كثير.

(يُقَرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ وَيَقْضَى لَهُ بِالسُّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُ)
أى إن فضله ذائع شائع، يضطر عداؤه إلى الإقرار به له، تنكباً لخرق
الإجماع، وعلماً منهم أنهم أنكروا^(٥) ولم يقبل ذلك منهم، فكان دليلاً على
تعسفهم؛ كقول البحترى:

-
- (١) منادها: معوجها، والكلمة سقطت من ت.
(٢) (لا) إنما تفيد معنى الدعاء إذا دخلت على الفعل الماضى نحو قول أبى العلاء
لأروحت دارك من شمسها ولاخلا غايك من أسده.
(٣) أنشده فى اللسان (وصل) للفنوى. وعجز البيت «وليس لميت هالك بوصيل» ثم قال: ويرى «وليس
لحى هالك بوصيل».
دعاء لرجل، أى لا وصل هذا الحى بهذا الميت. أى لامات معه ولا وصل بالميت.
(٤) هو المستنخل الهذلى. والبيت فى ديوان الهذليين (١٤:٢) واللسان (وصل) وقد أنشده يعقوب بن
السكيت فى إصلاح المنطق ص. ٢٢.
(٥) أى أشد إنكاراً لفضائل المدح لأنهم أعادوه.

لا اَنْعَى لَابِى الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يَسْلَمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ^(١)
(وَيَقْضَى لَهُ بِالسُّعْرِ مِنْ لَا يُنْجَمُ): أى قد عهد سعيداً ميموناً مدركاً لكل من
طلب فيقاس بماضى أفعاله وحاضرها على^(٢) مستقبلها .

(أَجَارَ عَلَى الْإَيَّامِ حَتَّى ظَنَّئُهُ تَطَالُبُهُ بِالرُّدِّ عَادُ وَجَرُّهُمْ)
(أَجَارَ عَلَى الْإَيَّامِ): حمى منها ومنع ، وجعل نفسه ملاذاً للناس منها حتى
ظننت أن الغابرين من الأمم ستطالبه بأن يردّها إلى الحياة، وَأَنْ يُغْدِيَهَا عَلَى
الْإَيَّامِ الَّتِي تَحْيَيْتَهَا وَأَهْلَكْتَهَا، وخص عاداً وجرهماً لقدمهما . وإن شئت قلت:
لعظمهما .

(كَاجْنَأْسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُصَنَّمُ)^(٣)
عسكر العرب قبيلةً واحدة . فخيله وسلاحه وملبوسه كلّه عربى، وإنما مدح
عسكره بذلك، لأن الجيش إذا كان من قبيلة واحدة كان أشدّ لبأسها . هذا قول
أبى الفتح .

والذى نؤثره نحن، أن عسكر العرب إنما هو كما قال، ألا ترى أن النابغة
قد قال:

وَنَقَتَ لَهُمُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَرَّتْ كِتَانِبُ مِنْ غَسَّانٍ غَيْرُ أَشَانِبِ^(٤)

وهى التى تسمى الجَمْرَةُ^(٥) . ومنه قول الحطيث تلعمر بن الخطاب: (يا أَمِيرُ)
المؤمنين، كُنَّا أَلْفَ فَارِسٍ، ذَهَبَةً حَمْرَاءُ: أى لم يختلط بنا أحد . فهكذا عسكر

(١) من قصيدة البحتري التى أولها: «أرج لرباطة رياه» ديوانه (ط . الجوانب ١: ١٩١) .

(٢) كذا فى الخطيبين وظاهر أن (على) مقحمة من الناسخ وهى تفسد المعنى لأن مراده قياس المستقبل
من أفعاله بالماضى بالعكس .

(٣) (المصمم) هى رواية ابن سيده . أما رواية الديوان والواحدى والتيجان فهى (المصمم) ويقال: سيف
مصمم: ماض فى الضربة (أساس البلاغة) .

(٤) البيت للنابغة فى ديوانه وأنشده اللسان وأساس البلاغة (أشب) يقول: وثقت للمدح بالنصر لأن كتابته
وجوده من غسان وهم قومه وينوعمه .

(٥) قال فى اللسان (جمر): والجمره: القبيلة لا تنضم إلى أحد، وقبل هى القبيلة تقاتل جماعة قبائل وقيل:
هى القبيلة يكون فيها ثلثمائة فارس أو نحوها، والجمره: ألف فارس . يقال: جمره كالجمره . وكل قبيل
انضموا انصاروا بدأ واحد ولم يحالفوا غيرهم فهم جمره .

وذكر اللسان عن الليث: الجمره كل قوم يصيرون لقتال من قاتلهم، لا يحالفون أحدا ولا ينضمون إلى أحد .
تكون القبيلة نفسها جمره تصير لقراع القبائل كما صبرت عيسى لقبائل قيس .

(٦) عبارة اللسان (وفى الحديث عن عمر أنه سأل الحطيئة عن عيسى ومقارمتها قبائل قيس فقال: يا أَمِيرُ
المؤمنين كنا ألف فارس كأننا ذَهَبَةٌ حَمْرَاءُ لا تستجمر ولا تحالف . أى لا تسال غيرنا أن يجتمعوا إلينا
لاستغنائنا عنهم) .

العرب . فأما عساكر الملوك فكلُّها تنوعت أجنادها، كان أعظم أملكها، وأقدر لمملكها، (لأنه متى تغيرت حربٌ ما، قوم بحربٍ آخر)^(١) فيقول إن أجناس عسكر هذا الملك كثيرة مختلفة بالنوعية، فينبغي أن تختلف أيضاً أعلامها ويزتها وسلاحها ، لكل نوع من أنواع الخميس زِيٌّ يخالف زِيَّ صاحبه كقوله هو يصف عسكراً:

تَجْمَعُ فِيهِ كُلَّ لِسْنٍ وَأَمَةٍ فَمَا تُفْهَمُ الْحُدَاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ^(٢)

وتقدير البيت رايأتها وشعارها وسلاحها كأجناسها . أى أن هذه المحمولات كلها متنوعة فى ذاتها، كما أن الحاملين لها متنوعون . والتنوع الذى ذكرناه فى هذا البيت ؛ إنما هو تنوع بالنسب، وتنوع بالصورة، لا تنوع بالفصول الذاتية، ولو قال هو كئواعها ، لكان أشبه ، ولكنه أثر كلام الجمهور.

(بَغْرَتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ وَالْحِجَا وَبَذَلَ اللَّهُا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمٌ)

أى أنه مُعْلَمٌ بغرته فى هذه الفضائل كلها مَطْرُور بها . ذهب إلى شهرته وَجْهَرَتِهِ^(٣).

(ضَلَالاً لِهَٰذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَذِي لِهَٰذَا السَّيْلِ مَاذَا يُؤْمَمُ)

دعا على الريح،لأنها عارضت سيف الدولة فَآذَتْ ، ودعا للغيث ، لمشاكلته إياه فى طبيعة الجود.

(تَلَاكَ وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتَّبَعُ بَعْضَهُ مِنْ الشَّامِ يَتْلُو الْحَاقِقُ الْمُتَعَلَّمُ)

تَلَاكَ يعنى الغيث، ويخاطب الملك ، وكان الغيث قد صاحبه من الشام إلى مِثَافَارِقَيْنِ (وبعض الغيث يتبع بعضه) : أى أنك غيث ، فلا تلم الغيث فى اتباعه إياك ،لأن بعض الغيث يتبع بعضاً .و(من الشام) : متعلق بتَلَاكَ، أى تلاك هذا الْغَيْثُ يَتَّبِعُ بَعْضاً . و(من الشام): متعلق بتَلَاكَ، أى تلاك هذ الْغَيْثُ مِنْ الشَّامِ.

(يتلو الحاذقُ المتعلمُ) : إما أن يكون هذا على المَثَلِ ، فيكون الحاذق

والمُتَعَلَّمُ نوعين، أى كل حاذق يتلوه مُتَعَلَّمُهُ، من أى الطبقات كان. فهذا وجه

المثل الكلى.

(١) هذه العبارة ورودت هكذا فى الخطيتين.

(٢) من قصيدته التى مطلعها : «على قدر أهل العزم تأتي العزائم».

(٣) يقال: فلان جهير: بينَ الجَهارة إذا كان ذا جَهرة ومنظر تجتهره الأعين (أساس البلاغة).

وأما أن يَعْنَى بالحاذق سيفَ الدولة ، وبالمُتَعَلِّم الغيث ، أى سيف الدولة هو الحاذقُ بسلوك طريقة الجود ، والغيثُ مُتَعَلِّمٌ منه ، فهو يتبعه لذلك .

ولو اتزن أن يقول : يتلو المُعَلِّمُ ، المتعلِّمُ لكان حسناً لمقابلة الفاعل بالمفعول ، ولكن فى الحاذق مَرِيَّةٌ ، إذ ليس كلُّ مُعَلِّمٍ حاذقاً .

(أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ قَتْلَنَا فَيُخْبِرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ)

أى: ألم يسأل الويلُ الذى أراد صَرْفَتَنَا عن وجهنا ، الحديدُ المثلَّمُ فيخبره عنك ، أنه لم يجد فيك مَطْمَعاً ، ولا لصَرْفِكَ مَوْضِعاً . فكيف يَروم الغيث من كَفِكَ وصَرْفِكَ ، ما عجز عنه الحديدُ ، الذى هو أقدر على ذاك منه . فالعامل فى هذا البيت الفعل الآخر ، الذى هو (فيخبره)^(١) . وهذا كقولك: ضربتُ وضربنى زيد ، أى ضريت زيداً ، وضربنى زيداً .

فخذف لدلالة الثانى عليه . وقد أبان سيبويه^(٢) ذلك وقال: إنه كلام العرب ، أو أكثر كلامها . يعنى إعمالَ الثانى . ولو أَعْمَلَ الأول لفاعلَ الحديدِ المثلَّم ويضمرفى (يخبر) كأنه قال: ألم يسأل الويلُ الحديدَ المثلَّم فيخبره ، وهو كقولك: ضريت وضربنى زيدا ، أى ضريت زيداً وضربنى .

(١) يريد أن كلا من الفعلين (يسأل) و(يخبر) قد تنازعا العمل فى معمول واحد وهو (الحديد) ونحاة البصرة يؤثرون إعمال الثانى بالعمل لقربه ونحاه الكوفة يؤثرون إعمال الأول .
والعمل فى بيت المتنبنى (ألم يسأل الويل.... فيخبره عنك الحديد المثلَّم) هو للثانى دون الأول قال ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا فى اسم عمل
والثانى أولى عند أهل البصرة
وأختار عكسا غيرهم ذا إمرة .

(٢) أبان سيبويه تنازع العاملين فى المعمول فى الكتاب (١: ٣٧) فى باب (الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى به وما كان نحو ذلك) قال: وهو قولك: ضريتُ وضربنى زيد ، وضربنى وضريت زيداً تحمل الاسم على الفعل الذى يليه.... وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره .
وقال فى ص ٣٨: ولو لم تحمل الكلام على الآخر لقلت: ضريتُ وضربونى قومك وإنما كلامهم ضريت وضربنى قومك اهـ .

وله أيضا:

(وَمَنْ صَحَبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كَذِبًا)^(١)

أى لا صدقُ أصدقُ من العيان، وبه تُثبِتُ حقيقة البُرهان. فيقول: من عرف الدنيا عَلمَ أن ما يراه عياناً مما يسره، لا يلبث أن يزول، فيعقبه ما يسوءه. فكان ذلك الصدق المدرك بالعيان كَذِبٌ. و(طويلاً)^(٢) هنا: نصب على الحال ولا يكون على الظرف، لأن طويلاً ونحوه صفة، وليس بحين يقع فيه الفعل، ولذلك اختار سيبويه^(٣) فى قولهم: (سيّر عليه حسناً وشديداً ونحوهما) أن يكون أحوالاً لا ظرفاً، لما قدمنا.

(لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتَبُ بِهَا وَبِى وَزَوَّدْنِى فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَّ)

يعنى ما زوّد الضبُّ^(٤) العدم، وإن كان لفظه لفظ الوجود. أى لم يُزَوَّدنى شيئاً بقدر ما يشرب الضبُّ من الماء. والضبُّ لا يشرب الماء البتّة، إنما يستروح النسيم.

(إِذَا الدُّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلْكَةٍ

كَفَّاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالْكَفُّ وَالْقَلْبُ)

استكفّت به: أى طلبت الكفاية. ولو قال استكفّته فأتزن، كان (مثل) استغفرت^(٥) الله واستعجلت السير.

(١) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة مظهرها:

فدينك من ريع وإن زد تناكربا فإني كنت الشرق للشمس والغربا

(٢) ما البائع من إعراب (طويلاً) صفة للمفعول المطلق، أى (اصطحاباً طويلاً) أو صفة لاسم زمان نحو (عصراً طويلاً) فيكون ظرفاً.

(٣) قال سيبويه فى (الكتاب ١: ١١٦) إن سائلاً لوسألك فقال: هل سير عليه شديداً، وسير عليه حسناً، فالنصب فى هذا على أنه حال وهو وجه الكلام. لأنه وصف السير ولا يكون فيه الرفع، لأنه لا يقع موقع ما كان اسماً، ولم يكن ظرفاً لأنه ليس بحين يقع فيه الأمر، إلا أن تقول: سير عليه سير حسن، أو سير عليه سير شديد.

(٤) الضب: حيوان معروف يضرب به المثل فى الحيرة فيقال: أحير من ضب، لأنه إذا خرج من حجره لا يهتدى إليه بعد أو ينته.

(٥) يريد: لو قال المتنبي (استكفته) لكان الفعل متعدباً بنفسه لا يحرف الجر مثل استغفرت الله من الذنب، واستغفرت الله الذنب ومثل: استعجلت فى السير واستعجلت السير.

(كفاها فكان السيف والكف والقلب): أى كان هو الجامع لهذه الثلاثة، وذلك أن السيف لا يستغنى عن الكف ، والكف لا تقبض عليه حتى يؤدها القلب. وقد قال فى تحقيق هذا:

وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ عَلَى حَالِهِ ، لَمْ يَحْمِلِ الْكَفُّ^(١) سَاعِدُ
(فَبُورِئَتْ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودُنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيَابِجَ وَالرِّيطَ^(٢)) وَالْعَصْبَ

العَصَبُ: يرود اليمين، جعله كالغيث وجعل جلودهم كالأرض التى إنما تُنْبِتُ بالغيث . فإن شئت قلت : كُنَى بالديباج والريط والعصب عن نعمة جلودهم وما يعلمهم من الخير . وإن شئت قلت : كنى به عما تَهَبُ لهم من الكُسا، وإن شئت قلت : إِنَّ الْغَيْثَ يُنْبِتُ الرِّيَاضَ ، وجلودنا بنداك تنبت ما هو أحسن من الرياض : عَصْباً وديباجاً.

(وَلَكِنَّهُ وَلِىٌّ وَلِلطُّغْنِ سَـوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا)
سَوْرَةٌ : حِذَاءٌ وارتفاع : أى إذا ذكر سَوْرَةُ الطعنة لم يصدق أنه نجا منه فلمس جنبه ، ليعرف هل أصابه الطعن أم لا ؟ كقول أبى نواس:

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِى هَوَايَ لَهُ لَمَسْتُ رَأْسِي هَلْ طَارَ عَنِ جِسْدِي^(٣)
يعنى انه يَهْوَى ممتنعاً عزيزاً.

(فَأَضْحَى كَانَ السُّورُ مِنْ فَوْقُ بَدْوُهُ

إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرْبَا)

(من فوق): مبنى على الضم لحذف المضاف إليه. وبدؤه : ابتدأه أى أن هذا السور فوقه قد شق الكواكب إلى ما فوقها ؛ وأسفله قد شق التراب إلى ما تحته ، كقول السمويل بن عادىاء يصف حصناً:

(١) من قصيدة بديوانه (٢٦٣) والبيان (٢٦٨:١) ومطلعها «عواذل ذات الخال فى حواصد» وفى م (آلة) فى موضع (حاله).

(٢) رواية الديوان: «والوشى».

(٣) ديوان أبى نواس: ٤٢٥.

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النِّجْمِ قَرْعٌ لَا يُتَّأَلُ طَوِيلٌ^(١)
فكانه قال من السماء بدؤه إلى الأرض. وإذا كان من السماء إلى الأرض،
فهو لا محالة من الأرض إلى السماء. وإن كان المبدأ الصحيح إنما هو من
الأرض.

٨٩ =

وله أيضا :

(أَعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً

أَنْ تَحْسِبَ الشُّخْمَ فَيَمِزَ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(٢))

أى : أَجَلُ نَظَرِكَ الصَّادِقَ المصيبَ ، أَنْ تَنْظُرَ بى حُسْنِ خَالٍ ، لما يظهر لك
من شارتي، وإنما ذلك تَجَمُّلٌ لَا غَيِّ ، فنظرك هذا يُنَبِّئُكَ^(٣) الأمر بخلاف ما هو
به . ويكون النظرُ لها هنا ظَنُّه الخَيْرَ فيمن لا خير فيه ؛ والأول أشبه^(٤)

(إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا الْأُتْفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ)

أى إذا قدرُوا على إغنائى عن مُفَارِقَتِهِمْ ، ثم اضطرونى إلى فراقهم
[فَهُمْ]^(٥) المِخْلُون بى حقيقة. وإن كنت أنا المِخْلُ^(٦) بهم ، لأن سبب إخلالى بهم
إنما هو سبب إخلالهم بى . إذلو شاعوا أن لا^(٧) أرحل عنهم لم أرحل.

(وقد قَدَرُوا) جملة فى موضع الحال. وجاز أن يكون حالاً من قوم، وإن
كان نكرة، لأن فيه معنى العموم، ولولا هذه الواو، لكان أولى من ذلك أن تكون
الجملة فى موضع الصفة للنكرة. فأما مع الواو فلا تكون، لأن الصفة

(١) البيت من قصيدة للسومل بديوان الحماسة (١١٤:١) بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد أمين.

(٢) من قصيدته التى مطلعها «واحر قلباه ممن قلبه شيم».

(٣) فى م: ينسبك ولعها (ينبتك)

(٤) فى م: أسبق. والصواب ما أثبتناه.

(٥) [فهم] ساقطة من الخطبتين، وهى ضرورية لأنها جواب الشرط.

(٦) يريد: المخل بهم فى ظاهر الحال لا فى حقيقة الأمر.

(٧) الخطبة م: (أن) فى موضع (أن لا) بسقوط حرف النفى (لا)

والموصوف كالشيء الواحد. فإذا عطفت الصفة على الموصوف فكأنك عطفت بعض الاسم على بعض، وهذا ما لا يسوغ. وأما الحال فمفصله من ذى الحال، فجاز الفصل بينهما لذلك.

(وَتَسْرُ مَا قَنَصْنَاهُ رَاحَتِي قَنَصُ شُهْبُ الْبُرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرُّخْمُ)

أى: أنا فى الشعراء كالبازى فى أنواع الطير، والشعراء غيرى كالرُخْم، وبين البازى والرخمة من الفضل ما قد عُلِم. فيقول: إذا تساوت أنا ومن لا قُدْر له^(١) فى أقدار عطايك، فكان له منها مالى، فأى فضل لى عليه، وإن كنت فاضلاً له؟ يقول: إما أن تُمَيِّزَنى على غيرى من الشعراء، وتُبْقِ عطايك لهم كما هى، وإما أن تُبْقِ عطاك لى كما هو، وتُزَلِّهم عنه، ليكونوا دُونى [فى^(٢)] النّوال، كما هم دُونى فى المقال.

وخصَّ شُهْبُ البُرَاةِ لأنها أفرههْنْ وأقنصهْنْ. وقد قيل إن البُرَاة كلُّها شُهْب. فليس إذن على طريق التخصيص، وإنما هو على حسب الصفة التى البُرَاة بها.

(وَمُهْجَةٌ^(٣) مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبِهَا اذْرَكْنَاهَا^(٤) بِجَوَادِ ظَهْرُهُ حَرَمٌ)

أى: وُربّ ذى مهجة طلب منى ما طلبت [منه]^(٥) فلم ينلنى ونلته أنا. بجواد ظهره حَرَمٌ: أى من ركبه ولاذ به لم يُنَل، ولا قُتِل، كما لا يُقْتَل اللانذ بالحرم.

(رِجْلَاهُ فِى الرُّخْصِ رِجْلُ الْيَدَانِ يَدٌ)

وَفَعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ

أى: إنه يَطْفِرُ^(٦)، فَتَقَعُ رجلاه معاً كأنهما هما رِجْلٌ واحدة. وكذلك تقع يده، فكأنهما يد واحدة. (وفعله ما تريد الكف) إذا ضَرَبْتَهُ، والقدم إذا ركضته.

(١) فى م: (من تدركه) تصحيف.

(٢) [فى] زيادة بها تصح مقابلة الجملة بما بعدها.

(٣) البيت متقدم فى الديوان عن قوله «إذا ترحلت عن قوم.....»

(٤) هذه رواية الديوان والتبيان، ورواية ابن سيده «أدركته».

(٥) [منه] زيادة يحتاجها المعنى ونظيره قول صاحب التبيان: طلب نفسى كما طلبت نفسه.

(٦) طفر (كضرب): الطفرة أخص من الطفر، وهو الوثوب فى ارتفاع كما يطفر الإنسان العائط إلى ما وراءه.

يقول : فهو يُغنى فارسه أن يضربه بسَوْط، أو يركضه بعقبه؛ ليستدرُ بذلك جَرِيَّتَه ، ويستمرى مَشِيَّتَه.

- ٩٠ -

وله أيضا:

(أَشْكُو النوى وَلَهُمْ مِنْ غَبْرَتِي عَجَبٌ

كَذَاكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلِّ)^(١)

أى : عجبوا من بكائى وقد غيَّبها البُعد ، وكذا كان دمعى وهى حينئذ قريبة لا تغيبها عنى إلا الكَلِّ. فكيف يعجبون من بكائى الآن.

فقوله: (وما أشكو سِوَى الْكَلِّ): جملة فى موضع الحال. كأنه قال: كذلك كانت غَبْرَتى وهذه المحبوبة قريبة. وجعل (سِوَى) ها هنا، اسما، فموضعها نُصِبَ بِأَشْكُو. وهو فى قوة قوله: وما أشكو شيئا سِوَى الْكَلِّ. وحسن ذلك أنه فى معنى: وما أشكو إلا الْكَلِّ.

(مَأْبَالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلٍ)

أى به من الحب لها مثل ما بى. والذى بى مع ذلك منتقل. وكان القياس، إذ كان بهم مثل ما بى، أن ينتقل عنى حبها.

وقيل معناه: به مثل الذى بى. والذى بى ثابت. فالذى بِهِم أيضاً ثابت لا ينتقل. والفؤاد هنا يجوز أن يعنى به الطائفة التى هى موضع الحب، أعنى القلب. ويجوز أن يعنى به كل سيد فى عشيرتها، لأن الفؤاد من أشرف طوائف الجسم. وهذا كما يسمى الشريف. عَنَّا لأن العين أشرف الحواس، والطف جوهرأ، فيكون كقول أبى تمام:

وسئنى فما تصطادُ غير الصَّيِّدِ^(٢)

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص ٣٣٦) والبيان (٣: ٧٤) ومطلمها: أجاوب دمعى وما الداعى سوى طلل دعا فلباء قبل الركب والإبل والكلل: جمع كلة (بكسر الكاف) وهى ستر رقيق يتوقى به من البعوض ونحوه ينصب حول النائم. ويقال له فى زماننا (نأموسية).
(٢) عجز بيت من قصيدة لأبى تمام مطلمها «أرأيت أى سوائف وخدود»
وصدر البت: «وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت».

(مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَحْظَاطِ مَالِكَةً لِمُقَلَّتَيْهَا^(١) عَظِيمُ الْمَلِكِ فِي الْمُقَلِّ)

أى إذا رأت العيون عينها، ملكت عينها العيون، فلم تقدر أن تتعدها إلى غيرها. فكان عينها للعيون مَالِكَةً ، بمنعها إياها التصرف ، والمالك مُطَاعٌ

والأحاط : جمع لحظ . على أنه سُمي العين لحظا، ثم جمعه، وإلا لم يُسَوِّجُ جمع المصدر إلا أن تكون العرب قد صرَّحت بجمعه.

ونظير الأحاط قولهم (الاسماع). إنما سمي موضع السَّمْع بالمصدر، ثم كُسِّرَ. ولو قيل إنه اعتمد اللَّحْظُ الذى هو المصدر مختلف الأنواع ثم كسره، كما كسرت العلوم والأشغال، لكان وجها، إن كان ثبت عنده له سماع، يثبت أن المصدر الذى هو (اللَّحْظُ) يُجْمَعُ.

ولو قال (عظيم الملك) بالكسر، لكان أشبه بمالك، كما أنه لو قال (ملكه) واتزن ذلك؛ لكان ضم الميم فى (الملك) أشبه بملك، لأن المعروف مالك بين الملك وملك بين الملك. ولكنه لما قال عظيم وكان (الملك) أفخم من (الملك) (اختار الملك). وحسن ذلك، لأن البيت يشتمل بذلك على الملك الذى هو أعم من الملك بقوله: (مالكه)، وعلى الملك الذى هو أشرف من الملك.

(تَشَبُّهُ^(٢) الْخَفِرَاتُ الْآنِسَاتُ بِهَا فى مَشْيِهَا^(٣) فَيَتَلَنُ الْحُسْنُ بِالْحِيلِ)

الْخَفِرَةُ: الْحَيَّةُ. وَالْآنِسَةُ: الْمُتَحَبِّبَةُ. أى كل امرأة حسنة مقصورة عن حسنها، تشبه بها فى مَشْيِهَا، فَيَغِيبُ حسن المَشْيِ بقصر حسنها. فتتال الحسن بالتحيل. وحسن التشبه. بها فى المشى، لأن غير ذلك من أنواع حسنها لا يُقدَّر على محاكاته.

(وَقَدْ أَرَانِى الشُّبَابَ الرُّوحَ فى بَدَنِى)

(وَقَدْ أَرَانِى الْمَشِيبَ الرُّوحَ فى بَدَنِى)

أى قد كنت فتى يُرىنى شبابى رُوحى فى بَدَنِى لا أُؤَدِّنُ بِقُلَّتِهِ، ولا أستشعر قرب رحلته، فلما شببتُ أُيقنت أنى قُرْبُتِ إِلَى الموت وإلى فراق الدينا، ليعمرها

(١) لمقلتيها: خير مقدم عن (عظيم الملك).

(٢) فى م: تشبه الآنسات الخفريات.... ولا يتزن.

(٣) وهذه رواية الديوان أيضا وفى م: حسنها.

بَدَلَى؛ أَى غَيْرَى. فَكَانَ رُوحُهُ قَدْ فَارَقَهُ حِينَ تَيَقَّنَ بِإِنْذَارِ الْمَشِيبِ أَنَّهُ^(١) لَهُ مُفَارِقٌ.
وَقَدْ قَالَ هُوَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَصِفُ الدُّنْيَا :

تَمْلِكُهَا الْآتَى تَمْلِكُ سَنَابِلُ وَفَارَقَهَا الْمَاضَى فِرَاقُ سَلِيلِ^(٢)
أَى كَانَ الْآتَى سَلَبَ الْفَانَى رُوحَهُ.

وَذَكَرَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ^(٣) مَرَّ بِمَكْتَبِ^(٤)؛ فَبَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يَبْكِيكَ فَقَالَ:
اعْتَبَارَى مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ، كَانَهُمْ يَقُولُونَ: انْصَرَفُوا قَدْ بُعِثْنَا أَبْدَالُكُمْ^(٥). إِلَّا أَنَّ
الْمُتَنَبِّىَ تَصَوَّرَ رُوحَهُ فِي غَيْرِهِ وَالْحَسَنَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ.

(وَقَدْ طَرَفَتْ فَتَاةُ الْحَى مُرْتَدِيًا بِصَاحِبِ غَيْرِ عِزِّهَاةٍ وَلَا غَزَلِ)
الْفَتَاةُ: أَنْثَى الْفَتَى، كَقَوْلِهِمْ: غُلَامٌ وَغُلَامَةٌ، وَرَجُلٌ وَرَجُلَةٌ^(٦). وَالطَّرِيقُ:
الْإِتْيَانُ لَيْلًا. وَأَضَافَ الْفَتَاةَ إِلَى الْحَى، تَفْخِيمًا لَشَأْنِهَا، وَإِشَادَةً بِمَكَانِهَا، كَقَوْلِهِ:
وَلَكِنْ قَلْبِي يَا بَنَةَ الْقَوْمِ قُلُوبِ^(٧)

وَأَرَادَ بِالصَّاحِبِ: السَّيْفَ لِأَنَّ الصُّعْلُوكَ لَا يَفَارِقُ سَيْفَهُ، فَاشْعَرَ أَنَّهُ
مُتَّصِفٌ بِقَوْلِهِ: إِنَّ السَّيْفَ صَاحِبٌ لَهُ. وَالْعِزِّهَاةُ: الْمَاقَتُ لِحَدِيثِ النِّسَاءِ
وَمَجَالِسَتِهِنَّ. وَالْغَزَلُ : ضِدُّهُ.

(١) (أَنَّهُ): أَى الرُّوحَ. وَالرَّوْحَ يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ.

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مَطْلَعُهَا:

لَا يَحْزَنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي لَأَخْذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبٍ

(٣) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ، شَيْخُ التَّائِبِينَ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ كَانَ عَالِمًا جَامِعًا رَفِيعًا
ثِقَةً مَأْمُونًا نَاسِكًا، كَثِيرَ الْعِلْمِ فَصِيحًا جَمِيلًا. وَلَدَ سَنَةَ ٢١٠ هـ. وَتَوَفَّى سَنَةَ ١١٠ هـ.

(٤) الْمَكْتَبُ وَالْكِتَابُ (بَعْضُ أَوَّلِهِ) الْمَكَانُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ فِيهِ الصَّبِيَّانُ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ.

(٥) فِي مِ (الْبِدَلِكُمْ) تَحْرِيفٌ.

(٦) الْأَصْلُ فِي تَاءِ التَّائِبِثِ أَنْ تَكُونَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْمَذْكُورِ وَالْمُؤْنِثِ فِي الصِّفَاتِ وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْجَامِدَةُ، فَقَلَّمَا
تَدْخُلُ التَّاءُ عَلَى مُؤْنِثِهَا.

(٧) عَجَزَ بَيْتٌ مِنْ قَصِيدَتِهِ «أَغَالِبُ فَيْكَ الشُّرُقَ وَالشُّرُقُ أَغْلِبُ» وَصَدَرَ الْبَيْتُ:

«وَبَى مَا يَنْوَدُ الشَّرَّ عَنْ أَقْلِهِ»

يقول: طرقت هذه الفتاه مُرتدياً لسيفي. وجعله لا عِزْهَاءَ ولا غَزِلا، لأن الغَزَلَ فى طريق الفتية. والعِزْهَاءُ^(١) فى طريق العدم. فيقول: سيفي لا يوصف بعزاهة ولا بَغَزَلٍ. لأنه جماد. والجمادُ لا يقبل قسمة^(٢) ولا عَدَمًا^(٣). فتقهمه فإنه معنى لطيف، وهو باب من المنطق حسن. ولولا أنه ليس من غرض هذا الكتاب لزدته بياناً. وقد يجب أن أعذر فى قولى (العِزْهَاءُ)، لأنه إنما قلته لمكان الغزل، وإن لم تستعمل العربُ (العِزْهَاءُ) وأقل من هذا العذر يغينى مع من علّم طريقة المنطق.

(والمَدَحُ لابن أبى الهيثجاء تُنجِدُهُ بالجاهلية عَيْنُ العِيِّ والخَطَلِ)

كان بعض الشعراء يمدح سيف الدولة، بذكر أسلافه من أهل الجاهلية، فعابه أبو الطيب بذلك، وقال: إن فيما يشاهدون من أفعاله وفضائله ما يغنى عن ذكر قدمائه من جوده وأبائه.

وإعراب البيت يتوجه عندى على وجهين: أوضحهما أن يكون (المَدَحُ) مرتفعاً بالابتداء، و(عين العِيِّ والخَطَلِ): خبره، أى: مدحه إذا أنجده بذكر الجاهلية عِيٌّ وخَطَلٌ. وبالجاهلية، متعلق (بتنجده) أى تُقَوِّيه بها، ولا يجوز أن يكون متعلقاً بالمدح، لأنه إذا كان كذلك صار فى صلة المصدر، وقد حُلتَ بينهما بتنجده، فلذلك لا يتعلق به.

(١) العِزْهَاءُ: كلمة بمعنى المصدر من عَزِهَ الرجل (كفرج) فهو عَزِهَ وعِزْهَاءُ: إذا لم يكن له أرب فى حديث النساء واللاهو معهن.

وفى تاج العروس نقلاً عن الزمخشري: عَزِهَ الرجل (كفرج) فهو عَزِهَ، والاسم العِزْهَاءُ كعِزْهَاءٍ: لم يكن له أرب فى الطرب. ولم نجد العِزْهَاءِ فى اللسان وأساس البلاغة. فلعلها فى غيرها كتبه.

(٢) القسمة عند المناطقة هى التقسيم، كأن تقسم الألفاظ بحسب دلالتها (دلالة المطابقة ودلالة تضمين ودلالة التزام) وكان تقسم الألفاظ بحسب عموم المعنى وخصوصه انقسام اللفظ إلى جزئى وكلّى، وكان تقسمه من حيث أفراد اللفظ وتركيبه... الخ.

وقد فصل المناطقة القول فى هذه التقسيمات تفصيلات متفاوت ولكن الغزالي أجملها إجمالاً واضحاً فى معيار العلوم ص ٣٨-٥٢).

(٣) العدم الذى هو أحد المبادئ، هو ألا يكون فى شئ ذات شئ من شأنه أن يقبله ويكون منه (انظر رسالة العدد فى تسع رسائل الحكم ص ٩٤).

ويجوز أن يكون المدح مرتفعاً بالابتداء كما قدمنا، والخبر تنجده. وعين فاعلة بتنجده. أى مدح هذا الملك بأخبار الجاهلية إنما يمدح المادح بها لعينه وخطله.

(والعُربُ منه مع الكُدري طائفةٌ والرُّومُ طائفةٌ منه مع الحَجَل)

والعُربُ: لغة في العَرَب. ونظيره، العُجم والعجم. والقطا: نوعان كُدري وجُوني، فالكُدري أسرعهما، والحَجَل: القَبَج^(١)، وأحدثها حَجَلَة. وقد يكون وأحدثها (حَجَلِي)^(٢)، فيكون الحَجَل، اسم الجمع، كما ذهب إليه سيبويه في قولهم: خادِم وخَدَم، وعازِب وعزِب. فالقطا من طيور ديار العرب الوحشية. والحَجَل من طير الجبال، وهى من مساكن الروم. فيقول: اضطرُّ أعداءه من الفريقيين إلى الهَرَب منه والتَّوَحُّش، فلحق كل واحد منهما بالوحشى من طير أرضه وصار فى جملة حتى كان لم يكن إنساناً، بكونه مخالطاً للطير. ولذلك قال: (طائره).

وقد يجوز أن يكتفى بالطيران عن شدة الهَرَب، وإلا فالعرب والروم وسائر الأجيال لا يتحولون طيراً.

وخصَّ حوشية الطير دون سائر الوحش، لأنها أسرع فى الهَرَب. وقوله: «منه»: أى من أجله.

(ومَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمَثَّيَ النِّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعْلِ)

أى النعام سهلية^(٣) لا قوة لخفافها على خشونة الجبل، ولو ركب سيف الدولة النعام، سهل عليها من ذلك ما صعب من سعده، ويؤمن نقيبتها، فمشت به فى معاقل الأوعال، وهى ذُرَا الْجِبَال، لأن كل صعب سهل عليه.

(١) الحجل: الذكر من القبج (القاموس).

(٢) (حجلى): لم يجز الجمع على فعلى إلا حرفان: هذا والظري: جمع ظريان وهى دويبة وقول ابن سيده هنا: (وقد يكون وأحدثها (حجلى) اجتهد منه فى تخريج الكلمة.

(٣) اللسان (سهل): السهل نقض الحزن، والنسبة إليه سهلى (بضم السين) وفى المصباح: قال الجوهري: السهل خلاف الجبل والنسبة إليه سهلى (بالضم) على غير قياس.

وإن شئت قلت: إنه عنى بالنعام خيله، يقول: يركب أوعر الأوعار؛ فكيف يطمع العدو المعتصم بالجبل أن يُعيذه منه.

ومما يُحسِّن أنه يعنى بالنعام هنا الخيل؛ وأنه ليس بحقيقة النعام، قوله: (وما الفِرَارُ إلى الأَجْبَالِ من أَسَدٍ). يعنى بالأسد سيف الدولة، لا نوع الأسد الذى هو السبع.

فمن ظريف الصنعة أن يُوفَّق بين آخر البيت وأوله، فلا يعنى بالنعام، النوع الذى يُقال له النعام، كما لم يَعْنِ بالأسد الشخص الذى يسمى أَسَدًا على الحقيقة.

(وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَّا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَانَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ)
أى ضاق المعتزك، وتحير الملتقى، حتى ردَّ بعض القنا بعضاً، وتقارعت فكان رد بعضها لبعض تقارعاً، وإذا كان قِرَاعٌ، كان صوت، فكان ذلك الصوت الذى حدث عن التُقَارُعِ تَخَانُلٌ. وذلك القراع والجدال كأنهما منافسة فى النفوس، كما يتنافس المتجادلون فى الظفر، فيرد بعضهم قول بعض. وأراد كأنهما ممن يحاول الظفر بالأنفُس، فحذف، لانه قد علَّم ما يعنى.

■ ٩١ ■

وله ايضا:

(وَأَشْنَبَ مَغْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبِلَ مَفْرِقِي^(١))

يذهب إلى إثثار الجلالة على اللذاعة، ويدعى ذلك شيمته، حتى إنه يصحبه فى خلوته، وحين الظفر بحبوبيته. والصبر عند ذلك أدل على ملكه لإزبه^(٢).

قال: فربَّ حبيب مثلك حسناً ودلاً زارنى، فحاولى تقبيل فمى، فسترت فمى عنه، لأنه موضع اللذاعة، واللذاعة لا أوثرها، وبذلت له تقبيل مَفْرِقِي، لأنه موضع الجلالة التى أوثرها.

(١) من قصائد المتنبي السبئية ومظلمها:

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقي

وللحب ما لم يبق منى وما بقى

(انظر ديوانه ص ٣٤٥ والتبيان ٣: ٤٠٤).

(٢) الإرب والإربة (يكسر الهمزة وسكون الراء) الحاجة ومنه حديث عائشة: (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملاككم لإزبه) أى أغلبكم لهواه وجاحته. أى يملك نفسه وهواه (اللسان-أرب). وسنن ابن ماجه (١: ٥٣٨)

وهذا كقول الآخر: إلا أنه بالعكس، ومنعه محبوبه من نفسه، ما منع
المتنبى من نفسه حبيبه:

حاولت منها قُبْلَةً فتعمدتُ بعقارب الأصداغ قَطْعَ طريقها

(وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُ إِذَا خَلَا عَقَافِي وَيَرْضَى الْحُبَّ وَالْخَيْلَ تَلْتَقِي)

ويروى (ويرعى الحب). فمن رواه «يرضى» فإن من شأن نساء العرب أن
يُحِبُّنَ من مُحِبِّيهنَّ الشجاعة والإقدام ، كقول عمرو بن كلثوم:

[يُقِنُّنَ جِيَادَنَا] ^(١) وَيَقْلُنَ لُسُنُنُكُمْ بُعُولَتُنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا

فيقول: أنا أعفُ كرمًا، وأَرْضِي محبوبي في الحرب، بمشاهدته مني، ما
يهواه مني، أو بإخباره ذلك عني. وليس كل أحد من العشاق يجمع عفة
وشجاعة، إذ العشق والفتك غريزة الاجتماع.

ومن رواه (ويرعى الحب) فهو يقول: أنا أعف كرمًا لا فتورًا في هواي،

بل أنا مُراعٍ للمحبوب، حتى إنني أذكره في الحرب، وأراعيه أَوَّانَ الشدة
فكيف في حال السكون والهدوء.

وفي (رعى الهوى) هناك مزيَّتَانِ: إحداهما رباطة الجأش، حتى لا يُشْتَغَلَ ^(٢)
الخاطر عن ذكر الهوى. والآخر شدة محافظته على الوفاء، حتى لا يَشْتَغَلَهُ عنه
شدة الهيجاء، كقول زياد الأعجم ^(٣):

ذكرتك والخطيئ يخطِر بيننا وقد نهَلْتُ منا المُنْقُفَةَ السُّمُرُ
وقوله: (والخيل تلتقي)؛ جملة في موضع الحال. أي ويرعى الحب محاربًا.

(إِذَا مَا لَبِسْتُ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ فَخَرَقْتُ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَخْرُقْ)

لَبِسَ الدَّهْرَ مَلْبُوسًا، وإنما هي استعارة. يقول: إذا لبستُ الدهر مَلِيًّا
أَهْرَمَنِي، وهو لا يُهَرِّمُهُ امتداد برهته، فجرى الأمر بيني وبينه بضد ما يجري بين

(١) تكملة لبياض بالأصلين نقلنا من معلقة عمرو بن كلثوم.

(٢) كذا في ت. وفي م (يشتغل) وهما بمعنى.

(٣) هو زياد بن سلمى أو ابن جابر بن عمرو من عبد القيس وهو من شعراء بني أمية (انظر الشعر والشعراء،
لابن قتيبة).

اللبس والملبوس، لأنَّ شأنَ اللباس أن يُخلَقَ الملبوسَ، والدهرُ ملبوسٌ يُخلَقُ لأبسه. ولما استجاز أن يجعله ملبوساً، استعارَ له التَّخرُّقَ.

(إِذَا سَعَتِ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعَى مُحْتَرِقٍ)

حَقِيقٌ حَقًّا: غضب، وأحقيقه^(١) [أغضبه] أى إذا رام العدو كيد مجده فحاول هدمه بمبارزته أو مقاومته، غَضِبَ جَدُّهُ، فدفع سعى عِداه بسَعَى أَنفِ^(٢) وأَيَّد، على ما تقدم قبلُ.

(كَيْدُ الْعَدُوِّ لِمَجْدِهِ). (وكيد): مصدر كاد يَكِيدُ المتعدية: كقوله تعالى: (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا)^(٣) فَمَجَّدُهُ، مجرور فى موضع نصب. أى فى كيدهم لمجده. وذلك أن المصدر يضاف إلى المفعول، كما يضاف إلى الفاعل، كقوله تعالى (لَا يَسْتَأْذِنُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ)^(٤)، فالخير فى موضع المفعول، أى من دعائه الْخَيْرِ.

- ٩٢ -

وله ايضا:

(يَشْكُو الْمَلَأْمُ إِلَى اللُّوْائِمِ حَرَّهُ وَيَصْنُدُ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرَحَائِهِ)^(٥)

أى إن الملامة لا تتعدى سَمْعِي؛ ولا تصل إلى فؤادى، لأن حره يمنعها من ذلك، فهي تتفادى منه . ويعتذر إلى اللوائم من قصوره عن الوصول إليه، بما يتوقعه من ناريته. والكلام شِعْرِيٌّ لا حقيقة، لأن الملام عَرَضٌ، والعرض غير حاسٍ فيشكو، وإنما تشكو الجواهر ما يلحقها من الغرض، وشبَّه أبو الفتح هذا بقول كثير^(٦):

ذَهَبٌ لِإِعْتَاقِ الْمِثْنِ عَطَاؤُهُ غُلُوبٌ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلٌ

(ويصد حين يلمن عن برحائه)

(١) أحقيقه: غظته فهو محقق (المصباح).

(٢) الأنف (بالتحريك) الإياء، والغضب والأيد والقوة.

(٣) الآية ٣٩ من سورة المرسلات.

(٤) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

(٥) من قصيدة للمتنبى بديوانه مظمها:

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهَةِ وَهَوَى الْأَحْيَةِ مِنْهُ فِى سُوْدَانِهِ

(٦) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي من شعراء العصر الأموي قدم إلى مصر ومدح أميرها عبد العزيز بن مروان، ورغب إليه كثيرا فى أن يجعله كاتبه فأبى عليه عبد العزيز ذلك، ولكنه أجازاه بمال كثير.

مثل ما تقدم والبرحاء: الشدة.

(مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ وَارَى بِطَرْفٍ لَا أَرَى بِسَوَائِهِ)

أى ما الخلُّ إلّا مَنْ يكون حَظُّ من قلبه، حَظُّ من قلبى، ويرى بالعين التى أراه بها، فيقع التكافؤ فى الحب والجلالة، لا من حَظُّ من فؤاده مُقَصَّر عن حظه من فؤادى، وتعظيمه لى دون تعظيمى له.

وقد يجوز أن يعنى بذلك التناهى فى التشاكل والتناسب؛ حتى كأنه هو جملة. وإذا كان هو إياه بالجملة، فَقَلْبُهُ قَلْبُ خَلِيلِهِ، وَعَيْنُهُ عَيْنُهُ.

(عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعِ مَا تَرَكَ ضَعُفَتْ عَنْ إِخْفَائِهِ)

إنما عَجِبَ الوشاة^(١) من اللّحاة فى ذلك، لأنهم كلّفوه تَرَكَ ما يعجز عن إخفائه، والإخفاء للحُبِّ أمكن^(٢) من تَرَكَه. فإذا ضعف عن الأقل الذى هو الإخفاء؛ وقد علم اللّحاة ذلك منه، فكيف يكلفونه الأكثر الذى هو السلوان.

وقوله: «ضعفت عن إخفائه»: جملة فى موضع المفعول الثانى، إن كانت الرؤية عِلْمِيَّة أو فى موضع الحال إن كانت الرؤية حسيَّة^(٣).

(مَهْلًا فَإِنَّ الْعَدْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالِاسْمَعِ مِنْ أَعْضَائِهِ)

أى إن العَدْلَ يُسْقَمه كما يُسْقَمه الحب، فهو نوع من أسقامه، وتَرَفُّقًا فى عَدْلِكَ، فإن السمع الذى يقرعه عَدْلُكَ من جملة أَعْضَائِهِ. فإن عَنُقْتَ به فى العَدْلِ، اختل سمعه أو ذهب.

وإنما قَدَّرَ ذلك نافعا له عند من عَدَلَّه، لأن العادل لم يُرد بعذله إفسادَ جَوهرِهِ، وإنما أراد إصلاحَه. فيقول. إن لم تترَفَّق، عاد ما حاولته من إصلاحى إفساداً إلى.

(١) الوشاة: جمع واشٍ وهو النمام. لأنه يشى كلامه بالزور ويزخرفه واللحاة: جمع لاح وهو اللام العادل.

(٢) أمكن: يريد أنه أسهل من الترك.

(٣) أى بالإبصار بالعين.

والسمع: يجوز أن يكون مصدراً، إلا أنه إذا كان مصدراً، فليس من أعضائه . لأنه حينئذ جنس، والجنس عَرَضٌ ، والأعضاء جواهر، والعَرَض لا يكون جزءاً للجوهر. وإنما عَنَى موضع^(١) السمع من أعضائه.

وقد يجوز أن يكون السمعُ اسماً للأذن، سُمِّيَ لحِسِّها، كما سميت العينُ بصرأً في بعض المواضع. وإنما البصرُ في أكثر الكلام حِسٌّ^(٢).

(وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبِكَائِهِ)

أى إن كنت تَلْتَذُّ بالملامة، فاجعلها كالكرى الذى قد عديمته أنا، على التذاذى به. فكما نفاه عنى سهادى ويكائى ؛ فكذلك ينبغى لك أيها اللائم أن يُسَلِّكَ عن كلامى الذى تَلْتَذُّ به ما تراه من سهادى ويكائى، فيعودا سواءً فى امتناع اللتذاذ. ودعاه إلى الانتساء به فى الصبر على عدم ما يُتْلَذُّ به.

«ومطرودة»: مفعول ثانٍ لِهَبٍ ، لأنها بمعنى(اجْعَل) المتعدية إلى مفعولين. وإن شئت قُلْتُ: إنه بدل من موضع «كالكرى» لأنه بمنزلة قولك مثل الكرى. وهذا القول أقوى.

(إِنَّ الْمُعِينِ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِحْسَائِهِ)

أى مُعِينِ عَلَى الصَّبَابَةِ: مَنْ أَعَانَ بِالْمُؤَاسَاةِ لَا بِالْمَلَامِ. فَإِنَّ رَاجِحَ ذَى الصَّبَابَةِ مُؤَاسِيهِ^(٣) بِالْعِزِّ، لَا لَاتِمِهِ.

(وَالْعِشْقُ كَالْمَعشُوقِ يَغْذِبُ قُرْبَهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ)^(٤)

أى العشق مُتْلَذٌ مَحْبُوبٌ، كما أن المعشوق كذلك. وكلاهما نائلٌ من حَوْبَاءِ المبتلى وقائلٌ له. وقوله: «والعشق كالمعشوق»: جملة يفسرها ما بعدها من البيت. كأنه لما قال : والعشق كالمعشوق، قيل له: فيمهِ؟ أو كيف تفسره للسائل، فتقديره: والعشق كالمعشوق فى أنهما يَغْذِبَانِ ويقتلان مع ذلك.

(١) فى م: (بموضع) والباء زائدة من الناسخ.

(٢) فى م: (حسا) بالنصب. وإنما هو خبر عن المبتدأ (البصر).

(٣) المؤاساة (بالهمز) المشاركة فى الحزن وتعزية المحزون وضرب المثل له بمن أصيب برزء. فصبر واحتسب الأجر. والمؤاساة (بالياء): المشاركة فى المال. يقال: أسيت بعالى مؤاساة (اللسان-أسا).

(٤) الحوياء: النفس

(وَقَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعَيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَاسِهِ وَسَخَائِهِ)

أى وقى هوى العيون. وأما ما سواه فقد أمتته عليه، لأنه دافع له ببأسه وسخائه. وهوى العيون ما لا ينفع فيه بأس ولا سخاء؛ فإنما أدمو له أن يؤقى ما لا طاقة لجوده وبأسه على دفعه.

(مَنْ لِلسَّيُوفِ بَانَ تَكُونُ سَمِيحًا^(١) فِي أَصْلِهِ وَفَرِنَمَدِهِ وَوَفَائِهِ)

أى بأن تكون مثل سميحها فى أصله، إما أن يريد: فى نوعه الذى هو الإنسانية، وإما فى (قبيله)، وفرنده؛ أى فى صورته، لأن صورة الإنسان أحسن من صورة السيف، ورونقه أفضل من رونقه. وأما وفاؤه فلا وفاء للسيف. ولا عذر إلا على المجاز، لأن ذلك من خواص الإنسان.

(إِنِّى دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يَدْعُ سَامِعُهَا إِلَى الْكُفَّاءِ^(٢))

أى: دعوتك لخطب ليس كغفأ لك، لأن كل خطبٍ دونك، لا يعزُّك^(٣) ولا يغلبك. وإن شئت قلت: كل نائبة وإن عظمت فهى دون أن يدعى مثلك إليها، وإن كنت لا تدعى من النوائب إلا إلى ما أنت له كغفء، ما وجدنا ما يكون كغفنا لك، فندعوك إليه، لكن لابد أن ندعوك لما ناب، وإن جل عنه خطرُك، وعلا قدرُك.

- ٩٣ -

وله أيضا:

(كَأَنِّى عَصَتِ مُقَلَّتِي فَيْكُمُ وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ^(٤))

هذه مبالغة فى كتمان السر والضن بإذاعته، أى رأت عيني ما رأت، فكتمته عن قلبى. وإذا كان القلب لم يعلم ذلك؛ لم يمكن أن يعلم غيره به، إذ لا يمكن أن يعلم غيرك إلا ما علمته.

(١) فى التبيان «سمية».

(٢) فى م: (من) وما اثبتناه من الديوان وهو مطابق لشرح المؤلف.

(٣) هذا البيت متقدم فى الديوان على سابقة.

(٤) عزه يعزوه - من باب نصر - غلبه.

(٥) من قصيدة له بديوانه ص ٣٥٣ والتبيان (٩٢: ٢). ومطلعا:

رضاك رضاك الذى أوتر وسرك سرى فما أظهر

وإن شئت قلت: إذا رأت عيني ما تحبون كُتِّمَهُ، تناساه قلبي، حتى كان العين كتمت عنه ما رأت. والقولان متقاربان.

وقوله (فيكم): أى من أجلكم. وعصيان المقلة للفؤاد: إنما هو كُتِّمَهَا عنه ما رآته، فكأنه قال: كانى عصت مقلتى فيكم قلبي، وكاتمته ما تبصر. فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وأعمل (كاتمت). إذ لو أعمل الأول واتزن لقال: وكاتمته القلب. أى عصت مقلتى القلب وكاتمته.

- ٩٤ -

وله أيضا:

(إذا كان شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرِحْتَنِي رَوْضَةً وَقَبُولًا)^(١)

أى إن كنتم إنما تؤثرون شَمُّ الرُّوحِ، ونسيم الهواء. وذلك إنما يكون بحضور الروض والريح القَبُول، فلا زلت أنا روضة فتضمكم، وريحاً قبولاً تشمونها، تَلْدُ لَكُمْ، إذ كلما كنتم، فأنتم قَرِيبٌ مني، وطالبون إلىّ.

وقوله: (أدنى إليكم): أى أشد إنداء لمن يُحِبُّكُمْ. وقوله: (فلا بَرِحْتَنِي روضة وقبول): إن شئت قلت: أراد فلا برحتُ روضةً وقَبُولاً، فعكس، فجعل المعرفة الخبر، وهى (نبي) والنكرة الاسم، وهى (روضة وقَبُول).

وإن شئت قلت: إن (نبي) من (بَرِحْتَنِي) ليست بخبر، ولا بَرَح هذه المقتضية للاسم والخبر. وإنما (بَرَح) هنا المتعدية إلى المفعول. كقوله تعالى:

(فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِيَ أَبِي)^(٢) فيكون (نبي) على هذا مفعولاً، ويكون التقدير: فلا فارقتنى، أو فلا زايلتنى^(٣) روضة.

أى فإذا كان ذلك، قصدتم هذه الروضة التى عندى، فسعدت أنا بقربكم. والأول أبلغ، لأنه على ذلك القول الأول، يجعل نفسه ذات الروضة: ويتمنى

(١) من قصيدة بديوانه (ص ٣٥٥) و (التبيان ٩٥: ٢) ومطلعا
«ليالى بعد الطاعنين شكول».

(٢) الآية ٨٠ من سورة يوسف.

(٣) زايلتنى: أى لا برحتنى ولا فارقتنى يقال: زيلت بينهم: فرقت. وزايلته فارقته. (المصباح).

الخروج من النوع الحيوانى الإنسانى إلى النوع النباتى، إيثاراً لهوامهم، واختياراً لقربهم.

(لَقِيتُ بِذَرْبِ الْقَلَّةِ الْفَجْرِ لَقِيَةً شَفَتُ كَمْدَى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلٌ)

أى أصبحت فى هذا الموضع، أو أفجرت^(١) فيه. «شفت كمدى» أى شفت اللقمة للفجر بانحسار الليل ما كان من الكمد. (والليل فيه قتيل) أى قد ذهب، واشتمل ضده على محلّه، فكان الليل لما عُدِم أو قارب العدم مقتول.

وإن شئت قلت: طال على الليل بالصباية، فكانه وتَرَنى، فاستوجب بذلك أن أطلبه بثأرى: فأوقد سيف الدولة بالدرب نيراناً، فخالط ضوؤها دخانها، فبدت لى من الضوء المختلط بالدخان، سُمرة كسمرة الفجر، قبل أو أن الفجر، فكان هذا الملك قد قتل الليل بإيقاده هذه النيران، التى خَلَخَتْ كثافة الظلمة، فأنالنى بذلك ثارى، فشفى كمدى.

وقيل: الفجر هنا سيف الدولة، أقام عُمره مقام الفجر، وبالحق فى ذلك، حتى جعله قاتلاً ليل، وما طُلب عند ليل نَحُل^(٢)، ولا نيل منه ثار قبل هذا.

(عَلَى طَرِيقِ فِيهَا عَلَى الطَّرِيقِ رِفْعَةً وَفَى نَزْهًا عِنْدَ الْإِنْسِ خُمُولٌ)

رفعتها: أنها أُنْكَمَ وجبال، وخمولها: أنها غير مسلوكة لوعورتها، فهى لذلك خاملة. وقد يجوز أن تكون طريقاً لم يسلكها إلا جيش سيف الدولة، لأنها مَخُوفَةٌ فالناس لا يعرفونها لذلك.

(وَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَاَوْهَا مُغِيرَةً قَبَاحاً وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلٌ)

أى قباح الأفعال بهم، وإن كانت فى خلقتها جميلة، لأن خوفهم لها يَقْبَحُها فى أعينهم، فيخفى عليهم جمالها. وهذا نحو قوله:

حَسَنٌ فِى عَيُونِ أَغْدَانِهِ أَقْسَبُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السُّوَامُ^(٣)

فالحسن فيه طبيعة، والقبح عَرَضٌ.

(١) أفجرتنا: دخلنا فى الفجر. وفى كلام بعضهم: كنت أحل إذا أسحرت، وأرحل إذا فجرت (المخصص ٤٨:٨) واللسان (فجر).

(٢) النحل: الثأر وجمعه أدخال وذُخُول يقال: طلب بذله أى بثأره.

(٣) من قصيدة له مطلعها «لا افتغار إلا لمن لا يضام».

(وَأَضْعَفْنَ مَا كَلَّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ فَأَضْحَى كَانَ الْمَاءُ فِيهِ عَلِيلٌ)

قُبَاقِبٍ: نهرٌ دهمته هذه الخيل ، فسدت مجارى الماء فيه ، بكثرة قوائمها ، فارتدع^(١) الماء ، إلا ما تخلل شعَب قوائم الخيل ، فأضعفته عن قوة جَرِيه ، حتى كانه عليل . والعلة هنا كناية عن الضعف ، إنما العلة فى الحيوان ، والماء ليس بحى

(نَجَوْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتُ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلٌ)

يخاطب الدُمُسْتُقْ ، وكان شُعْ فى وجهه ونجا جريحاً ، فهذا معنى قوله :

(نَجَوْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً) ، وكان ابنه قد أسِر ، فلذلك قال :

(وَخَلَفْتُ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلٌ) ، أى تركته يذوب فى الكُجَلِ والحَبَسِ ، مع ما اشتمل عليه من خشية القتل :

(إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَيْثِ إِلَّا قَرِيسَةً غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فَيْلٌ)

ضرب (الفيل) مثلاً لعظم عَدَدِ الروم ، وضرب (اليث) مثلاً لسيف الدولة وجيشه ، أى فلا تُحْجِبِ الروم كثرة عددهم ، فإن الكمية لا تغنى ، وإنما الغناء للكيفية . وقال : (غذاه) : أراد غذاهُ ذلك الشخص المُفْتَرَس .

(أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَاهْدَأُ وَالْأَفْكَارَ فَيُتْجُولُ)

أى أَعَادَى على مالدَى من الفضائل النفسانية ، كالشجاعة والفروسية ، والفصاحة والشعر ، حسداً لى على ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل فى حد الحقيقة ، موجبة للحب ، فكيف أُشْنَأُ على ما يُوجب لى الحب؟ يقول ذلك متعجباً .

قال أبو الفتح : لو قال (أُبْغِضُ) مكان (أَعَادَى) كان أوفق فى مذهب الشعر ، يعنى أبو الفتح : أنه لو قال ذلك ، كان أذهب فى باب التقابل ، لأن النقيض إنما يقابل بنقيضة ؛ وكذلك الضدُّ بضده . فصدُّ الحب البغض . وضد العداوة الصداقة . فإذا قابلت العداوة بالحب ، والصداقة بالشئان ، لم يك ذلك على تقابل الضدِّ والنقيض .

(١) ردع - (كمنعه) - : ردُّه فامتنع .

لكن الذى يُسهل ذلك، أن العداوة علَّتْها البَغْضَة، التى هى ضد الحب، فأتام العلة التى هى العداوة، مُقام المعلول، الذى هو البُغْض. ولولا ما يَدْخُل التخفيفُ البدلى من الاضطراب، لقال^(١): فأشْنَى، أو (أشْن)^(٢) على احتمال الجزم، ولكن، الأول أسوِغ أعنى وضع (اعَادَى) مكان (أَبْغَض) لما ذكرت لك، من دلالة العلة على المعلول.

-٩٥-

وله أيضا:

(تَرَى الْإِلَهَةَ وَجْهًا عَمَ نَائِلُهُ قَمًا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرَ)^(٣)
أى أنه يَخْصِبُ الإلهة بنظرها إلى غُرْتِه نوراً وسَعْدًا، فتتال بذلك من جوده كما ينال الناس. فالتَبَشَّرَ إذن نوع غير مخصوص بنائله، بل هو عام للعالم العلوى والسفلى.

-٩٦-

وله أيضا:

(وَشَرِبَ كَاسَ اخْتَرَتْ رَنِيئَةً وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أَيْتِنَسَةً)^(٤)
الشرب: اسم للجمع عند سيبويه، وهو عند أبى الحسن^(٥) جمع. ويدل على صحة قول سيبويه: إن العرب إذا حَفَرَتْ هذا النحو حَفَرْتَه بوزنه، كما تحفَّر الواحد، فقالوا: شَرِبَ وَرَكِبَ^(٦). فلو كان جمعاً كما ذهب إليه أبو الحسن لرُدُّ إلى واحدة فى التحقير، ثم جمع بالواو والنون، فقول: رُوِيْكَبُونَ وَرُوِيْجَلُونَ. وإنما كلام العرب ما قَدَمْنَا.

(١) أى لولا توثيقه ارتكاب الضرورة فى الشعر لجاز أن يقول... الخ.

(٢) لم يظهر لنا وجه لجزم (أشْنَى) فى هذا الموضع والعبارة كلها مَقْمَحَة إذ لا معنى لها.

(٣) من أبيات له فى سيف الدولة أولها:

الصوم والفطر والأعياد والعصر
منيرة بك حتى الشمس والقمر.

(٤) من قصيدة له بديوانه ص ٣٦٨ مطلعها:

حَبَّبَ ذَا الْبَحْرِ بِحَارِ دُونَهُ
بَذَمَهَا النَّاسَ وَيَحْمَدُونَهُ

(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط. أخذ الكتاب عن أستاذه سيبويه، وهو الذى أقرأ النحو من بعده، وعنه عرف الكتاب لسيبويه. توفي سنة ٢١٥ هـ.

(٦) انظر الكتاب لسيبويه (٢: ٣٠٣). ومذهب سيبويه أن (ركب) ليس تكسيرا لراكب، وإنما هو اسم مفرد دال على الجمع. قال: وذلك قولك: رَكَّبَ وسَفَّرَ فالركب لم يكسر على راكب. ألا ترى أنك تقول فى التحقير رَكِبَ وسَفِرَ. فلو كان كسر عليه الواحد رد إليه... الخ.

أنشدنا القرشي:

بنيت بصُعبَةٍ من ماليا أخشى رُكْباً ورُجَيْلاً عارِ يا^(١)

وذهب قوم إلى أن معنى البيت: أن هذا الشُّرْب - وهم أعداء الممدوح - غَنُوا بمناقبه، حتى إذا سَكروا هاج لهم السكر زِكْر^(٢) من سَبأ منهم وقتل، فَأَنُوا^(٣) حُرْنَا، وعاد ذلك الغناء أنيناً وتَفْجَعاً.

والذي عندي أن هؤلاء الشُّرْب غَنُوا ، فَأَتَخَنَ فيهم هذا الملك وأوجعهم، فعاد ذلك الغناء رنيناً وأنيناً. وقوله: (اُكْثَرْتُ) و(أَبْدَلْتُ): إخبار عن الخيل والقنا اللتين في قوله:

(إِنَّ الْجِيَادَ وَالْقَنَّا يَكْفِيَنَّ)

— ٩٧ —

وله أيضاً:

(فإني رايتُ الْبَحْرَ يَعْتُرُ بِالْفَتَى وهذا الذي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدًا)^(٤)

أي أن سيف الدولة أولى بأن يُرجى ويُخشى من البحر، لأن البحر وإن أروى وأعطى، فليس شيء من ذلك على عَمْد ولا قصد. لأنه لا رُوحَ له ولا فؤاد، فليس إذن يُحمد على مكرماته ولا ذميم لآفاته. وهذا كقوله هو:

الآ لا أرى الأحداثَ حَمْدًا ولا ذمًّا فما بَطُشْها جهلاً ولا كَفَّْها حِلْمًا^(٥)
وأما سيف الدولة فهو لكل ما يأتية من إفاقة^(٦) وإغناء^(٧) وإماته وإحياء، عامدٌ قاصد، لأنه من نوع الإنسان، الذي هو أشرف الحيوان.

(١) ورد هذا في الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، وشرح المفصل لابن يعيش (٧٧: ٥) في باب المركبات. وأنشده أبو عثمان عن الأصمعي لأخيه بن الجلاح شاهداً على أنه يقال في تصغير ركب ركب فدل

بذلك على أن ركبياً مفرد وليس جمعا لراكب

(٢) في م: (فذكر) والغاء مقحمة من الناسخ.

(٣) أنوا: صاحوا بالكاء.

(٤) من قصيدة للمثنوي بديوانه (ص ٣٧٠) أولها

لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا.

(٥) مطلع قصيدة له في رثاء جدته.

(٦) لعله يريد بالإفاقة هنا: منع العطاء. أو التفضيل فيه يقال: أفق في العطاء أي فضل وأعطى بعضاً أكثر

من بعض (اللسان - أفق)

(٧) في م: غناء وإغناء. أجود في مقابلة الإفاقة، لما قابل بين الإماته والأحياء.

(وَتُحْبَى لَهُ الْمَالُ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيُقْتَلُ مَا تُحْبَى التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا)

أى أنه يغير فيغنم بسيوفه ورماحه، فهي تحبى له المال. ثم يهب عُفاته، ما يسلبه عُداته، وذلك فى حال تبسُّم وأريحية للعطاء، فذلك التبسم هو الذى يقتل المال الذى أحبته الأسنة والصوارم، كقول أبى تمام:

إذا ما أغاروا واحتسوا مألَ معشَرٍ أغارت عليه فاحتوتهُ الصَّنَانعُ^(١)
وذكر التبسم والجَدَا هنا كقول كُثَيِّر:

عَمُرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاكِحاً غَلِقَتْ لِضَحْكِهِ رِقَابُ^(٢) الْمَالِ
ولو قال (يميت) مكان (يقتل) لكان أشد مقابلة للحياة، لأن القتل ليس بضدِّ الحياة إنما هو علة ضدَّ الحياة فى بعض الأوقات.

ونقيض الحياة إنما هو الموت. ومقابلة الشئ بنقيضه أذهب فى الصناعة. (والتبسم والجَدَا): مرتفعان بيقتل، أى ويقتل التبسم والجدا ما تحببه الصوارم والقنا. ففى تحبى ضمير راجع إلى القنا والصوارم، أى ما تحبى هى.

(هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا)

إنما ذكر فضل يوم الأضحى وجعله سيد نوعه. ثم مثَّل به فضل سيف الدولة على جميع نوعه. وذلك فى البيتين^(٣) اللذين قبل هذا البيت. ثم عجب من تفاضل الأشخاص الواقعة تحت نوع واحد، على أن عنصر هذا واحد. فقال: (هو الجدُّ حتى تفضل العين أختها) فبالغ بالعجب من العين التى تفضل صاحبيتها على اقترانها وشدة اقترابهما. وبالعجب من الأيام التى تتفاضل بما يحدث فيها من السُّرء والضُّرء وضروب الممالك والمناسك.

(١) انظر ديوان أبى تمام (باب الفخر) (ط بيروت ١٩٢٩).

(٢) ورد البيت منسوبا لكثير فى إصلاح المنطق ص ٤٢ وفى اللسان (غمر) وغمر الرداء: إذا كان واسع العطاء وإن كان رداءً صغيراً. ويقال: غلق الرهن فى يد المرتهن: إذا لم يقدر على فكأكه. يريد إن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقاب المال فى أبهى السائلين (وانظر معاهد التنصيص فى شواهد الاستعارة المجردة).

(٣) البيتان هما:

تسلم مخروقاً وتعطى مجدداً
كما كنت فبهم أوحداً كان أوحداً.

ولا زالت الأعياد لبسك بعده
فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى

(أَجَزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا بِشُعْرِي أَتَاكَ الْمَابِحُونَ مَرْدُدًا)

أَجَزْنِي: أى أعطنى الجائزة إذا مدحك غيرى، فإن الشعراء إنما يأخذون معانى شعرى، فيمدحونك بها، فإذاً إنما المستحق بجوائزك أنا لا هم. إذ لولا شعرى لم يهتدوا إلى ما يمدحونك به. فكلما أحسنوا فإنما الإحسان لى كقول الآخر^(١)

فإِن أَنشَدَ حَمَادٌ فَقَدْ أَحْسَنَ بَشَّارٌ^(٢)

أى إن حماداً إنما يأخذ شعر بشار. فالإحسان له، والإنشاد لحامد.

- ٩٨ -

وله أيضاً:

(ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا)

إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الْهَبَاتُ صَوَانَهَا^(٣)

يعنى ثيابا رومية كساه إياها، (كان الهبات صوانها)^(٤) أى أنه لا يصونها إنما يبتذلها بالهبة. فالهبة هى التى تكون لها مقام الصَّوَانِ إذ لا صَوَانُ لها عنده وإذا لم يصن حسانها كان أَحَجَى الأ يصون ثُونَهَا.

(ثَرِينًا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مَلُوكُهَا وَتَجَلُّوْا عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا)

يعنى ما فيها من التصاوير الرومية.

(وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلُ وَحَدَّهَا فَصُورَتِ الْأَشْيَاءُ إِلَّا زَمَانَهَا)

أى صورت الأنواع الحيوانية إلا الزمان، فانها لم تصوره لعجزها عن ذلك وذلك أن الزمان هنا إما أن يعنى به القلک، ولا أحد يستطيع تصويره على

(١) هو أبو نواس

(٢) أحد بيتين لأبى نواس فى ديوانه (٥٤٥) وهما فى دواء بن رزين.

إذا أنشد داود فقد أحسن بشار

له من شعره الجسم إذا ماشا، أشعار

(٣) مطلع قصيدة للمتنبى فى ديوانه (٣٢٩) والبيبان (١٦٩:٤).

(٤) الصوان - بوزن كتاب - ماتصان فيه الثياب وتحفظ.

حقيقته التى هو بها؛ وإما أن يكون الزمان هنا وجودَ النور وعدمه وذلك عَرَض والعرض لا يتصور إلا فى جوهره الذى هو منه.

(وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالَهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْفَهَا مِنْ أَعْجِبَتِهِ فَعَانَهَا)
وأم عتيق: يعنى فَرَساً. وعتيقُها : مُهرُها، والعنق: الكرم وجعل لها خالاً وعماً،

يذهب إلى أن هذه الفرس ذات طَرَفَيْنِ كريمين، مختلفين بالنسب، لأن ذلك مما يُسْتَحَبُّ فى الخيل، أعنى ألا يكون الأبوان متناسبين^(١).

وقد يستحب ذلك فى الإنسان، لأنهم يزعمون أن الأبوين إذا كانا متناسبين جاء الولد ضاوياً، أى مهزولاً، دقيق العظم (ابن السكيت).

ومنه الحديث: (اغتربوا لَأُتْضَوْوا)^(٢). أى لا تنكحوا فى الأقارب، فيجىء الولد ضاوياً. وقال: (خاله دون عمه) يذهب إلى أن أباه أكرم من أمه، وذلك أنجب له. (رأى خلفها من أعجيبته فَعَانَهَا). يزعمون أن الشيء المُعْجِبُ ربما أصابته العين ففسد لذلك، فيقول: رأى هذا الفرس الحَجَرُ^(٣) مَنْ أَعْجَبَ بها، فلغفها^(٤) بعينه. وهنا رواية ضعيفة، وهى (رأت خلفها فلغفها من أعجيبته فعانها). أى خلفها فحلا حاول كَوْمَهَا^(٥) حين أَعْجَبَتْه، فأمكنته، فأولدها، فكانت تنقصها بالإيلاد، كما يَنْقُصُ الشيء الحسن المعجب إذا أصيب بالعين.

(إِذَا سَايَسَرْتُهُ بَايَنْتُهُ وَبَنَائَهَا وَشَانَتْهُ فِى عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا)

(١) يريد بالتناسب هنا قرابة النسب بين الأب والأم: وعليه جاء الحديث (اغتربوا لاتضوا) أى تزوجوا فى بعد الأنساب لا فى الأقارب لئلا تضوى أولادكم وقيل معناه: انكحوا فى الغرائب دون القرائب فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى. وولد القرائب أضعف وأضوى. ومنه قول الشاعر:

فتى لم تلده بنت عم قريبة
فيضوى وقد يضى رديد القرايب.

وانظر اللسان (ضوا) والنهاية فى غريب الحديث (١٠٦:٣)

وهذا المعنى صحيح تشبه الأبحاث فى علم الوراثة والطب.

(٢) انظر الإهامشه السابقة.

(٣) الحجر: بكسر الجيم) الفرس الأنثى والجمع أحجار وحجورة وحجور قال فى اللسان: (واحجار الخيل مائتخذ منها للنسل. (وانظر المصباح المنير).

(٤) يقال: لغف الرجل والأسد لغفاً ولغف: حدد نظره (اللسان لغف).

(٥) كوماها: مصدر كام الفرس أنشأ: نزا عليها (اللسان - كوما).

أى باينته، من (البَّون) أى باعدته. فان قلت . ينبغى على ذلك: (باونته)، لأنه من الواو . فان شئت قلت : إن هذا على المعاقبة، ومعناها: قلب الواو ياء لغير علة إلا طلب الخفة ، وهى لغة حجازية عربية . يقولون : (صَيَاغ) فى (صَوَاغ) ، ومَيَاتِق فى مَوَاتِق^(١)، وهو كثير ، قد عمل فيه يعقوب^(٢) باباً واسعاً. وإن شئت قلت: إنه من (البَّين) الذى هو فى معنى (البون). حكى أبو عبيد ، بينهما (بون) بعيدو(بَيْن) . وقد بانَ صاحبه بيونهُ وَيَبِينُهُ . فحملك إياه على هذا، خيّر من اعتقاد المعاقبة الحجازية ، لأنك إنما تلوذ بها إذا لم تجد عنها مَعْدِلاً.

(و) شَانَتُهُ فى عين البصير): أى شانتته بكونها أمُّه لتقصيرها عنه. «وزانها»، بكونه ابنها وهو زائد عليها .

(وَأَيِّنَ الثِّيَ لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرُّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانْهَا)

إن شئت قلت: أين فرسى التى من أمرها وشأنها، من هذه الفرس المعيبة؟ وإن شئت قلت: أراد هَبْ لى الفرس التى هى أكرم من هذه الفرس التى وهبتها لى.

وقوله: (لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرُّهَا): إذا كَرِزْتُ بها. وأراد أهل الخيل، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. (ولا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانْهَا): أى لا يَأْمَنُهَا إِلَّا مِثْلِي مِنَ الْحَذَاقِ بِرُكُوبِ الْخَيْلِ.

(١) فى اللسان (وقت): الموثق والميثاق: العهد. والجمع: الموثائق على الأصل، وفى المحكم لابن سيده: الجمع الموثائق، وموثائق معاقبة .

وأما ابن جنى فقال لزم البدل فى (ميثاق) كما لزم فى عيد وأعياد. وأنشد الغراء لعباض بن درة الطائى. وَلَا تَسَلْ الْأَقْوَامَ عَقْدَ الْمِيَاثِقِ.

وفى المصباح: الموثق والميثاق: العهد وجمع الأول: موثاق وجمع الثانى: موثاق وربما قيل: مِيَاثِق على لفظ الواحد.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكيت كان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر، رابو ثقة، أخذ عن البصريين والكوفيين (ت سنة ٢٤٤هـ) ومن أشهر كتبه (إصلاح المنطق).

وله ايضا:

(تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ عَادِيَةً جُودٌ لِكُفِّكَ ثَانٍ مَسَالَهُ مَطَرٌ)^(١)

أى أنك غاية فى الجود لا فوقها، فإذا شبهنا كُفَّكَ بالمطر، فالتشبيه دون التشبيه به، فقد بالغنا بمدح المطر وشرُّ فناه. فكان هذا التشريف له بتشبيه جودك به، جوداً عليه ثانياً من جودك علينا بالمال. وخصَّ الأمطارَ الغَوادِي، لأنها بالأغلب أغزُرُ ما تكون حينئذ فى أول النهار، والنفوس حينئذ شهْمَةٌ^(٢) مُنْشَطَةٌ، فهي حينئذ أروق وأعلَق.

وله ايضا:

(وَقَاسَمَكَ الْعَيْثَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَةً سَمِيكَ وَالْخِلَ الَّذِى لَا يُزَايِلُ)^(٣)

يعنى بسميَّه والخِلَ الَّذِى لَا يُزَايِلُ: السيف . أما سميَّه فلانه سيف، والمَلِك سيف الدولة، فهو وسيفه سَمِيَّان. وأما كونه خِلًا لَا يُزَايِلُهُ، فلأن السيف لا يفارقه. فيقول: نظر إليك طامعاً فى إحسانك، وإلى سيفك، خائفاً من بأسك، يقلِّب طَرَفَهُ من يمين إلى شِمال، فذاك معنى المقاسمة، أى إن السيف قد قَاسَمَكَ عَيْثَيْنِ رسول الروم فهو تارة يتأملك، وأخرى يتأمل سيفك، ولحظه، عندى حشو، لأنه إذا قاسمه عينيه قاسمه اللُّحْظ.

(وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَاً وَاسْتَنْظَرْتَهُ الْجَحَافِلُ)

أى أكبرت العِدَاَ هِمَّةَ هذا المُرْسَلِ، وأعظمت شأنه لإقدامه عليك، ومثوله بين يديك. (واستنظرتَه الجحافل): أى سألته أن يُنْظَرَهَا، بشغله إياك أيها الملك عنهم. فمعنى استنظرتَه: طَلَبْتَ مِنْهُ النُّظْرَةَ، أى التَّأْخِيرَ.

(١) من قصيدة للمنتبى بديوانه ص ٣٧٤ مطلعها (ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته)
(٢) الكلمتان غير واضحتين فى الخطبتين، ولعل ما أثبتناه أقرب قراءة. والشهم: الذكى الفزا المتوقد الجلد. ويقال: فرس شهم: سريع نشيط قوى والجمع شهام (اللسان: شهم). وفى اللسان (نشط): نشط الإنسان نشاطاً فهو نشط طيب النفس للعمل.

(٣) من قصيدة فى سيف الدولة بعد دخول رسول ملك الروم سنة ٥٤٣ ومطلعها:
دروع لملك الروم هنى الرسائل
يرد بها عن نفسه ويشاغل.

(أَطَاعَتْكَ فِي أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ)

بالغ بإطاعتهم إياه في أرواحهم، لأنهم إذا أطاعوه في ذواتهم، كانوا أجدر أن يطيعوه فيما سواها. (والتفت عليك القبائل): أي أحددت بك العرب، لأن كل جيش مُحَدِّقٌ بِأَمِيرِهِ.

وإن شئت قلت: جعله سِطَّةً^(١) لِسراوة نسبه، وعلاوة حسبه، وقبائل العرب محيطة به، فالمحاط به أشرف من المحيط، كالقِلادة التي أنفُسُها سِطَّتُها. والدائرة التي أشرفها نقطتها.

(رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضَّلْتُهُ وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَائِلُ)^(٢)

وفضله: أي وفضائله. هذا أذهب في الصناعة: أي^(٣) أعنى أن يعطف جمعاً على جمع في النية وإن لم يستقم ذلك في اللفظ. أي إذا أغضبتُ عِداه لمدائحي فيه بفضائله النفسانية، فلم يجدوا في شعري مَطْمَعاً ولا في فضائله الذاتية مَدَقْعاً، فقد قَتَلْتُهُمْ بآن أغضبيتهم وأعجزتهم، وسَلِمْتُ هِي في أنفسها، إذ لم يقدروا على غض أشعاري، ولا إنكار فضائله.

(يَتَّبِعُ هُزَابَ الرُّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارِضَتْهُ الْغَوَائِلُ)

الغَوَائِلُ: الدواهي المهلكة. تقول العرب: الغضب غُولُ الْجُلْمِ. أي يذهب بالحلم فيقتله. يقول: إنَّ سَعْدَهُ يَتَّبِعُ الْمَهْزُومِينَ ؛ فيقتلهم بالعطش والكلال وسائر أنواع الآفات، كقوله هو:

إِذَا فَاتُوا الرَّمَاحَ تَنَاولَتْهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقَفَارِ^(٤)

ويتبع من باب (فَعَّلَ) في معنى (تَفَعَّلَ) أي يتتبع. ونظيره ما حكاه سيبيويه من قولهم بَيْنَ الشَّيْءِ وَتَبَيُّنُهُ. وفي المثل: قَدْ بَيَّنَّ الصَّبْحُ لَذَى عَيْنَيْنِ أَى تَبَيَّنَ.

(رَأَيْتَكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطُّعْنُ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ انْقِيَاداً لَا قَتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ)

(١) يقال: هو وسط في قومه وسطة ووسط فيهم: أي من أشرافهم وأحسنهم (أساس البلاغة).

(٢) وردت هذه الأبيات مختلفة في التقديم والتأخير.

(٣) وردت كلمة (أي) في المخطوطتين قبل كلمة أعنى، وموضعها هنا.

(٤) من قصيدة المتنبي بديوانه (٤٠١) أولها «طوال قنا تطاعنها قصار»

أى لو لم يَجْر من أصحابك على الطعن، انقيادهم لك، وطاعتهم إياك، لاقتضاهم إياه حُبُّهم لك . (والشمائل) يجوز أن تكون منه ومنهم. فإن كانت منهم ، فمعناه حُبُّهم لك بطاعتهم، وإن كانت منه فمعناه بحبهم لشمائلك.

■ ١٠١ ■

وله أيضا:

(وَأَسْقَطَتِ الْإِجْنَةُ فِي الْوَلَايَا وَأُجْهِضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ)^(١)

أى إن النساء أُرِيْفُنَّ، وعُسِفَ بهن في الهزيمة، فمن كان منهن حاملاً أَسْقَطَتْ في الولايا، وهى الأُخْلَاسُ^(٢) على أعجاز الخيل، والإبل، وأجهدت الإبل، وكَلَّفَتْ أَكْثَرَ من طاقتها فى السير، فَأُجْهِضَتِ الحوائِلُ، وهى الإناث، والسَّقَابُ، وهى الذكور . والإجهاض للنوق، كالإسقاط للنساء. وهذا كقول أبى النجم:

كَمْ طَرَحَتْ مِنْ وَلَدٍ لَا يَغْتِذَى تراه كالمسلوخ والجلدُ بَرَى
(وَعَمُرُوا فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعَبُ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ)

عمرُوا وكعب: بطنان : كعب بن ربيعة، وعمرؤ بن مالك. فان شئت قلت:

اختلفت كلمتهم، فأشارت طائفة بالهَرَبِ، والأخرى بالاستدْمام^(٣). وأخذ الموثق من سيف الدولة. وكانوا قبل يداً واحدة، كلمتهم سواء. فكانهم باختلافهم تقسَّمُوا وافترقوا، فصارت القبيلة باختلاف كلمتها فى قبائل، فلذلك جعل عمرأ عُمُوراً، وكعبا كعابا.

أنشد سيبويه:

رَأَيْتِ الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنَ الشُّنَّانِ قَدْ صَارُوا كِعَاباً^(٤)

(١) من قصيدة له بديوانه (ص ٣٨٢) ومطلعها

بغيرك راعيا عبث الذئاب وبغيرك صارما ثلم الضراب.

(٢) المجلس: كل شئ ولى ظهر البعير والداية تحت الرجل والقتب والسرّج.

(٣) فى اللسان (ذمم) استذم الرجل إلى الناس أتى بما يذم عليه.

(٤) أنشده سيبويه فى الكتاب (٩٧:٢) وقال: قال الأعلم: وكعب قبيلة من عامر، ونسبه الواحدى من شراح

المتنبى إلى معاوية بن مالك وروايته.

قامسى كعبها كعبا وكانت

وأنشده المعبرى فى التبيان كرواية سيبويه ونسبه إلى كعب بن مالك الأنصارى وهذا بعيد.

وإن شئت قلت: هربوا وتبددوا، فصاروا شيعاً وأحزاباً، فكل جزء من عمرو عُمر، وكل جزء من كعب، كعوب. والقولان متقاريان.

(وَلَوْ غَيْرُ الْأَمِيرِ غَرًّا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمْ ضُبَابٌ)

يعنى بشُمُوسِهِمْ: حقائق نفوسهم. والضُّبَابُ: ما يلقاه من الطَّعَانِ والضَّرَابِ. وقيل: ثناه عنهم أقل ما يصيبه منهم، لأن كثافة الضُّبَابِ أقل من كثافة السحاب. وقيل: عنى بالشموس نساءهم التى سبها سيف الدولة، وبالضُّبَابُ: مَنْ فيهم من الكُماة والحُماة.

- ١٠٢ -

وله أيضاً:

(تُقَدِّى أَنْتِ الطَّيْرَ عُمراً سِلَاحَهُ نُسُورُ الْفَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ)^(١)

أنتُ هنا: بمعنى أطول. وإنما جاز ذلك لأن التمام فى باب (كيف)، نظير الطول فى باب (كَمْ). وإنما المستعمل فى العمر أطول، فلم يَتَّزِنْ له، ونحوه قول رؤبة:

(كَالْكُرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الْكَافُورِ)^(٢)

وإنما المعروف صاح الكُرْمِ، وسائر الشجر إذا بدا ثمره. إلا أنه لو قال صاح الكُرْمِ لكان فى الجزء طيً، وهو ذهاب فاء (مُسْتَفْعِلٌ)، لأن قوله: (صاح مَثَلٌ) مُسْتَفْعِلٌ، فاستوحش من الطيً، فوضع نَادَى مكانَ صَاحَ، ليسلم الجزء.

والمتنبى أعذر، لأنه لو قال: (أطول) لا ينكسر البيت. ورؤبة لو قال: صاح من الكافور لم ينكسر البيت، وإنما كان يلحقه الرَّحَافُ الذى وصفناه.

وقال «تُقَدِّى» فأنث الفعل، وإن كان للآتَمِ، والآتَمُ مذكر، حملاً على المعنى، لأن الآتَمَ هو النسور فى الحقيقة. ونظيره قول بعض العرب:

(١) من قصيدته التى مطلعها «على قدر أهل العزم تأتي العزائم». (٢) البيت لرؤبة كما فى اللسان (صحيح) وقوله (إذ نادى) إنما أراد صاح يقال: صاح. العنقود يصيح إذا استتم خروجه من أكمته وطال وهو فى ذلك غض. وكافور الكرم الورق المغطى لما فى جوفه من العنقود شبه بكافور الطلع لأنه ينفجر عمافيه أيضاً.

فـلـان لـُـقـوب^(١) جـاءـتـه كـتـابـي فـاحـتـقـرـها . أنـتـ الـكـتـاب لـمـا كـان فـي مـعـنى (الصـحـيفـة). و(نـسـور الـفـلا) بـدـلٌ مـن أـتـم الطـير . ولـأـحـدائـها والقـشـاعـم): بـدـل مـن (نـسـور). وكـلاـهـما بـدـل بـيـان^(٢).

يـقـول: أَوَسَّعَتْ سـِـلَاحُـهُ النـسـور شـبَـعاً مـن لـحـوم القـتـلى قـديماً وحـديثاً، لـأن، قـشـاعـمـها وهـي المـسـان^(٣) تـشـكـر القـديـم والحـديث^(٤). وأـحـدائـها تـشـكـر الحـديث، لـأنـها مـتـأخـرة الكـون عـن زـمـن القـديـم . فـكـلا النـوعـين يـشـكـر سـلـاح هـذا المـلك، و(بـفـدِّـه): أـى يـقـولـان نـحـن الفـداء لـسـلـاحـه . واسـتـعار الأـحـدائـ للـنـسـور، وإـنـما هـو فـي نـوع الـإنـسـان، ومـثـل هـذه الـاسـتـعـارة كـثـير.

(هـلِ الحـدِثُ الحـمـراءُ تـعـرِفُ لَوْنُـها وَتـَعـلـمُ أـى السَّاقِـيـيـنِ العَمَـامِ)

(الحـَدِثُ): حِصْنٌ، مـعـروف وأنـثـه عـلى مـعـنى القـلـعة، أو المـديـنة، وجـعـلـها حـمـراء، لـما سـال عـلـيـها مـن الدـماء، وكـانـت غـيـر حـمـراء. يـقـول: فـهـل تـعـرِفُ الآن^(٥) لـونـها القـديـمُ الـذـى بـُدِّـگت مـنـه الحـُمـرة. وإـِنْ شـنـت قـلت: هـل تـعـرِفُ الآن^(٥) أـنـها حـمـراء، أو^(٦) تـنـكـر ذـلـك؟

وقـيل: جـعـلـها حـمـراء، لـأن سـيـف الدـولة بـنـاءـها بـحـجـر أحـمر، ولم يـك قـبـل ذـلـك.

يـقـول: فـهـل تـعـرِفُ هـذه القـلـعة أـن بـنـاءـها الحـديث غـيـر بـنـائـها القـديـم؟ وكـذـلـك بَلَّتْ هـذه السـيـوفُ هـذه المـديـنة بالـدَّم، كـما يَبِلُّ السَّحَابُ الأَرْضَ بالمـطـر. فـهـل تـعـرِفُ أـن الغـمـام سـقـاها الآن أو^(٧) السـيـوفُ؟

وقـد بـيـن ذـلـك بـقـولـه بـعـد هـذا:

(سَقَّتْهَا الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا الجَمَاجِمُ)

(١) قال في اللسان (كتب): وحكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول وذكر إنساناً فقال: فلانٌ لغوب. جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له أتقول جاءته كتابي؟ فقال: نعم. أليس بصحيفة؟ فقلت له: ما اللغوب؟ فقال: الأحمق والجمع كتب.

(٢) ليس بدل البيان من أقسام اليد إلا إذا أراد به بدل الكل من الكل وهو الذي سماه ابن مالك اليد المطابق ومع ذلك يجوز في قول المتنبي أن أحداً منها والقشاعم بدل بعض من كل لأنها نوعان من نسور الفلا. ويجوز في (نسور) أن يكون بدلاً مطابقاً من (أتم الطير) أو عطف بيان عليه كما تقرر في كتب النحو.

(٣) المسان: يقال: أسن الإنسان وغيره اسناناً: إذا كبر فهو مسن والأسنى مسنة والجمع: مسان. (المصباح - سنن).

(٤) كلمة (والحدث) وردت في المخطوطتين هنا ولعلها زيادة.

(٥) - (٥) ما بين الرقيمين وهو قدر سطر سقط من ت.

(٦) في الأصل (م): (أم تنكر).

(٧) في الأصل م: (أم).

أى سقاها السحاب قبل نزول سيف الدولة بها، فما دنا منها قتل من كان بها من الروم، فسقتها السيوف بدمانهم.

(وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَاصْبَحَتْ وَمِنْ جُنْثِ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمٌ)
التمائم: العُودُ، وهى تُنَاطُ بِمَنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ أَوْ جُنُونٌ أَوْ سِحْرٌ.

فيقول: كانت هذه القلعة مضطربة غير مطمئنة ولا مستقرة بمن غلب عليها من الروم، حتى كان بها من ذلك مثل الجنون، لأن المجنون يخالطه اضطراب وقلة ثبات، ولذلك قيل له: (الأولق)^(١). لأن الولق: سرعة الطعن والمشى، وهذا فيمن أخذه من ذلك، فجعله (أفعل).

فأما سيبويه، فهو عنده (فَوَعَلَ) بدليل (مَأْلُوق) فلما وردها سيف الدولة فَقَتَلَ مَنْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا، استقرت واطمأنت، فكانت جثث القتلى عليها توائم أوجبت لها الاستقرار والطمأنينة.

(وَقَدْ حَاكَمُوْهَا وَالْمَنَائِيَا حَوَاكِمٌ فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ)

أثبت حكماً من حيث أثبت ظلماً، لأن الظلم جورٌ، والجور نوع من الحكم، ضد العدل، فحاكموا هذه القلعة. والسيوف حواكم: أى هُنَّ ذوات الحكم على المتحاكمين عليها، وكان الظلم مِنْ قِبَلِ الروم لهذه المدينة، بهدمهم إياها. وإخلائهم لها، فلما كان الحكم للسيوف، مات الظلم بقتل هؤلاء الروم الظالمين.

(فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ): يعنى القلعة، أى لم يَعْفُ أثرُها، بل جُدِّدَ بناؤها، وزيدت تحصيناً. (وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ): أى لم يعيش الروم الذين هدموها، بل قتلهم سيف الدولة.

(تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَسَا وَفَرُّ مِنَ الْفَرَسَانِ^(٢) مِنْ لَا يَصَادِمُ)

(١) إذا أخذ (أولق) من الولق مصدر (ولق يلق): إذا أسرع فوزه (أفعل).
لأن الواو فيه أصل. وإذا أخذ من (ألق الرجل): إذا جن فهو مألوق فمزق أولق (فوعل) كما قال سيبويه لأن الهمز فيه أصل.
(٢) فى التبيان (٣: ٣٨٥): (الأبطال) فى موضع (الفرسان).

أى ما كان من السيوف قاطعاً للدرع وللا بسهما بقى، وما لم يبلغ من الحدة والشدة أن يقطعهما، تقطعَ وقْنى، وذلك لشدة ما كان هناك من الضرب. ومن كان من الفُرسان غير مُزاحم ولا مُصابم لم يُثَبَّت. يذهب فى كل ذلك إلى أنه لم يبق إلا الجيّد الصابر على الكفاح، من الرجال والسلاح. ألا تراه يقول:

(وَلَسْهُ وَقَتٌ أَذْهَبَ الْغَشُّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ)

(تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم)

أى أن أناساً من الحذاق لما رأوا إقدامك، وإعمالك رُمحك وحُسامك، يتيحان لك سلامة الحوياً^(١)، والظفر أبداً بالأعداء، قالوا إنه لا يقتحم ذلك إلا بعد ما ظل عالماً، أنه لا يُتَوَّب إلا سالماً غانماً، فَحَصَلَتْ عندهم بذلك عالمٌ غيب، مُتَقَفِّياً^(٢) للعواقب غير ذى ريب. وهذا أرفع من منزلة الشجاعة والتدبير:

(تَنْظُرُ فِرَاحُ^(٣) الْفَتْحِ أَنْكَ زُرْتَهَا بِأُمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَاحُ)

أى أن خيلك صعدت الجبال حتى انتهت إلى أعاليها، وهناك وكُور العقبان. فلما أشرفت على تلك الوكور جُمُجِمَتْ، والجمجمة تشبه صرصرة عتاق الخيل، ظنتها فِرَاحُ الْعُقْبَانِ أُمَاتِهَا. ومما يدلك على أن الجمجمة تشبه الصرصرة قول الشاعر:

إِذَا الْخَيْلُ صَاخَتْ صِيَا حِ النَّسُورِ هَزَزْنَا شَرَّاسِقَهَا بِالْجِدَمِ^(٤)

وعنى بالفُتُخ: العقبان. أقام الصفة مقام الموصوف، لأنها صفةٌ غالبية، تقوم مقام الاسم. وإنما سميت الْعُقَابُ فَتَخَاءَ، للين جناحها. وَالْفَتْخُ: اللين، والصلادم: شِدَاد الخيل، واحدها: صِلْدِم وصِلْدِمَة.

(١) الحوياً: النفس.

(٢) متقفياً: يقال: اقتفى أثره وتقفاء: اتبعه أى هو يقتفى أثر العواقب ويتتبعها ليعلم حقائق الأمور.

(٣) فى الأصلين: (بنات) وما اثبتناه عن التبيان (٣: ٣٨٩) والديوان. وقد جرى شرح المؤلف على هذه الرواية.

(٤) الشراسف: جمع شرسوف: ضلع من أضلاع الصدر على طرفها الغضروف الرقيق. والجذم جمع جذمه: السوط يقطع طرقه الدقيق ويبقى أوله.

(أفي كل يوم ذا الدُمستق مُقديمُ قَفَاهُ على الإقدام للوجه لأتم)

أى إن هذا الدُمستق فى كل يوم يُقدم فيُهرَم، ويُحجم فيَسَلَم وجهه، ويُضرب قَفَاه، فالقفا يُلوم الوجه على الإقدام.

يقول له: كم تتوجه إلى من قد علمت أنه لك هازِم، فتسلّم أنت، ويهونُ عليك ما ألقاه إذا سلمت أنت. وأراد قَفَاه لأتم لوجهه على الإقدام فقال: (للوجه)، لأن إضافة القفا إليه تشعر أنه لا يعنى من الوجوه إلا وجهه.

(يُضربُ أتي الهامات والنصرُ غالبُ)

وَصَارَ إِلَى اللَّبَاطِ وَالنَّصْرُ قَابِمْ^(١)

أى أن الضُّرب إذا قَرع الهام لم تَعُدّه نصره، إذ فى الإمكان أن يموت صاحبها، وإن لا يموت. فإذا وصل إلى اللَّبَّة، هلك لا محالة، فحينئذ يُعَدُّ بالنصر، وضرب الغيب مثلاً للشك فى النصر، والقُدوم للتيقن، وكذلك الغائب مشكوك فيه، والحاضر مُتَيَقَّن.

(حَقَّرَت الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ)

الرُّدَيْنِيَّاتِ: الرماح، منسوبة إلى امرأة تسمى رُدَيْنَة، كانت تُرْكَب فيها الأسنة.

يقول: إنما أحببت لقاء العدو على قُربٍ معانقةً ومصافحة، لجراتك وشجاعتك، ولم ترض أن تستعمل فى قتاله الرمح، لأن ذلك مُشْعَرٌ بالجبن، لأن القتال به إنما هو على بُعد، فاطْرَحْتَه واستعملت السيف مكانه قال:

(وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ)

أى لكأنك قد رأيت السيف قد عَيَّرَ الرمح بالضعف والتقصُّف وقله الغناء، فهَنَ عليك الرمح لذلك، ألا تراه يقول بعد هذا:

(١) البيت متقدم فى الديوان على سابقه.

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمْ
ومن كلام بعض العرب: الرمح أخوك، وربما خانك. وقال عمرو بن
معديكرب فى السيف:

خَلِيلِي لَمْ أَخْنِهِ وَلَمْ يَخْنُنِي عَلَى الصُّمَّامَةِ السَّيْفِ السَّلَامِ^(١)

== ١٠٣ ==

وله ايضا:

(أَرَاكَ كَذَا كُلِّ الْأَنَامِ هُمَامٌ وَسَخٌ لَهُ رُسُلُ الْمُلُوكِ غَمَامٌ)^(٢)

(كذا) فى موضع نصب صفة لمصدر محذوف أى راع روعًا مثل هذا:

(وسخٌ له رُسُلُ الملوك غَمَام)

أى تقاطروا عليه، وقد جاءوه تترى^(٣) من كل أوب، حتى كان غمَامًا سَحْمَ
عليه لكثرتهم، أى صَبْهم، فرُسُلُ الملوك : منصوبٌ على المفعول به، لأن سَخَ
فعل متعدٍ.

(وَرُبُّ جَوَابٍ عَنِ كِتَابٍ بَعَثْتُهُ وَعَنَوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قِتَامٌ)

يعنى جيشًا أجاب به عن كتاب، فأنبأهم قتامه عنه، كما يُبنى عن الكتاب
عنوانه

(تَضَيَّقُ بِهِ الْبِيدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ وَمَافِضٌ بِالْبِيدَاءِ مِنْهُ خِتَامٌ)

أى أنه يملأ البیداء، وهو مجتمع قبل انتشاره، فكيف به إذا انبث وانبعث.

(حُرُوفُ هَجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ)

أى لا يشاهد فيه إلا هذه الأنواع، كما لا يشاهد فى الكتاب إلا حروفه.

(١) البيت فى اللسان (صم) والصمصام والصمصامة: السيف الصارم الذى لا ينثنى.

(٢) مطلع قصيدة له بديروانه (٣٩٠) والتبيين (٣٨٥:٣).

(٣) تترى: أصله (وترى) التاء بدل من الواو، وألفه للتأنيث أو للإلحاق ولذلك يجوز تأنيثه ومعنى تترى: متتابعين.

وله ايضا:

(بِلَادُ إِذَا زَارَ الْحِسَانَ بِغَيْرِهَا حَصَى ثَرْبَهَا ثَقْبَتْهُ لِلْمِخَانِقِ)^(١)

بلاد : أى هى بلاد، يعنى (الثوية)^(٢) وهى الكوفة، وحصاها وهو ذلك الذي يعرف بالفرومى^(٣)، وهو شفاف حسن. يقول: فإذا زير به الحسان فى غيرها من البلاد استحسنة فثقبتنه فى مخانقهن. وليس الحصى هو الزائر فى الحقيقة لأن الزيارة إنما هى لمن يعقل، والحصى جماد. وإنما أراد زير به الحسان فاتسبع بأن جعل الفعل له. وواحد المخانق مخنقة، سميت بذلك، لأنها توضع فى موضع الخنق من الخلق.

(وَأُعِيدُ يَهُوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ عَفِيفٍ وَيَهُوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ)

أى أنه كامل الحُسن خَلْقًا وَخُلُقًا، فحسنة حُسن رُوحانى، وهو حُسن الخَلْق، وجُسمانى وهو حُسن خَلْقِهِ، فأوجب ذلك أن يعيشه العفيف والفاسق، فالعفيف يَهُوَى نفسه، ولها الحُسن الخُلُقَى، والفاسق يَهُوَى جسمه، وله الحسن الخَلْقَى.

ولو اتزن له أن يقول: (كل عفيف) ولم يذكر العاقل؛ لكان أذهب فى التقابل لأن العفة ضد العقل. وإنما يقابل العاقلُ الأحمق؛ فلا معنى لقوله «كل عاقل»، لكن لما كانت العفة للجزء المعتدل، وكان الجزء المعتدل يوصف بالعقل، حَسُنَ أن يذكر العقل مع العفة، وإلا فوجه التقابل ما ذكرت لك.

وقوله: «وأعيد» عطف على قوله: (مليحة) من قوله:

(سَقَتْنِي بِهَا الْقَطْرُ بُلَى مَلِيحَةً)^(٤)

وإن شئت رفعت أعيد على الابتداء ، وخبره مضمّر. كأنك قلت وَتَمَّ أُعِيدُ.

(١) من قصيدة له فى سيف الدولة أولها: (تذكرت مابين العذيب وبارق) (ديوانه ٣٩٣).

(٢) موضع من وراء الحيرة قريب من الكوفة (انظر معجم مااستعجم).

(٣) فى ت: المنزوى. رضى البيان. الغروى.

(٤) عجزه كما فى الديوان: «على كاذب من وعداه وهو صادق».

(يَحْدُثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدْغَاهُ فِي خَدَى غُلامٍ مُراهِقٍ)

ويُروى: (يحدث ما بين القرون وبينه). وهى الأمم الخالية. أى أن هذا الأغيد حافظ وع حسن الحديث، جيد السِّيَاق له؛ فهو يحدث عن الأوائل، ويخبر بأخبار القدماء وإن كان حديث السَّن. وقوله:

(وَصُدْغَاهُ فِي خَدَى غُلامٍ مُراهِقٍ)

كناية عن حدائته وقُتُوته. ويعنى بالصدغ: ما سال من الشعر على خده. وهذه الكناية، وأن كانت حسنة، فإن فيها تكلُّفاً، كان أقرب من ذلك - لو أترن - أن يقول: وهو مُراهق. فكان يعنى من قوله:

(وَصُدْغَاهُ فِي خَدَى غُلامٍ مُراهِقٍ)

ولكنه تكلف ذلك ، لحفظ إعراب القافية.

(يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكَمَامَةِ وَبَيْنَهَا بِطَعْنٍ يُسَلِّي حَرَّهُ كُلَّ عَاشِقٍ)

أى بين الكمامة ونسائهم، بطعن يؤلم العاشق، فيُسَلِّيهِ بِحَرِّهِ عن المعشوق.

(أَتَى الطُّغْنُ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةً مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ) (١)

الرشاش: ما أُرْسُ من الدم. يقول: أَلْحَقَ عَقِيلاً بحلالهم وعيالهم، حتى أنهم إذا أصيبوا بالطعان، طارت دماؤهم فى نُحُورِ الشَّوَابِ من النساء. وبالمغ باختصاص الشَّوَابِ، لأنهن لوازم لزوايا الخُدُور، فذلك أغرب.

(وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبْعِيَّةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحُ اللَّقَاقِ)

ويروى تصيح الحصى. وَمَلْمُومَةٌ: يعنى كَتَيْبَةٌ مجتمعة لَمُ بعضها إلى بعض، أى جُمع. وقيل مجموعة كالحجر الملموم. والقولان متقاربان. سيفيَّة: منسوبة إلى سيف الدولة. رُبْعِيَّةٌ: منسوبة إلى رُبْعِيَّة: لأن سيف الدولة منها .

(١) رواية الديوان (أتى الطغن) جمع طغينة وهى المرأة فى اليهودج (انظر التبيان ٣٢٥: ٢) والواحدى (٥٤٤).

(يصيح الحصى فيها صياح اللقالق)^(١)

أى قد كُثِرَ فيها الخيل والرُّجُل، فالحصى يصيح تحت حوافر الخيل، وأرجل الرجال، صياح اللقالق : وهى نوع من الطير واحدها لقلالق. وحقيقة اللقالق: الصوت، فسمى هذا النوع من الطير لقلالقاً بصوته، وكان يجب على هذا (صايح اللقالق) لأن واحدها لقلالق. وإذا كانت الألف وغيرها من حروف اللين رابعة فى الواحد، ثبتت ياءٌ فى الجمع، نحو حُمَّلاق وحَمَليق، وكُردوس وكِراديس ، وشُمَّلال وشَمَاليل. لكن الشاعر إذا اضطر حذف هذه الياء فى الجمع . أنشد سيبويه:

قَدْ قُرِيتْ ساداتها الروانسَا وَالْبَكَراتِ الْفُسُجُ الْعَطَامِيسَا^(٢)

فكذلك اضطر هذا الشاعر، فحذف ياء (اللقالق) ولا يلتفت إلى قول العامة فى واحدها (لَقْلُق) ، فإن ذلك الخطأ.

وقيل : كانت هذه الكتيبة مَكْسُوءَةً تجافيف^(٣) ودروعاً، فإذا وضع الفرس حافره على حصاة أطارها، فقرعت تجفافاً أو درعاً، فاشبه صوت وقوعها بالدرع وَ التجفاف، صوت اللقالق. واستعار الصياح للحصى وإنما الصياح للحويان.

ومن رواه «تصيح» أراد تُصيح هذه الكتيبة الحصى، وكان يجب على هذه الرواية أن يقول إصاحه اللقالق، لأن مصدر أفعِل إنما هو الإفعال، فإن كان الفعل معتل العين، كان مصدره إفْألة، تحذف العين، وتجعل الهاء^(٤) عوضاً منها، كقوله أَفْأَلُهُ إِفْأَلُهُ، وأقامه إقامة، لكنه قال: صياح ، فجاء بالمصدر على غير فعله، لأنه أراد فتصيح صياح اللقالق، وفى التنزيل (وَاللَّهُ أَتُبْنِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا)^(٥) أى فنبتم نباتاً. ومثله كثير، قد أفرد سيبويه^(٦) فيه باباً.

(١) فى اللسان (لقق) اللقلق والقلقلق: طائر أعجمى طويل العنق يأكل الحيات والجمع: اللقالق وصوته: اللقلقه. وكذلك كل صوت فى حركة واضطراب.

(٢) انظر ماسبق شرحه لهذا البيت فى المقطوعة (٤٧)

(٣) التجافيف: جمع تجفاف (بكسر التاء): آلة للحرب يلبسه الإنسان والفرس ليقيه فى الحرب. وفى المصباح: التجفاف: تَفْعَال (بالكسر) شئ تلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف. قيل سعى بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة.

(٤) أى أن (الهاء) عوض عن المحذوف وهو الواو من قام والياء من باع ومن العرب من يحذف الهاء وعليه قوله تعالى (وَأَقَامِ الصَّلَاةَ).

(٥) الآية ١٧ من سورة نوح.

(٦) انظر الكتاب (٢: ٢٤٤).

(وكان هديرًا من فحولٍ تركتها مهتبةً الأذنابِ خرس الشقاشق)

أى كان هذا الذى أبدته عقيل من الطغيان والأشر، بمنزلة الهدير للفحول، والفحول إذا هاجت هذرت، وأخرجت شقاشقها، وهى هنوات تخرج بيضاً وحمراً كالرئة. أنشد ابن دريد فى صفة شقشقة حمراء

فى جَوْنِهِ كَقَفْدَانِ الْعَطَارِ^(١)

القفدان: أذمة حمراء، تصان فيها أنواع العطر، فشبه الشقشقة فى لونها وعظمها بها. والجون: يكون للأبيض والأسود والأحمر.

وإنما قلنا هنا : إنه يصف شقشقة حمراء. لتشبيهه إياها بالقفدان، والقفدان أحمر. فإذا تهادرت الإبل، شدت أذنابها وأهلاؤها^(٢)، فسكنت وخرست شقاشقها وذلت، فجعل عقيلاً بمنزلة الفحول، وأشرها وتوعدها لسيف الدولة كالهدير. وجعل إزاله لهم، وتحبيسه إياهم، بمنزلة تهليب الأذناب، وإخراس الشقاشق.

وإن شئت قلت : لما هزمهم، فأدرك بعضاً وفاته بعض، كانوا بمنزلة فحول صال عليها فحلٌ مقُرم، فهرت أمامه، فهلب^(٣) ما أمكنه من أذنابه أى نسفها^(٤).

- ١٠٥ -

وله أيضاً:

(وغيرها التراسلُ والتساكى وأعجبها التلُّبُّ والمُغارُ)^(٥)

أى تراسلوا بما لقوه من هذا الملك، وشكاه بعضهم إلى بعض، فدعاهم ذلك إلى ترك الطاعة، وغيرهم عن الأنتمار لسيف الدولة. (وأعجبها التلُّبُّ): وهو التحرُّم بالسلاح، والمُغارُ: أى الإغارة على الأحياء.

(١) أنشده فى اللسان (ققد) عن ابن دريد ولم ينسبه لقائله.

(٢) الأهلاب: جمع هلب (بالضم) وهو الشعر الذى ينبت فى ذنب الفرس.

(٣) هلبها: أخذ خصلة من شعرها.

(٤) يقال: نسف البعير الكلاً (كضرب): إذا اقتلعه وانتسفه: اقتلعه.

(٥) من قصيدة له بديوانه ص ٣٩٩ والتبيان (٢: ١٠٠) ومطلعها:

طوال قنا تطاعتها قصار وقطر كفى ندى ووغى بحار

(فَكُنْتُ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدَكِ وَالْغِرَارُ)^(١)

أى كنت قبل نفاقهم وشقاقهم سيفاً مردود القائم إليهم، لا تقطعهم ولا تؤذيهم، لأن القائم لا يؤثر. وفى أعدائهم غرارك : أى حدك وله التأثير.

(فَأَمْسَيْتُ بِالْبِدْيَةِ شَفَرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ)

البديّة والحيار: ماءان بأزجان^(٢). والحيار أقرب إلى العمارة فيقول: سير من الحيار إلى البديّة وبها أدركهم، فصار الحيار خلف القائم. والشفرتان بالبديّة، ضارباً لهما بالسيف، الذى كان قبل مشاقتهم له يضرب به أعداءهم عنهم.

(مَضَوْا مُتْسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ رُعُوسُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ)

أى انفصلت أعضاؤهم بعضها قبل بعض. يقول: تقطعت أعناقهم فبددت، فتعثرت^(٣).

(يَغَادِرُ كُلُّ مُتَلَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبِئْتُهُ^(٤) لثَعْلَبِهِ وَجَارُ)

الثعلب: ما دخل من الرمح فى جُبة السنان، والوجار: جُحْرُ الثعلب وجار^(٥) ووجار، حققها يعقوب^(٦)، وشك أبو عبيد فى الكسر.

أى إذا التفت إليه المنهزم ليتأمل بعده وقربه لم يلبث أن يطعن به فى لَبْتِهِ. فتكون بمنزلة الوجار للثعلب. ويجوز أن يجعل اللَّبَّهَ وجاراً من حيث سُمى مايدخل من الرمح فى جُبة السنان ثعلباً.

وقوله: (ولبّته لثعلبه وجار): جملة فى موضع الحال، إذا رَدَدَتْهَا إِلَى الْمَفْرَدِ فكأنك قلت: يغادر كل متلفت إليه مطعون اللَّبَّهَ به، وهو فى موضع القلادة من الصدر.

(١) قائم السيف: مقبضه. وغراره: حده.

(٢) أَرْجَان: مدينتان كبيرتان ذات زرع وزيثون بينهما وبين شيراز فرسخان. وبينها وبين الأهواز ستون فرسخاً أيضاً، وينسب إليها جماعة من أهل العلم (عن ياقوت) (معجم البلدان).

(٣) لعله فتعثرت بأرجلهم كما فى البيت.

(٤) اللَّبَّة: أعلى الصدر

(٥) فى اللسان (وجر) الوجار (بالكسر) والوجار (بالفتح): جحر الضيق والأسد والذئب ونحو ذلك. والجمع: أوجر، ووَّجر (بضمين) واستعاره بعضهم لجحر الكلب.

(٦) صاحب كتاب إصلاح المنطق وقد سبقت ترجمته (انظر المقطوعة ٩٨ هامشة ٦)

(فَهُمْ حَزَقُوا عَلَى الْخَابُورِ صَرَغِي بِهِمْ مِنْ شَرْبٍ غَيْرِهِمْ خُمَارًا)

أى أنهم جمدوا، وأجمدوا خيلهم، فانقطعوا وانقطعت، وأقاموا فى هذا الموضع صرعى، كأنهم شَرَبَ مَخْمُورُونَ وليسوا بِشَرَبٍ ، إنما الشَّرْبُ رماح سيف الدولة، لأنها التى شربت دماءهم، والخُمَارُ إنما هو للشارب. يَسْخَرُ بِهِمْ فيقول: كيف خُمِرَ هؤلاء. وإنما الشارية رماحك.

وإن شئت قلت: جعل المهزومين كالمخمورين، لما بهم من الحيرة والكسل والفتور. وجعل الهازمين كالشرب، لما نالوا منهم، أو ما بهم من الفرح بقلهم لهم، وقتلهم إياهم. كَفَّرَحَ الشَّرَابُ للنبيذ.

(يُوسِطُهُ الْمَفَاوِزُ كُلُّ يَوْمٍ طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتَظَارُ)

يوسطه: أى يدخله وَسَطُ المفاوز، طلابه للمهزومين الهاربين إلى القفار، فهو يطلبهم هناك.

يقول: فهذا هو الذى يدخله المفاوز، لا هربه من أعدائه ولا انتظاره أن يُدركوه. وقوله: (طِلَابُ الطَّالِبِينَ): كان الأحسن فى الظاهر - لو اتزن له - أن يقول: طِلَابُ المطلوبين، ولكن هذا يتجه على ثلاثة أوجه:

إما أن يكون عنى بالطالبيين أعداءه الذين كانوا يطلبونه قبل، وهم الآن مطلوبون.

وإما أن يكون عنى بالطالبيين للنجاة، وهم هؤلاء المهزومون.

وإما أن يكون «الطالبين» بمعنى المطلوبين، فقد يجى (فاعل) بمعنى مفعول كما يجى عكس ذلك كثيرًا.

فمما جاء (فَاعِلٌ) فيه بمعنى مفعول قولُ بشر بن أبى خازم :

ذَكَرْتُ بِهَا سَلَمَى فَبِتُّ كَأَنَّنى ذَكَرْتُ حَبِيبًا فَاقْدًا تَحْتَ مَرْمَسٍ^(١)

أى مفقودًا.

وأما عكسه، فنحو قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا)^(٢) أى آتيا.

(١) البيت فى ديوانه بتحقيق د. عزه حسن ص ١٠٠.

(٢) الآية ٦١ من سورة مريم.

وذكر لي أن المتنبى سئل عن هذا فقال : عنيتُ بالطالبيين سيفَ الدولة وكتيبته، وهذا عندي حسن. فطالبين على هذا في موضع رفع أى طلاب الطالبين لعدوهم، كقولك (عجبت من ضرب زيد) وأنت تريد من ضرب زيد لعمرو، فإذا كانوا قد يحذفون الفاعل، ويجتزئون بالمفعول، للعلم بالمعنى، مثل قوله تعالى:

(لَا يَسَامُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ)^(١)

أى من دعائه الخير، فحذفُ المفعول وإبقاء الفاعل أولى. فقد جاء محذوفًا كثيرًا، فى مثل قوله تعالى:

(يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ)^(٢)

أراد : والسمواتُ غيرَ السموات. وزعم الفارسي أنه قد روى بيت ذى الرمة هكذا :

رَحِيمَاتِ الْكَلَامِ مُبْتَلَاتٌ جَوَاعِلُ فِي الْقَنَاءِ قَصَبًا خِدَالًا^(٣)

مبتلات (بالكسر) أى مُقْطَعَاتٌ للكلام، يبهرن المنطق نغمه، فحذف المفعول ومن رواه (مبتلات) فقد كفاك، لأنَّ المبتلة لفظ المفعول، وهى من النساء التى كلُّ شئٍ منها حسنٌ على حدة. كأنَّ الحُسْنِ (يُتَلَّ) على كل جزء منها، أى قطع. وقد أثبت هذا فى كتابى المرسوم بالمخصص فى اللغة.

وتوسطه فى المفاوز فى أثر المنهزمين يكون كناية عن بُعد هِمته، كقوله هو فيه:

أَكْلَمَا رُمْتُ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتُ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَيْمُ^(٤)

عليك هَرْمُهُمْ فى كل معترك وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

وقد يكون ذلك كناية عن هدايته ومعرفته بالسبيل والمخادع، حتى لا يفوته الهارب منهم، كقوله هو فيه أيضا حين هزم عُقَيْلًا :

(١) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

(٢) الآية ٤٨ من سورة إبراهيم.

(٣) البيت فى المخصص (٣: ١٥٥) فى فصل (تعرت النساء فيما يستحسن من خلقهن) ولسان العرب (مثل) وفيه (جواعل فى البرى).

(٤) البيتان من قصيدته: «واحر قلباء ممن قلبه شيم».

تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ صَوْلَهُ مُتَرَفِّفٍ تُذَكِّرُهُ الْبِيدَاءُ ظِلَّ السُّرَّاقِ^(١)

فَذَكَّرَتْهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةً غِيَّرَتْ سَمَاوَةً كَلَبَ فِي عُيُونِ الْحَزَائِقِ

وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ يَدَّوْا وَأَنْ تُبَتَّتَ فِي الْمَاءِ نَبْتُ الْغُلَاقِ

فَهَاجُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَائِ مِنْ نُجُومِهِ وَأَبْدَى بَيُوتًا مِنْ بَيُوتِ النَّقَانِقِ

(غَطًّا بِالْغُنْثَرِ الْبِيدَاءَ حَتَّى تَحِيرَتْ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ)

الغُنْثَرُ (٢): ماء ، أى غطى مألهمُ البيداء، فى هذا الموضع المسى بالغنثر، حتى تحيرت متالية وعشاره: أى أعز أولادها، وذلك لكثرة العدد وغزارة المَدَد.

(وَجَيْشٌ كُلَّمَا حَارُوا بَارِضٍ وَاقْبَلِ اقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ)

أى أن سيف الدولة تبع بنى كعب بجيشه، فكان الكعبيون كلما مروا بأرض واسعة حاروا فيها. وكان جيش سيف الدولة كلما مروا بتلك الأرض التى حار أولئك فيها، حارَت الأرض فيه، وذلك لعظمه، وجمهور أممه، مع ما خالط الكعبيين من الخَوَر، وهؤلاء من التحدث بالظفر.

فالضمير فى حاروا راجع إلى هؤلاء المتبوعين، وفى أقبل : راجع إلى الجيش. وكذلك الهاء فى قوله (فيه) راجعة إليه أيضا.

(وَأَجْفَلَ بِالْفِرَاتِ بَنُو ثُمَيْرٍ وَزَارَهُمُ السَّدَى زَارُوا خَوَارِ)

الزئير للأسد، والخَوَار للضأن.

يقول : كانوا أسدًا قبل لقاء سيف الدولة، فعادوا ضأنًا عند لقائه. وكُنَى بالزئير عن الأسد، وبالخوار عن الضأن، لأن الزئير والخوار فى هذين النوعين خاصتان، والخاصة دالة على مخصوصها فتفهمه.

(فَهُمْ حَرَقُوا عَلَى الْخَابُورِ صَرَغَى بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارِ)^(٣)

قيل معناه : أراد غيرهم، فظنوا أنه أرادهم، ففروا وتفرقوا.

(١) راجع ديوانه ص ٣٩٦.

(٢) هذه رواية ابن سيده. وفى اللسان (غثر) الغُنْثَر: ماء بعينه (عن ابن جنى) ورواية الواحدى «العثير»

(٣) ذكر هذا البيت بشرحه فى هذه القصيدة.

والذى عندى أن سيف الدولة أوقع ببني كعب، فذلك معنى قوله : (من شرب غيرهم خمار)، وخاف النميريون من مثل ذلك ففترقوا، فذلك خمارهم لأن الخمار أقرب إلى الصحو من السكر المغرق، ففزع هؤلاء النميريين أخف من موت الكعبيين.

(بَنُو كَعْبِ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَسْدُ لَمْ يَدْمِهَا إِلَّا السَّوَارُ)

أى أنك وإن نلتهم بمساةة، فقد شرفتهم باعتمادك إياهم، واشتغالك بهم، كالكلف التى إن أدامها السوار ، زينها ذلك وإن ألمها.

— ١٠٦ —

وله ايضا:

(أَيَا رَامِيَا يُصْنَمِي فُؤَادَ مَرَامِيهِ تَرَبَّى عِدَاهُ رِيَشَهَا لِسِيَاهِمِهِ)^(١)

يخاطب سيف الدولة. يقول : أيا راميا يصيب مارامه، فرماه بسهم ريشه أجنة عداه. عنى بالسهم : جيشه ، ويريش عداه، سلاحهم الذى سلبهم إياه، وكساه جيشه، وجعل سلاح عداه ريشاً لكونه عوناً لهم. كما أن الريش عون للسهم، وسوّغ ذلك أيضا أن السلاح لباس، واللباس يُكنى عنه بالريش، كقوله تعالى (وريشاً وليأسُ التقوى)^(٢) ، وكنى بالسهم عن جيشه، لأنه يقتل به عدوه، كما يُقتل بالسهم.

وحسن أن يناديه بالنكرة، لأنه قد أطلال وصفها، وذهب إلى أنه ليس أحد يستحق هذه الصفة إلا هو. فكان النكرة هنا معرفة. والعِدَا : اسم للجمع عند سيبويه^(٣)، وليس بجمع لأن (فَعُولًا) لا يكسر على (فَعِل) وإنما جمع عدوّ: أعداء. وأما عِدَاةُ فجمعُ عَادٍ. حكاه أبو زيد عن العرب. أشمت الله عاديك، أى عدوك.

وما كان على (فاعل) من المعتل اللام، ففَعْلَةٌ فيه مطردة كقاض وقضاة، ودرام ودرامة. ولا يكون (عِدَاة) جمع عدو، لأن (عدو) فَعُول، و (فَعُول) لا يكسر

(١) مطلع قصيدة يديوانه ص ٤٠٤ والتبيان (٣: ٤).

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأعراف.

(٣) انظر الكتاب لسبويه (١٩٥: ٢).

على (فُعْلَة)، ولم أسمع لعادٍ فعلاً يجئ (عادٍ) عليه، أى لم يجئ (عَدَوْتَه) فى معنى (عادِيَّتَه). ولكن هذا عندى على النسب، أى ذو عَدَوَاتٍ، ونظيره. فاعل، ونائب، وأشياء قد حكاه سيبويه^(١) وغيره.

(وَيَجْعَلُ مَا حُوكَتُهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءً لِمَا حُوكَتُهُ مِنْ كَلَامِهِ)

أى إن إيديه تُنطقنى بجيد الشعر وتطلعنى على بالغ الشكر، فهو سبب ماخُوكَتَه من الكلام. فإن ذا الكلام إنما هو منه، ثم يجازينى بالنوال، ، على ما أعانى عليه من المقال. يُغرب المتنبى بذلك وهو كقول البحرى:

فهو يُعْطى خَيْرًا وَيُتْنى عليه ثم يُعْطى على الثَّنَاءِ جَزَاءً^(٢)

وقوله : جزاء لما خُولتَه من كلامه: أراد (جزاء على ما خولتَه)، فأبدل اللام مكان (على) ضرورة. وَيَجْعَلُ هنا: بمعنى (يُصَيِّرُ) فهي متعدية إلى مفعولين، كقولك: جعلت الطينَ خَرْقًا.

- ١٠٧ -

وله أيضا:

(قَاسَمْتُكَ الْمَثُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقَسْمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلًا)^(٣)

ويروى «فيه عدلاً»^(٤) يعنى بالشَّخْصَيْنِ. أَخَذْتَ النونَ إحداهما، وهى الصغرى، وأبقت لك هذه الأخرى. وهذه المقاسمة جَوْرٌ، لانه تَسَوَّرُ^(٥) عليه فى أهله. إلا أن القسم صَيَّرَ نفسه عدلاً فى ذلك الجور، بأن أبقى لك الكبرى، وسلبك الصغرى، كقوله:

(١) راجع المصدر السابق (٢: ١٩٠).

(٢) راجع قصيدة البحرى التى مطلعها:

«ياأخا الأزْدَ ما حفظت إلا خا»

وفيهما: (جزلا) مكان (خيرا).

(٣) قصيدة له يعزى سيف الدولة بوفاة أخته الصغرى.

(٤) هى رواية الديوان.

(٥) تسور عليه: أى هجم عليه.

قد كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصِينَ ذَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُهُمَا الْمَقْدَرُ بِالذَّهَبِ^(١)

ومن روى (فيكَ عدلاً) : عنى أنه إذا سلمت أنت فلم يأخذك، فذلك الجور عدل، لأن من ترك أنفُسُ ممن أخذ، إلا أن الجور فى ذلك موجود. وإنما كان يكون العدل لو ترك الجميع موفوراً. وإنما هذا العدل على الإضافة، لا على الإطلاق.

(خُطْبَةٌ لِلْجَمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتْ الْمُسَمَّاءُ تُكَلَّأُ)

أى حلل الجَمَامِ بهذه العقيلة، يعنى أخت سيف الدولة، خُطْبَةٌ لآتِرد، يذهب إلى إعظامها وإنكارها، وإن كانت هذه الخطبة نسميها نحن تُكَلَّأ، فليست كذلك فى الحقيقة، إنما هى إرادة من النُّور العلوى، يجذبها ويُصَيِّرُها إلى ذاته.

(وَكَمْ انْتَشَتْ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْمِ أَسِيرًا وَبِالنُّوَالِ مُقَلًّا^(٢))

(عَدُّهَا نُصْرَةٌ عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتْلًا رَأَى أَدْرَكَ تَبْلًا)

أى تَسَوَّرَتْ أنت على الدهر فى مظلوميهِ، ففككت أسيرهِ، وَجَبَرْتَ كَسِيرهِ، وأغنيت فقيرهِ، فأغضبتَه بمضادتك إياه فى أفعاله، فَأَرَصَدَ لك خَتْلَهُ ينتهزها منك، إذ عَدَّ كل ذلك إنصافاً منه لمظلوميهِ، وَنُصْرَةً عليه لمغلوبيه. فأخذ إحدى أحتيك، مكافأة لذلك وعقاباً، فَقَدَّرَ أنه أدرك خَتْلًا، ونال تَبْلًا.

والهاء فى (رأه): عائدة إلى الدهر، فالفاعل هنا هو المفعول؛ ولا يكون مثل هذا عند سيبويه إلا فى الأفعال النفسانية التى فى معنى الشك والعلم فأراه هنا : المتعدي إلى مفعولين. وإذا كان كذلك، فالجملة التى هى قوله (أدرك تَبْلًا): فى موضع المفعول الثانى. وَخَتْلًا : مصدر فى موضع الحال، من باب أَتَانًا عَدُوًّا وَمُسْتِيًّا^(٣). والانتياش^(٤): التخليص والانتفاض^(٥).

(١) من قصيدته فى أخت سيف الدولة وأرلها.

«ياأخت خير أخ يابنت خير أب»

(٢) البيت مقدم فى الديوان على قبله.

(٣) لعله يريد أن غدواً ومُسْتِيًّا: اسمان منصوبان على الحال بتأويلهما غاديا وممسيا كما أن (اختلا) منصوب على الحال على تأويله بخاتل.

(٤) فى اللسان (نوش) يقال: انتاشنى فلان من الهلكة: أنقذنى.

(٥) وفى الأصل المخطوط (الانتفاض) بالقاف والصاد. والصواب: (الانتفاض) بالفاء والصاد) وهو تخليص الشئ مما يلامسه. يقال: نفقت الثوب فانفض أى حركته ليخلص من التراب الذى علاه.

(وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيْبَةُ وَالطَّعْنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى)

أى أن الكتيبة^(١) متمعة ببأسها شديدة، فالطعنة تغلو فيها أى تغلو وتشتد على مريدتها منها.

فإذا كانت الطعنة الواحدة غالية؛ فالضرب أغلى منها لأن الطعن أمكن من الضرب. إذ هو على بُعد، والضرب على قُرب، وقال: (الطعنه) ثم قابلها بالضرب، احتياجاً لإقامة الوزن. وكان أذهب له فى الصنعة - لو أترن له - أن يقابل الطعنة بالضربة؛ والطعن بالضرب.

- ١٠٨ -

وله ايضا:

(كَلَّمَا رَأَى حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنُّ سَى فَعَطَى جَبِينَهُ وَالْقَذَالُ)^(٢)

بُنْيَا : مصدر بنى إما أن يكون قد نُكِّمُ به، وإما أن يكون على الضرورة ، لأن الشاعر إذا اضطرب، كان له أن يَرُدَّ مصادر الأفعال الثلاثية غير المزيده إلى (فَعَلَّ)، وإن استعمل فى الكلام على ذلك زيادة وغير زيادة. مثال ذلك، بَعْدَ بَعْدًا. وذهب ذهبًا، وكذب كَذْبًا، فيردُّ كل ذلك إلى فَعَلَّ. هذه حكاية الفارسيّ. «والجبين» : من أمام الرأس. «والقذال» من ورائه.

يقول : كلما دام (ابنُ لَؤْن) ملك الروم هدمَ هذه القلعة، أوسع سيف الدولة بناءها وأطاله، حتى امتد ظلُّه من أمامه، فغطى جبينه، ومن ورائه فغطى قذَّاله، أى قذال ملك الروم وجبينه.

(وَتَوَافِيهِمْ بِهَا فِي الْقَنَا السُّمِّ سِرْ كَمَا وَافَتِ الْعِطَانُ الصَّلَالُ)

الصَّلَالُ: الأرضون التى لم تُمطر بين أرضين ممطرة. واحدها صَلَّةٌ، وقيل: هى الأمطار المتفرقة. ويروى (الصَّلَالَا): وهى بقايا الماء، واحدها ضَلٌّ وقيل الضللُ: الماء الجارى تحت الحجر. يقول: توافيهم بها أى بالمنايا وهى فى القنا السمر، ببادر جيشك إليهم بالقتل كما تبتدر الأنفس العطاش بقايا الماء. والعطاش أحرصُ عليها، لأنهم لا يتقون بالرئى، لقلة الماء، فهم يتسابقون إليه، ولو كان كثيرًا وثقوا بما يأتهم من الرئى، فلم يتسابقوا.

(١) فى الخطيتين «الطعنة» ولا يصح المعنى ولا يتضح إلا بالكتيبة.

(٢) من قصيدته السيفية التى مطلعها:

ذى المعالى فليعلمون من تعالى هكذا هكذا ولا فلا لا

وقوله: في (القَنَا السُّمُرُ): في موضع نصب على الحال، أى مستقرة في القنا السمر، وملتبسة بها، كقولك: خرج زيد في ثيابه: أى لابساً لها، مشتملاً بها، و (كما وافت) أيضاً نصب على أنه صفة لمصدر محذوف، أى موافاة مثل موافاة العطاش. ولو قال قائل: إن (فى) مع قوله: (بها)^(١) اسم على حدة (فاعل) مقلوب موضع العين إلى اللام، من هافت الإبل تهافت: إذا عَطِشَتْ لكان حسناً. وهذا الباب كثير، قد عمل سيبويه^(٢) وأهل اللغة فيه أبواباً. فكان المعنى حينئذ إن الرماح تبترد شرب دمانهم، فكانها عَطِشَ إليها، كما يَبْتَدِرُ العطاش الماء.

(أَبْصُرُوا الطُّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرُّمَاحَ خِيَالًا)

أى رأوا أصحابهم مقتولين، فشاهدوا الطعن فيهم دراكاً^(٣) قبل أن يروا أشباح الرماح.

وإن شئت قلت: أَعْجَلَتْ الرماحُ هؤلاء القتلى أن يتوقعوا قبل ذلك، فيروها فى نومهم^(٤). يذهب إلى أنه لم يك هناك توعد من سيف الدولة، ولكن فَجَنَهم^(٥) فقتلهم.

وقد يتوجه المعنى على أنهم أبصروا الطعن فى قلوبهم دراكاً بالقرع قبل أن يروا نفس الرماح، كأنَّ القرع قتلهم.

وليس^(٦) قول من قال إن البيت مقلوب العجز والصدر، لأن ذلك فاحش، يذهب إلى أنه أراد: أبصروا الرماح خيالاً، قبل أن يبصروا الطعن فى القلوب دراكاً، استدلالاً بقوله:

(١) يريد المؤلف بهذه العبارة أن قول المتنبي (بها فى القنا) ليس كلمتين مستقلتين إحداهما عن الأخرى، وإنما هى كلمة واحدة، اسم فاعل من هافت الإبل تهافت إذا عطشت. وأصله هائف أخرت عينه وهى الهزمة بعد لامه فصار (هافئ) ثم خفت الهزمة لتطرفها بعد كسر فصار (هافئ) بوزن (قالع) ويسمى هذا عند اللغويين القلب المكاني.

(٢) قد تضمن الكتاب لسبويه (١٢٩:٢) منه أمثلة فى (باب تحقير ما فيه قلب) مثل: شاكى السلاح: أصله: شاكك السلاح. ومثل: أَيْقُفْ فى جمع ناقة أصله أُنُقُفْ كما تضمن كتاب المزهى للسيوطى أمثلة كثيرة منه فى باب (النوع الثالث والثلاثون - معرفة القلب) انظر ح ١: ٢٢٩-٢٣٢ ط. الأخريرة.

(٣) داركا: متتابعاً.

(٤) هكذا وردت عبارة المؤلف (ابن سيده) حذف مفعول (يتوقعوا) ثم أفصح عنه فى الجملة بعده (فيروها فى نومهم..... الخ).

(٥) يقال: فجنه الأمر (من باب تعب ونفع أيضاً) وفجأه مفاجأة: أى عاجله (المصباح).

(٦) لم يصرح هنا بخير ليس. ولعله يريد (وليس قول من قال إن البيت مقلوب العجز والصدر (يشى)).

يرى فى النوم رُمحك فى كُلاه ويخشى أن يراه فى المنام
(أى عَيْنَ شَأْمَلَتْكَ فَلَاقَتْكَ وَطَرَفَ رَنَّا إِلَيْكَ فَلَا)
أى أنك مُتَهَبِّبٌ، فإذا رأتك العين تغشتها هَيْبَتُكَ، ولم تَمَلْ^(١)، منك فتصفاك
وصف من لقي الموصوف، وأى طَرَفَ رَنَّا إِلَيْكَ، فأنكر أن شعاعك يَغْلِبُه وَيَبْهَرُه،
فيمنعه إدامه النظر إليك، وكرهه عليك كقوله هو فيه :

كان شعاع ضوء الشمس فيه ففى أجسامنا عنه انكسار^(٢)
أراد: (أى طَرَف) فاجتزأ بالأول عن الثانى ، كقولهم، أئنا فعل ذلك أخزاه
الله، أراد : (أئى وأيك فَعَلَ) . من أبيات الكتاب.

فأئى ما وأيك كان شـرراً فسيق إلى المنية لا يراما^(٣)
(كَلِمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَعْلَجَتْهُمْ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا)
أى كلما أب إليهم المنذر بإقبال خيل سيف الدولة مُعْجَلًا سبقوه، كان ذلك
قد وُغِعَ فى روعهم قبل الإنذار، فُتْعِلَتْهُمْ خَيْلُهُ عن العجلة التى تكلفوها للهَرَبِ
فَخِيلَ سيف الدولة منهم، فى إيجالها إياهم، بمنزلتهم من النذير، فى إيجالهم
إياه.

(رُبَّ أَمْرِ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفُعْـالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَ)
هؤلاء جيش من الروم، نزلوا على (الْحَدَث) فنذروا^(٤) بعسكر سيف الدولة،
فانهزموا، فالانهزام محمود، والتمهزم غير محمود على ذلك، لأنهم فَرَّوْا وَخَلَّوْا
له سبيله، اضطاروا لاختياراً. والمضطر غير محمود على فعله، و'ن كان فعله
فى ذاته حميداً. وهذا كقوله هو:

فولئى وأعطاك ابنه وجنوده . جميعاً، وما أعطى الجميع ليُحمدَا
(وَقِسِي رُمِيَتْ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِى قُلُوبِ الرَّمَاقِ عَنْكَ النُّصَالَا)
أى رموك فأخطوك، ورميتهم أنت فأصبتهن.

(١) فى م: تتأمل وما اثبتناه عن ت وهو أوجه.

(٢) من قصيدته (طوال قنا تطاعنها قصار).

(٣) انظر سيبويه (الكتاب ٢: ٤٠٠) قال: وسألته (الخليل) رحمه الله عن أئى وأيك كان شراً فأخزاه الله فقال: هذا كقولك أخزى الله الكاذب متى ومثلك إنما يريد منا وكقولك هو بينى وبينك تريد هو بيننا .

(٤) نذر القوم بالعنو (بكسر الذال) : علموا به فعنذروه واستعدوا له (أساس البلاغة).

(اخذوا الطُّرُقَ يقطعون بها الرُّسُدَ لَ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِرسَالًا)

أى لما قطعوا الطُّرُقَ، فلم يمكن الإرسال، استمع الناس وتطلَّعوا إلى عرفان الأنباء فأحوجهم ذلك إلى إنعام البحث، حتى عرفوا مع انقطاع الرسل، ماكانوا يعرفون بالإرسال أو أكثر، فكانَ الانقطاع صار إرسالاً حينَ أنتج من معرفة أخبار الأعداء، ماكان يُنتج الإرسال.

(مَامَضُوا لَمْ يَقَاتِلُوا وَلَكِنْ سَنُ الْقِتَالِ الذِى كَفَاكَ الْقِتَالَ)

(لم يقاتلوك): جملة فى موضع الحال، أى هؤلاء - وإن لم يقاتلوك- فما مضوا غير مقاتلين لك. وذلك القتال هو علمهم بظُفْرِكِ بهم، وعلمهم باعتيادك إبادتهم، وهو الذى حملهم على ترك القتال، فهو الذى كَفَاكَ القتال.

فقلوه: (القتال)، نصب ولكن، (الذى): خبر لكن؛ أى، ولكن القتال القديم الذى علِّموه منك، هو الذى كفاك القتال الآن.

(وَالثَّبَاتُ الذِى أَجَادُوا قَدِيمًا عِلْمُ الثَّابِتِينَ ذَا الإِجْفَالِ)

أى لما ثَبَّتَ للهاجمين منهم فبادوا، امتثل هؤلاء خلاف ذلك. خشية أن يَحُلَّ بهم ماحل بأوائلهم، فهربوا وأجفلوا، وكانوا من ذوى النجدة والثبات.

(بَسَطَ الرُّوعُ فى النُّهَيْرِ يَمِينًا فَتَوَلَّوْا وَفى الشُّمَالِ شِمَالًا)

إن شئت قلت: اتاهم الرُّوع من إيمانهم وشمائلهم. وإن شئت قلت: ضاعف الرُّوعُ عساكر سيف الدولة فى عيونهم، ففروا ولم يَبْثُتُوا.

وله ايضا:

(يَقْمُصْنُ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخَصْنِيَانِ)^(١)

القُماص. النَّزْوَان، حكى سيبويه عن العرب أَفْلا قِماص^(٢) بِالْعَيْرِ، وقال هو مثل هذا الماء الذي ذكر المتنبي (أرسناس) دائم البرد مَشْنَتِي وَمَصِيفاً، وكانت هذه الغزوة صيفية. فيقول: إِنَّ هَذَا الْمَاءَ خَصَى الْخَيْلَ، فَالْمَاءُ الْبَرْدُ إِيْلَامُ الْمُدَى، وَهِيَ السَّكَاكِينِ، حَتَّى قُلِّصَ ذَلِكَ الْبَرْدُ الْخَصَى، فَعَادَ الْفُحْلُ مِنْهُمْ كَالْخَصِيِّ. وقال: (مِنْ بَارِدٍ)، فَوَضَعَ الصِّفَةَ مَوْضِعَ الْمَوْصُوفِ، لِأَنَّهُ قَوَاهُ بِالنَّعْتِ، وَهِيَ الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ قَوْلُهُ: (يَذَرُ الْفُحُولَ) فَصَارَتْ الصِّفَةُ كَالْأَسْمِ، بِمَا هِيَ لَهَا مِنَ الْوَصْفِ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَبِحُ.

قال سيبويه^(٣): لَوْ قُلْتُ مَا أَتَانِي الْيَوْمَ إِلَّا قَوًى، وَإِلَّا بَارِدًا، لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةٍ قَوْلُكَ: مَا أَتَانِي الْيَوْمَ إِلَّا رَجُلٌ قَوًى، وَإِلَّا مَاءٌ بَارِدٌ.

(وَالْمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ)

يعنى عَجَاجَةُ الْإِسْلَامِ، وَعَجَاجَةُ الرُّومِ رُبَّمَا جَازَتْ النُّهْرَ فَالْتَقَتَا، وَرَبَّمَا قَصَرَتَا عَنْ ذَلِكَ فَتَفَرَّقَتَا.

(رُكُضَ الْأَمِيرُ وَكَاللَّجَيْنِ حَبَابُهُ وَتَنَّى الْأَعْنَةُ وَهُوَ كَالْعِقْيَانِ)

أَي جَاوَزَهُ أَبْيَضَ بَرْنِيًّا مِنَ الدَّمِ وَالْقَتْلُ لَمْ يَقَعْ بَعْدَ، ثُمَّ أَوْقَعَ بِالرُّومِ فَسَالَتْ دِمَآؤُهُمْ فِي (أَرْسِنَاسٍ) فَاحْمَرُّ، وَغَبَرَهُ لِلرُّجُوعِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ أَحْمَرُ كَالْعِقْيَانِ، وَأَرَادَ: رُكُضَ الْأَمِيرِ الْخَيْلَ فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ.

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا «الرَّأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ» دِيوَانُهُ ٤١٥.
(٢) هَذَا مِثْلُ أَوْرَدَهُ ابْنُ مَنظُورٍ فِي اللِّسَانِ (قِمَاصٌ) نَقْلًا عَنْ سِيبَوِيَّةٍ فِي الْكِتَابِ (٣٥٩:١) بِرَوَايَةِ (أَفْلا قِمَاصٌ بِالْعَيْرِ). وَالْقِمَاصُ: الْوُثْبُ وَهُوَ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ وَيَطْرَحُهُمَا مَعًا.
وَنَرَى أَنَّ (الْبَعِيرَ) مُحَرَّفَةٌ عَنْ (الْعَيْرِ) وَالْعَيْرُ: الْحِمَارُ الرَّحْشِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَدْ وَرَدَ الْمَثَلُ فِي اللِّسَانِ أَيْضًا بِرَوَايَةِ (الْعَيْرِ) قَالَ: وَقَدْ وَرَدَ الْمَثَلُ الْمَتَقَدِّمُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقِيلَ: مَا بِالْعَيْرِ مِنْ قِمَاصٍ، وَهُوَ الْحِمَارُ وَنَرَجِّحُ أَنَّهَا الصَّحِيحَةُ لِأَنَّ الْقِمَاصَ مِنْ خِصَالِ الْحَمِيرِ لَا الْبَعَرَانِ وَقَدْ وَرَدَ الْمَثَلُ كَذَلِكَ فِي أَاسَاسِ الْبَلَاغَةِ بِرَوَايَةِ (الْعَيْرِ) وَكَذَلِكَ فِي الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ (١٤٧:٢) وَقَالَ بَعْدَهُ: يَضْرِبُ لِمَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ.
(٣) انْظُرِ الْكِتَابَ (٣٥٩:١).

(وَحَسَّاهُ عَادِيَّةٌ بَغْيِيرِ قَوَائِمٍ عَقَمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ)

يقول حشا سيف الدولة هذا النهر شَعْنًا سُودًا بالقار عَقْمًا: أى لاتحمل.
وإنما أقام السُّنُّ في هذا النهر مُقام الخيل. وقال: (عادية بغير قوائم) لأن
السفن سابعة لاماشية. ونظير قوله: (حوالك الألوان) قول الآخر فى وصف
سفينة.

وإلى نـداك ركبـتها رَئـجـيـئـة كـرُمتْ مَنابـتُ أصـلها من عـرَعرِ
(وعلى الدُرُوبِ وفى الرجُوعِ غَضاضَةً والسيرُ ممتنعٌ من الإمكانِ)
أى: كان الذى عَدَدْنَا من أحوالك، وذكرناه من أخبارك على الدروب.

وإن شئت قلت: وعلى الدروب لك آثار أيضاً، إذ فى الرجوع غَضاضَةً
ونقصان على الرَّاجِعِ، والسير حينئذ صَعَبٌ لايمكن، وقوله:

(وفى الرجوع غَضاضة) و (السيرُ ممتنع)، جملتان فى موضع الحال. ولو
قال: (والسيرُ مُمتنعٌ)، لكان الكلام تاماً، لأنه قد عُلِمَ أن الممتنع غير ممكن.
ولكن القافية وباقى بناء البيت أحوجاه إلى قوله: (من الإمكان).

(وَقَوَارِسُ يُحْيِي الْحِمَامُ نَفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ)

من شأن الحمام أن يميت ولا يُحْيِي، لكن هؤلاء يُحْيِي الحمامُ نفوسهم، بما
يَتَّبِع موتهم فى الحروب من عالى الذكر؛ وجميل الثناء، بحسن البلاء، كقول أبى
تمام:

الْفُؤَا المَنَايا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ وَهُوَ قَتِيلٌ^(١)

وإن شئت قلت: يُحْيِي الحمامُ نفوسهم، وهؤلاء يُحْبُونَهُ وَيُؤَثِّرُونَهُ؛ فكانهم
ليسوا مِنَ الْحَيَوَانِ، لأن الحيوان يكرهون الحمام؛ وهؤلاء يحبونه ويؤثرون حُبَّ
الحمام نفوسهم.

(حَرِّمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَادَّرَكْ مِنْهُمْ أَمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ)

(١) من قصيدة بديوانه يرى بها محمد بن حميد وأخاه مطلقها.
« بأبى وغير أبى وذلك قليل »

أى الذى أمْلُوه من الظفر بسيف الدولة؛ وأدرك الناجى منهم بنفسه أمْلَه
الحادث له حينئذ، لأنه لما حُرِمَ الظَّفَر، وعلم أن سيف الدولة مُظْفَر به، جعل
أقصى آماله السلامة والنجاة بذاته، فمن تهيأ له ذلك منهم، فقد نال أمْلَه
الحادث، وإن كان قد حرم ذلك الأول. ونحوه قول امرئ القيس:

وقد طوفت فى الآفاق حتَّى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب^(١)

ومن أشعار المثل:

اللَّيْلُ داجٍ والكِياشُ^(٢) تَنْتَطِحُ فَمِنْ نَجَا بِرَأْسِهِ فَقَدْ رَجَحُ

■ ١١٠ ■

وله أيضا:

(عُقْبَى اليمين على عُقْبَى الوَعَى نَدَمُ

مَاذَا يَزِيدُكَ فى إِقْدَامِكَ الْقَسْمِ)^(٣)

كان الدُّمُسْتُقْ [أقسم]^(٤) على أن يَلْقَى سيف الدولة. فلما لَقِيَهُمْ انهزم، فَنَدِمَ
على قسمه، فجعله المتنبي مثلاً. يقول: إِذَا حَلَفْتَ أَنْ تَلْقَى من لست قِرْنَاله
مُؤَاذِيًا، وَلَا كُفْرًا مُسَاوِيًا، ندمت على ما فَرَطَ منك من حَلْفِكَ ثم قال: ماذا يَزِيدُكَ
فى إِقْدَامِكَ الْقَسْمِ؟ أى لاتقسم فإن ذلك لايزيدك فى إِقْدَامِكَ؛ بل ربما أَعْقَبَكَ
النَدَمَ، وهذا نحو قول العرب: الصدق يُنْبِئُ عنك لا الوعيد.

وقوله: (على عُقْبَى) متعلقة باليمين وإن لم يُسْتَعْمَل منه فعل. وحروف الجر
إنما تتعلق بالافعال والأسماء المشتقة منها. لكن جاز تعلقها باليمين، لأن فى
اليمين معنى الحَلْفِ؛ فكما كانت تتعلق بحَلْفٍ؛ كذلك تعلقت بما هو فى معناها.
والعُقْبَى: العاقبة.

(١) من قصيدة لامرئ القيس مطلعها:

«أرانا موضعين لأمر غيب»

(٢) انظر اللسان (نطع)

(٣) مطلع قصيدة له فى سيف الدولة (البيان ٤: ١٥) والبرقوقي (٢: ٢٩٤).

(٤) أقسم: زيادة يقتضيهما السياق والشرح.

(وَلَى صَوَارِمُهُ إِكْذَابُ قَوْلِهِمْ فَهِنَّ أَلْسِنَةُ أَفْوَاهِهَا الْقِمَمُ)

كان زعيم الروم أقسم لَيَغْلِيَنَّ سيف الدولة أو لا يَبْرَحُ؛ فكان الأمر بخلاف ما أقسم عليه لَيَكُونَنَّ، فأعقب ما كان من ذلك القسم، أشد ما يكون من الندم. فيقول: وَلَى سيفُ الدولة صَوَارِمُهُ إِكْذَابُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ، بإصارتهم إلى الحِنْثِ، لأنهم لما واقَعُوهُ، لم يلبثوا أن انهزموا، قال: (فَهِنَّ أَلْسِنَةُ) يعنى السيوف، شَبَّهَهَا بِالْأَلْسِنَةِ فِي الصُّورَةِ وَالْمِضَاءِ، وجعل هامهم المفلقة بها، بمنزلة الأفواه التي تكون بها الألسنة، وجعل عمل السيوف في الهام، بمنزلة الفُتْيَا المَرَحَّصَةِ لهم في الحرب.

ومما شَبَّه فيه السيف باللسان قول الشاعر:

وَسَيَفِي مِنْ حَوْضِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ بِكَفِّي لِسَانُ الذِّبِّ أَوْ لَغَهُ الدُّمَاءُ^(١)

ومما شَبَّه فيه السنان باللسان أيضاً قوله:

وَأَسْمَرُ فِي رَأْسِهِ أَرْزَقُ مِثْلَ لِسَانِ الْحَيَةِ الصَّادِي^(٢)

وَشَرْبُ أَذْكَتِ^(٣) الشَّعْرَى شَكَائِمَهَا

وَوَسَمَتْهَا عَلَى أَنْفِهَا الْحَكَمُ

أى أَحْمَى طلوع الشَّعْرَى العُبُور، وهو أوان اشتداد الحر، وانقطاع المطر، شكايم هذه الخيل الضامرة. والشكايم: فنوس اللُجْم، وأحدثها شكيمة وقيل: الشكايم: الحكم^(٤)، فاستَحَرَّتْ الحكمَ حتى عادت كالمِكْوَاة، فوسَمَتْ أناف الخيل، كما يسماها الكاوى بالنار.

(حَتَّى وَرَدَنَ بِسُفْنَيْنِ بِحَيْرَتِهَا تَنِيَشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللَّجْمُ)

(١) لم نهتد إلى قائلته.

(٢) البيت لدعبل الخزاعي في (ديوانه ١٠٣).

(٣) في الديوان والتبيان «أحمت الشعري» والبيت ساقط من ت، دون الشرح والشرب: جمع شارب وهو الفرس الضامر.

(٤) الحكم: الحكمة (بفتح الحاء والكاف): مأحاط بحنك الفرس من اللجام وفأس اللجام: الحديد القائمة في الحنك وقيل هي الحديدية المعترضة فيه (اللسان ... فأس).

أى أن الخيل شربت من بُحيرة سُمْنين فغلى ذلك الماء فى أفواهها،
باستحرار اللجم التى فى أشداقها، كان ذلك الحرُّ الذى فى الحديد هو الذى
أحمى الماء فغلى فى أفواه الخيل.

(وَأَصْنَحْتُ بِقَرَى هِنَيطَ جَائِلَةً تَرعى الظُّبَا فى خَصِيبِ نَبْتِهِ اللَّمَمِ)

الخصيب هنا: الهام، ونبتها الشَّعْر. والخصيب كناية عن كثرة الشَّعْر.
وإنما عنى أن هؤلاء القتلى شباب لم يَصْلَعُوا بعد، وهم يَكُونُونَ^(١) عن كثرة
الشعر وسواده بالخصب، وعن ضد ذلك بالمَحَلِّ فمما جاء فى ذلك قوله:
خَلِيلِي لَوْنُ الشَّيْبِ دَاءٌ كَرِهْتُهُ

فما أحسنَ المَرْعى وما أقبحَ المَحْلَا^(٢)

وقال:

رأت أقحوان الشيب فوق حَظِيطةٍ إذا أمْطِرَتْ لم تَسْتَكُنْ صُؤَابِهَا^(٣)

شبه رأسه حين صُلِّعَ بالخطيطة، وهى الأرض التى لم تُمَطَّرْ بين أرضين
ممطورتين. وإذا لم تُمَطَّرْ لم تُنْبِت. وقال: (تستكن صُؤَابِهَا): أى أنه ليس هنا
شَّعْرٌ فيستتر فيه الصُؤَابُ لَوُ مَطَرٍ، ولانعلم أحداً شبه الشيب بالأقحوان إلا هذا
الشاعر.

قال أبو النجم فى تشبيهه قلة الشعر بالجذب (أَجْدَب^(٤) الفالى إذا الفالى
فَلَا) أى وافقه جديداً كقولك: أَهْيَجْتَ الأرض: وَجَدْتَهَا هائجةً النبات وله نظائر
كثيرة.

(١) فى م: (وهم مما يكتون): واللفظة (مما) مقحة فى الكلام.

(٢) البيت فى الأماي (١٢٤: ٢) وروايته «إن الشيب».

(٣) البيت لمقرئ الأكبر (المفضليات - ٢٣٦).

(٤) هذه رواية ت (أجذب بجيم ودال) ومعناه: وجد رأس الصبي قليل الشعر كأنه الأرض الجذب. وفى م:
الجرى) تحريف.

وفلا الفالى الصبي يفلوه وبقليه: تتبع ما فيه من الصنبان ونحوه وأبعده عنه.

(٥) يقال: أهاجت الريح النبات: أبيضته. وهاجت الأرض هيجا وهيجانا ييس بقلها، وأهيجها: وجدها هائجة
النبات (اللسان هيح).

(فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ)

استشارت هذه الخيل من مُنهزمي الروم مَنْ وَلَجَ بطن الأرض، وسلك الأخاديد، فصار بتخلُّه التراب، بمنزلة الخُلْد وهي الفأرة العمياء، إلا أن الخلد هنا إنسان وله بَصَرٌ، إنما أخرجه بقوله: (لَهُ بَصَرٌ) من نوع الخلد إلى نوع الإنسان. إذ هو المختبئ في التراب، وليس بخُلْد في الحقيقة، إنما هو إنسان، وإنما شبهه بالخُلْد فيما ذكرت لك وكذلك أنزلت منهم صَقَر الخيل والعُقَاب، فصار بازاً في تَسْمُهُ المَرَاقِبِ، كتسمن البوازي، إلا أن له قدماً، إذ ليس بباز في الحقيقة. ويقول: (قدم) أخرجه من نوع البازي إلى الإنسانية، كما أخرجه من نوع الخُلْد بقوله: (له بصر) وهذا الإخراج مליح، وإن كان قوله: (له بصر) و(له قدم)، من باب الرسم لامن باب الحَدِّ^(١) فقد أجاد فتقهمه، فإنه لطيف.

(وَلَا هِزْبَرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لَيْدٌ وَلَامَهَاءُ لَهَا مِنْ شِبْهَيْهَا حَشَمٌ)

أى : درعه له كاللَّيْدَةِ للأسد، (ولها من شَيْهَيْهَا حشم): أى : جَوَارٍ مثلها في الحسن والسنُّ يَحْدُمْنَهَا. ويقول: (من درعه ليد) أخرجه من نوع الأسد لأن الأسد لا يَدْرِغُ. ويقول: (لها من شَيْهَيْهَا حَشَمٌ) أخرجها من نوع المهاة، لأن البقرة ليس لها خدم من نوعها.

وهذان الفصلان: أعنى (له من درعه ليد) و (لها من شَيْهَيْهَا حشم) عَرَضَانِ، ليسا برسْمَيْنِ، كالْبَصَرِ والقَدَمِ الذي قبله، لأن البصر والقدم جوهريان.

(عَبَرَتْ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ سَكَانُهُ رِصْمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمٌ)

الحُمَمُ: الفَحْمُ؛ واحدته حُمَّةٌ بالهاء. سُمي بذلك لسواده، أى قتلتهم وأحرقت منازلهم؛ فلم يبق من أنفسهم إلا أَعْظُمُ رِصْمٍ، وهى البالية، ولم يبق من منازلهم إلا ماعاد حُمَمًا. فالأَعْظُمُ هى الساكنة لأنها جزء من السكان، والمسكونة هى الحمم، لأنها جزء من المساكن.

(١) الحد في المنطق: شرح معنى الشئ بالجنس والفصل القريبين. والرسم ما يكون بالجنس والفصل البعيدين.

وما أحسن ما قابل به بين الرَّمَم والحُمَم لفظاً ومعنى. وقوله: (سكانها رَمَمٌ) جملة فى موضع النعت لبلد وقوله: (مسكونها حُمَمٌ): جملة فى موضع النعت لرمم. فكانه قال: فى بلد خال مُحَرِّق.

(وَقَى أَكْفَهُمُ النَّارُ الَّتِي عُبِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضَطَّرِمُ)

شبه السيوف بالنار فى صفائها والتهابها وقوة تأثيرها وقوله: (عُبِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ): كلام صحيح، لأن الحاجة إلى السيف طبيعة، وعبادة المجوس النار شريعة، والطبيعة أقدم من الشريعة، وإن لم تكن هذه السيوف المحدثه الآن، هى السيوف التى استعملت قبل عبادة المجوس النار، وإنما أراد التى عُبِدَتْ أَجْدَادُهَا^(١) من السيوف، أو عُبِدَتْ أمثالها. ومعنى عبادتها^(٢): القول بها، والاشتغالة^(٣) إليها.

وقيل: اشتمالهم^(٤) بها: كاشتمال الإسلام^(٥) بالمصاحف، والنصارى بالإنجيل، ونحو ذلك من أنواع الشعار الإلهى.

وقيل، معنى (عُبِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ)، إنما ذهب إلى أنها عتيقة قديمة .

(تَلَقَّى بِهِمْ زَيْدَ النَّيَّارِ مُقَرَّبَةً عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْجِهِ رَتْمٌ)

يعنى زَوَارِقُ يَحْتُهَا سيف الدولة لأصحابه، حتى عَبَرُوا عليها هذا النهر. والرتْمُ: بياض الشفة العليا، والجَحْفَلَةُ للفرس: كالشفة للإنسان، يقول: جُرَتْ بِهِمُ النَّيَّارُ عَلَى هَذِهِ الزَّوَارِقِ. والتَّيَّارُ: هو الموج يَقْذِفُ عَلَى مَقَامِ هَذِهِ الزَّوَارِقِ، وَالسُّمَيْرِيَّاتُ^(٦) بِالزَّيْدِ، وَهُوَ أَبْيَضٌ، فَكَانَ ذَلِكَ الزَّيْدُ عَلَيْهَا رَتْمٌ. ثُمَّ جَعَلَ الزَّوَارِقُ مُقَرَّبَةً، إِنَّمَا الْمُقَرَّبَةُ الْخَيْلُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُرُونَ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَنْهَارَ بِالْخَيْلِ، فَأَقَامَ

(١) فى م (أفرادها).

(٢) أى اعتقاد ألوهيتها.

(٣) يقال: اشتغاه واستغاث به. وقد ضَمَّنَ ابن سيدة هنا (استغاث) معنى لجأ إليه فعده بالى.

(٤) أى حملها.

(٥) يريد أهل الإسلام. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما جاء فى القرآن الكريم (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ)

أَي أَهْلِهَا.

(٦) السميريات: ضرب من السفن أو الزوارق ولم نجده فى المعاجم.

هو الزوارق مقام الخيل، فاستجاز لذلك أن يصفها بالمقربة^(١) ولما جعلها خيلاً مقربة، استجاز أن ينسب إليه أعضاء الخيل وشيئاتها. فجعل لها جَحْفَلَةً^(٢)، إنما هي للخيل، وجعل لها رَثْماً حين جعل لها جَحْفَلَةً^(٣). والنَّضَحُ: مارَمَى به الزُّبْدُ. يقال: نَضَحَ ونَضَحَ: وقيل ما كان فعلاً فهو نَضَحٌ؛ بالخاء غير معجمة، وما كان اسماً فهو بالخاء معجمة. وهكذا رُوي هذا البيت عنه.

فإن قلت: كيف قلت إن المقربة هنا زوارق، وهو يقول عقيب^(٤) هذا البيت:
تَجَفَّلُ^(٥) الموجُ عن لَبَّات خَيْلِهِمْ كما تَجَفَّلُ تحت الغارة النُّعْمُ
فأنبأ أنهم عبروا على الخيل. وقال في موضع آخر [وذكر]^(٦) هذا العبور:
حتى عَبَّرْنَ بأَرْسَنَاسٍ سَوَابِحًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عِمَائِمَ الْإِبْطَالِ^(٧)
فالقول عندي: أن بعضهم عَبَّرَ على الخيل، وبعضهم على زوارق. وقد يجوز أن يكون قوله: (تَجَفَّلُ الموجُ عن لَبَّات خَيْلِهِمْ): عنى فيه بالخيل الزوارق، على ما تقدم في البيت الأول.

ومما يدلك أنه عنى الزوارق قوله بعد هذا:

(نُعْمُ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ ابْطُنِيهَا مَكْدُودَةٌ وَبِقَوْمٍ لَابِهَا الْآلَمُ)
فالخيل لَأَتْرَكِبَ بطونها، وإنما يُركب منها الظهور. وأراد المتنبي بقوله:
ركاب ابطنها: أن يَفْصِلَهَا من أنواع الخيل. وقوله: (بقوم لابيها الآلم): إنما الآلم بالقتلى لابيها وإن كُدْتُ. وقيل الآلم بالقوم العاملين فيها.

(مِنْ الْجِيَادِ الَّتِي كِدْتَ الْعَدُوَّ بِهَا وَمَالَهَا خَلَقَ مِنْهَا وَلَا شَيْئَمُ)

(١) الخيل المقربة: هي التي يقرب مريضها ومعلقها لكرامتها (أساس البلاغة) وعبارة الغريب المصنف لأبي عبيد (الخطبة ص ١١٨): هي التي تكون قرينة معدة.

(٢) - (٣) ما بين الرقمين ساقط من ت.

(٤) هو قبله لاعقبه.

(٥) التجفَّل: الإسراع في الذهاب والغارة: الخيل المغيره على العدو. والنعم واحد الأنعام وهي المال الراعى وأكثر ما يقع على الإبل.

(٦) وردت العبارة هكذا (في موضع آخر هذا المصنف) دون فاصل في الخطبتين ولعل كلمة (وذكر) التي أتيها هنا يكمل بها المعنى.

(٧) تقدم هذا البيت.

أى السفن مبلغة لك من عدوك، ما أبلغتك الخيل منهم، فهى من الخيل بمشاركتها إياها فى ذلك. لكن لا تشبهها فى خلقه ولا خليفته. الخيل حيوان، والسفن عيدان.

(صَدَمَتْهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمَّهَرِيثُهُ فِى وَجْهِهِ غَمَمٌ)^(١)

أنت غُرَّتُهُ: أى أنت أمامه، فكنى بالغرة عن التقدم والشهرة. ولما جعل للخميس غُرّة، فوصفه بما هو من شيات الخيل، استجاز أن يصف بالغَمَم، وهو كثرة شعر الناصية فجعل الرماح المشرعة فى وجهه بمنزلة الشعر الكثير وجعل الغَمَم وهو عَرَض، خبراً عن السُّمهرية، وهى جوهر تجوزاً. وكأنه أراد، وتكأنف السُّمهرية فى وجهه غَمَمٌ. لكنه حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. ونظيره قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَمَنَ بِاللَّهِ)^(٢) أراد: ولكن (ذا البر من آمن بالله)، وليقابل الجوهر بالجوهر، والعَرَض بالعرض. ولذلك اعتقد النحويون الحذف^(٣) فى مثل هذا.

(فَلَا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَاَرَاهُ مِنْ شَجَرٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرُّخْمُ)

يعنى ماوارى ابن شُمَشَقِيق من الشجر، وذلك أن الشجر حال بينه وبين المتبعين، فأقلت. فدعا المتنبي على هذا الشجر ألا يسقيه الغيث حين وارى هذا المنهزم، فكان ذلك سبب نجاته (لو زَلَّ عنه): أى لو زال هذا الشجر عنه، فلم يوارهم لقتل، فتجمعت الرُّخْمُ عليه تواريه بُشْخوصها.

وقيل: لو رآته لأكلته، فيتوارى فى أجوافها. ويروى: لو ارى شخصه الرُّخْمُ بالجيم وهو القبر، والأول أسبق. لأن القتل فى المعترك، إلى أن تأكله الطير والسباع أقرب منه إلى أن يقبر، وبذلك وصفت العرب قتلاها، كقول عنتره:

فَتَرَكْنَاهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُنْشِئُهُ مَابَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ^(٤)

(١) هذه رواية الديوان والتبيان ورواية ابن سيده (هزمتهم).

(٢) آية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٣) أى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. ومنه فى القرآن الكريم (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ) أى أهلها.

(٤) من معلقة عنتره المشهورة

«هل غادر الشعراء من متردم»

وقال:

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزْراً لَخَامِعةٍ ونسرٍ قشعَمٍ^(١)

وقال آخر:

تَرَكْتُ أَبَاكَ قَدْ أَطْلَى وَمَالَتْ عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانُ مِنَ النُّسُورِ^(٢)

■ ١١١ ■

وله أيضاً:

(فَارَقْتُكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ)^(٣)

(إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشُّوقِ الَّذِي أَجِدُ)

هذان البيتان يخاطب بهما سيف الدولة، بعد فراقه إياه، وهما يخرجان على نَمَّ سيف الدولة وعلى حمده.

فأما خروجهما على نَمَّ، فمعناه: أتى تأذيت بمجاورتكم، فبعثني ذلك على فراقكم، فعاضني الدهر خيراً منكم، وتبدلت بالأذى راحة فصار ذلك الأذى الذي كان قبل، يداً عندى الآن. إذ كان سبب تنقلي عنكم، وارتيادي ما أحمدته حين وجدته .

وقوله: «إذا تذكرت ما بيني وبينكم» يعنى من الحال^(٤)، وهو الأذى الذى عدا منهم إليه، هاج شوقي فاعان قلبى على ما يجده من ألم التوحش.

وقد يجوز أن يعنى^(٥) بقوله: «إذا تذكرت ما بيني وبينكم»، ما بينهما من تفاوت المنزلتين، كان ذلك سبباً للسُّلُو.

وأما خروجهما على حمده، فمعناه: شكوتكم قبل أن أختبر غيركم، فلما جَرَّيت من سواكم، علمت أن ما شكوته منكم كان بالحمد أولى.

ثم أَعْلَمَ أن سيف الدولة مع ذلك كان غير منصف له. وإنما حمده بالإضافة إلى غيره، فقال: إذا ذكرت ما بيني وبينكم من قلة إنصافكم لى، سَلَأنى ذلك عنكم.

(١) ديوان عنترة وأنشده اللسان (جزر) وفيه (جزر السباع) وجزراً: قطعاً للسباع والطير، والخامعة: الضيع لأنها تتخضع إذا مشت. والخامع: العرج.

(٢) البيت فى إصلاح المنطق ص ٢٨٠ غير منسوب ويقال: أطلى الرجل: إذا مالت عنقه لموت أو غيره. وانظر اللسان (قشع-وطلى) وقد ذكر قبله بيتاً آخر:

وسائلة تسائل عن أبيها فقلت لها وقعت على الخبير

(٣) هذان البيتان فى سيف الدولة وهما فى ديوانه ص ٥١٣ قالهما بمصر وهو يريد سيف الدولة.

(٤) - (٥) ما بين الرقمين ساقط من ت.

وله أيضا:

(طوى الجزيرة حتى جاعنى خَبِرُ فَرِغْتُ فيه بامألى إلى الكذب)^(١)

أى عظم عندي؛ وأطمعتُ نفسي أن يكون، كذِباً، تَعْلَلاً بذلك، لأن الإنسان كثيراً ما يميل إلى تصديق ما يوافقه من الأخبار، وتكذيب ما لا يوافقه منها، لما وُضِعَتْ عليه النفس من منافرة المحذور، وملازمة ما يجنبها^(٢) ثمرة الحُبور كقول الشاعر:

وَعَلَّاتِ نفسى بالمرجُم غِيبَةً وكأذُوبَتِها حتى أَبَانَ كِذَابَها

أبان، أى استبان. «وخبِرُ» مرفوع على مذهب البصريين «بجاعنى» لأنهم إنما يُعْمَلُونَ أقربَ الفعلين، ولا بُدَ على هذا من إضمار الفاعل فى طوى على شريطة التفسير، وإن كانا إضماراً قبل الذكر، لأن خلو الفعل من الفاعل، أذهب فى القبح من الامتناع من إضمار مالم يتقدم له مظهر.

ومن حُكْمِ العربية، إذا وَرَدَ أمران كلاهما متَّجَنِّبٌ على حِدَةٍ، تُجَنَّبُ أقبحهما، وأوثر الثانى. ألا ترى أنهم يكرهون توالى إعلالين؟ وقد أخذ الخليل بهما فى جاءٍ^(٣) ونحوه، حين أبدل وَقَلْبَ فاحتملها كراهية ما هو أشدَّ منهما، وهو اجتماع الهمزتين فى كلمة واحدة، ففقهه.

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص (٤٣٣) والتبيان (٨٦: ١) فى رثاء أخت سيف الدولة ومطلعها:

يَأْخُذُ خَيْرُ أَخٍ يَابِتَتْ خَيْرُ أَبٍ

كناية بهما عن أشرف النسب

(٢) يقال: أجنبيت فلانا التمر: مكنته من اجتنائه.

(٣) توضيح ذلك كما جاء فى شرح المفصل لابن يعيش (١٠: ٧٧) فى فصل (إعلال اسم الفاعل): «وأما جاء فقبه قولان: أحدهما مقلوب وهو قول الخليل. والأصل جاء معتل العين مضموز اللام. فإذا جئت منه بأسم فاعل همزت عين الفعل على حد همزها فى قائل ويأتى فاجتمع همزتان. أى (جائى) فالخليل كره اجتماع الهمزتين، فقدم الهمزة إلى موضع العين وأخر اللام فصار منقوصاً كشاك ولاث... وسيبويه يلزم إلى أنه لما اجتمع همزتان قلبت الثانية باء لانكسار ما قبلها. وكذلك يعتمد فى كل همزتين التقى فى كلمة واحدة. وكان الخليل إنما فر إلى القول بالقلب كراهية توالى إعلالين، وهو إعلال العين بقلبها همزة، وإعلال اللام بقلبها باء لانكسار ما قبلها. وعلى قوله إعلال واحد وهو تقديم اللام لا غير...»

وفى النصف شرح أبى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف للمازنى (٢: ٥٢) (فإن جئت باسم الفاعل وجب همز موضع عينه، كما هو فى قائم وخائف فتلتقى حينئذ همزتان، فيجب إبدال الثانية لاجتماعهما فى كلمة، فيقول: جاء وشاء. وأصله: «جائى وشائى»)

وأما على مذهب الكوفيين فيرفع «خبر» على أنه فاعلٌ (بطوى)، لأنهم يُعملون أسبق الفعلين. فلا بد على هذا من الإضممار فى جَاءَنِي، أى طوى الجزيرة خبرٌ حتى جاعى.

والقول الأول عندى أحسن فى هذا البيت، لأن النكرة التى هى (خَبَرٌ) على ذلك القول، موصوفة بالجملة التى هى (فَزَعْتُ فيه بَأْمَالِي). إلا أن فيه ما قد أَرَيْتُكَ من الإضممار فى الأول، على شريطة التفسير. وعلى هذا القول الثانى، ليس للنكرة وصفٌ. وقوله: «إلى الكَذِبِ»: أراد إلى اعتقاد الكذب، كائنًا فى هذا الخبر.

ويجوز أن يريد إلى التكذيب، فوضع الكَذِبَ موضع التكذيب، كقوله:

(وَيَعْدُ عَطَانِكَ الْمَائَةَ الرَّتَاعاً)^(١)

(يَا أَخْتُ خَيْرِ أَخٍ يَا بَنْتُ خَيْرِ أَبٍ كَنَاءَةً بِهِمَا عَنْ ارْتِفَاعِ النَّسَبِ)^(٢)

أى أَخُوْتُكَ من سيف الدولة، وأبوتك ويثوثك^(٣) من [أبى الهيجاء^(٤)، (كناية)^(٥) عن أرفع الأحساب: لأن مَنْ كانت لهذا الملك أختاً؛ ولهذا الأمير بنتاً؛ فقد نَصَعَ نسبُهُ. وارتفع حَسَبُهُ. «فكناية» على هذا نُصِبَ على المصدر: أى أَعْنَى بهذين السببين عن أرفع نسبين.

(أَجَلٌ قَدَرِكَ إِنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ)

أى إني أكرمك عن الإيضاح لاسمك، فأعدلُ عن الإفصاح برسْمك، فإذا وصفتك ورثيتك، عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنِّي عَنَيْتُكَ، فأغناني حُسْنُ التَّحْلِيَةِ، عمالاً يحسن من التسمية.

(١) هذا عجز بيت للقمامى يمدح زفر بن الحارث وصدره

(أكفراً بعد رد الموت عنى)

وهو من الشاهد على أن (عطاء) اسم مصدر أقيم مقام المصدر وهو الإعطاء لأن المصدر عند الصرفيين ماساوت حروفه فعلة عدداً، فإذا نقصت حروفه عن حروف المصدر وكان بمعناه فهو اسم لذلك المصدر وهو يعمل عمل المصدر فى رفع المسند إليه ونصب المفعول به.

والكاف فى (عطانتك) هى الفاعل. فهى فى محل جر بالإضافة وفى محل رفع بالفاعلية. (والمائة) مفعوله الثانى لأن فعله (أعطى) ينصب مفعولين. أما المفعول الأول فهو محذوف، وتقديره (إِبْأَى).

(٢) هذا البيت مطلع القصيدة فى رثاء أخت سيف الدولة وقد توفيت بيا فارقين سنة ٣٥٢م.

(٣) فى م: (أو بيوتك) تحريف.

(٤) هذه العبارة ساقطة من ت. وأبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة.

(٥) [كناية] هذه اللفظة ساقطة من الأصل م.

ومؤينة: نصب على الحال والتأبين: الثناء على الهالك.

(حتى إذا لم يدع لي صديقه أملاً شَرِقتُ بالدمع حتى كادَ يَشْرِقُ بي)^(١)

أى بكيت حتى شَرِقتُ بالدمع، وذُبْتُ من حرارة الوجد، فَعَدْتُ جوهرًا سيئاً، حتى كاد الدمع يَشْرِقُ بي، لذوبى ولُطْفى.

(مَسْرَةٌ فى قُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرِقُهَا وحَسْرَةٌ فى قُلُوبِ البَيْضِ واليَلْبِ)

أى أنها امرأةٌ تَتَطَيَّبُ ولا تَلْبَسُ السَّلَاح. فالطَّيِّبُ يُسَرُّ بمفرقها، والسلاح يحسُدُ الطَّيِّبَ، لأنه لا يصل منها حيث يصلُ الطَّيِّب.

وقال: (فى قلوب الطَّيِّبِ): ذهاباً إلى أنواعه. ولو ذهب إلى الجنس أو الشخص لقال فى فؤاد الطَّيِّب: وحمله على اختيار ذلك قوله: (فى قلوب البيض) ليقابل^(٢) جمعاً بجمع؛ ولو قال: فى فؤاد الطيب ثم قال: فى قلوب البيض^(٣) ساءت الصناعة؛ وكل واسع.

- ١١٣ -

وله أيضاً:

(تَشْتَكِي ما اشْتَكَيتُ من أَلَمِ الشَّوْقِ قِإِليها والشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ)^(٤)

أى إنها تشكو إلى مَلَقاً؛ وأشكو إليها حُرَقاً؛ ثم أقام على تملُّقها وتخلُّقها بُرْهاناً عَيَانِيّاً؛ فقال: (الشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُول) أى النحول عندي؛ وهو نتيجة الشوق؛ فلو كان بها شوقٌ كما بي، لكان بها من النحول ما بى؛ ولا نحول لديها^(٥) فلا شوق بها.

(مَنْ رَأَاهَا بِعَيْنِهِ^(٦) شَأَقَهُ الْقَطْأُ نَ فِيهِ كَمَا تَشْوُقُ الحُمُولُ)

(١) موضع هذا البيت فى القصيدة بعد البيت (طوى الجزيرة.....).

(٢) - (٢) ما بين الرقمين سقط من م وأكملناه من ت.

(٣) من قصيدة له بديوانه (٤٢٩) مظهرها.

مالنا كلنا جرى يارسول

أنا أهوى وقلبك المتبول

(٤) فى م: (يردها) ولا وجه له. وما أثبتناه عن ت.

(٥) فى الديوان: بعينها.

أى من رأى الدينا بعينه؛ أى بالحقيقة التى هى بها؛ شاقة الباقرن فيها؛
لعلمه أنهم ظاعنون، كما يشوقه الذاهبون هنا، فالقُطَّان والراحِلُون عنها سواء،
فى أنه ينبغي أن يشوقه النوعان، لعلمه باشتمال الفَنَاء على الفريقين.

وقوله: (الْحُمُولُ) : أراد كما يشوقه المتحملون، فوضع (الحمول)،
موضِعها. وإن شئت قلت: عني بالْحُمُول هنا. أُسْرَةُ المَوْتَى.

(صَحِبْتُنى على الفَلَاةِ فَنَاءً عَادَةُ اللُّونِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ)

كُنَى بالفتاة عن الشمس، وأثر التانيث لتأنيث العرب أسماءها، ولذلك
سَمَّوْها (الجارية) عند الفارسي^(١). و(عادةُ اللُّونِ عندها التَّبْدِيلُ): أى أنها
حَمْرَاء وقتاً، وبَيْضَاء وقتاً، وصفراء آخر. فعادة لونها التبديل فى ذاته. فكان
يجب على هذا- لولا اللُّون والقافية - أن يقول: التَّبْدِيلُ، لكن وضع التبديل
موضعه اتساعاً.

وإن شئت قلت: التبديل لها، لونها بعد لَوْن.

(سَتَرْتُكَ الحِجَالَ عَنْهَا وَلِكِنْ بِكَ فِيهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ)

الحِجَال: الأسيرة عليها الكِلَلُ خاصة. واحدتها جَجَلَة. وقد يكون حِجَال
جمع حَجَل. وحَجَل جمع حَجَلَة^(٢) يقول: أَذْمُتُ^(٣) أنا بهذه الشمس، وأما أنت
فَسَتَرْتُكَ الحِجَالَ عَنْهَا ولم تَمْشِ فى البَرَّاز^(٤)، فَتَوَرَّكَ سُمْرَة كما أَوْرَثْتَنِي، لكن
سُمْرَة شَفْنِيكَ سُمْرَة طَبِيعِيَّة فَكَأَنَّ الشمس قَبَّلَتْكَ، فالقت فى شَفْنِيكَ سُمْرَة، وهو
اللَّمَى. (وفيها) الهاء راجعة للحِجَال أى وإن كنت مستورة بالحُجُب، فإن
الشمس قد احتالت عليك، ووصلت إليك، وَقَبَّلَتْكَ، وَأَكْسَبَتْ اللَّمَى شَفْنِيكَ.

(لَا أَقِمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَأَبَ وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّجِيلُ)

(١) هو أبو على الحسين بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى، أشهر نحاة القرن الرابع الهجرى (ت ٣٧٧هـ).

(٢) حجلة العروس - بالتحريك) بيت كاتبة يزين بالثياب والأسرة والستور (اللسان-حجل).

(٣) آدم يأدم أدمه من باب (شرف) أسر لونها فهو آدم وهى أدماء.

(٤) البراز: الفضاء الواسع لا ظل به.

أى لأنفسيم دون (حَلَبَ) بمكان، وإن طاب ذلك المكان، إلا لو أمكن ذلك المكان أن يرحل معنا، فأما ولا يمكنه ذلك، فلا إقامة لنا عليه ولو طاب. والماضى هنا الذى هو (لاأقمنا) فى معنى الحال أو الاستقبال.

(مِثْلُهَا أَنْتِ لَوْحَتْنِي وَاسْقَمْتُ حَتَّ وَزَادَتْ إِنْهَا كَمَا الْعُطْبُولُ)^(١)

يقول: أنت مثَّلها فعلاً، ولو قال: (مِثْلُهَا أَنْتِ) جاز أن يكون مِثْلُهَا بها فى الحسن، وأن يكون مِثْلُهَا بها فى الإساءة إليه، فأراد هو أن يُبين ما أشبهت فيه هذه المرأة الشمس، فقال: مبينا للمشابهة، (لَوْحَتْنِي وَاسْقَمْتُ): أى الشمس لَوْحَتْنِي وَغَيْرَتْنِي، وأنت أسقمتنى. والإسقام أشد من التلويح. فلماذا قال: (وزادت إِنْهَا كَمَا الْعُطْبُولُ) يعنى هذه المحبوبة. والعُطْبُول: الطويلة العنق.

(وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمْ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ)

(موال): يعنى أوليائه وأقاربه، يُقْتَل أعداءه؛ فيغنم أموالهم، فيعطيها أوليائه، فيحييهم بذلك. وقوله: (بِهَا مَقْتُولُ): أى بِسُلْبِهِمْ إِيَّاهَا، أو مقتول من أجلها. وقد يجوز أن يحييهم بهذا المَغْنَم، فيقدروا بذلك على قتل أعدائه.

== ١١٤ ==

وله أيضاً:

(وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرْنِي قَلْبُهُ وَالْحَسْبُ)^(٢)

يعنى هؤلاء اللشاة الذين كانوا يَشْتُون به إلى سيف الدولة، كان ينصرهم سمعه، لأنه لم يك يَطِيق سَدُّ أذنيه عن سماع كلامهم، وينصرنى قلبه بحبه لى، وتكذيبه إياهم سرّاً. والنصر بالفؤاد أنفع من النصر بالسمع. وجعل حَسْبَهُ ناصراً له أيضاً، لِأَن شرفه حمله على الثبات، وإلغاء ما يورده عنه حساده.

(١) هذا البيت متقدم فى القصيدة على سابقه.

(٢) من قصيدة له بديوانه ص ٣٣٧ مطلعها

فهمت الكتاب أثير الكتب فسمعا لأمر أمير العرب
أجاب بها سيف الدولة وكان قد أرسل إليه كتابا يخطفه يسأله المسير إليه.

(وَمَا قُلْتَ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجِينُ وَمَا قُلْتَ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذُّهَبُ)

أى أنى لم أَنتَقِصْكَ، ولايَخَسْتُ مَنَاقِبِكَ حَقَّهَا، كما يُنَقِّصُ البدرُ لو يُشَبَّه باللُّجِين، أو الشمس لو شُبِّهَتْ بالذهب. وإنما ضرب ذلك مثلاً، وجعل اللُّجِين للبدر، لكون أن أهل الكيمياء من الطبيعيين يقولون إنه من أكوان القمر، وجعل الذهب للشمس، لأن أولئك يزعمونه من أكوان الشمس.

وقيل: هذا البيت تعريض بشعراء سيف الدولة.

يقول: كل واحد منهم يمدحك، يريدون ما تستحقه من المدح، ثم ينقلب المدح نماً. فكأنه يقول للبدر يافضة؛ وللشمس يازهب؛ فيحُط بذلك قدرهما؛ ويَهَيِّطُ به خَطَرهما. وأنا لم أَقتصر على هذه الرتبة؛ ولاقنعت لك بها؛ بل وقُيْتُ مدحك ماقصروا هم عنه؛ فسييل الغضب أن يكون عليهم لاعلى.

واللُّجِين من الأسماء التى لم تستعمل إلا مصغرة^(١)؛ وقد عمل سيبويه^(٢) فيه يُؤَيِّباً.

(فَإِنْ فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ عُذْرَانِهَا مَانَضَبُ)

المطر: ذو مادة^(٣)؛ والغدير لامادة له؛ إنما هو القطعة من الماء، يغادرها السيل؛ أى يتركها؛ فجعل عطاياه أَمْطَاراً؛ لكونها ذات مادة؛ وجعل ماحصل عنده من عطاياه - وقد انقطع جوده عنه بفراقه له - بمنزلة العُذْرَانِ التى لامادة لها. فيقول: إن كنتُ رحلتُ عنه وانقطعتُ عنى جوائِزُهُ، فقد جَمَعْتُ من سوافها وعوارفها مالم يَنْفَدَ أَكْثَرُهَا بعد.

(وَيَسْتَنْصِرَانِ الذَّى يَعْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ)

يَسْفَهُ النصرانى؛ ويستضعف أخلاقهم حين يستنصرون بالمسيح عليه السلام وهم يعتقدونه ميتاً مصلوباً؛ ولم ينصر نفسه حينئذ .

(١) العبارة في م (مكبرة) وفي ت (مصغرة).

(٢) انظر في الكتاب لسبويه (٣: ٤٧٧) باباً ترجمته: هذا باب ماجرى في الكلام مصغراً وترك تكبيره. ونلاحظ أن سيبويه في هذا الباب لم يذكر كلمة (الجين) وإنما ذكر نظائر لها.

(٣) مادته: ماء السحب، وإن شئت فقل: مادته ماء البحر.

وله أيضاً:

(كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِئاً وَحَسْبُ الْمَنَآيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا)^(١)

الفرق بين الباء التي في (بك) وبين التي في قوله تعالى: (كَفَى بِاللَّهُ شَهِيداً)^(٢) أَنْ الْبَاءُ فِي كَفَى بِاللَّهُ دَاخِلَةٌ عَلَى الْفَاعِلِ، وَفِي بكَ دَاخِلَةٌ عَلَى الْمَفْعُولِ، أَيْ كَفَاكَ دَاءً.

ويجوز أن يكون كفى بدائك داء، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وداء في كل ذلك نصب على التمييز.

ومعنى البيت: كفى بما تلقاه من شدة الزمن، وتناهى المكروه، حتى أدّى ذلك إلى تمنى الموت، واعتدادك به شافياً، يعظم بذلك مثونة ما يُلقاه. ومن العَجَبُ أَنْ يُلَاقِيَ الْإِنْسَانَ بَلِيَّةٌ، تَجْعَلُ الْمَنِيَةَ مِنْ أَجْلِهَا أُمْنِيَةً.

(تَمَنَيْتُهَا لِمَا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقاً فَأَعْنِيَا أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِياً)

أى تمنيت المنية حين تمنيت صديقاً مصافياً، أو عدواً مدارياً، فكلاهما أعوزك وأعياك. فأما تمنية الصديق فسَجِيَّةٌ مَالُوفَةٌ، وَأُمْنِيَةٌ مَعْرُوفَةٌ: لِأَنَّ رِيحَانَةَ الْفُؤَادِ، إِنَّمَا هُوَ الصَّدِيقُ الْمَخْلُصُ الْوَدَادُ.

وأما تمنية العدو المداجيا، فهو الْخَطْبُ الْعَجِيبُ، وَالْخَبَرُ الْغَرِيبُ، لِأَنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا تَمْنَى لِقَاءَ عَدُوٍّ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا عَرُضُ بَائِهِ فَقَدْ الْعِزَّةُ، وَلَمْ يُؤْتَ مَا كَانَتْ هِمَّتُهُ لَهَا مِحَّةً إِلَيْهِ، وَعَيْنُهُ طَامِحَةٌ عَلَيْهِ، فَتَنْدَرُ^(٣) بِذَلِكَ قَدْرُهُ، وَهَانَ عَلَى عَدُوِّهِ خَطَرُهُ؛ فَجَاهَرُ بِمَدَاجَانِهِ، وَلَمْ يَتَكَلَّفْ مَدَارَاتِهِ، تَهَاوَنًا مِنْهُ بِهِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى عَدُوِّهِ قَدِيرًا، أَوْ فِي نَفْسِهِ خَطِيرًا، لَتَكَلَّفَ لَهُ الْمَدَاجَاةَ، وَيَبَيَّنُ أَنَّهُ إِنَّمَا يُلَايِنُكَ عَدُوُّكَ وَيُدَاجِيكَ، إِذَا رَأَى بِحَالٍ يَحْذَرُ بِهَا مِنْكَ.

(١) مطلع قصيدة بديوانه (ص ٤٤١) وفي البيان (٤: ٢٨١).

(٢) الآية ٢٨ من سورة الفتح.

(٣) يقال: ندر الشيء يندر ندورا: سقط.

يقول: أنا لاصديق يُصَفِّينِي، ولا عدو يُدَاجِبُنِي، فأية مَأْرِبَةٍ لِي فِي الْحَيَاة؟
بل أحب إِلَىٰ مِنْهَا لِقَاءَ الْوَفَاةِ.

(حَبِّبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَائٍ وَقَدْ كَانَ غَدَاراً فَكُنْ أَنْتَ وَافِياً)

(مَنْ نَائٍ): يعنى سيف الدولة. يقول لقلبه: أنا أحببتك قبل حبِّكَ لهذا
النائي؛ وصَحِّبْتُكَ قبل صحبتك إياه. فعليك أن تبقى لِي، وتسَلِّقَ عن هذا الغادر
الذى لم يستعمل الوفاء لِي؛ فإنك إن لم تفعل فقد غَدَرْتَنِي بحبك هذا الذى
غدرنِي؛ ولو أسعده الوزن بأن يقول: وقد كان غادراً؛ ليطابق قوله وافياً، لكن
أذهب فى الصناعة؛ وأدلل على الاستطاعة. وقلبي: نداء مضاف: أئى ياقلبي.
ولايجوز أن يكون بدلاً من الكاف؛ لأن المخاطب لايبدل منه كما لايبدل من
المخبر عن نفسه لأن المخاطب والمخبر عن نفسه قد أُمرِنَ التباسُهُما، فقد أغنى
ذلك عن الإبدال منهما إذ البديل إنما هو للبيان.

قال سيبويه^(١): فإن قلت: بى المسين كان الأمر، أو بك المسكين مررت، لم
يجز. ثم احتج بمثل هذا الذى ذكرت لك.

(تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلِّمَا وَافَتْ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِياً)

تماشى؛ يعنى الخيل، أى تتماشى بأيدٍ قد سقطت نعالها من السفَر، وما
فى الطريق من الحصى والمدر، لكن حوافرها شِدَادَ حِدَادٍ، إذا وافت الصفا-
وهى أصلب ماتكون من مواطن الحجر- نقشت فيها أمثال صدور البزاة،
لشدتها. وصَدْرٌ: مفرد موضوع موضع الجمع، لأنه مضاف إلى جمع. وهو كثير
فى النظم ومنتشر الكلام كقوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)^(٢) أراد،
وأَنْهَارٍ لأن مياه الجنة أنهار لانهر واحد. ألا تراه يقول كثيراً فى وصف الجنة:
(تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)^(٣) وقال: (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)^(٤) إلى آخر
الآية.

(١) انظر ماسبق فيما مضى من هذا الكتاب. (مقطوعة ٢٥)

(٢) الآية ٥٤ من سورة القمر.

(٣) الآية ٢٥ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٥ من سورة محمد.

وأما فى الشعر فقوله:

لَاتُنْكِرُوا الْقَتْلَى وَقَدْ سُبِينَا فِى حَلْقِكُمْ عَظُمَ وَقَدْ شَجِينَا^(١)
ورواه بعضهم: (صُدُّرُ الْبُزَاة) أراد: جمع (أَصْدَر) وهو العظيم الصدر،
ولايعجبني، لأن الحافر إنما يصور صُدُّرُ الْبَازَى-لَوْصُورٌ- لاجملة البازى كلها.
والصفا: جمع، واحده: (صفاة)، وآلفه منقلبة عن واو، لقولهم: الصَّفْوان
والصَّفْواء.

(بِعِزِّهِ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِى السُّرُجِ رَاكِباً

بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِى الْجِسْمِ مَاشِياً)

أى أن الجسم - وإن سار راكباً- فإن القلب يسير فيه ماشياً لتوفره، فإنه
لا يُقَنِّفه مَشَى الراحلة والفرس، جرياً إلى إدراك مرغوبه، والظفر بمطلوبه.

(فَجَاعَتْ بِنَاً إِنْسَانٌ عَيْنِ رَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَاقِياً)

أشرف مافى العين إنسانها، لأن حسن النظر إنما هو به، وكذلك كافور
لزمانه، كالإنسان للعين، أى أنه أشرف بنى دهره، وأعلى عامراً^(٢) فى عصره،
وإنما الملوك غيره لعين دهرهم كالبياض والمآقى، وحسن ذلك أن كافوراً
أسود، فقد شاكل سواد العين، وغيره من الملوك الذين خلفهم المتنبى وراءه
يُبْضُ، فقد شاكل البياض والمآقى، وهذا وإن كان قد أجاد فى مدح كافور فقد
عَرَّضَ بسواده وقلماً مرَّ له فيه غريب بيت، إلا قد جمع مدحاً وتعريضاً، ولذلك
قال فيه بعد صدره عنه:

وَشِعْرِ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَّكَدَ نُبَّ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى

ولو قال هذا البيت فى رجل أبيض، أعنى (فجاعت بنا)، لكان مدحاً
لايجازى، وتعريضاً لايجازى، وإنما نقص عن غاية المدح، لتعريضه بسواه،

(١) انظر سيبويه (١: ١٠٧) وفيه (لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ) والبيت للمسيب بن زيد مناة الغنوى. وقد أورده شاهداً
على وضع الحلق وهو مفرد موضع الحلق وهو جمع.
(٢) لعله يريد بقوله (عامراً): البانى المشيد الذى يعمر البلاد.

ولكن هذا البيت فى الأسود أشد تحقّقاً منه فى الأبيض لأنه فى الأسود يحوى الطبيعة واللون، وفى الأبيض ينفرد بما طُبع دون اللون، فتفهّمه.

(لَقِيتُ الْمَرْوَزَى وَالشَّخَاخِيبَ دُونَهُ وَجَبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيًا)

بالغ فى صفة حرّ الهجير، بتركه الماء صادياً، لأن الماء لا يصدى بل هو مُزِيل للصّدَى، ولو قيل إن إصداءه للماء، إيباسه له، وتضييبه إياه، لأن الصديان ذابل عما عليه الرّيان، من النضارة والغضارة، لكان وجهاً.

(إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا)

المعالي على ضربين: طبعى، ومُفْتَنَى. فأما الطبعى فالفضائل النفسانية: كالشجاعة والكرم والفهم والعفة، وهذا لا يمكن أن يُوهَب البتّة، لقوله هو فيه:

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْصُوا غُلَاكَ وَهَبْتُهَا

وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ^(١)

يعنى الخصال الذاتية، وخلال الفضل النفسانية،

وأما الْمُفْتَنَى فنحو المال والجاه والثروة، فإن هذا فى الإمكان أن يُوهَب. يقول له: إذا كان قصارى أفاضل الناس اكتساب المعالى بالنّدَى، فإنك أنت تعطى المعالى فى ندادك فتوَلَّى البلاد، وتكسب الأجناد.

وإن شئت قلت: إن عطايك تُشَرِّفُ الْمُعْطَيْنَ، فتفضى بهم إلى المعالى، وما كان سبباً للمعلاة فهو مَعْلَاة.

وقد ينقلب هذا المعنى على ماقدمناه، كأنه يريد، إنك لاتحسن المعالى إذ لامادّة لك تربيها وتنمّيها لضعة جوهرك، ورداءة عنصرك، حتى إذا هُبِئَ لك منها شئ، وقاربت ملكه والاشتمال عليه، انصرفت عنه، وسلّمت إلى غيرك،

(إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سِنْفَيْ كَرِيهَةٍ)

فَسِفْكَ فِى كَفِّ تَرْيُلِ التَّسَاوِيَا)

(١) البيت من قصيدته فى كافر. مطلقها

«أغالب فيك الشرق والشرق أغلب»

أى إذا سَوَى أهل الهند بين سيفين، طَبْعاً، وَصَفْلاً، واستجادة عُنْصُر، فإن
السيف الذى يقع منهما بكفك، فتضربُ به، يكون أمضى من صاحبه الذى
تضرب به كفٌ غيرك، لأن كفك أقوى الكفَّ، فقد أزالَتْ كَفُّكَ التَّساوَى بين
السيفين اللَّذَيْن سَوَّاهُ الهند بينهما.

وقال (فى كفّ)، فأفاد، وإن كان نكرة، لأنه قد عُلِمَ أنه لايعنى من الكفِّ إلا
كفُّه، كقولك مررت برجل حسن وجُهِه. (والكريمة) الشدة المكروهة. وهذا البيت
نحو قوله فيه أيضاً:

إِذَا ضَرَبْتَ كَفَّكَ بالسيف فى الوَعَى

تَبَيَّنَتْ أَنَّ السيف بالكف يضرب^(١)

١١٦ـ

وقال أيضاً:

(من الجَانِزِ فى زِيِّ الأَعَارِيِبِ حُمَرُ الحُلَى والمطَايَا والجلَابِيِبِ^(٢))

أَلْحَقْنَهُ بِنَوْعِ الجَانِزِ، وَحَقَّقَ ذَلِكَ إِغْرَاباً وَمِبَالِغَةً، وَتَجَوَّزَ بِكُونِهِمْ أَعَارِيِبَ،
فَعَزَّاهُمْ إِلَى زِيِّهِمْ لِإِلْبِهِم، وَالحُمْرَةُ فى الحُلَى، وَاللِّبَاسُ، وَالأَيْتِقُ^(٣) حُمَرُ الأَلْوَانِ،
فَخَصَّصَهُمْ بِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِهِ.

(لَا تَجْزِيْنِي بِضَنْئِي بِي بَعْدَهَا بِقَرُّ نَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوباً بِمَسْكُوبِ)

يعنى بالبقر: أَحِبَّابِهِ. يَقُولُ: بَكَيْتُ كَمَا بَكَيْتُ، فَسَكَبْتُ مِنَ الدَّمْعِ مِثْلَ
مَا سَكَبْتَ مِكَافَاةً، فَإِذَا قَدْ جَزَيْتَنِي بِبِكَايِي، فَلَا جَزِيَّتِي بِضَنْئِي^(٤) وَنَحُولِي، أَيْ
لَا ضَنْئِي كَمَا ضَنْئِي، يَدْعُو لَهُنَّ، فَهَذَا الْأَسْبَقُ وَالْأَلِيْقُ.

(١) هذا البيت من القصيدة السابقة فى كافور.

إلا أن رواية الشطر الأول فى التبيان للمكبرى (١٨٤: ١) هي:

(إِذَا ضَرَبْتَ بالسيف فى الحرب كَفَّهُ)

وهى أولى من رواية الأصل

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (ص ٤٤٨) فى كافور الإخشيدي.

(٣) الأَيْقُ وَالنِّيَاقُ وَالنُّوْقُ وَالْأَيَاقُ: جَمْعُ نَاقَةٍ.

(٤) فى الأصل (بضئائى). ومصدر ضئى يضئى ضئى (بالقصر) ولا يجوز مده إلا فى ضرورة الشعر وهذا لا يخفى على المؤلف، وإنما هو تحريف من الناسخ.

وإن شئت قلت: إن حُبُّهن قد أضنى جسدى، وأفنى جَلدى، وأسقم وأهرم، فلم يبق فى موضع لَحْبهن إياى. فإذا كان ذلك، لم تُضِن النساء عشقاً لى، وإن نظرنَّ إلى فبكين، فإنما يبكين رحمة لى لإعشقاً، فيكون لفظه على هذا لفظ الدعاء، ومعناه الخبر. كأنه قال فى المعنى: ليس يجزىنى.

وقوله (تَجْزَى دموعى مسكوباً بمسكوب): جملة فى موضع الصفة لبقر والهاء فى بعدها عندى: للحالة أو المرأة وقد يكون راجعاً إلى النساء، واستجاز أن يقول (بعدها). وإن عنى النساء، وهو من النوع الناطق، لأنهن قد سماهن بَقَرًا، والبقر وغيرها من الأنواع غير الناطقة، يُخْبَر عنها كما يُخبر عن الواحد المؤنث. تقول: الجمال رأيتها والجبال علوتها، ولو سوَّغهُ الوزن أن يقول: (بَعْدُهن) كان أذهب فى الحقيقة، لأنهن لسن جاذر، وإنما هن نسوة.

(أَوْ حَارَ بَنَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادُوا أَنْجُو بِتَجْبِيْبِ)

أى هذه الأعداء إن حاربتهم لم ينجها منه إعداد عُدَّة يُقَدِّمون النظر فيها، كتشديد سُور، وحفر أخدود، واستظهار بحشود. وكذلك لاتنجو منه بما يؤخرونه من الاحتيال للهرب، وإعداد الحيل المنجية. ومن القتل والحرب.

وإن شئت قلت: ماتنجو بتقدمتها نفوسها إليه، ولا بتجبيبها عنه والتجبيب: الهرب والنكوص.

ولو قلت: إن التقدمة هنا بمعنى التقدم، ليقابل التجبيب، لأن التقدم غير متعد، كما أن التجبيب كذلك، لكان حسناً، كقول قَطْرِى.

تَأَخَّرْتُ أَسْتَجِبْقَى الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسَى حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا
ووضع المصدر مكان مصدر آخر كثير، قد عمل سيبويه وغيره من أهل اللغة فيه أبواباً.

ولو علمنا أن العرب قالت: قدَّم فى معنى تَقَدَّمَ، كقولهم: بَيَّن الأمر، أى تبَيَّن، ألفينا الاحتيال له، لكن مثل هذا لا يضبط إلا سماعاً.

(بَلَى يَرْوَعُ بِذَى جَيْشٍ يُجَدِّدُهُ ذَا مِثْلِهِ فِى أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبِ)

أى أنه لا يقصد استمداد الأموال من الملوك ولا السُّوقَة. وإنما قصده ترويع الملوك بالقتال، فإذا صرَّع ملكاً ذا جيش فجدَّله، رَوَّع به آخر لم يُجدِّله بعد. وقوله: (ذا مثله): أقام فيه الصفة مقام الموصوف، أى ذا جيشٍ مثله. وحسن حذف هنا وإقامة الصفة مقامه لأمرين: أحدهما أن مثل مضافة، فشاكلت بذلك الأسماء لأن الإضافة إنما هى للاسم. والآخر أن لفظ الموصوف المحذوف، وهو الجيش، قد تقدم مظهرأً فى قوله: (بلى يرَّوِّعُ بذى جيش يُجدِّله). وقوله: (فى أحمَّ النقع غريب): أراد فى موضع أحم النقع. والغريب: الأسود.

■ ١١٧ ■

وله أيضا:

(يَبَاعِدُنْ حَبِّاً يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ حَبِّاً يَجْتَمِعُنْ وَصَدُّهُ)^(١)

عنى بالحَبِّ هاهنا: الشَّيْب، لأنه محبوب على الكُرْه، وبإضافته إلى الموت فيقول: الأيام مُشَاكِلَةٌ بالطبيعة الشَّيْب، لأن الشَّيْب هُم، كما أنهن هُم. فكان القياس ألا تباعده لمكان المشاكلة، وإنما مباعدتها له بالموت، الذى هو أشدُّ كَرْباً، وأجل حَطْباً، فإذا باعدت الشَّيْب الآن وهى مجتمعته معه، فكيف أطلب منها حياً قد اجتمعت هى وضدَّ ذلك الحَبِّ؟

ويعنى بالحَبِّ هاهنا: الشباب. يعاتب نفسه على مطالبة الأيام برد العجيب الذى فات، وهى لاتبقى له الاقل الذى بقى. ألا تراه يقول:

أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبْنِي مِنْهَا حَبِيباً تُرَدُّهُ

أى الدنيا لاتدِّيم لى حياتى، وهى معى إلى^(٢) الآن، فكيف أطلب منها شبابى وقد ذهب.

(١) من قصيدة له فى كافور مظلها

«أود من الأيام مالا توده»

وانظر ديوانه (٤٥٣) والتبيان (١٩: ٢).

(٢) لعل (إلى) هنا مقحمة.

(يُخْلَفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً وَيَأْتِي فَيَذَرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ)

أى أنت أرفع المقصودين. فمن قصد غيرك، فقد ترك مقصوداً فوق مقصوده، وهو أنت. فإذا قصدك تبين وتيقن أنه قد بلغ أقصى الغايات، إذ لا مقصود وراءك، ولا مؤزود فوقك. وقوله: (ذلك جهده): أى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته. وحينئذ تقرر عين القاصد، لأنه لا يُعْنَفُ على ترك الجرى إلى أقصى ما يمكنه [من] (١) ذلك، إذ ليس يمكنه تجاوزه.

- ١١٨ -

وله أيضاً:

(قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرِ لَهُمْ بِنَا)

حديثاً وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ (٢)

أى من الأملاك، فحذف وأوصل الفعل، ومثله كثير، إلا أنه ممنوع لايقاس عليه. وقد صرح بذلك سيبويه (٣)، والأملاك: يجوز أن يكون جمع ملك وملك ومليك، أى قد اخترتك من جميع الأملاك، ورجوتك لهمتى ومطلبى، فاختر لهم بنا حديثاً: أى اجعل الصنيعتقى، فإنك إذا فعلت ذلك تُحَدِّثُ عنك بالإحسان، وتُحَدِّثُ عَنِّي بِأَنِّي استأهلت ذلك عندك، وقد حَكَّمْتُ رأيك، أى سلَّطْتُ إليك، فافعل ماتشأء، فإن طبيعتك لاتحملك على ضد الجميل.

(١) [من] زيادة توضح العبارة.

(٢) من قصيدة بديوانه فى مدح كافور. مطلعها

«فراق ومن فارقت غير مذمم»

(٣) انظر الكتاب (١٦: ١٧) فى (هذا باب الفاعل).

وله أيضا:

(أَغْلَبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ)^(١)

أى والشوق أغلب منى، فحذف للعلم بما يعنى، كقولنا: الله أكبر، أى من كل شئ فحذف، أنشد سيبويه:

مَرَزْتُ عَلَى وادى السَّبَاعِ وَلَا أرى كَوَادِى السَّبَاعِ حِينَ يُظْلَمُ وَادِيًا^(٢)

أَقْلُ بِهِ رَكْبٌ أَتَوْهُ تَنْيِيَةً وَأَخَوْفَ إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ سَارِيًا

أراد: أقل به ركب تنيئة منه.

وذهب بعضهم إلى أن «أغلب» هنا ليست للمفاضلة، وإنما هو أفعل صفة كاحمر، ولا يعجبني، لأن قوله فى آخر البيت «والوصل أعجب» لا يسوع فيه إلا (أفعل) التى للمفاضلة، بأن يكون المصراع مشاكلا للمصراع الأول. وإنما كان الشوق أغلب له، لأنه لو كان ضد ذلك لم يكن عاشقاً.

وقوله: (وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ): إنما كان الوصل أعجب من الهجر، لأن الهجر نوع من مكاره الأيام؛ والوصل نوع من محابها؛ وشيمة الأيام أن تاتى بما يكره؛ فلا عجب من الهجر الذى هو فى خليقتها؛ ولكن الوصل لو تيسر، كان أعجب من الهجر لشذوذه عن خلق الزمان. وأراد: والوصل أعجب منه، فحذف كما تقدم فى (أغلب).

(فَكَمْ لِيْظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدْرِ تَحْزَبُ أَنْ الْمَانَوِيَّةُ تَكْذِبُ)

المانوية: أصحاب مانى وهم أهل التَّنَوِيَّة^(٣)؛ يذهبون إلى أن ظلام الليل يكون الشر وأن النور يكون الخير، والمتنبى يرد على هؤلاء التَّنَوِيين فيقول:

(١) مطلع قصيدة له فى ديوانه (٤٦٦) والبيان (١: ١٧٦).

(٢) البتآن لسحيم بن وثيل الرياحى كما فى الكتاب (١: ٢٣٣).

(٣) التَّنَوِيَّة: نسبة إلى لفظ اثنين. حذفوا ألف الوصل منه وردوه إلى واحد (ثنى) بالتحريك. ثم قلبوا الياء واوا فى النسبة حتى لا يتجمع ثلاث ياءات متجاورات فى اللفظ.

والتَّنَوِيَّة: أصحاب (مانى) الفارسى، يزعمون أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزيان (وانظر تفصيل الكلام فى التَّنَوِيَّة والمَانَوِيَّة فى الملل والنحل للشهرستانى)

ليس الأمر علي ماوصفتموه، بل قد أجد ذلك بالعكس. فإن الليل قد وقاني شرُّ
الاعداء، بأنَّ وأراني منهم بظلامه، كقولهم: (اليلُ يَسْتُرُ الويل).

وقالوا: اتَّخِذِ اللَّيْلَ جَمَلًا: أى اركبه لحاجتك. وكذلك زَارَنِي الحبيب بالليل،
فأخفى مزاره على الرقيب، وهذه أفعال الخير، فلم تنسبون إلى الظلمة الشرُّ؟

ولما قال: «فكم لظلام الليل عندك من يد» فسرّه فى البيت الثانى بقوله:

وَقَالَ رَدَى الْأَعْدَاءُ تَسْرَى إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحْجَبُ

ولما حَمِدَ الليل بما أسدى إليه من الخير، وكذَّبَ المانوية بهذا البرهان،
أخذ فى فى ذمِّ النور، فقال:

(وَيَوْمَ كَثِيلَ الْعَاشِقِينَ حَمَتُهُ أَرَأَيْتَ فِيهِ الشُّمُسُ أَيَّانَ تَعْرُبُ)

أى أنى قد أمنت من العداة بالليل، فسَرَيْتِ وأدَلَّتْ، وخشيتهم بالنهار
فَكَمَتَتْ وَتَحَبَّأَتْ. وتلك كَلْفَةٌ وَمَشَقَّةٌ، وجهد على النفس لإخفائه، وما أحسن
مااتفق له الاستطراد فى هذه الأبيات.

وقوله: (أَيَّانَ) أى متى وليس من لفظ أين. إنما (أَيَّانَ) من (أى) فهى فَعْلَان
كَرَّيَّانِ التى فى الأزمنة.

وبذلك على أن (أَيَّانَ) ليست من (أَيْنَ)، أن (أَيْنَ) يكون سؤالاً عن الجوهر
والعرَض، كقولك فى الجواهر، أين زيد؟ وفى العَرَضِ: أين اللقاء والقتال.

فأما (أَيَّانَ) فلا يسأل بها إلا عن العَرَضِ. تقول: أَيَّانَ القتالُ، ولا تقول أَيَّانَ
زَيْدٌ. وقد قال عز وجل: (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ)^(١) وقال: (يسألونك عن الساعة
أَيَّانَ مُرْسَاها)^(٢) فَحُكِّمَ (أَيَّانَ) إِذْنُ جُكِّمَ مَتَى، وَمَتَى خِلَافُ أَيْنَ. فَيَأَيَّانَ إِذْنُ
خِلَافُ أَيْنَ.

وقد يجوز أن يكون أبو الطيب فى ذمِّه النهار، مُعَرَّضًا^(٣) بسيف الدولة
لبياضه، وفى حمده الليل، مُتَعَلِّلاً بكافور لسواده، فإن كان قصد ذلك فهو
ظريف، وإن كان لم يقصده، فتوجيهنا له غريب.

(١) الآية ١٢ من سورة النازعات.

(٢) الآية ٤٢ من سورة النازعات.

(٣) فى ت مغمزا سيف الدولة.

(وَأَصْرَعَ أَى الْوَحْشِ قَفِيئُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ)

قَفِيئَتُهُ: أى اتبعت قفاه. يَقُولُ: أَقْتُلُ بهذا الفرس أى نوع أو شخص من الوحش حاولت به إدرাকে، وأنزلُ عنه بعد ذلك وهو فى مثل حاله حين ركبته، من الجمام ووفور الجرى لم يغيّره إجرائى له، ولا أذهب مِيعَتَهُ^(١) وهذا كقول المَرَّار بن منقذ السُعدى فى صفة عجوز يذكر بقاء حسننها:

من بَعْدِ مَالِيسَتِ زَمَانًا حُسْنُهَا وَكَأَن ثَوْبَ جَمَالِهَا لَمْ يُلْبَسِ
«ومثله» منصوب على الحال من الهاء التى فى عنه و«حين» ظرف متعلق بأنزل.

(تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى الْغَيْثِ كَثْرَةً وَتَلْبِثُ أَمْوَالَ السَّحَابِ فَتَنْضُبُ)

أى كلما لبثت عطاياه تضاعفت ونمت، لإنها ذوات مواد كحجر يهبها فتنتج مهراً، أو ضيعة ثورته غلّة ووفراً، فتتمى هباته على الأيام، وتواتر الأعوام.
وأما مواهب السحاب فكما لَبِثَتْ نَشَفَتْهَا^(٢) الشمس، ونَضُبَتْهَا الأرض، واستقتها الواردة. فهذا فضل ندى كافور على السحاب.

(وَبُنُونُ الذِّى يَبْغُونُ مَالَهُ تَخْلَصُوا)

إِلَى الشَّيْبِ مِنْهُ عِشْتِ وَالطُّفْلُ أَشْيَبُ)

(مَالَهُ تخلصوا إلى الشيب منه): يعنى الموت. أى دون ما يحاولونه منك الموت، الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب، لشاب طفلهم فى حال طفولته - أراد القرب^(٣) - ولكنهم لا يمكنهم التخلص من الموت إلى الشيب، بل أنت تأتى عليهم فتقتلهم فى الحال.

وقيل معناه: لو أمهلَ الحسدُ حسادك ريثَ هجوم الشَّيْبِ، لشاب طفلهم الآن، ولم يتأخر الشيب عنه إلى أوانه، ولكن أنت تعجلهم وشيب الطفل فى كل ذلك: يذهب به إلى القُرب. أى لو أمهلهم الموت الذى يحدث عنه الحسد،

(١) ميعته: أول جريه حين يكون شديداً.

(٢) يقال: نشف الماء (من باب تعب) ونشفت الماء من باب (ضرب) ونشفت بالثقل: مبالغة. ونشفتها الشمس: أذهبت منها ما بها.

(٣) أى قرب إدراك الشيب للطفل لما يقاسى من أهوال الحروب، وشدائد الأيام.

لشابوا فى هذا الوقت، ولم يمهل الطفل منهم إلى أوان المشيب، بل كان يشيب مع هؤلاء.

وإن شئت قلت: إن هذا كقوله:

فإنك سوف تحلم أو تنهى^(١) إذا ماشيت أو شاب الغرابُ
أى إنما تحلم إذا شبت، وأنت لاتشيب أبداً، لأن حلمك على الناس يقتلك،
فيعجلك عن بلوغ الشَّيب، وكذا لايشيب الغراب أبداً.

فكذلك لاتحلم أبداً. فيقول: لو تخلصوا من الموت إلى الشيب- وهذا غير
ممکن- أى لو أمكن ذلك الممتنع^(٢)، الذى هو التخلص من الموت إلى الشيب،
لامكن هذا الممتنع^(٣) الثانى، وهو شيب الطفل.

(تَنَاهَهُمْ وَبَرَّقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ صَادِقُ

عَلَيْهِمْ وَبَرَّقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ خَلْبُ)

البرق على ضربين: صادق، وكاذب والكاذب يقال له: الخُلب^(٤)، من
الخلابة، وهى الخداع فَوَعْدُ بَرَّقَ سَيُوفُكَ بَأَن يُفْلِقَ الْبَيْضُ إِلَى مَاتَحَتِهَا مِنْ
الْهَامِ، صادق، لأنها تفعل ذلك. وَبَرَّقَ بَيِّضُ عِدَاكَ أَن تَقَى هَامَهُمْ مِنْ بَيِّضِكَ، أى
سيوفك، كاذب. لأن سيوفك من عاداتها أن تَقْدُ تَرِيكَهُمْ^(٥) إلى هَامِهِمْ، فهو خُلب
لذلك، وقد يقولون: برَّقَ الخُلبُ فيضيئون، وهذه الإضافة على حذف الموصوف،
أى برق السحاب الخُلب^(٦)، وأن شئت، جعلتها من إضافة الشئ إلى نفسه،
كنحو ما حكاه أبو بكر محمد بن السُّرى^(٧) من قولهم: مَسْجِدُ الْجَامِعِ، مَابِ
الحديد. وقد حمل بعضهم قوله تعالى (وَلَذَارُ الْأَخْرَجَ خَيْرٌ)^(٨) على ذلك.

(١) تنهى: أى تنهى فى الحلم إلى أقصى درجاته.

والبيت للناطقة الجعدى فى ثمار القلوب للثعالبي (٤٢٦).

(٢) - (٣) مابين الرقمين سقط من ت.

(٣) الخلب: عبارة ابن سيده فى المخصص (١٠٩: ٩) البرق الخلب: الذى يومض حتى ترجو المطر، ثم
يعدل عنك. وعن أبى حنيفة: إذا برقت السماء حتى تطمئع فى المطر، ثم أخلفت فلم تمطر، فذلك البرق
خلب. أخذنا من الخلابة وهو الخداع.

(٤) التريك: اسم جنس جمعى للتريكة وهى بيضة الحديد للرأس على التشبيه بالتريكة التى هى البيضة،
والجمع ترائك (اللسان- ترك) عن ابن سيده مؤلف الكتاب.

(٥) ذكر ابن سيده فى المخصص (١٠٩: ٩) عن أبى زيد: (برق الخلب. وبرق خُلب وبرقُ خلب).

(٦) هو المعروف بابن السراج تلميذ المبرد وأستاذ أبى على الفارسى توفى سنة ٣١٦هـ (عن نزهة الألبا).

(٧) الآية ١٠٩ من سورة يوسف.

(سَلَّطْتُ سَيْفِي فَأَعْلَمْتُ كُلَّ خَاطِبٍ عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ)

إن شئت قلت: لما رأى الناس تأثير سيوفك فى عِداك، دأبوا لك، فخطبوا باسمك على كل منبر. وإن شئت قلت: كان الواجب فى الاختطاب على المنابر أن يكون باسمك، فَتَجَوَّزَ فى الخُطْبِ باسم غيرك، فَسَلَّطْتُ سيوفك، وقتلت بها أعداءك، وبلغت أمانيتك، فخطبوا لك خاصة، فكان تخصيصك بذلك من تعليم السيوف التى سَلَّطْتُ، كقوله: (١)

تولَّيه أَوْسَاطُ البِلَادِ رِمَاحُهُ

وقوله: (كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ) جملة فى موضع المفعول الثانى،

و (عَلَّمْتُ كُلَّ خَاطِبٍ): الدعاء والخطبة. و(على كلِّ عُودٍ): أراد على كل منبر، لأن المنبر من العُود، فأقام العُنْصُرُ مكان الصورة، ومثله كثير.

■ ١٢٠ ■

وله أيضاً:

(أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي دَا إِنْ يُبْلَغَنِي مَالِيسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ) (٢)

أى أريد أن يدوم شبابى وسرورى أبداً، فلا أَهْرَمَ ولا أَهْتَمَ. وهذا الذى أريده من الزمان، لا يبلُغُهُ هو من أمنيته لذاته، لأنه لو اختار أن يكون ربيعاً أبداً، ونهاراً سرمداً، لم يبلغ ذلك، لأن أحواله الأنيفة تتكرر، فيلحق ربيعُه القِيظُ، ويتخلل نهاره الليل. فإذا لم يبلغ الزمان مُرَادَهُ فى نفسه، فجدِّدْ أَلَا يُبْلَغَنِي مرادى. إذ لو كان ذلك فى قوته، لأثر به نفسه.

يتعجب من تشططه على الزمن، وتكليفه إياه مَالِيسَ فى وسعه، ولا يجد

مُعِيناً عَلَيْهِ مِنْ طَبْعِهِ.

(١) هو المعنى وعجز البيت:

«وتمنعه أطرافهن من العزل».

(٢) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ٤٧١ مظهرها

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا تديم ولا كأس ولا سكن

وجعل للزمان نفْساً وإنما هو نورٌ وظلمه، تَحْدِثَانِ عند حركة الفلك، لأن العرب تنسُبُ الأفعال إلى الدهر كثيراً، لوقوعها فيها. فيقولون: فعل الزمان، وصنَّع، كقوله تعالى حكايةً عن الكفار: (وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا الدُّهُرُ)^(١)

(مِمَّا أَضْرَبُوا بِأَهْلِ الْعِشْرِ أَنْهُمْ هُوَ وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَلَا فَطَنُوا) أى أنهم اعتبروا حُسْنَ الخلق لا حُسْنَ الخلق. ولو جَرَّبُوا الدنيا، فأجادوا الاعتبار، وأطالوا الاختبار، لوجب أن يُؤثِّروا حسن الخلق، فيجب إذ هو أولى فى الحقيقة بذلك، من اعتبار هذا الحُسْن المحسوس. وقد فسرهُ هو فى البيت الثانى بعده فقال:

(تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعاً وَانْفُسُهُمْ فِى إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ) أى فى إثر كل قبيح الخلق.

(تَحْمَلُوا حَمَلَكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٌ) نسيب هذه القطعة قاله أبو الطيب مُغْضِباً، شاكياً لأمره، متسخطاً على دهره، حتى أفضت به شدة العتاب، إلى ملامة الأحباب، واحتمل إفراط الجفا، لما تَأَمَّلَهُ من قلة الوفا، فقال: (تَحْمَلُوا حَمَلَكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ): أى أُبْعِدْتُمْ وَلَانَوْتُمْ بخلاف قوله هو راضياً عن أحبابه:

(لَاسِرَّتْ مِنْ إِبْلِ لَوِ أَنْى فَوْقَهَا لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَدْمَعِي سِمَاتِهَا)^(٢) ثم أدركه بعدَ ضَجْرَةِ التأسف، وإظهار البراءة عن العشق بعدهم، فقال:

فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٌ

أى أنى كنت أَحْذَرُ بَيْنَكُمْ، فإذا قد وقع، فما أبالى بشيء بعده، كقوله الأول:

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ^(٣)

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٢) من قصيدته «سرب محاسنها حرمت ذواتها».

(٣) ينسب إلى امرأة من العرب كما فى شرح المتنبي للبرقوقي (٤٥٩:٢).

وامتثلته أبو نواس فقال:

وكنْتُ عليه أَحْذَرُ الدَّهْرِ وَحْدَهُ فلم يبقَ لى شىءٍ عليه أُحَاذِرُ^(١)
والفاء فى قوله: (فكل بين) لعطف الجملة الثانية على الاولى، التى هى
(تحملوا).

(رَايْتَكُمْ لِأَيُّصُونِ الْعِرْضَ جَارِكُمْ

وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمُ اللَّبَنُ)

أى من جاوركم ذلّ، وأقام صابراً على الذلّة، حتى يكون عرضه غير
مصون لأنكم لانتصرونه على من أوصل إليه الأذاة، بل تدعوته نُهبَة، ولايستطيع
أن ينتصر هو لخذلكم إياه. وهو فى هذا البيت يُعَيِّرُهُم الصَّبْرَ على الذلّ والقُلّ،
لأنّ قوله: (ولاتدر على مَرَعَاكُم اللَّبَنُ): يعنى به أن رفدكم قدر الكفّاف، ليس فيه
ما يفضل عن الاستشفاف^(٢).

(فَعَادَرَ الْهَجْرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ)

اليهماء: الأرض القفرة، (فَعَلَاءَ، لَأَفْعَلُ لها من جهة السماع). أى لايقال:
(قَفَرُ أَيُّهُمْ). وقد غَلَبَت (اليهماء) غلبة الأسماء. حكى أبو زيد عن العرب:
اليهماءات. فلو عاملوا الصفة لقالوا: اليهم، أى عَادَرَ الْهَجْرَ بَيْنَنَا فَلَاءَ يَهْمَاءَ
يُقَرَّعُ^(٣) فيها الحِسْ ما ليس بحقيقة، كتخيل الال^(٤)، وتصور الأشخاص،
وعزيف الجن^(٥)، ونحو ذلك مما لاحاصل^(٦) له.

(١) من أبيات أربعة قالها أبو نواس فى رثاء الأمين (ديوانه ص ٥٨١)

(٢) يقال: شَفَ الماء شَفَا واشتشفه واشتشفه تقضى شربه (اللسان- شفف)

(٣) فى م: (يفزع) ولعله محرف عن (يقرع) والمراد بقوله (يقرع الحسن): أى يصدمه.

(٤) الال: السراب وهو ما يرى فى الصحراء عند الظهور كما هو البحر (كسر اب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً).

(٥) عزيف الجن: شىء يتوهمه من يسافر فى الصحراء كأنه الصوت البعيد، وهو لا يعرف مصدره فيزعم أنه صوت الجن.

(٦) أى لاحقية له.

(تَحْبُو^(١)) الرُّوَاسِمُ من بعد الرُّسِيمِ بها

وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَحْقَافِهَا الثُّفْنِ

أى تحبو الإبل الراسمة من هذا القفز، والثفن: ما يصيب الأرض من البعير والناقة إذا بركا: وهى خمسُ رُكبتاه من ذراعيه وساقيه وفخذيه؛ فإذا حَفِيت هذه الإبل، فبركت على ثَفْنَاتِها، وصدمت بها الأرض، قالت الثَّفْنَاتُ لِلأَرْضِ: أين الأخفاف التى كانت تَكْفِينَا إياك، وتَقِينَا لُقْيَاك؟ (وَالثُّفْنُ): جمع ثَفْنَةٍ^(٢)، كَلِينَةٍ وَلَبْنٍ....^(٣) كلاهما عربى^(٤)، لأن مالم يفارق من الجمع واحده إلا بالهاء، جاز تذكره وتأتيه ولذلك - إذا وافقت صورة هذا الجمع صورة الجمع المكسّر - استدلّ سيبويه على الجمع الذى باينَ واحده بالهاء بدليل التذكير، مثل ذلك قوله: إن الرُّطْبَ^(٥) ليس كَالْغَرْبِ^(٦)، وإن اتفق المِثْلَانِ^(٧)، لأن الْغَرْبَ مَكْسَّرٌ، بدليل تأنيثه، والرُّطْبُ يذكر ويؤنث، يقولون: هذا الرُّطْبُ، وهذه الرُّطْبُ.

- ١٢١ -

وله أيضاً:

(وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلُنَا الشَّجْعَانَا)^(٨)

أى أن الحياة لاتدوم، فما ينبغي للحى أن يَجُئْنَ، إذ لا يُدُّ من لقاء الموت. وفى الجُبْنِ العار. ولو كانت الحياة تدوم، لكان أضلنا الشجاع الذى يتعرض للقتل فيقتل، فيحرم بذلك نفسه بقاء الحياة ولذاتها. ولكن إذا كان الموت لا يُدُّ منه، وفى الشجاعة المجدُّ، فهى أولى من ضدها.

(١) فى الديوان: (تحفى) وفى ت (تحفى) وفى الثبيان للعكرى (تحيو) وكلها مناسبة للمقام، لأنها يخيو

نشاطها أو تحفى أرجلها والكل عن السير، أو تزحف فى مسيرها بعد أن كان سيرها رسمياً فيه نشاط.

(٢) جمع: أى فى اصطلاح اللغويين، إذ هو عندهم كل مادل على أكثر من واحد، وإن لم يكن له واحد من لفظه. أما فى اصطلاح الصرفيين، فالجمع ماله واحد من لفظه وصيغه محصورة معروفة.

(٣) فى الأصلين كلمتان غيرواضحتين.

(٤) أى تذكير الفعل المسند إلى الثفن وتأتيه كلاهما جائز عربية للعلة التى ذكرها.

(٥) فى اللسان (رطب): الرطب: نضج الشر قبل أن ينضج، واحدة رطبة. وقال سيبويه: ليس رطب بتكسير رطبة، وإنما الرطب كالتسر واحدا للفظ مذكر. يقولون: هذا الرطب. ولو كان تكسيرا لأنشأ.

(٦) فى اللسان (غرب): الغرب (بالتحريك): ضرب من الشجر واحدة غربة ولم يصح بتأنيث.

(٧) كذا ولعله يريد المِثْلَانِ، أى الرطب والغرب فى كونهما ثلاثيين متحركى الوسط.

(٨) من قصيدته التى أولها «صحب الناس قبلنا ذا الزمان» (وانظر ديوانه ٤٧٤).

وله أيضاً:

(كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانُ) (١)

قيس من عدنان، واليمن من قحطان، وبينهما منافرة. فيقول: كَثُرَ تَقْطِيعُ شَبِيبِ لِرِقَابِ النَّاسِ بِسَيْفِهِ، فَأَغْرَتِ الرِّقَابُ بَيْنَهُمَا، لِيَفْتَرِقَا فَتَسْلَمَ. وقوله: (رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانُ)، ثَوْرِيَّةٌ عَنْ قَوْلِهِمْ: لَمْ تَتَّفَقَا وَأَنْتَمَا بِالنَّسَبِ مَفْتَرِقَانِ. ونحوه قوله الآخر:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يُلْتَقِيَانِ (٢)
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلْتُ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانُ
والألف في يمانٍ عوض من إحدى ياءى النسب، التى فى قولك (يَمَنِيٌّ)

ومن العرب من يقول: يَمَانِيٌّ. فهذا ليس على العوض، لأنه لم يحذف منه شيئاً فتكون الألف عوضاً منه، ولكنه من نواذر النسب.

(أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتُمْسِكُ فِى كُفْرَانِهِ بَعْنَانِ)
أى سبيل النعم التى زالت من يدك إلى يده، أَنْ تَنْتَهَى كَفَّهُ عَنِ الْإِمْسَاكِ بَعْنَانٍ فِى مَعْصِيَتِكَ، فَهَلَا فَعَلَ ذَلِكَ؟ يَنْكُرُ عَلَى شَبِيبِ كَفَرِهِ أَيْادِي كَافُورٍ بِنِفَاقِهِ عَلَيْهِ، وَخَلَعَهُ طَاعَتِهِ.

(فَتَنَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ)
أى لما هُمُ بِمَعْصِيَتِكَ، نُنْتُ كَثْرَةَ أَيْادِيكَ عَنِ الْعَصِيَانِ يَدَهُ، حَتَّى أَلَقْتَ السِّيفَ كَانَتْهَا لَابْنَانٍ لَهَا يُمْسِكُهَا بِهَا، وَقَوْلُهُ: (وَقَدْ قُبِضَتْ): جُمْلَةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِي (كَانَتْهَا). وَ(كَانَتْ) هَاهُنَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَفْتَرَقَةَ إِلَى الْخَبَرِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى خُلِقَتْ، فَتَكُونَ الْغَنِيَّةَ.

(١) من قصيدته: «عدوك مذموم بكل لسان».

يذكر فيها قيام شبيب العقيلي على كافر وقتله سنة ٣٤٨ هـ. وانظر ديوانه ص ٤٧٥.

(٢) قائلها عمر بن أبي ربيعة. (وانظر شرح سقط الزند ١: ٤٠٦).

حكى سيبويه: أنا أعرفك مُدُّ كنت، أى مُدُّ خلقت، ويكون المجرور على هذا فى موضع^(١) الحال، كما ذهب إليه سيبويه فى رواية من روى:

إذا كان يومٌ ذو كواكب أشنعاً^(٢)

من أن أشنع حال^(٣)، ولاتكون خبراً لكان، لأن الخبر سبيله أن يكون مفيداً، وليس فى أشنع من الفائدة إلا مافى قوله (ذو كواكب) لأن اليوم إذا كان ذا كواكب كان شنيعاً، إذ ظهور الكواكب إنما يكون للقتام الذى يكسف ضوء الشمس، فتظهر. وهذا من دقائق سيبويه التى يسميها المتأمل إعجازاً.

- ١٢٣ -

وله أيضاً:

(عُيُونٌ رَوَّاحِلِي إِنْ حِرْتُ عَيْنِي وَكُلُّ بُغَامٍ رَازِحَةٍ بُغَامِي)^(٤)

حِرتُ: أى تَحَيَّرْتُ، والعيون هاهنا: يجوز أن تكون جمع عين، وهى الشخص، أى أنى ماهر بالفلاة معاود^(٥) لها أحس فيها أملى فادعها ذواماً فى الطريق^(٥)، فإذا أنا تحيرت فى التَّيِّه، فدللى كل عُود أُخْلِيهِ، لأنى أرى شخصه فيكون لى كالمنار الذى يُسْتَدَلُّ به.

وقد تكون العيون هنا جمع العين التى هى كالجارحة النظرية، أى تبدولى أعين هذه الرِّوَايَا، وَخَصُّ أعينها بقوله: عيني. وكذلك إذا أُرِدْتُ استنباح الكلاب،

(١) (ويكون المجرور على هذا فى موضع الحال) أى قول المتنبى (بغير بنان) فى البيت السابق.

(٢) البيت لعمرو بن شاس كما فى الكتاب لسبويه (٢٢: ١) وصدوره.

(بنى أسد هل تعلمون بلادنا)

أراد باليوم يوماً من أيام الحرب وصفه بالشدة فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب.

(٣) فى نصب (أشنعاً) تقديران: أجودهما أن يكون نصب على الحال المؤكدة لأنه إذا وصف اليوم بظهور الكواكب فيه فقد دل على الشنعة.

والآخر أن يكون نصبه على الخبر المؤكد به . والخبر لا يكاد يقع إلا لفائدة يحتاج إليها، لا يستغنى عن ذكرها. وقد استغنى عنه هنا ، فلذلك قبح هذا التقدير وضعف (أنظر شرح الأعلام على شواهد سيبويه فى ذيل صفحات الكتاب).

(٤) من قصيدته فى وصف الحمى وأولها

«ملومكما يجبل عن الملام».

وانظر ديوانه ص ٤٨٢ والعكبرى (١٤٢: ٤)

(٥) - (٥) ما بين الرقمين ساقط من ت.

لِيُدْلُ ثُبَاحُهَا عَلَى الْحِلَالِ^(١)، وَأَمَاكِنَ الْحُلَّالِ، بَغَمَتِ نَاقَتِي، وَالْبُغَامُ: صَوْتُ تَقَطُّعِهِ وَلَا تَمُدُّهُ، فَيَسْمَعُ الْكَلْبُ بُغَامَهَا فَيَنْبِجُ، فَذَلِكَ الْبُغَامُ يَغْنِينِي أَنْ أُسْتَنْبِجَ الْكَلَابَ.

وَالرَّازِحَةُ: النَّاقَةُ الْمَعْبِيَّةُ، رَزَحَتْ تَرْزَحُ رُزُوحًا وَرُزَاحًا. وَخَصَّ الرَّازِحَةَ، لِأَنَّهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِإِدْمَانِ السَّيْرِ، وَالصَّبْرُ عَلَى التَّعَبِ فِي السَّفَرِ.

(فَقَدْ أَرَدَ الْمِيَاءَ بِغَيْرِ هَاءٍ سَيَّوَى عَدَى لَهَا بَرْقَ الْعَمَامِ)

يَصِفُ نَفْسَهُ بِمَعْرِفَةِ الْارْتِيَادِ، وَيَتَعَرَّبُ^(٢) بِذَلِكَ، فَيَقُولُ: لَا أَحْتَاجُ عَلَى الْمَاءِ دَلِيلًا، إِذَا ابْتَغَيْنَا إِلَيْهِ سَبِيلًا، لِأَنِّي عَالِمٌ بِمَخَايِلِ^(٣) الْمَطَرِ، كَعِلْمِ رُؤَادِ الْعَرَبِ وَمُنْتَجِعِهِمْ بِذَلِكَ. وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْبَرْقَ إِذَا لَمَعَ مَائَةٌ وَمِثْقَلَةٌ^(٤)، وَثَقُوا بِالْمَطَرِ وَانْتَجَعُوا النَّاحِيَةَ، الَّتِي لَاحَ مِنْهَا ذَلِكَ الْبَرْقِ.

وَقِيلَ: إِذَا بَرَقَتِ السَّمَاءُ أَرْبَعِينَ بَرْقَةً، وَثَقُوا فَسَارُوا، وَرَبِمَا طَارَدُوا^(٥) جَوْهَ^(٦) عَشْرًا، فَوَافَقُوا الْمَاءَ.

(يُضِيقُ الْجِلْدَ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ)

أَيُّ أَنْحَلَّتْنِي هَذِهِ الْحُمَّى، فَكَأَنَّهَا وَجَدَتْ جِلْدِي لَا يَسِعُ نَفْسِي وَإِيَّاهَا، فَأَكَلَتْ اللَّحْمَ، لِيَتَّسِعَ الْجِلْدُ فَيَجْمَعَهُمَا، كَمَا وَسَّعَ النَّفْسَ وَالنَّفْسَ.

(وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخُمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ)

الْفِدَامُ: الْمِصْفَاةُ، وَنَسْجُهُ ضَيْقٌ، تَدْفَعُ إِلَيْهِ الْخُمْرَ قَذَاهَا، فَتَمْرُقُ مِنْهُ صَافِيَةً فَتَزْدَادُ شَرْفًا بِنَقَائِهَا وَصِفَائِهَا. شَبَّهَ الْخُطَّةَ، وَهِيَ النَّازِلَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ نَوَازِلِ

(١) الحلال: جمع الحلة (يكسر الحاء) وهي بيوت القوم الحاليين بقرب بعضهم من بعض.

(٢) يتشبه بالعرب المعتمدين في البداوة.

(٣) مخايل: جمع مخيلة (بفتح الميم وكسر الخاء) بمعنى العلامة الدالة على الشيء كالمطر ونحوه. أو المخايل: جمع مخيلة (بضم الميم) اسم الفاعل بمعنى السحاب المملوء ماء، الواعدة بالمطر.

(٤) الومضة: المرة من الومض، وهو لمع البرق لمعاً خفيفاً، لم يعترض في نواحي الغيم (اللسان - ومض).

(٥) كذا في م. وفي ت (طاروا).

(٦) جوه: ناحيته التي ظهر فيها. ومعنى العبارة: ربما تابعوا السيران نحو جو ذلك البرق عشر ليال، فوافقوا الماء.

الدهر، فى ضيقها بالفِدَامِ المَضَيِّقِ. فيقول: إِذَا دُفِعْتُ إِلَى مَلِكٍ ضَيِّقٍ فَعَجَزَ
غَيْرِي عَنْ نَفَازِهِ، خَرَجْتُ أَنَا مِنْهُ وَقَدْ اسْتَدَلَّ مُبْصِرِي عَلَى فَضْلِي، إِذْ لَمْ تَعْلَقْ
بِي تَبِعَتْنَاهُ^(١) وازددتُ شرفاً بذلك، كازدياد المدام عند فراغها صافية للفِدَامِ،
كقوله^(٢).

مَا تَعْتَرِينِي مِنْ حُطُوبٍ مُلْمَئَةٍ إِلَّا تُشْرِفُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
ولهذا قالوا خرج منها كالشَّهَابِ، أى لم تعلقه منها تَبِعة. وأراد: (وربما
ضاعت حُطَّةٌ)، أو (فقد ضاقت حُطَّةٌ) يذهب فى ذلك إلى حُطَطِ شَتَى، لا إلى
حُطَطِ بَعِينِهَا. وأراد (من منسوج الفِدَامِ) إِذْ النَسِجُ عَرَضٌ، وَالْحَمَرُ جَوْهَرٌ،
وَالْجَوْهَرُ لَا يَتَخَلَّلُ الْعَرَضُ.

قال سيبويه: هَذَا ثَوْبٌ نَسِجَ الْيَمَنِ، وَدَرَاهِمُ ضَرْبُ الْأَمِيرِ: أَى مَنْسُوجٌ
وَمَضْرُوبٌ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ.

(وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجِوَامِ إِلَى الْجِوَامِ)
أى إِنْ سَلِمْتُ مِنْ مَوْتٍ عَلَى وَجْهِ مَا، لَمْ أَسْلَمْ مِنْ آخِرٍ عَلَى وَجْهِ مَا، وَإِنْ
سَلِمْتُ مِنَ الْمَوْتِ فِي زَمَنِ مَا، لَمْ أَسْلَمْ فِي غَيْرِهِ، إِذْ الْخُلْدُ فِي الْحَيَاةِ مَمْتَنَعٌ.
وقوله: (مِنَ الْجِوَامِ إِلَى الْجِوَامِ): لَمْ يُرِدِ الْجِنْسَ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مِنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ
الْحَمَامِ إِلَى بَعْضِ أَنْوَاعِ الْحَمَامِ.

(١) كَذَا فِي م. أَى آثَارَهَا. وَفِي ت (شَعْبِيهَا).

(٢) هُوَ الْأَحْوَصُ. وَالْبَيْتُ لَهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (٢: ١٩٤)

وله أيضاً:

(مَنْ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَحْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ) (١)

(أَنْ الْبَيَاضُ): خبر ابتداء مضمّر. أى كانت لى مَنى. ثم أوضح تلك المنى وكأنه قال: هى أن البياض وقار لى، فيحفى شبابى بالمشيب، نهاباً إلى إكبار الشيب، وذلك لما يُلحَقُ الشباب عنده من العيب.

(فَكَيْفَ أَذُمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي)

وَادْعُوا بِمَا اشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ)

يعنى فى كل ذلك الشيب، أى قد كنت أيام أسأله عز وجل، وادعو أن يسلبنى الشباب، ظاناً أن الشيب لا يُلحَقُ الإنسان معه أَلَمٌ ولا هَرَمٌ. فلما شِئْتُ ولحقنى من الضعف المالحقنى، علمت أن رأى فى سؤالى الشيب، ورغبتى إلى الله فيه كان سَفْهًا. لكن كيف أذُمُ المشيب وقد كنت أشتيهه. وكيف أشكوه وقد كنت أدعو الله أن يَهَبَهُ لى.

يقول: فإن شكوت ما كنت أُحِبُّ، وَذَمَمْتُ مَادَعَوْتُ (٢) إلى الله فيه، وقع التناقض فى مَذْهَبى، مع أن ذلك غير نافع فالصبر أولى، والرّضَا بكل ذلك أَحجى.

(جَرَى الْخَلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ وَأَنْتَ لَيْتُ وَالْمُلُوكُ ذُنَابُ)

(وَأَنْتَ إِنْ قُوسِيستَ صَحْفٌ قَارِيءٌ ذُنَاباً فَلَمْ يَخْطِءَ فَقَالَ ذُنَابُ)

أى إذا عُديتَ ليثاً، وطلب من السباع ماهو دون الليت، مما يقاس به الملوك إليك ريثوا (٣) ذُنَاباً. ثم إن حَقَّقَ القياس، كان ما بينك وبين الملوك تفاوتاً، كما بين الأسد والذئب، حتى لو صَحَّفَ مُصَحَّفٌ فقال: ذباب لم يخطئ فى قياسه

(١) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه (٤٧٨) وقد مدح بها كافورا الاخشيدى سنة ٣٤٧هـ ولم يلقه بعدها.

(٢) ضَمِنَ (دَعَوْتُ) معنى رَغِبْتُ فَعَدَاهُ بِأَلِى.

(٣) (ريثوا): طَرَا. (مبيناً للمجهول) من (راء) مقلوب (رأى).

إليك، وإن كان صَحَّف، بل يكون بهذا التصحيف أشعر كقول الأصمعي لقارىء عليه، صَحَّفَ بَيْتَ الحُطَيْبَةِ، وهو قوله:

وَعَزَّزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنُ بالضَّيْفِ تَامِرٌ^(١)

فقال: (لَاتْنِي بالضَّيْفِ تَامِرٌ)^(٢)، فقال له الأصمعي، أنت والله أشعر من قائله، حين قلبت هَجُوهَ مَدْحًا. وقوله: (إنك واحدٌ): بدل من الكاف في فيك.

وإن قلت: مع سيبويه البديل من المضممر المخاطب، فقال: إن قلت: بك المسكين مَرَزَتْ^(٣)، لم يَجُزْ، لأن البديل إنما هو للإيضاح والمخاطب لا يُشْكَل، فيحتاج إلى البيان. قلنا إنما منع سيبويه في هذا بَدَلُ الجملة من الجملة، أعنى الكل من الكل، الذي هو هو، فأما بدل الجزء من الكل، فغير ممتنع: كقولك أعجبتني وَجْهُكَ، وَعَجِبْتُ مِنْكَ صَبْرُكَ^(٤)، فكذلك (أنك واحد)، وإن لم يكن جزءاً من كل فهو عَرَضٌ في جوهر كقولك: جَرَى الخَلْفُ إلّا في كونك واحداً، والعَرَضُ - وإن لم يكن جزءاً من الجوهر - فهو مرتبط به، فكان كالجزء منه. والخَلْفُ هنا بمعنى الاختلاف، ولذلك جاز أن يتعدى إلى في. وذئاب هاهنا: اسم للجنس لأنه قد قال: (والمالوك ذئاب)، فأخبر بالجمع عن الجمع، ولو لم يجعل الذئاب جنساً، لَلَزِمَكَ أن تخبر عن الجمع بالواحد.

(١) البيت في اللسان (لبن) والكتاب لسبويه (٢: ٩٠).

(٢) أي لاتنواني في إكرام ضيفك فتأمر بذلك تابعيك وحشمك.

(٣) (الكتاب ٢: ٧٦).

(٤) الذي قاله ابن سيده في (عجبت منك صبرك، وفي قول المتنبي (فيك أنك واحد) ليس بدل الجزء، من الكل، وإن تكلف في تخريجه ماتكلف في قوله: "فكذلك (أنك واحد) وإن لم يكن جزءاً من كل فهو عرض في جوهر... والعرض وإن لم يكن جزءاً من الجوهر فهو مرتبط به فكان كالجزء منه".

قلنا: إن هذا ليس بدل البعض أو الجزء من الكل، وإنما هو من بدل الاشتغال وبدل الاشتغال بعين أمراً عرضياً وليس جزءاً أصيلاً في المتبوع فهو مثل ما أورده سيبويه في الكتاب. واما ألفيتي حلمي مُضَاعَا ذَرِينِي إِنْ أَمَرَك لَنْ يَطَاعَا

والشاهد في البيت هو حمل الحلم على الضمير المنصوب بدلاً منه لاشتغال المعنى عليه. فحلمى بدل من اليا. في (ألفيتني) وهو منصوب من قبيل بدل الاشتغال والحلم (أمر عرضي) وليس جوهرًا. وانظر ابن يعيش (باب البديل- ٣: ٦٥)

وقد حكى أبو عبيد في (الغريب المصنف) عن الأحمر^(١): (النُّعْرَة: ذبابة).
فإن صح ذلك، ولم يك وهماً من أبى عبيد، فذبّاب هنا جمع ذُبَابَة^(٢)، لا يحتاج
حينئذ إلى تأويل الجنس ولا إلى جعل الواحد موضع الجمع. ولا أعلم أحداً من
أهل اللغة حكى في ذُبَاب ذُبَابَة إلا أبا عبيد وحده.

- ١٢٥ -

وله أيضاً:

(والعبدُ ليس لِحُرٍّ صَالِحٍ بَاخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ)^(٣)
أى لو غُذِيَ وَرُبِّيَ وَأَدَّبَ بِمَثَلِ مَا يَغْذَى بِهِ الْحُرُّ وَيُرَبَّى وَيُؤَدَّبُ، لقصر عن
طبيعة الحُرِّ، ولو لم يَرْمِ العبودية، والعبد يمتنعه الحُرُّ، فإذا كان كذلك فهو عدو
لا أحم.

(أَوَّلَى اللَّثَامِ كُؤَيْفِيرٌ بِمَعْزِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبِعُضِّ الْعُذْرِ تَقْنِيدُ)
أَوَّلَى اللَّثَامِ فِي الْعُذْرِ فِي اللُّؤْمِ كَافُورٌ، لَأَنَّهُ شَرُّ نَفْسٍ مِنْ أَحْسَنِ جِنْسٍ،
أعنى بالجنس^(٤): الجيل، لا المَقُول على الأنواع، وإذا خَسَّ الجنس: عُذِر
الواحد منه أَنْ يَجْرَى عَلَى قَيْسِهِ^(٥)، الذى هو طبع جنسه، فغداً عُذراً له، وإن
كان هذا العذر بالذم والتقصُّ أشبه. فهو إذن عذر يزيد على التفنيد، لأن
التفنيد يشعر أن المفند موجود، كقوله:

وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ^(٦)

(١) قال ابن منظور في اللسان (ذب): "الذبّاب الأسود الذى يكون في البيوت الواحدة ذبابة والذبّاب أبعاض:
البحل. ولا يقال ذبابة في شيء من ذلك إلا أن أبا عبيد روى عن الأحمر ذبابة هكذا وقع في كتابه الغريب
المصنف رواية أبى على....."

وفى اللسان (نعر) وقال الأحمر: النعرة (بفتح العين) ذبابة تسقط على الدواب فتزدها.
(٢) تعبير أبى عبيد تعبير صحيح لأن النعرة (بفتح العين) واحدة النعر (وهو ذباب) أزرق يدخل في أنوف
الحمير والغيل - كما ذكر اللسان - والجمع نعر. وفى اللسان أيضاً قال سيبويه: نعر من الجمع الذى
لا يفارق واحده إلا بالهاء.. فقول أبى عبيد: النعرة ذبابة) لا غبار عليه ولا وهم فيه.

(٣) هذا البيت من قصيدته التى يهجو بها كافوراً الإخشيدي ومطلعها:
عبد بأية حال عدت يا عبيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

(٤) أراد بالجنس: النوع من جنس الإنسان ولم يرد الجنس فى اصطلاح أصحاب المنطق.

(٥) القيس: مصدر قاس الشيء بالشيء يقيسه قياساً وقباسةً وفى ت. (قسمته) فى مكان (قيسه)..

(٦) صدره كما فى العقد الفريد (٤: ٣٠): «وإذا ذهب العتاب فليس ود».

فأما إذا ترك التفنيد، للعلم بأن الإساءة طبيعة فى المسىء، فذلك أقصى نهايات الذم. وأراد: (أولى اللثام بمعذرة كويفير)، لأن قوله: (بمعذرة) من تمام الاسم، الذى هو أولى. فكان ينبغى له ألا يجرى بالخبر الذى هو (كويفير) إلا بعد قوله: (بمعذرة) لتعلق الباء بأولى. وكذلك إن جعل (كويفير) هو المبتدأ، وجعل (أولى اللثام) خبر مبتدأ مقدماً، فقد حال أيضاً بين الاسم الذى هو الخبر، وبين ماهو من تمامه.

ولذلك جعل الفارسى (كلاً) فى قوله:

كِلاَ يَوْمَى طَوَالَةَ وَصَلُ ارْزَوِى ظَنُونُ أَنْ مُطَرَحُ الظَّنُونِ^(١)

جزءاً من الخبر، لامن المبتدأ، الذى هو وصل ارْزَوِى، لأن وصلاً مصدر، فكان يكون (كلاً) من صلته متقدماً له. والصلة لاتتقدم على الموصول.

وكما لايقدم بعض أجزاء الاسم على بعض مُغَيَّراً عن وضعه، فكذلك لايجال بين بعضه وبين بعض بأجنبى أيضاً، فلذلك مثلاً بيت المتنبي فى فصله بين (أولى) وما يتعلق بها، بالبيت الذى أنشده أبو على، فى أنه لايجوز تقديم الصلة على الموصول. وإنما قوله: (بمعذرة) متعلق بأولى. ثم أبرز مضمرة. أى أولاهم بمعذرة.

— ١٢٦ —

وله أيضاً:

(وَعَدْتُ ذَا الْخِصْلِ مَنْ تَعْرِضُهُ وَخِفْتُ لِمَا اعْتَزُّنْتَ إِخْلَافاً)^(٢)

اختلس له بعض أعبده سيفاً، وأعطاه [امراً وِردان بن ربيعة الطائى]^(٣) الذى تخصيفه بحسمى. وكان عبيده قد خالفوا إليها فوثب أبو الطيب إلى العبد (١) البيت فى اللسان (طول) ونسبه للشماخ وهو فى ديوانه (ص ٩٠) والآلى (٢: ٣٠). والشاهد فيه أن (كلاً يومى طوالة) ظرف متعلق بالمبتدأ، وهو (وصل ارزوى) وقد تقدم على المبتدأ وهو متعلق به من صلته، والصلة لاتتقدم على الموصول كما قال أبو على. (٢) البيت من أبيات بديوانه ص (٥٦٦) أولها:

« أعددت للغادين أسيافاً »

(٣) هذه العبارة تكلمة من التنبهان (٢: ٢٩١) والبرقوقي (١: ٤٤٨).

ووردان بن ربيعة عربى كان يسكن جبل حسمى بالقرب من المدينة المنورة وقد نزل به المنبى فى رحلته الطويلة بعد خروجه من مصر ولم يحمده جواره ولذلك هجاه بعدة مقطوعات فى ديوانه، واتهمه بشحريص عبده وغلمانته على أن يسرقوا ماله وسيفه.

الذى اختلس السيف، فأخذه منه، وضربه به فقتله، فيقول: لم أقتلك لأن السيف عَظُمَ على قدره وجُلُّ لَدَى خَطَرُهُ، حتى دعاني فَقَدُهُ إلى قتلِكَ، ولكن وَعَدْتُ هذا السيف أن أقتل به من تَعَرَّضَ له، ولما تَعَرَّضْتَ أنتَ له وهَمَمْتُ بالصفح، خِفْتُ أن يتخلَّلَ وَعْدِي إِخْلَافٌ، فأكون غير صادق الوعد. وأراد: (من تعرضَ له) فحذف وأوصل. وكذلك أراد (وخفت لما اعترضت له)، فحذف الجار والمجرور، كقوله:

إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يُتَكَلَّ^(١)

أراد يتكل عليه، حكاه سيبويه. وقوله: (من تعرضه) أراد: قتلَ من تعرضه، فحذف المضاف لمكان العلم به، وأقام المضاف إليه مقامه، و (مَنْ): فى موضع المفعول الثانى بوعدت.

- ١٢٧ -

وله أيضاً:

(الْأَكْلُ مَاشِيَةَ الْخَيْزَلَى فِدَا كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى)^(٢)

الْخَيْزَلَى: مِشِيَةٌ من مَشَى النساء، فيها تَخَزُلُ وتفكُّك. وَالْهَيْدَبَى (بالدال والذال): أعلى من مِشِيَةِ الخيل والإبل، فيها سُرْعَةٌ. فيقول: كل امرأة معشوقة التحرك فِدا^(٣) كل ناقة وجَمَل من الإبل التى خرجت عليها من مصر، لما نلت بها من الضيم، وقد بين ذلك بقوله بعد هذا:

[وكل نجاة بجأوية خنـــــوف] وَمَا بِي حُسْنُ الْمِشَى^(٤)

أى ما على من حسن مشية النساء لأنى لا أُغْنَى بذلك، وإنما أُغْنَى بطلب النجاة، ومحاولة المُعَالَاة، وإرغام العُدَاة، وقد بين ذلك أيضاً بقوله:

(١) صدره كمافى الكتاب لسبويه (٤٤٣: ١) وأساس البلاغة (عمل) والخصائص لابن جنى (٣٠٦: ٢):

(إن الكريم وأبيك يعتمل).

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٥٠٩ يهجو كافورا.

(٣) (فدى كل) بكسر الفاء، يجوز مدّه وقصره.

(٤) تمام البيت:

وكل نجاة بجأوية^١ ختوف^٢ وماي حُسنِ المِشَى

(وَلَكِنَّهُمْ حِبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى)

[أى هن^(١) أسباب الحياة، فوضع الحبال موضع الأسباب لأن السبب من أسباب الحيل، «وكيد العداة وميط الأذى»]^(٢) أى وسبب كيد العداة أكيدهم بها، وسبب مَيْطُ الأذى أيضاً. فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

وإنما تأولنا ذلك، لأن الخيل لا تكون فى الحقيقة كَيْدًا وَلَامَيْطًا، إذ الخيل جوهر، والكيد والمَيْط عَرَضَانِ، والجوهر والعرض ليسا من باب «هو هو»، بل هما من باب الغير. وقد يجوز أن يجعل الخيلَ هى الكيد والميط، على سعة الكلام، كأنها لما كانت سبب ذَنْبِكَ، كأنها هُما.

وقد ذهب سيبويه إلى الوجهين جميعاً فى هذا الضرب، أعنى كقولهم: ما زيد إلا أَكَلٌ وَشُرْبٌ

(فإنما هى إقبالٌ وإدبار)^(٣).

قال: جعلها الإقبالَ والإدبارَ على سعة الكلام، وإن شئت على الحذف، كما قدمنا.

(فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى)

أى إذا كَانَ مقصودُهم وممدوحهم مثل كافور، فكفى بذلك هَجْوًا لهم. وإن شئت قلت: أحوجنى الْوَرَى إلى مدح كافور، وذلك سَفَهٌ، فكان ذلك المدح هجوا لهؤلاء، إذ لو كانوا كُرماء أحراراً، أغنوني عن مدحه، والتعرض للقاءه.

(١) - (١١) ما بين الرقمين سقط من م.

(٢) يشير إلى بيت الغنصاء الذى جاء فى الكتاب لسيبويه (١٦٩: ١) وهو
ترتع مارتعت حتى إذا أدكرت فإنما هى إقبال وإدبار

وله أيضاً:

(قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَقْفَهُمَ إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَذَالٌ)^(١)

يقول: من رأى الممسكين خشية الإقلال، وموتهم عن الأموال، وتخليتها للأعداء الأضداد غير الأشكال، فقد أراه الزمان فيهم العير والغير؛ فكانه قد حذره الإمساك، ولأمة على ذلك، وليس للزمان على الحقيقة قول، لأن الزمان عرض متولد عن حركة الفلك، وليس للعرض قول، إنما هو للجوهر الناطق، لكنه لما اتعظ بتصاريفه، ومشاهدة تكاليفه، صار كأنه له لآتم. ومثله كثير.

والقول الذي قاله الزمان، إنما هو: لاتمسك المال؛ فإنك إن فعلت ذلك كان عليك حوبه، وللوارث لذته وطيبه.

وقد ألم الحارث بن حِزْرة بهذا المعنى فى قوله:

لَا تَكْسَحِ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ^(٢)
(الْقَائِدُ الْأَسَدُ غَدَّتْهَا بَرَائِثُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاةٍ وَهِيَ أَشْبَالُ)

برائثهم: سيوفهم. وأما البرثن فى الحقيقة، فهو المِخْلَب، لكن السلاح للإنسان كالبرائث للسباع، أى أنه يسير للهيجاء فى غلمانته الذين رباهم وضُرَّاهم وتَبَيَّتْهم لسلب عِدَاة، الذين هم مثلهم فى الشجاعة، وذلك من خد صغرهم إلى كبرهم، وقوله: وهى أشبال: جملة فى موضع الحال، إذا رددتها إلى المفرد، فكانت قلت: غَدَّتْهَا بَرَائِثُهُ صغاراً، والشبل: ولد الأسد.

(وَقَدْ يَلْقَبُهُ الْمَجْنُونُ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطَنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَالُ)

معنى هذا أن (فاتكاً) كان يلقَّب (المجنون)، وهو لقب له - كما تراه - قبيح، فاحتمال المتنبى، لتأويله على أحسن الوجوه، فقال: إنما جنونه إذا تزاخمت السيوف، واختلطت الصفوف، فى الاقتحام والاهتجام. ثم قال: وبِعضِ العقل عُقال: لأن الجُنَّ يتصور لأهله فى معرض الحزم والعقل، وهو مذموم. وعُقَال: أى أنه يعقلهم عن الجراءة، لأن العقُال ظَلَع يكون بالبعير ساعة ثم ينشط.

(١) من قصيدة بديوانه ٤٨٧ أولها

لاخيل عندك تهديها ولأمال

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

(٢) البيت فى اللسان (غير) والمخصص (٣٨:٧) وغير كل شئ: بقيته. وجمعه: أغبار. وقال ابن سيده فى المخصص: كسعت الناقة أكسها إذا تركت فى حلقها بقية من اللبن، تريد تعزيزها.

السيوف، واختلطت الصفوف، فى الاقتحام والاهتجام. ثم قال: وَيَعْصُ الْعَقْل عُقَالٌ: لَأَنَّ الْجَبْنَ يَتَصَوَّرُ لَاهِلَهُ فِى مَعْرِضِ الْحَزْمِ وَالْعَقْلِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ. وَعُقَالٌ: أَيْ أَنَّهُ يَعْقِلُهُمْ عَنِ الْجَرَاءَةِ، لِأَنَّ الْعُقَالَ ظَلَعٌ يَكُونُ بِالْبَعِيرِ سَاعَةً ثُمَّ يَنْشُطُ.

(إِذَا الْعِدَا نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِيَهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِئَالٌ)

هذا تفسير للبيت الأول، واعتذار من تلقية (المجنون). يقول: فهو فى الحرب أسد، والأسد لا يوجد عنده الحِلْمُ، فلا يُلَامَنَّ فى عدمه الحِلْمُ، كما لا يلام الأسد، ولا يُسَمَّيَنَّ (مجنوناً) لأنه قد تحول فى الحرب عن طبيعة الإنسان، إلى طبيعة الأسد، وإنما كان يسمى (مجنوناً) لو فارق الحلم وهو فى النوع الإنسانى، فلا يصح عليه اسم الجنون كما لا يصح على الأسد.

والرئبال: الأسد، يُهَمَزُ ولا يهمز. وليس ترك الهمز فيه على التخفيف القياسى، إذ لو كان كذلك لم يقل فى الرئبال والرئبال. إنهما لغتان. كما لا قول فى (ذيب، وذئب) إنهما لغتان. وذلك أن تحقيق الهمز وتخفيفه لا يُسَمَّى فيهما لغة، مادام التخفيف قياساً، إذ التخفيف على القياس فى فئة المحقق. وبذلك على أن (رئبالاً) ليس بتخفيف قياسى، وإنما هى لغة، قوْلُهُمْ فى جمعه: رِئَابِلٌ. فلو كان (رئبالاً) على التخفيف، لقل فى جمعه (رأبيل) لأن العلة التى كانت تقلب الهمزة ياءً، وهى الكسرة فى رِئَال، قد زالت فى حَدِّ الجمع، وعاقبتها الفتحة^(١). وينبغى أن يكون وزن الكلمة (فِعْلَالاً). وإن كانت الياء لا تكون أصلاً فى بنات الأربعة، وأمثلة^(٢) ذلك، لأنه إن كانت زائدة كان فى الكلام فِعْعَال. وهذا بناء قد نفاه سيبويه عن الأسماء، إنما هو للمصادر.

فلما كان ذلك أَشَدَّ ذَنْباً^(٣) (رئبالاً) فجعلنا الياء فيه أصلاً لعدم (فِعْعَال) فى الاسم، كما حملت الضرورة سيبويه، على أن يعتقد الواو فى (وَزَنْتَل) أصلاً، وإن كانت الواو لا تكون أصلاً فى بنات الأربعة.

(١) عاقبتها: حلت محلها حين زالت. والمعاقبة بين الشيتين: أن يجئ هذامة وهذا مرة.

(٢) الإشارة فيه إلى الأسماء الرباعية التى لا تكون الياء فيها زائدة.

يقول: لو سلمنا أن الياء فى (رئبال) زائدة، للزم أن يكون فى كلام العرب أسماء على وزن (فيعال) (بكسر الفاء) وهذا وزن نفاه سيبويه من أوزان الأسماء فى كلام العرب. وإنما يكون (فيعال) للمصادر مثل: قاتل قيتالاً.

(٣) أى أخرجناه من الرباعى الذى تكون الياء فيه زائدة لعدم وجود بناء (فيعال) فى الأسماء الجامدة، لاختصاص هذا البناء بالرباعى المزيد فيه ياء بأبنية المصادر (انظر اللسان - رأبل).

ومن العرب من يقول: (رَبَّال) بفتح الراء فإذا جاز ذلك، فالإياء حينئذ زائدة وليست من لفظ رَبَّال، ولو أسعده الوزن والقافية فقال (حَلْمٌ وَرَبَّالَةٌ) لِيُوقَفَ بين المصدر والمصدر، لكان أذهب في الصنعة.

فقد قالوا: (ما أشدَّ رَبَّالَتَه). وحكى أبو زيد عن العرب: خرج المُتَرَّا يُلُون (وهم المتلصصون) ليلاً كالأسد.

واستجاز أن يجعل لفاتك مخالب، وإنما المخالب للشيء، لكن سَوَّغَه ذلك جعله إياه رَبَّالاً. والرَّبَّال ذو مخالب، لأن المِخْلَب للشيء كالظفر للإنسان.

(أَنَالَ الشَّرْفَ الْأَعْلَى تَقْدُمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا)

أى توخَّى التقدم فى جوده وجُرَّاته، فنال بهما الشرف، على أن الجود يُفْقَر، والجُرَّة^(١) تُهْلَك. فما الذى ناله غيره بتوقيه الفقر إن جَادَ، والموت إن أقدم؟

- ١٢٩ -

وله أيضاً^(٢):

(وَصَلَّتْ إِلَيْكَ يَدُ سَوَاءٍ عِنْدَهَا الْبِازَى الْأَشْيَبُ وَالْغَرَابُ الْأَبْقَعُ)^(٣)

يعنى بذلك الموت، جعل له يداً، لقولهم: أخذه الموت إذ الأخذ أكثر ما يكون باليد. ولذلك سَمَّوْا الْقُوَّةَ يداً. لأنها إنما تكمل باليد، أوقعوا اسم الجارحة على العَرَض. وقوله: (سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْبِازُ الْأَشْيَبُ وَالْغَرَابُ الْأَبْقَعُ): ضرب البازى مثلاً للارتفاع، والغراب الأبقع مثلاً للوضع، أى الموت يُسَوِّى بين الفاضل والمفضول، والرفيع والوضيع، حتى لا يُفَرِّقَ بينهما، بل هما متساويان فيه، وكلاهما طُعْمَةٌ لِفِيهِ، فهو نحو قول الآخر:

(١) كذا فى م . وفى ت الجراء.

(٢) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ٤٩٣ مطلعها

الحزن يقلت والتجمل يردع والدمع بينهما عصى طبع
(٣) وهناك رواية أخرى أوردها الراحدى فى المتن، وكذلك أوردها العكبرى فى التبيان (٢٧٤: ٢) وهى بقطع همزة (الباز) ووصل همزة الأشهب. أى (الباز الأشهب).

لَوْ كُشِفَتْ لِلنَّاسِ اِغْطِيَةُ الثُّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ

أى قد استويا فى التغير بالمنزلة. ونحو قول المتنبى أيضاً:

يَمُوتُ رَاعَى الضَّائِنِ فِى جَهْلِهِ مِيتَةً جَالِيئُوسَ فِى طِبَّهِ^(١)

وقوله: (سواءٌ عندها): خير مبتدأ مقدم، والبازى الأشيهب، مبتدأ. وإنما أثرنا ذلك، لأن «سواء» نكرة وإنَّ تَقْوَى^(٢) بقوله: (عندها). (والبازى الأشيهب) معرفة. وإذا اجتمع معرفة ونكرة، فالمبتدأ المعرفة، والخبر النكرة، ألا ترى أن سيبويه لما قال فى قوله: مررت برجل سواء هو والعدم، حين فرغ من الجر، (وإنما جعلت هو مبتدأ، حذراً أن يُوهَمَ أن «سواء» هو المبتدأ).

وقطع ألف الوصل فى قوله: «والبازى الأشيهب» لأنه فى أول المصراع الثانى، فكأنه أخذ فى بيت آخر. وهذا مما أجازه سيبويه فى الأنصاف^(٣) خاصة. قال: إن الأنصاف مواضع فُصول وأنشد:

وَلَا يُبَادِرُ فِى الشِّتَاءِ وَلِيُّدُنَا الْقِدْرُ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالٍ^(٤)
(وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْئُهُ وَأَوَتْ إِلَيْهَا سَوْقُهَا وَالْأَذْرُعُ)

ثمر السياط: عُقْدَ عَذْبَاتِهَا. وقيل: أطرافها، وهو الصحيح. وجعل الثمر لما تنمى استعارة، وحسن ذلك أن الثمرة إنما تكون فى طرف العود. وأما ما روى عن مجاهد فى قوله تعالى: (وكان له ثمر)^(٥) من أن (الثمر) الذهب والفضة، فإنما هو عندى على التفاؤل، وذلك أن الذهب والفضة جماد، والجماد لا ينمى والثمر نام، فسُمي هذا الذى لا ينمى، باسم الذى ينمى تَقَاوُلًا. يقول: إنه كان

(١) من تصديده التى أولها

«آخر ما الملك معزى به»

يعزى بها عضد الدولة فى عتمته.

(٢) فى م: بقولك.

(٣) يزيد أنصاف الأبيات.

(٤) ورد البيت فى الكتاب لسيبويه (٢٧٤:٢) غير منسوب.

(٥) الآية ٣٤ من سورة الكهف.

يُديم ضرب الخيل بالسياط، لحرب عدو، أو لمحاولة فتنة، أو طرد قنص^(١)، فكان السياط كانت محاربة للخيل تؤلمها، والخيل محاربة لها، بكرأيتها إياها، فالآن إذا مات لم يبق من يزجر خيلاً إلى حرب، ولا نهب، ولا طرد، فكان ثمر السياط قد صالحت خيله حتى سكنت إليها سوقها وأذرعها، لما فقدته من ضربها. وقوله: أوت: أى رجعت أمنة لها، ساكنة إليها.

■ ١٣٠ ■

وله أيضاً:

(حَتَّامٌ نَحْنُ نُسَارَى النُّجْمَ فِي الظُّلَمِ

وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ)^(٢)

يعجب من طول مساراته للكواكب، على أن سُرَاهُ هو متكلف، وسُرَى الكواكب طبعي فيقول: كيف أقدر بهذه السُرَى المتكلفة على مساورة النجم ونحن على خُفٍّ وَقَدَمٍ، وكلاهما حيوان، وذلك نور يسير^(٣) بجرية الفلك؟

وحذف الألف من (ما لأن) إذا اتصلت بحرف الجر في حد الاستفهام حذفت منها الألف، فحتى بمعنى إلى، فكأنه قال: (إلى ما؟) أى إلى أى وقت؟

(وَلَا يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا فَقَدْ الرُّقَادُ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمْ)

أى والنجم مع خفة السُرَى عليه، وهوانها لديه، لا يمتنع رقاداً كما نمناه نحن، فكلفتنا أشد، بل الكلفة لنا خاصة. ومعنى قوله: (فَقَدْ الرُّقَادُ): لطيف، لأن ما ليس فى طبيعة أن يَرَقُدُ، لا يقال فيه (فَقَدْ رُقَاداً) وإنما أراد أن النجم ليس بحيوان يغذوه النون، ويصُلح شأنه، فإذا سَرى فَقَدْ الرُّقَادُ فَأَذَاهُ ذلك. وقوله: (ولا يحس بأجفان): نفى عنه الأجفان، لأن الجفن إنما هو لِذِي الرُّوح.

(١) القنص (بالتحريك) والقنص: ما اقْتَنَصَ. وطرده: إثارته وتبعه بالخيل حتى تخور قوته فيسهل صيده.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٤٩٥

(٣) هذه رواية ت. و (يسير) ساقطة من م.

فيقول، ليس النجم بذى رُوح فيكون له جفن ينفعه الكرى، ويضره السهر. وينفى هذا العضو الجسماني، أخرج النجم من النوع الحيواني.

(وَيَتَرَكُ الْمَاءَ لَإِنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ مَاسَاَرُ فِي الْغَيْمِ مِنْهُ سَارُ فِي الْأَنْدَمِ)

أما سيره في الأدم، وهي الأدوية^(١)، فلعمري إنه لهم ويارادتهم. وأما سيره في الغيم فلمُجَرِّيه ومُنشئُه سبحانه. لكنهم لولا أنهم أودعوه مَرَادَهُمْ، وجعلوه زَادَهُمْ، لم يكُ نَهْرُهُ كُلُّهُ مسافراً، ولكان مسافراً في السحاب، وحالاً في التراب، فلما كان إدامة سَفَرِ الماء إنما هو بكونه في السحاب، وَتَزَوُّدُ هَؤُلَاءِ أَيَاهَا^(٢) صار كَأَنَّ كِلَا السَّيْرَيْنِ بملكهم^(٣).

وقيل: لما كان حَمَلُهُ في المزاد نتيجة كونه في الْغَيْمِ، جعلوا السبب والمسبب كالشيء الواحد. ومثله في القرآن والشعر والكلام كثير.

(تَبْرِي لَهُنْ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةٌ تُعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُزْحَاةَ بِاللُّجَمِ)

تَبْرِي: تُعارض. ونعام الدَّوِّ: يعني به الخيل. ويقول: (مُسْرَجَةٌ): فصلها من النعام الْوَحْشِيِّ، لأن نوع النعام لَا يُسْرَجُ إِذْ لَا يُرْكَبُ، وَالْجُدُلُ: جمع جَدِيل، وهو حبل مقتول من أدم، يكون في عُنُقِ الناقة والبعير.

يقول: فإبِلْنَا طَوَالَ الْأَعْنَاقِ كَخَيْلِنَا، فَأَعْنَاقُهَا تُعارضُ أَعْنَاقَ الْخَيْلِ. وَأَقَامَ الْجُدُلَ وَاللُّجَمَ مُقَامَ الْأَعْنَاقِ، لأن فيها دليلاً عليها، إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا هُنَاكَ. وما أحسن ذكر اللُّجَمِ مع قوله: (مُسْرَجَةٌ).

(تَبْدُو لَنَا كُلُّمَا أَلْقَوْا عَمَائِمَهُمْ عَمَائِمُ خُلِقَتْ سُوداً بَلَاءُ لُثْمِ)

يصف غِلْمَانَهُ، ويذكرهم بالمروءة. يقول: كلما سَفَرُوا^(٤) عَمَائِمُ بَدَتْ لَنَا عَمَائِمُ سُودَ، يعني لمهمهم، وأثبت العمائم لهم، لأن العمائم على الهام، وشعور

(١) الأدوية: جمع إداوة وهي إناء صغير من جلد يتخذ للماء (اللسان - أدا)

(٢) أي السحاب وهو اسم جنس جمعي.

(٣) كلا السيرين: أي سير الماء في السحاب وسيره معهم في المزاد وقوله: (بمكلهم) أي يمكنهم احتواؤه ويقدرُونَ عَلَى الْإِخْذِ مِنْهُ.

(٤) أي ألقوها عن رؤوسهم. وفي اللسان (سفر) إذا أَلْقَتْ الْمَرْأَةُ قَنَاعَهَا قِيلَ: سَفَرَتْ.

المُرْدُ إنما هي هناك . ونفى اللُّثْمُ عن عمائمهم التي عني بها الشعر، لأن اللثام ماسال على الخَدَّ من العمامة. وهؤلاء مُردُّ لاشعور في خدودهم، فتصل شعور رموسهم فلذلك جعل اللثم عمائم (يشعور رموسهم)^(١) دون لثم، وهذا مليح جداً. (نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهِمِ) النُّوشُ: التناول. (باتت تنوشُ الحوضَ نوشاً من علا)^(٢).

وفى التنزيل: (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ)^(٣) أى التناول للنجاة، وألبهم: الشجعان، واحدهم بُهْمَةٌ. يقول: تناولوا الرماح وهي خُرسٌ في حالة تناولهم إياها، فدقوها في الأبطال، حتى صاحت صياح الطير، فحكى بذلك نغمة انكسارها في المطعون بها، كقول الآخر:

تصيحُ الرُّتَيْبِيَّاتُ فينا وفيهـُـمُ صِيَاحَ بناتِ الماءِ أَصْبَحْنَ جُوعاً^(٤)
وقوله: (وكانت غير ناطقة، فعلموها صياح الطير): يشعر أنها ناطقة إذا صاحت. وهذا مُقَطَّع شِعْرِي^(٥)، لأن الصياح ليس بمنطق. وإنما المنطق عبارة عن النطق المتصور في النفس، وهي الفكرة الباعثة على المنطق.

فأما قوله تعالى: (عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ)^(٦) فإنما ذلك على أن الله تعالى قد جعل للطير ماتعير به عن ذواتها، إلا أن ذلك لا يتأدى إلينا نحن، وإنما خُص لفهمه سليمان صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه فهم من نغم الطيور مانفهمه نحن في هذا النوع الإنساني بالمنطق.

(١) هذه العبارة ساقطة من م.
(٢) من رجز لأبي النجم كما في اللسان (علا) وذكره ابن عيش في شرح الفصل (٤: ٨٩) وورد كذلك في شرح اللمع لابن جني (مخطوطة دار الكتب ١: ١٢٧) ويعدده :
«نوشا به تقطع أجواز الغضا»
والشاهد فيه مجى (علا) مقصورا كالفتى والعصا أى من فوق.
(٣) الآية ٥٢ من سورة سبأ .
(٤) للمعلم بن رباح بن ظالم المري (شرح المزمزوى ١ : ٣٨٣).
(٥) مقطع شعري: سبق مثل هذا القول. يريد أنه تعبير شعري يسوغ في الشعر تسميها، ولا يجوز إذا أريدت جميعه معناه.
(٦) الآية ١٦ من سورة النمل.

(مَنْ اقْتَضَى بِسَوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلُّ سَوَالٍ عَنْ هَلْ بَلَمْ)

أى من اقتضى حاجته أو سألها من غير أن يُعْمَلَ لإدراكها سيفاً أو رمحاً، لم تُقَضْ له. فكلما قيل له: هل قضيت حاجتك أو أدركتها، كان جوابه لم أقض ولم أدرك، وإنما يدرك حاجته من اقتضاها بالسيف والرمح. وجعل (هل)، و(لم) اسمين للحرفين، فصرفهما^(١)، لأنهما على شكل فم ودم.

وإن شئت قلت: أراد (لَمْ) بسكون الميم، ثم تصور الوصل فالتقى له ساكتان، فحرك الميم لالتقاء الساكنين، وكان يجب أن يقول: أجب كل سؤال بهل، لأن السؤال ليس عن هل، إنما المبحوث بها عن غيرها، كقولك: هل فى العالم خسوف قمرى. فالسؤال إنما وقع عن الخسوف القمرى بهل، لا عن هل وهى عند أصحاب المنطق أول منازل البحوث، لأنها إنما يُسأل بها عن الإِثْنَةِ^(٢) لكن لما كانت (هل) منتظمة للقضية المسئول بها عنها وكانت تلك يتعدى السؤال إليها بعن، استجاز أن يجعل السؤال عن (هل) اضطراراً.

وإن شئت قلت: أبدل (عَنْ) مكان الباء، لأن حروف الجريبدل بعضها من بعض كثيراً. وحسُنْ له ذلك، أنه لو أسعده الوزن فقال: «بهلْ بَلَمْ» توات الباءان فى الحرفين. فهذا ما يعتذر له به.

وخصَّ الهنْدِيُّ، وهو السيف، بتبليغ الأمل دون الرمح، لأن العمل بالسيف أدل على الاجتهاد، وأوصل إلى المراد، كقوله هو:

ومن طلبَ النصرَ العلىَ فإنما مفاتيحه البيضُ الخفاف الصوارم^(٣).

(صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِى الْاَيْدِى وَلَا الْكَرَمِ)

(١) (جعل هل ولم) اسمين للحرفين فصرفهما: أى نونهما لما جعلهما اسمين وقصد لفظهما.

(٢) الإِثْنَةُ فى الحقيقة فى الموجودات: هى معنى ذهنى، وهى كون الشئ خارج النفس على ما هو عليه فى النفس (ابن رشد - تهاافت الفلاسفة ص ٢٠٠) وفى نفس المصدر الإِثْنَةُ: شئ زائد على الماهية خارج النفس وكأنه عرض. وعند الغزالي: الإِثْنَةُ التى هى عبارة عن الوجود غير الماهية (مقاصد ٣٠).

وانظر المعجم الفلسفى ليويسف كرم ص ٢٧.
(٣) من قصيدته «على قدر أهل العزم تأتي العزائم» ورواية الديوان: (الفتح الجليل) فى موضع (النصر العلى).

ويروى (ولا الكرم) فمن رواه ولا الكرم، فمعناه: لم يقبض على قوائمه
قبض اللثيم يده، اجتهداً في محاربتهم، وذلك لقلتهم عندنا، ولصوتنا سيوفنا
عنهم، ولم نُدْ بها إليهم صفحات أكنفنا، كما يتوعد المشير إلى سيفه، باسطاً
يده كما يبسطها الكريم، بل حَقَرْنَاهُمْ على الحالين معاً، فلم نُعْمَلْ فيهم السيوف
كذا ولا كذا.

ومن رواه الكَرَم: أراد: لم نشدُّ أَيْدِيَنَا عليها شدُّ اللثيم الأَكْرَم،^(١) وهو الذى
قَصُرَ اللُّؤْمُ^(٢) أصابعه، كقولهم فيه: كَرُّ البنان؛ وجَعْدُ البنان، وقولهم فى ضده:
سَبَطُ البنان. والرواية الأولى أعلى.

(تَخْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضاً مَشَافِرُهَا

خُضراً قَرَّاسِيْهَا فى الرُّغْلِ وَالْيَنْمِ)^(٣)

الرغل والينم^(٤): نبتان. أما ابيضاض مشافرها فإنهم لا يهتئونها الرغى، من
حثم إياها، ومواقعتهم السير، فلا تبلغ من الرغى اليسير أن يخضر مشافرها،
إنما كانت تخضر لو أنعمت الرغى.

ويدلك على صحة ماذهبنا إليه قوله:

[معكومة بسياط القوم] نَضْرِبُهَا^(٥)

عن مَنبَتِ الْعُشْبِ نَبْغِي مَنبَتِ الْكَرَمِ

أولا تراه يصفها بأنه يَقْدَعُهَا^(٦) عن الرغى، ويحثها على المشى.

(١) من المجاز: فى يده كرم: إذا لم يبسطها للمعروف (أساس البلاغة).

(٢) يريد باللؤم هنا: البخل.

(٣) خدت الناقة: أسرع فى السير.

(٤) عبارة المحكم لابن سيده: البينة من أحرار البقول تنبت فى الجبال ودكاك الأرض لها ورق طوال لطاف

محدب الأطراف عليه وبر أغبر كأنه قطع الفراء وزهرها مثل سنبله الشعير وجها صغير. وقال أبو حنيفة:

البينة ليس لها زهر، وفيها حب كثير تسمن عليها الإبل والجمع ينم (المحكم ١٢: ٢٣٤ خط)

(٥) تمامه كما فى الديوان.

(٦) يقدها: يكلفها ويمتعها.

وأما اخضرار فراسينها فإلدامتها السير فى الكلا، وأنواع النبات الأخضر. وخص الرُّغْل واليَنَم لأنها مما يَغلب على منابت الحَمْض^(١).

(هُوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَأْشُقْ مَنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ)
أى ماشق عليك النظر إليه، والمشاهدة له، من أنواع المكاره فهوته على عينك، فكل موجود معدوم بعد وجوده، كان خيراً أو شراً.

وقوله: (فإنما يقظات العين كالحلم) أى كل ماتشاهد فى اليقظة فى قلة الدوام، فى منزلة مايشاهد فى الأحلام.

وإن شئت قلت إن المشاهدة فى اليقظة غير حقيقة، كما أن مشاهدة مافى المنام كذلك، مبالغة بقلة تحقق الأشياء. والقول الأول أسوغ وأبلغ.

(مَارِلْتُ أَضْحَكِ إِبْلَى كَلِمًا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمٍ)^(٢).

يذهب إلى احتقار كافور حتى إن إبلة لتزدرى مقصوده، فتضحك منه ومن القاصد. يقول: إلى مثل هذا الصنف أعملنا وجهدنا، حتى اختضبت بالدم أخفافها، وأراد إلى مَنْ اختضبت أخفافها بدم إليه فحذف الجار والمجرور، وحُسن حذف ذلك، لأن (إلى) قد ظهرت فى الكلام، وإن لم يكن من سبب تلك المحذوفة. ونحوه ماأنشده سيبيوه^(٣):

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبْيَكَ يَعْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ
أراد يتكل عليه:

ونسبة الضحك إلى الإبل مثلاً شعري غير حقيقى، لأن الضحك خاصة للإنسان، والخاصة لاتتعدى مخصوصها.

(١) الحمض من النبات: كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له نحو النجيل والرمث والطرفاء. والخلة من النبات ماكان حلوا. والعرب تقول: الخلة: خبز الإبل والحمض: فاكهتها. ويقال: لحمها (اللسان - حمض).

(٢) هذا البيت متقدم فى الديوان على البيت الذى قبله.

(٣) انظر ماسبق عن هذا البيت فى آخر المقطوعة ١٢٦.

وله أيضا:

(وبالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنَا غَيْرَ أَنْتِي

جَنَّاها أَحْيَائِي واطرافها رُسُلِي)^(١)

يُغْرِبُ بذاته في العشاق، وبحبائبه في المعشوقات. أى أنه لانتظير له في الحب، لأنى إذا ذكرتُ البيض في شعري، لم أَعْنِ النساء، وإذا ذكرتُ السُّمْر؛ فإنما أعنى الرماح، ولكن إنما أحبائى الأرواح التى تجنيها لى من أجسام أعدائى^(٢)، (واطرافها رُسُلِي)، أى أسنتها هى التى تقوم مقام الرُسُل إلى الأحباب. أى إنما أتوصل إليها بها، كما أتوصل إلى المحبوب بالرسول.

وجعل أرواح عِداه جنئى على المثل^(٣)، لأنها حياة فى الحقيقة، لأن الحياة نوع من النامى، والروح عندنا ليس بنام، وأراد رُسُلِي فحَقَفَ، وهى لغة تميم.

(فَمَا حَرَمْتُ حَسَناءَ بِالْهَجْرِ غَيْطَةً

وَلَا بَلَّغْتُهَا مَنْ شَكَى الْهَجَرَ بِالْوَصْلِ)

ويروى (بما حَرَمْتُ حَسَناءَ)^(٤) نَهَى عن الحرص على النساء، أى إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقعاً عندها، وأنشط لها، فزادت الغيبة. فإذا لم تُحَرِّمْ هى، فهجرتك^(٥) إياها إذا عادت الغيبة بوصلك لها، بعدَ هجرِك إياها: أبلغ وإذا شكوتُ إليها الهَجَرَ وتذللْتُ هُنْتُ عليها، فمنعتك وصلها.

(١) من تصيلة له بديوانه ٥١٨ أولها

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

(٢) فى م: من الحسام أعداء وفى ت: (من حسام) ونظنهما محرفين عما أثبتناه .

(٣) أى على الاستعارة.

(٤) هى رواية الواحدى والعكبرى والديوان.

(٥) لا يخفى ساقى العبارة من ضعف. يريد أن المرأة المعشوقة إذا لم تحرمك وصلها فأعرضت أنت عنها، كأن إغراضك عنها فى هذه الحالة أبلغ أثرًا فى حسن رعايتها لك عندما تقبل عليها. لأن المرأة تهاب الرجل القوي ويهون عليها الرجل الضعيف.

وأما رواية من روى (فما حَرَمَتْ حَسَنَاء) وهى الصحيحة، فمعناها: لم تحرم امرأة محبوبة محبتها غيبة بهجرها إياها، ولا بلغت شاكياً شكى إليها هجراً غيبة بوصلها إياها.

يذهب الى التهاون بأمر النساء، أى إنهن لا يتجن بهجرهن لك عدم غيبة، ولا بوصلن إياك وجودها. والهاء فى قوله: بَلَّغَتْها: عائدة إلى الغيبة، أى ولا بَلَّغَتْ مُحِبُّها غيبة يوصلها له. و(مَنْ) فى موضع نصب، لأنه مفعول ثانٍ لِبَلَّغَتْ.

وإن شئت كانت «مَنْ» هو المفعول الأول، و(ها) من (بَلَّغَتْها) هو المفعول الثانى. وهذا كما تقول: كَسَوْتُ زَيْداً الثوب، وكَسَوْتُ الثوبَ زَيْداً. و(حَسَنَاء) هاهنا: صفة أقيمت مقام الموصوف، أى امرأة حسناء. وقد غلبت هذه الصفة غلبة الأسماء، وهى من باب (فعلاء) التى لا أفعل لها من جهة السماع.

ـ ١٣٢ ـ

وله أيضاً:

(تَعَسَّ المَهَارَى غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَاً بِمُصَوَّرٍ لَيْسَ الْحَرِيرُ مُصَوَّرًا)^(١)

تَعَسَّ المَهَارَى: دعاء على نوع المهارى، وهى إبل منسوبة إلى مهرة بن حَيْدَان. وإنما دعا عليهن، لأنهن جُنْدُ البَيْنِ، ومُقَطَّعةٌ ما بين الحبيبين. أى اتَّعَسَهُنَّ اللَّهُ فلا انتعشن. ثم استثنى منها (المَهْرَى) الذى ركبتة محبوبته.

وقد كان أولى أن يُدْعَى عليه من سائر المهارى، لانفراده بالحبيب، وحمله إياه، لكن استثناه، لأنه يحمله فيقيه الرجل^(٢)، وما يلحق معها من الكسل والكلل. وقوله: (بِمُصَوَّرٍ): أى بِسُتْرٍ رُقِمَ عليه صورة شخص قد لبس حريراً مصوراً، ومن عادة عقائل العرب رُقْمُ الْحِجَال^(٣)، كقوله:

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حُبُّ الْغَنَاءِ لَمْ يُحْطَمْ^(٤)

(١) من قصيدة بديوانه ص ٥٢٢ والبيان ١٦١:٢ - ومطلعا
بادهواك صيرت أم لم تصبرا
ويكالك إن لم يجر دمعك أوجرى

والتعس: العثرة والسقوط على الوجه (اللسان - تعس).

(٢) الرجل (بضم الراء) المشى راجلاً (اللسان - رجل).

(٣) جمع حجلة وهى بيت كالحقة يزين بالستور. ورقم الحجال نقشها.

(٤) البيت لزهير بن أبى سلمى (ديوانه ١٢) وانظر جمهرة اشعار العرب للقرشى (ص ٤٨).

وذلك أن حب الفَنَّا أحمر، مالم يكسُر، فإذا كُسِر ذهب حمرة.

وإن شئت قلت: (بمَصُور): يعنى هُوْدَجاً عليه حرير مَصُور. وإنما جعل الهودج مصوراً، لأنه ذو شكل، وكل شكل مَصُور.

(نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِي سِتْرِهَا) (١) لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَ)

كان دُونَ هذا المحبوب سِتْر فيه صُورة. فيقول: حَسَدْتُ هذه الصورة على قريبها منه. فلو كنت مكان الصورة، أو كنت إياها: لَخَفِيتُ فَرَلْتُ عن وجهه، ليزول الستر، فتظهر للعيون.

فإن قلت: لا يلزم زوال الستر الحامل الصورة، لمكان زوال الصورة، لأن الصورة تخطيط موضوع فيه، والتخطيط عَرَضُ (٢).

قلنا: لو ارتفعت الصورة المنتقشة في ذات الستر، لارتفع الجوهر الحامل لها. وإنما ارتفاع التخطيط عن المخطوط، وبقاء الجوهر بعد ذلك مُتَوَهِّمٌ لَا مَوْجُودٌ.

وإذا تأملت البيت فهو شعري لا حقيقي، لأن من الصور الموضوعة في الثياب ما يمكن إزالته، ومنها ما لا يمكن وأحسن مافى ذلك أن يقال: إن المتنبى عنى الصورة بالخرقة الحاملة لها.

(لَأَتَّزِبَ الْأَيْدَى الْمُقِيمَةَ فَوْقَهُ كِسْرَى مُقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَ)

كِسْرَى وكِسْرَى: لغتان واختار ابن السكيت الكسر وقالوا: تَزِبَ الرجل: قل ماله، واترب: كثر ماله أى لا تفتقر الأيدى المصورة التى أتقنت هذه الصورة صنعا، وأجادتها وضعا، فأقامت كِسْرَى وقَيْصَرَ مَلِكِي فارس والروم لها مُقَامَ الْحَاجِبَيْنِ، فحجباها. وإنما عنى بذلك صورتيهما لا ذواتهما، لأن ذلك ليس فى الإمكان، إذ الصورة الصناعية لا تقبل طبيعة الحيوان.

(١) رواية الديوان والخبيران: (ستره).

(٢) فى ت : لأن الصورة تخطيط عرض

(وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِذَا اغْتَدَتِ رُؤُودُهُمْ لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرًا)

الرُّؤَادُ: منتجعو الكلا، وافتراق العرب من حلالها^(١) إنما هو للنجعة^(٢) بهم^(٣)، يقدِّمون الرُّواد ليخبروهم بمواقع الماء في مواضع الكلا. وفي المثل: «لا يكذب الرائد أهله». فإذا أخبرهم بوجود ذلك طَعَنُوا. وأن أخبرهم بعدمه، سكنوا فلم يظعنوا. فَإِنَّهُ إنما سبب الفراق نزول المطر، وظهور الخَصَر. فيقول: لو كان في قوتي أن تطيعني السحاب، لنهيتهن عن المطر، لئلا يجد رائداهم أرضاً مُحْصَبَةً، ولا روضة مُقْشَبَةً، يدعوهن إليها، ويدلُّهن عليها فلو كان ذلك من قوتي لم يفارقوني.

(فَإِذَا السُّحَابُ أَخُو غُرَابٍ فِرَاقَهُمْ جَعَلَ الصَّيَّاحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُفْطِرَا)

هذا البيت تفسير للأول، وهو عندي داخل في نوع التضمين، وإن لم يكن منه على الحقيقة، وذلك أنه محمول على المعنى. أراد: لأنى تأملت بينهم، فوجدتُ سببَهُ إنما هو النُّجعة. وهو كقوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجِيًّا)^(٤) أى فضرب فانفجرت، فكذلك أراد المتنبي: لأنى تأملت فإذا الأمر كذا، لأن المطر إذا وافى، خرجوا في إثره منتجعين له، فصار السحاب بمنزلة الغُرَاب، فى أن أمطارَه مشعرة بالبَّيْن، كما أن صياح الغراب معلن بذلك عند العرب، وجَعَلَهُ إذنُ غرابٍ فراقهم، ذهاباً إلى شَبَّه به، لأن الآخرين فى غالب الأمر متشابهان. أى أقام السحاب والأمطار مقام صياح الغراب، فى الإيذان بِنَوَاهِم، ويُعَدُّ مَتَوَاهِم (جَعَلَ) هاهنا، بمنزلة صَيَّر، فى متعدياً إلى مفعولين؛ كما أن صير كذلك. وذكر السحاب لأنه مما ليس بينه وبين واحده إلا الهاء وسوِّغَ التذكير فى هذا الضرب من الجمع خروجه إلى شكل واحده^(٥).

(١) الحلال: جمع حلة: وهى جماعة بيوت للقوم متدانية.

(٢) النجعة: طلب الكلأ والمرعى.

(٣) الكلمة ساقطة من ت. والباء بمعنى اللام أى لطلب الكلأ لهم.

(٤) الآية ٦٠ من سورة البقرة.

(٥) فى م: (شكل الواحد) والمراد أنه لا يفرق بين صورته وصورة واحده إلا (الهاء) فى الواحد. فليس هو إذن من الجمع الذى كسر لفظ واحد فى جمعه.

(يَحْمَلْنَ مِثْلَ الرُّوضِ إِلَّا أَنهَا أَسْبَى مَهَاً لِلْقُلُوبِ وَجُودُزَا)

شبه ما على الهودج من الحرير المزين، والوشى الملون؛ بالروض الذى سارت فيه إبلهم، فى تَزَاهَى نواويره^(١)، وَتَخَابُلِ أَزاهيره. وَالْمَهَا: وهى بقر الوحش؛ عقائل^(٢) الخمائل الأريضة والحقوف^(٣) المريضة؛ كقول ابن مقبل يصف بقرة وحشية:

عقيلة زملٍ دافعت فى حُقُوفَةٍ رَحَاخَ الثُّرَى والأَقْصَوَانِ المُدِيمَا^(٤)

فلما جعل الوشى وما على الهودج من صنوف الرُقم بمنزلة الرياض، جعل مايسُتَره من النساء بمنزلة المَهَا والجَازِر. وذلك فى النَّجْلِ وَالْكَحْلِ. ثم استثنى فقال إِلَّا أن ماعلى هذه الهودج من هذه المَهَا أَسْبَى مَهَاً وَجُودُزَا للِفُؤَادِ، من هذا الروض الباقي. فكأنه قال فى كل ذلك: سِرْنِ فى الروض بمثل نقوشه، من رُفُومِ الهُودَاجِ، وَحَمَلْنَ مثْلَ وحشها من رِبَاتِهَا، كقول البحرى:

لما مَشَّيْنِ بِذِي الأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ أَعْصَانٍ بِهِ وَقُدُودِ^(٥)

فى حُلَّتَى حَبِرِ وَرُوضٍ فَالْتَقَى وَشْيَانِ وَشَى رُبَاً وَوَشَى بُرُودِ

ومثله قوله: أعنى المتنبي:

إذا سَارَتْ الأَحْدَاثُ فَسَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاوَحَ مِسْكُ الغَانِيَاتِ وَزَنْدُهُ^(٦)

وأراد: أَسْبَى مَهَاً لِلْقُلُوبِ، وَجُودُزَاً مِنْهُ فَحَذَفَ (مِنْ) ومثله كثير.

(١) ثَوْر الشجر: زهرها. وَالثَّوْر: زهرالنبات أَيْضاً. والواحدة ثَوْرَةٌ. ويجمع الثَّوْر على أَنْوَارٍ وَثَوَارٍ.

(٢) العقائل: جمع عقيلة وهى المرأة الكريمة المخدرة.

(٣) الحقوف: جمع حقف وهو المعوج من الرمل.

(٤) البيت لابن مقبل فى اللسان (دوم) بهذه الرواية. وأنشده فى (ديم) برواية (ريسية ومل....) ورواها كذلك فى مادة (رخيخ) (ريسية حر) ويقال أرض مديسة أصابنها الديم. ورواخ الثرى: ملان منه أى أنه

لم يصيبها من الرخاخ شئ. (٥) البيتان من قصيدة مطلعها :

«شغلان من عزل ومن تنفيد».

(٦) من قصيدة للمتنبي أولها:

«أود من الأيام مالا توده»

(فَبِلِحْظِهَا نَكِرْتُ قَنَاتِي رَاحَتِي ضَعُفًا وَأُنْكِرُ خَاتِمَائِي الْحِصْرًا)

أى بليت بعشقتها حتى بليت؛ فضعفت راحتي، عن حمل قناتي، فأنكرتها كأن القناة تقول : ليست هذه اليد التى عهدتها، ولا القوة التى شهدتها؛ وكذلك نكّت خنصري؛ ورقت عن خاتمي؛ حتى أنكرها، لما رأى فيها من خلاف ما كانت عليه. وأراد: وأنكر خاتمي؛ فوضع الاثنين موضع الواحد، كقول امرئ القيس:

وَعَيْنُ لَهَا حَذْرَةٌ بَذْرَةٌ شُقْتُ مَا قِيَهُمَا مِنْ أُخْرٍ^(١)

وهذا الضرب من الاتساع وعكسه كثير؛ ونكّر وأنكر لغتان فصيحتان؛ جمع بينهما فى بيت واحد. وهذا من غريب الصنعة الشعرية.

(أُمَى أَبَا الْفَضْلِ الْمُبِيرِ الْيُسْتِي لَا يَمْنَنْ أَجَلَ بَحْرِ جَوْهَرًا)

أى اقصدى أيتها الخيل أبا الفضل؛ الذى لما حلفت فقلت: (لأيمنن أجل بحر جوهرًا) والله أو غير ذلك من أنواع المقسم به، ثم قصدته؛ فآلفيته أجلاً للبحر جوهرًا، أبرّ بذلك يميني. وقوله لايمنن أجل بحر. تفسير الآلية^(٢).

(أَفْتَى بِرُؤْيَيْهِ الْأَنَامَ وَحَاشَ لِي مَنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصِرًا أَوْ مُقْصِرًا)

أى لما حلفت لأيمنن أسئى البحور جوهرًا، لم أعلم أى البحور هو وقد لزممتي الآلية؛ فاستفتيت فقهاء الأنام ومتفلسفيهم؛ فافتوا به وقالوا:

إذا يمت أبا الفضل ابن العميد؛ فقد برزت لأنه أجل بحر جوهرًا؛ وجلالة الجوهر كناية عن جزالة العطاء ولو قال: أفتى بأمة الأنام فاتزن له؛ لكان أشدّ تطابقاً لما قبله؛ ولكن لم يستقم فيه الوزن، وسوّغ ذلك أنه إذا كانت رؤية فقد كان أم وهذا لا ينعكس، لأنه قد يكون أم ولا رؤية.

(١) من قصيدته «أحار بن عمرو كأتى خمر» وأنشده ابن منظور فى اللسان (بدر) والحدرة: العين الواسعة وبدره تامة كالبدر.

(٢) الآلية الجلف، والجمع الألایا ومعناها: البمين والجلف. قال الشاعر:
قليل الألایا حافظ ليمينه
فإن سبقت منه الآلية برت
والى إیلاء مثل أتى إيتاء: إذا حلف (اللسان والمصباح المنير)

(خَنَتَى الْفُحُولَ مِنَ الْكُمَاةِ بِصَبْغِهِ مَايَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعْصَفَرًا)

(خنثى الفحول من الكماة): خَنَتَ اللَّهَ الْخَنِثَ^(١): خلقه خُنْثَى. وهو الذى لا يخلص إلى الإناثية، ولا إلى الذكورية. والمعصفر: من زىّ الإناث، وذوى الانخنث^(٢) فيقول: صَيَّرَ الْفُحُولَ مِنَ الْكُمَاةِ إِنَاثًا، بصبغة مايلبسون من الدروع والجواشن والبيض بالدم. فزَيَّاهم زَيّْ النساء، والحقهم بهن فى الجُبْن؛ بما ألقى فى قلوبهم من الرعب.

(فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ)

خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعَيُونِ كَلَامَةً كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَ)

أى أن حسادك لم يجدوا بدءاً من أن يدعوك رئيساً؛ إذ لو جحدوا ذلك لما جومعوا عليه؛ ولا طوعوا بالإجابة إليه. لكن لم يبلغوا الغاية فى إنصافك، حين لم يسموك الرئيس الأكبر. وأنصفك خالقك؛ فدعاك بما قصروا هم عنه؛ فدعاك الرئيس الأكبر. ثم أقام البرهان على هذه الدعوى الحقيقة. فقال: لك صفات توجب لك أن تسمى الرئيس الأكبر؛ فكانها حُطَّ فيها حكاية قوله تعالى: إِنَّكَ رَئِيسٌ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ.

(وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً الشَّمْسُ تَشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنَهْورًا)

الْكَنَهْوَرُ: السحاب المتراكم: أنشد سيبويه:

كَنَهْوَرُ كَأَنَّ مِنْ أَعْقَابِ السَّمِيِّ^(٣)

(١) جاء فى المصباح: خَنِثَ خُنْثًا (من باب تعب): إذا كان فيه لين وتكسر ويعدى بالتضعيف فيقال: خُنْثَهُ

غيره: إذا جعله كذلك. (٢) الانخنث: الخنثى والتكسر، وهو من فعل النساء ومن تشبه بهن والخنث (كفرج): صفة من خُنِثَ يَخْنُثُ خُنْثًا.

(٣) بيت من الرجز لأبى نخيلة السعدى كما فى سيبويه (الكتاب ٢: ١٩١) واللسان كنهروا وأنشد المنصف (شرح الامام ابن جنى لتصرف المازنى ٢: ٦٨) برواية.

(كنهروا كانت من أعقاب السمي)

والبيت من شواهد سيبويه بتخفيف (ياء) السمي. وأصلها بالتشديد (سمي) فخفف للقافية. والكنهور: السحاب المتراكم. ومفرده: كنهورة.

وفى المصباح المنير (سما) والسما: تذكر وتوث. والسما: السقف: مذكر والسما: المطر (مؤنثة) لأنها فى معنى السحابة وجمعها (سمي) على فعول.

وإشراق الشمس^(١) وتكاثف السحاب، فضيلتان ضِدَّيتان. والضدان مختلفان؛ لا مؤتلفان. ومُعْتَقَبان لا ملتقيان. وهذا الممدوح قد جمع إشراق الشمس، وتكاثف السحاب، لأنه مستبشر الوجه جميله، مستبشر النيل جزيله؛ فالإشراق بشره وجماله، والأمطار برّه ونواله، وهذا كقوله فيه:

وأحسنُ ذى وجهٍ، وأسمحُ ذى يدٍ وأشجعُ ذى قلبٍ، وأرحمُ ذى كيدٍ^(٢)

فجعله حسناً سمحاً بهذا، كوصفه إياه بالشمس والسحاب؛ فيقول: ليت هذه الباكية التي أبكاها نواى عند وداعها إباى، شهدت ماشهدته من هذه القضية؛ فتعذرني فيما رأتني عليه؛ من اجتماع النية؛ وإزماع الطيئة^(٣)، إلى هذا الممدوح؛ لمشاهدة مافيه من الأمر العجيب، والفضل الغريب.

وقوله: (الشمسَ والسحابَ)، بدل من الفضيلة، وهو محمول على المعنى، لأن معناه، فترك فضيلتين لا تترادآن، على ماهما به من كونها نوعين متضادين؛ ولو قال (الشمسَ والسحابَ) لكان حسناً، لكنه تَمَّ بقوله: (تشرق) لقوله: (كَنَّهُوَرًا)، إذ قد تكون الشمس مع السحاب، إلا أن كل واحد منهما غير متناه فى صفته؛ فإذا وقع التناهى، فكانت الشمس مُشْرِقةً، والسحاب كَنَّهُوَرًا، لم يمكن اجتماعهما.

- ١٣٣ -

وله ايضا:

(كَلَّمَا قَالَ نَأَائِلُ أَنَا مِنْهُ سَرَفَ قَالَ آخَرُ ذَا اقْتِصَادُهُ)^(٤)

أى كلما استعظم منه نائل يُعَدُّ سرفاً، أعقبه نائل أعظم منه يُعَدُّ ذلك النائل الأول الذى كان يَسْتَسْرِفُ اقتصاداً، بإضافته إلى الثانى، وليس للناثلين منال، لكن القول لما كان من أجلهما، نَسَبَ القول إليهما.

(قَلَدْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ اغْقَبْتُ مِنْهُ^(٥) وَاحِداً أَجْدَادُهُ)

(١) فى اللسان (شرق): يقال: شرقت الشمس: إذا طلعت وأشرقت: إذا أوجعت بعد الارتفاع.

(٢) البيت من قصيدة له. أولها: (نسيت وما أنسى عتاباً على الصد).

(٣) الطيئة: النبتة والوجه الذى يريده الإنسان.

(٤) من قصيدة يهين فيها ابن العميد بيوم النيروز أولها: «جا نوروزنا وأنت مرادة».

(٥) يريد أن (من) فى قوله (أعقبته منه) أى من جنس هذا السيف.

أى تُسبب إلى الهند، كما ينسب الشريف إلى الجد.

يقول : إن الهند لم تُطَبَّع له نظيراً يكون له ثانياً، فقد أعقبت مئة واحداً،
(ومن) هاهنا للجنس. ولولا القافية لقال: أبأوه، مكان قوله (أجدأه)، لأن الجد
أعم من الأب، فكل جدّ أب، وليس كل أب جدّاً.

(كَلِمَا اسْتَلَّ ضَاكَّهٖ إِيَّاهُ^(١)) تَرَعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرَادَتْ

أى كلما استلَّ هذا السيف، ضاكنه أنوار فرنده، تدعى الشمس أنها أرأته،
واراد الضحى: ماؤها ورونقها. فيقول: الشمس تدعى أنها من ماء هذا السيف،
واراد أنها أرأته من أجلها، أى من أجل الإيابة وقد يجوز أن يكون الأَرَاد هنا:
جمع ريد، وهو التُّرب والمِثْل، والأول أسبق.

(مَثَلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَيْفَةُ الْفَقْدِ) دَرَفِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِعْمَادُهُ

أثر السيف: فرنده. يقول: حَلَّوْا جَفْنَهُ بِالْفَضَّةِ، فهو يحكيه بياضاً وصقلاً،
وعلى الفضة نقش سواد، يحكى أثره تَقَشَّا، فكانهم إنما فعلوا ذلك، لأنهم لم
يصبروا عنه لجماله حين واره الغمد، فصوروا عليه مثل صورته، لنلا يفقدوه
البتة، هذا معنى قوله: خشية الفقد، أى خشية فقده.

(فَرُسْتُنَا سَوَابِقُ كُنْ فِيهِ) فَأَرَقَتْ لِبَدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهُ

فَرُسْتُنَا: يعنى هذه الخيل السابقة، التى جاءت مع السيف، فى جملة عطايا
أبى الفضل. وقوله: كُنْ فِيهِ، (الهاء) راجعة إلى النَّدَى (فارقت لبده): أى فارقت
سرج هذا الممدوح إلى سَرَجِي، واللَّبْد ليس بكلمة السَّرَج، ولكنه طائفة منه،
فكُنَى به عن كَلِّه، ومثله كثير. (وفيها طرادُهُ): أى ذكرها سائر فى الأرض،
فكانها بعد فى طراد، وإن استراحت لدينا. وإن شئت قلت: إن هذه الخيل تغيظ
الأعداء، وتخشى الحساد، وتعين على التُّوب، فكانها غير مُنْفَكَّةٍ مِنَ الطَّرَاد، وإن
كانت مستريحة، لأن ذلك عملها بالقوة.

(١) إِيَّاهُ الشَّمْس: ضروها وشعاعها، والأَرَاد: جمع رأد وهو الضوء.

وقيل : (وفيها طرادُه): أى قد صرْتُ فى جُملة عبيده وعديده، فإذا سار إلى موضع سرت معه، وطاردت بين يديه، فكأنه هو المطاردُ عليها، لأن ذلك بأمره ولطلب الحطوقعنده. (وفيها): بدل من (عليها) وقد يجوز أن تكون (وفيها طرادُه): أى وفيها ماعلمهما من علم المطاردة والغدو بفُرسانه.

(وَأَحَقُّ الْغُيُوثِ نَفْساً بِحَمْدٍ فِي زَمَانٍ كُلِّ النَّفُوسِ جَرَادُهُ)

أى زادتنا الأيام بك إعجاباً، ولك استغراباً، وذلك أنك وال فى زمان يأخذ فيه كل وال أموال الناس، فهم كالجراد الذى يحشك الزرع والربيع والبُسر. وأنت تَبْدُر مالك، فكأنك غيث تنبت لهم المراعى وغيرك جراد يَجْرُدُها. وهذا كقول ابن أبى عَينَةَ^(١) يهجو المهلبى، ويمدح أباه:

أبـوك لنا غـيـثٌ نـعـيش بِنـبـتـه وأنت جـرادٌ لست تُبـقى ولا تـذُرُ
(عَدَدُ عِشْتِهِ يَرَى الْجِسْمَ فِيهِ أَرْبَا لَا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهُ)

يصف هذه القصيدة التى مدح فيها أبا الفضل؛ وأهداها إليه فى النيروز، فيقول: هى أربعون بيتاً، وهى عدد السنين التى إذا تجاوزها الإنسان نقص عما عهده عليه فى جسمه، من أحواله فى قلبه وتصرفه. فلذلك اخترت لهذه القصيدة هذا العدد تفاؤلاً لك بالصحة، واستكمال قوتك .

وقيل: كانت سن الممدوح حينئذ أربعين، وهى ترى الجسم من استكمال القوة وبلوغ الأشد أرباً لا يراه فيما يُزَادُهُ من السنين، بعد الأربعين لأنه بعدها كل عام أخذ فى التحول ومنعكس إلى التحلل.

(١) هو محمد بن أبى عبينه المهلبى وكان يهجو ابن عم يدعى خالداً (الأغانى ٢٠: ٦٣).

وله ايضا:

(نَسِيتُ وَلَا أُنْسِي عِثَابًا عَلَى الصَّدِّ وَالْأَخْفَرُ زَانَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ)^(١)

الخَفَرُ: شدة الحياء، وهو من عِلَلِ حُمْرَةِ الْخَدِّ. وقال: زادت به حُمْرَةُ الْخَدِّ، ليشعر أن هناك حمرةً طبيعية سوى الحمرة التي يولدها الحياء، لأن حمرة الحياء عَرَضٌ سريع الزوال، إذا زال الحياء زالت. وكذلك مثَلْتُ به الحكماء الأمراض السريعة الانتقال، فقالوا: ذلك كحُمْرَةِ^(٢) الخجل، وصفرة الوجل.

(وَلَا نَيْلَةَ قَصْرُثُهَا بِقَصُورَةٍ أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعَقْدِ)

قَصْرُثُهَا: جعلتها قصيرة، أي ضد الطويلة. والقَصُورَةُ: المرأة المقصورة^(٣) المبنوعة، أراد قَصْرُثُهَا بوصول قَصُورَةٍ. وقصيرة لغة في قَصُورَةٍ.

(أطالت يدي في جيدها صحبة العقد): أي اعتنقتها معظم ليلي أو كلّه، فصحبت دواعي عقدها. واليد هنا: كناية عن كَلِيَّةِ الذراع، كقوله تعالى: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ)^(٤).

(فَإِمَّا تَرِينِي لَا أَقِيمُ بِبَلَدٍ فَاقَةَ غِمْدِي فِي دُلُوقِي مِنْ حَدِي)

أي بأنني سيف ماض كثير الدُلُوقِ من حَدِي. فغمدي متغيّر مُنْقَدٌّ، لكثرة تحريكه فيه وقلقي. وضربُ السيف مثلاً لنفسه، والغمد مثلاً لجسمه، والدُلُوقُ لحركته. أي تنقلني في البلاد يُشْجِنُنِي ويرثُ بَرْتِي وقد فسره بقوله بعد هذا.

(تَبْدُلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي نَجَائِبَ لِأَيْفُكِرْنَ فِي النُّحْسِ وَالسُّعْدِ)

(إِذَا لَمْ تُجْزِهِمْ دَارَ قَوْمٍ مَوْدَةٍ أَجَارَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوَدِّ)

(١) مطلع قصيدة له بديوانه (ص ٥٣٣) والتبيان (٥٩: ٢).

(٢) في م (الحمرة).

(٣) في الواحدي: القصيرة والمقصورة: المحبوسة في خدرها المبنوعة من التصرف.

(٤) الآية ٦ من سورة المائدة.

أى هؤلاء الفتية إذا مروا بقوم لا يودونهم، فراموا صَدَّهُم، حاربوهم، فاجازتهم الطريقَ رماحهم، «والخَوْفُ خيرٌ من الودِّ». أى لأنَّ خُافَ خَيْرٌ لك من أن تُؤدَّ وترحمَ، كقولهم فى المثل السائر: (رَهْبُوتُ خَيْرٌ من رَحْمَتِ)^(١).

ومن أمثالهم: (أَوْفَرَقَا خَيْراً من حُبُّين)^(٢): أى إذا فَرَّقوك فَرَقًا يكون ذلك الفَرَقُ خيراً من حُبِّين.

وهذا كقول دُوَيْدَ بْنِ نَهْدَ فى توصيته لبنيه: (أخيفوا الناسَ وارعوا الكلا).

وأراد: أجازهم القنا إياها، فحذف المفعولين لأن فى قوله: (إذا لم تُجِزْهم دار قوم)، ما يدل على هذا المحذوف، إذ دلَّ الأول على الثانى، والثانى عين الأول، فاستُجيز الحذف فيه، كقوله تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمُوتُ)^(٣) أى والسموات غير السموات، فحذف الثانى - الذى هو الأول المذكور فى المعنى - أولى.

(كَفَّانَا الرَّبِيعُ الْعِيسَى مِنْ بَرِّ كَاتِهِ

فَجَاعَتُهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سِوَى الرَّعْدِ)

أى كُنِينَا حُدَاءَ الْإِبِلِ بِرَعْدِ الرَّبِيعِ، لأنه قام لها مقام الحُدَاءِ بصوته، وقيل: كفانا الربيع العيسى: أى كان منه رَعْيُهَا وَشَرِيهَا وَحُدَاؤُهَا. ولوعده للربيع أياذى غير الرعد كما قال، لقال: فجاعته: أى رعت. وشربت؛ وجاعته. وإنما قال (فجاعته): فبين كيفية الكفاية، كما تقول: أحسنت إليك فوهبتك ألفاً، فهبة ألف تفسيّر للإحسان، وقوله: (لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ) جملة فى موضع الحال أى جاعته غير سامعة حُدَاءَ إِلَّا الرَّعْدَ.

وَالرَّعْدُ^(٤) هنا: مصدر من قولك: رَعَدَتِ السَّمَاءُ تَرَعْدُ رَعْدًا. ولا يكون الرعد الذى هو الجوهر المكنى فى قوله تعالى: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ)^(٥) لأن ذلك

(١) مجمع الأمثال (١: ٢٨٨) وأساس البلاغة واللسان (رحم) وقال: أى لأن تهرب خير من أن تُرحم.
(٢) مجمع الأمثال (٢: ٢٤٣) وفى أساس البلاغة (وَفَرَّقَ خَيْرٌ مِنْ حُبٍّ) أى أن تهاب خير من أن تحب.
(٣) الآية ٤٨ من سورة إبراهيم.
(٤) الرعد كما يقول علماء العصر ظاهره طبيعية تحدث قبيل المطر، وسببها انضمام نوعين من السحب مشحونتين بنوعين مختلفين من الكهرباء، بعضهما إلى بعض فعند ذلك تسمع قعقة الرعد. ثم ترى البرق.
(٥) الآية ١٣ من سورة الرعد، ومعنى الآية أن الرعد من الظواهر العجيبة الدالة على وجود الله سبحانه وعظيم قدرته. وهذه الظاهرة هى التى عبر عنها المؤلف (ابن سيده) بقوله:
(الرعد الذى هو الجوهر المكنى فى الآية).

لأُسمع بذاته، إنما يسمع صوته. والحداء عَرَضٌ، فمقابلته بالعَرَضِ أولى، وهذا دقيق فنفهمه.

(إذا ما استنَحَيْنَ^(١) الماءَ يَغْرِضُ نَفْسَهُ

كَرَّغْنِ بِسَيْتٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ)

يصف ما أمطرتهم به السماء من الماء، وأنبتت لهم الأرض من الربيع، في مُضِيِّهِمْ إلى أبي الفضل، لمكان بركته، وأن العناصر^(٢) تُعْظَمُ شأنه، وتعلو مكانه، فتسقى وُادَه، وتَرْغَى قُصَادَه. والسَّبْتُ. كل جلد مدبوغ وقيل: هو المدبوغ بالْقَرْظِ خاصة، وهو يُلَيِّنُ الجلود ويحسنها، حتى تُشَبَّهُ العَرَبُ مُسَافِرِ الإبل بها، فيقول: إذا مَرَّتْ هذه الإبل بهذه السيول التي غادرتها هذه الغيوث، ظَلَّتْ كأنها تعرض نفسها عليها. فكان الإبل مستحية منها، لإلحاح المياه عليها، بَغْرِضِهَا أنفسها، وقد أحاطت بها رياض الورد أو ما يشبه الورد، من ضروب الأزاهير، وأنواع النواوير. فهي تُدْخِلُ أكارِعَها فيه؛ وتَقْمِسُ مُسَافِرَها في تلك المشارب، متتعة من إفراط الحياء، بذلك الورد النابت. وإنما عني (بالسبت) هاهنا مشافرها، كقول طرفه:

وَحَدَّ كَقِرْطاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْقَرٍ كَسِبَتْ الْيَمَانِي قَدَهُ لَمْ يُحَرِّدْ^(٣).

وقيل: غَسَلَ الماءُ المستنقع في الأرض أخفافَ الإبل من الطين، حتى عادت كالسَّبْتِ في نقائها، وأنبتت حافات الغُدر زَهْرًا، فكان الماء: بعرض نفسه يترأى في إِنْاءٍ من الورد، والاول أولى.

(فَتَى قَاتَتِ الْعَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ فَمَا اَزْمَدَتْ أَجْفَانُهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ)

ضرب الرُّمْدُ مثلاً للعيوب المُعْدِيَةِ، لأنه داءٌ ربما أَعْدَى كَالْجَرَبِ ونحوه. فيقول: كثرت العيوب في الناس، لكنه سَلِمَ هو منها، فلم تُعْدِهِ، لشرف عنصره،

(١) استنحين (بالحاء) رواية ابن جنى وقد أنكرها أبو الفضل العروضي وقال: إنها تصحيف والصواب: (استجنين) بالجيم وقال إنه سأل عنها جماعة من الشيوخ الثقات العارفين بشعر المتنبي فقالوا: إنها بالجيم لا بالحاء.

(انظر تفصيل الكلام في المسألة في شرح الواحدي ص ٧٥٤).

(٢) العناصر: جمع عنصر وهو الأصل الذي تتألف منه الأجسام (التعريفات للجرجاني). ولعل ابن سيده يريد بالعناصر الظواهر الكونية كالرياح والمطر ونحوهما.

(٣) البيت من معلقة طرفه.

وصفاء جوهره. وقصد منه (العين)، توطئة لذكر الرمد الذى جعله مادة القافية، وحسن ذلك ما ذكرت لك من طبيعة الرمد فى العدوى.

(يُغَيِّرُ الْوَانَ اللَّيَالَى عَلَى الْعِدَا بِمُشْنُورَةِ الرَّايَاتِ مُنْصُورَةَ الْجُنْدِ)

أى يوقد النيران فى معكسر هذه الكتائب، فيغير من سواد الليل. ولما كانت النار إنما تُوقدها هذه الكتيبة، جعل التَّغْيِيرُ لها، إذ هى الفاعلة الحقيقية، والنار وإن كانت مُغَيَّرَةٌ، فإنها مفعولة للكتيبة، فهى الفاعلة على القصد الأول، والنار الفاعلة على القصد الثانى. فافهمه:

إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحاً رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ

كَتَائِبَ لَا يَرْدَى الصُّبْحُ كَمَا تَرْدَى

أى يترومَّ العدو المغزو بتلك النار صُبْحاً وهو يترقب حقيقة الإصباح، فتوافيهم هذه الكتائب مكان الصباح الذى ارتقبوه، وجعل الكتائب أسرع من الصباح عدواً^(١). وإن شئت قلت: إن مجئ الصباح غير مجئ الكتائب، لأن مجئ هذه مَشَى^(٢)، ومجئ الصباح طلوع، فلذلك قال: (لَا يَرْدَى الصُّبْحُ كَمَا تَرْدَى).

(يَغِضُّنْ إِذَا مَا عُدُنْ فِى مُتَقَاذَفِ

مِنْ الْكُفْرِ^(٣) غَانِ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشَنِ)

(يَغِضُّنْ): يَتَّعِدِمُنْ فلا يُوجِدُنْ. أى بعونك المتوجهة للغارة على عظيمها وكتائفها، إذا عادت إلى معظم جيشك، غاضت فيه كما يغيض النهر فى البحر، (ومتقاذف): جيش يقذف بعضه بعضاً، لكثرتهم والتقائهم، كقول الراجز فى صفة خصب وإبل:

(١) فى م: (غلوا) تحريف.

(٢) فى م، ت (مسي) تحريف.

(٣) فى م: (الكسر) وما اثبتاه من الديوان .

أَرَعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُوداً بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُوداً^(١)

أى يتقافز هذان الراعيان فى طول هذا المكان واكتماله، حتى ينادى كل واحد منهما صاحبه.

(غان بالعبيد): أى أن هذا الجيش متألف من عبيد ابن العميد. فقد استغنى بهم عن الحشد^(٢)، للقرئى. وأن يكون اسماً^(٣) أولى، ليطابق العبيد، لأن العبيد اسم. وقد قال أبو زيد الحشد: القوم المجتمعون؛ فهذا مما يقوى فيه الاسمىة.

(حَسَّتْ كُلُّ أَرْضٍ ثَرِيَةً فِى غُبَارِهِ فَهُنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِى الْبُرْدِ)

البرد: الثوب المؤشئ؛ وطرائفه مختلفة الألوان؛ أى فهذه الكتائب شتى^(٤) المطالب؛ بعيدة المذاهب؛ فهى تطا^(٥) لبعد مرامها؛ أرضين مختلفة أنواع التراب؛ اختلافاً لونيّاً؛ من بياض وسواد. فكل أرض تطوها تختلفى من غبار هذا الجيش بترابها؛ فتكتسب^(٦) بذلك ألواناً مختلفة؛ بحسب أنواع التراب؛ لكل نوع لون؛ فكان الغبار بُردً؛ وهذه ألوان فيه.

(وَكُلُّ شَرِيكَ فِى السُّرُورِ بِمُصَنَّبِحِي)

أَرَى بَعْدَهُ مِنْ لَأِيرَى مِثْلَهُ بَعْدِي

- (١) صدر وعجز لبيتين مختلفين أوردهما ابن يعيش فى شرح المفصل (مبحث المركبات ٤: ١٢٠) وهما :
أَرَعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُوداً الفصل والضم والعضد
والغاز باز السهم المجودا بحيث يدعو عامر مسعوداً
ولم ينسب أحد هذه الأبيات إلى قائل. وانظر اللسان (خوز) ويقال: أَرعى الله المواشى: إذا أنبت لها ما ترعاه وأرعاه المكان: جعل له مرعى (اللسان)
والسهم: العالى. والمجود: الذى أصابه الجود (يفتح الجيم) وهو المظر الغزير وعامر ومسعود: راعيان .
يريد أن الثبت طال وكثر والتف فوارى أحد الراعيين عن الآخر حتى لا يدري أحدهما مكان صاحبه، فهو يدعو ليتعين موضعه.
(٢) أى أنه اختار غلماناً ممن يثق بهم من أهل بلده. وهذا المعنى فى قول النابغة
ونقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتاب من غسان غير أشاتب
(٣) اسم راجع الى لفظ (الحشد) ومراد المؤلف بالاسم ما يقابل المصدر، لأن الاسم الجامد نوعان: اسم ذات مثل ذات وجيش واسم معنى وهو المصدر مثل الكتابة مصدر كتب.
(٤) فى م (مثنى) وفى ت (هى) وهو تحريف لما أثبتناه.
(٥) فى م (تطالبة) وفى ت (بعد مرامها أرضين) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.
(٦) الضمير فى (فتكتسب) راجع إلى غبار الجيش.

مُصْبِحَى: وَأَوَّانُ صَبَاحِي؛ أى وكل مشارك لى من أهلى فى السرور فى رجوعى وتصبيحى له؛ عند رؤيته ما أَقْنَانِيهِ^(١) لِقَاءُ هذا الممدوح من الثروة فأبى مع ذلك كله منفرد دُونَهُ بِأَثَرَةٍ^(٢)؛ وهى رُوَيْتِي هذا الممدوح الذى لا يرى هو^(٣) بعدى مِثْلَهُ. يقول: فأنا أكره أن انفرد بنوع من أنواع المَسْرَةِ دونهم؛ فإذا أنا أُبْتُ إليهم ورأونى، رأوا^(٤) من لانتظير له عندهم، كما أرى أنا الآن من لانتظير له، فاستَوُوا معى فيما نِلَقَهُ من الغِنَى وأدركته من المُنَى، ألا تراه يقول:

(وقد كنت أدركتُ المُنَى غيرَ اننى يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِذْرَا كِهْهَا وَحْدِي)^(٥)
وهذا كله اعتذار إلى أبى الفضل فى إثارة الرجل عنه. وإنما كان يريد التماذى إلى شيران، ثم الأَوَّابِ إلى أهله.

- ١٣٥ -

وله ايضا:

(أَوْهٌ بَدِيلًا مِنْ قَوْلَتِي وَهَأُ لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا)^(٦)
أَوْهٌ وَأَوْهٌ^(٧): كلمتا تَوَجُّعٍ وَتَفَجُّعٍ مَبْنِيَتَانِ عَلَى الكسر. ووَاهٌ: كلمة استطابة واستزادة. فيقول: أنا متوجع لفراقها بعد استزادتى وصلها واستطابتى إياها، لم أَقْنَعُ بهجر الدلال، حتى بُلِيتُ بفرقة الزوال. وقوله: (لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا) أى أعنى التى نَأَتْ بهذا التوجع (والبديل ذكراها)، أى ذكرأى إياها بدل منها. هى مفقودة وذكرأى لى موجودة.

(١) فى ت: (أعنتى فيه) تحريف والصواب ما أثبتناه وأقنانيه: أعطانيه للقبية وفى الصباح: أقناه: أعطاه وأرضاه.

(٢) الأثره (بضم الهمز وسكون الشاء): المأثرة (بفتح الشاء وضما) وهى المكرمة التى يتحدث بها الناس جيلا بعد جيل.

(٣) الضمير (هو) راجع إلى كل شريك. وفى عبارة ابن سيده غموض شديد بسبب اختلاف مراجع الضمان ولعل عبارة العكبرى فى التبيين أوضح من كلام ابن سيده. يقول العكبرى: كل من شاركنى فى السرور الذى جئت به من عنده من أهلى وغيرهم إذا عدت إليهم من عنده، وما حظيت به من النظر إليه، أرى أنا بعده - يعنى ابن العميد - من لا يرى هو (أى كل شريك) مثله بعد مفارقتى لأنه لا نظير له فى الدنيا.

(٤) أى رأوا الذى تفضل على بهذه الأموال إنسانا لانتظير له.

(٥) هذا البيت متقدم على سابقه فى رواية الديوان والتبيان وفيها (أتنى) مكان (أنه).

(٦) مطلع قصيدة له بديوانه (والتبيان ٤: ٣٦٩).

(٧) (وأه من كذا بالمد وكسر الهاء ... وأنظر اللسان والمصباح المنير - أوه)

(أَوُمٍ لِمَنْ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَصْلُ وَاهٍ وَأَوُمٌ مَرَاهَا)

أى إنما أرجع هذه الكلمة التى معناها التوجُّع والتفجُّع لفقدى رؤية محاسنها (وأصل واه وأوه مرأها)؛ إنما كان سبب استطابتي إياها وتوجعى بناوها، رؤيتى لها. وذلك أنى رأيتهافهويتها، ووصلتُ فاستطبتها ونأت فتأوَّهتُ لها.

(شَامِيَّةٌ طَالِمًا خَلَوْتُ بِهَا ثُبَصِيرٌ فِى نَاضِرٍ مُحْيَاهَا)

شامية: منسوبة إلى الشام. يقال: شام وشأم. وناظر العين؛ إنسانها والمحيأ. الوجه. أى هذا المحبوبة شامية خلوت بها طويلاً، فاستمتعت بوصالها، واستكثرت نوالها.

(فَقَبِلْتُ نَاضِرِي تَغَالِطُنِي وَإِنَّمَا قَبِلْتُ بِهِ فَاهَا)

أى كانت تنظر إلى عيني، فشخص لها صورة وجهها فى ناظرى، والغم جزء من الوجه. فكانت ترى فاهاً فى جُملة وجهها المرئى فى ناظرى، فكانت تقبل الناظر مُرِيَّةً أنها تُريده، وإنما كانت تريد فاهاً، فتقبله بالناظر، كما كانت فى المرأة لأن الناظر عضو مجلُّ متشخص فيه الصورة، كشخصها فى المرأة.

(فَلَيْتَنَهَا لَا تَزَالُ أَوِيَّةٌ وَلَيْتَنَهُ لَا يَزَالُ مَاوَاهَا)

أى ليت صورتها لاتزال أويَّة ناظرى. يقال: أويت المكانَ، وأويت إليه، وذكر أوية^(١)، وكان الحكم أويته نهاباً إلى الشخص أو الشكل أى وليت الناظر لايزال مأوى هذه الصورة.

وهذا البيت مشتمل على قضيتين، ترجعان إلى قضية واحدة، لأن التمنى الأول هو التمنى الثانى.

(لَقِينِنَا وَالْحُمُولُ سَائِرَةٌ وَهُنَّ ذُرٌّ فَذُبْنُ أَمْوَاهَا)

لقيننا: يعنى هؤلاء الظُّعُن^(٢). والحمول سائرة بهن يعنى الإبل بما عليها من الهوداج، وهن ذرارى، رقت بِشَرَاتُهُنَّ وصَفَّت، فهن كالذرِّ. وأراد مثل الدر فبالغ

(١) هذه العبارة غامضة، ولعله قد سقط منها بعض كلمات.

(٢) الظعن (بضمين) والظعائن: جمع طعينة؛ اسم المرأة فى اليهودج.

حتى جعلهن الدرّ نفسه^(١). ولابد من اعتبار (مثل^(٢)) لأنهن لا يكن درّاء، لأن الدرّ جماد؛ وهن حيوان ناطق.

وقوله: فذُبُنْ أمواها: أى بكن لما سارت بهن الإبل. فلما كانت دموعهن كبشراتهن التي شاكلت الدر، رقة وصفاء، ظنّهن درّاء ذاتباً، وهذا كقوله هو:

أوفى فكنّت إذا رميت بمقلتي بشراً رايت أرق من عبّراتها^(٣)

وقوله: أمواها^(٤): منصوب على الحال، وإن كانت الأمواه جوهرأ فقد يكون الجوهراً حالاً.

حكى سيبويه^(٥) عن العرب (العجب من بُرّ مررنا به فقيرأ بدرهم) قال: قد يكون خبراً مالا يكون صفة. يعنى بالخبر الحال؛ وقال: هذا بُسرأ أطيب منه رطباً. وفى التنزيل (هذه ناقة الله لكم آية^(٦)) ومثله كثير.

وقال: (ذُبُنْ) وإنما يعنى دموعهن لكن ادّعى أن الجملة قد عادت ماء مبالغة.

(أو عبّرت هجمة بنا ثركت تكوس بين الشروب عقّراها)

الهجمة: القطعة من الإبل، قد اختلف فى عددها. ف قيل: مابين السبعين إلى المائة. وقيل أولها الأربعون؛ إلى ما زادت. يصف شُرّيه وقراه الأضياف؛ فيقول: تمر بنا إبلنا فنّعربها للضيّاف؛ حتى تكوس أى تمشى - على ثلاث وقيل تزحف على ركبها. قال الأعور الذّهاني يهجو غسان السليطي:

ولو عند غسان السليطي عرست رغا فريق منها وكاس عقير^(٧)

(١) ولذلك يسمى البلاغيون مثل هذا التشبيه (وهو در) بالتشبيه البليغ.
(٢) أى لابد من تقدير أداة التشبيه وهى (مثل والكاف ونحوهما) من الألفاظ الموضوعة للمماثلة والمشابهة.

(٣) البيت من قصيدته: «سرب محاسنه حرمت ذواتها».
(٤) يريد أن الحال لا تكون لفظاً جامداً وإنما تكون مشتقة، لكن قد تأتى الحال جامدة إذا أولت بالمشتق كقوله (أمواها) فإنها تؤول (بمائلة . وكقولك: كرعلى أسدا: أى مشبها أسدا).

(٥) انظر الكتاب لسيبويه (١: ١٩٨).
(٦) الآية ٧٢ من سورة الأعراف، ٦٤ من سورة هود.
(٧) أنشده اللسان (كوس) وقال قبله: الكوس: المشى على رجل واحدة، ومن ذوات الأربع على ثلاث قوائم. وقيل الكوس: أن يرفع إحدى قوائمه ويتزوى على ما بقى . وعقير: فعيل بمعنى مفعول أى معقورة قوائمه بالسيف.

و(الشُّرُوب): يجوز أن يكون جمع شرب؛ كشاهد وشهود، وساجد وسجود، ويجوز أن يكون جمع شرب، الذي هو اسم لجمع شارب عند سيبويه، وجمعاً^(١) له عند أبي الحسن^(٢). لكن أن يكون جمع شارب أولى؛ لأنه إن كان اسم جمع على مذهب سيبويه؛ فجمع اسم الجمع في القلة كجمع الجمع، من حيث كانا مشتركين في الدلالة على الجمع. وإن كان الشرب جمعاً على رأى أبي الحسن، فجمع الجمع قليل، لا يَحْمِلُ سيبويه صيغة الجمع عليه ما وجد عنه مُنْذَوحة، وإنما يقر بجمع الجمع إذا لم يجد سبيلاً إلى غير ذلك. ومن ثم ذهب الفارسي في قراءة من قرأ (فَرُّهُنَّ مَقْبُوضَةً)^(٣) إلى أنه جمع رَهْن؛ كسَجَلٍ وَسُجُلٍ، وَسُقْفٍ وَسُقُوفٍ، واستجاز هذا على قلته، كراهية أن يحتاج إلى أن يقول إن رَهْنًا: جمع رهان، ورهان: جمع رَهْن. وإنما ذلك من أبي على فرار من جمع الجمع. فلهمذا قلنا إن: (شُرُوب): جمع شارب، أولى من كونه جمع شَرَب، فافهمه.

(تَقْوُدُ مُسْتَحْسَنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقْوُدُ السُّحَابَ عَظْمَاهَا)

أى إذا اعتبرنا مآثره، وامتثلنا مفاخره، لَقُنْتُنَا مُسْتَحْسَنَ الْكَلَامِ فِيهِ، وقادته لنا، كما يقود السحاب سحاباً.

(لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لَسَأَلْتُهُ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا)

أى لو شعرت خيله أنه إنما يُعِدُّهَا للهبّة، وأنه إنما يهب منها الْخِيَارَ المرضيّة؛ لم تَرْضَ هذه الخيل أن يُرَى عنها راضياً، لأن مَارَضِيَّ منها موهوب لآله، ومبذول لسانله.

(تَسْرُطُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ ثُمَّ تُزِيلُ السُّرُورَ عُقْبَاهَا)

الكرائن: جمع كَرِينَة وهى المغنّية. والكران: العود. أى إن الكرائن إذا غنينه أطربته، فوهب لَهْنٌ، وسَرَّهْنِ بذلك. ثم تجاوز الطرب ذلك الحدَ فَيَهَبُهُنَّ جميعهِنَّ^(٤) للشُّرُوب فيأَسْنَيْنَ لفراقه، فتزيل عُقْبَى الطرب سُرُورَهُنَّ لهبته إياهنَّ

(١) فى ت: (وجمع بالرفع. وتقديره: وهو جمع.

(٢) هو الملقب بالأخفش الأوسط. وانظر ماسبق من ترجمته.

(٣) الآية ٢٨٣ من سورة البقرة. (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة).

(٤) هذه الكلمة سقطت من ت.

لنداماه. والهاء فى (عُقْبَاهَا) راجعة إلى الطَّرَبَات. وكان حكمه (طَرَبَاتَه) بتحريك العين لأنه جمع (فَعْلَةٌ) اسماً، لكن الشاعر إذا اضطر سَكَن مثل هذا، لإقامة الوزن، انشد الفارسى:

أَبَتْ ذِكْرُ عَوْدُنْ أَحْشَاءَ قَلْبِيهِ خُفُوقاً وَرَفَضَاتُ الْهُوى فى المَفَاصِلِ (١)
(بِحُلْ مَوْهُوبَةٍ مُوَلَّوَلَةٍ قَاطِطَةً زِيرَهَا وَمَنْتَمَاهَا)
(ولولتها): أنيها (٢) لفقده، و(قطعها الزَّيرَ والمَنْتَى) (٣). ندم لمن حصلت عنده، ممن ليس نِدَهُ.

(تَعْوُمُ عَوَمُ الْقَذَاقِ فى زَبَدٍ من جُود كَفِّ الْامِيرِ يَغْشَاهَا)
زَبَدٌ: أى مُزْبَد، ليس على الفعل، لأنَّ لم نسمع زيد (٤)، وإنما هو على النسب، أى ذو زَبَد، كما ذهب إليه سيبويه. أى هذه الموهوبة محتقرة فى جملة عطائه كاحتقار القذاة فى معظم التيار.

(لَا تَجِدُ الْخَمْرَ فى مَكَارِمِهِ إِذَا انْتَشَى خَلَّةٌ تَلَفَأَهَا) (٥)
أى كرمه طبيعة، فسواء عليه صحا أو سكر، لا يقع فى كرمه تقصير قبل الخمر، ولا خَلَّةٌ تُسَدُّهَا الْخَمْرُ. وهذا كقول البحرى:
يُكْرَمُ من قبل الكنوسِ عَلَيْهِمْ فما اسطَعْنَ أن يُحْدِثْنَ فيه تَكْرُمًا (٦)
وقال المتنبى:

وجاد فلولا جوده غير شارب لقلنا كريم هيَجَثُهُ ابْنَةُ الْكُرَمِ (٧)
وأراد (تتلافها) فحذف إحدى التاعين، كراهية اجتماع المثلين. وهذا مطرد فى اللغة، و(انتشى): سكر.

- (١) البيت لذى الرمة (ديوانه ٥٧٨) وقد أنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (٢٨:٥) فى مبحث المركبات. والشاهد فيه تسكين الفاء فى (رفضات) للضرورة ورفضات: جمع رفضة وهى ماتفرق من هواها فى قلبه. وانظر المختص بالمبرد (٢: ١٩٢)
(٢) فى ت: رتيها.
(٣) الزير والمشى: وتران من أوتار العود.
(٤) لم يسمع من العرب فى مادة (زيد) فعل ثلاثى مجرد يكون الوصف منه على (فعل) بكسر العين. وإنما المسموع عن العرب الفعل الرباعى (أزيد) واسم الفاعل: مزيد.
أما (زيد) (بكسر الياء) فقال الواحدى ص ٧٩٣ إنه رواية ابن جنى وأنه على النسب. أى ذو زيد، ولهذا نظير فى كلام العرب. فقد روى سيبويه (٣٨٤:٣) قول بعض العرب (لست بليلى ولكنى نهر) أى أنا ذو نهار أعمل فيه وقد أخذ ابن سيده رواية ابن جنى وبنى عليها تفسيره للبيت.
(٥) البيت متقدم على سابقين فى النسخ المطبوعة.
(٦) البيت للبحرئى من قصيدة يملح بها أبى الهيثم الغنوى وأولها:
«أكان الصبا. إلاخيا لا مسلما».
(٧) البيت من قصيدته (علام النوى النوى فى ظلمها غاية الظلم)

تُصَاحِبُ الرِّاحُ أَرْحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَذْنَاهَا

أَرْحِيَّةُ الرِّاحِ: يتكرم بها اللثيم، ويزداد كرمًا بها الكريم فهي على كل حال تُوجد مزية لم توجد قبلها، وأَرْحِيَّةُ الممدوح طيبعية بالغة غاية تكون أَرْحِيَّةُ السكر مقصورة عن أدنى منازلها. فكيف أن توجد فيها مزية لم تكن من قبل؟

(تَجْمَعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا)

ليس للدهر فؤاد، لأن الفؤاد جَوْهر، والدهر عَرَض، ولا يكون الجوهر جزءاً من العرض، ولكن ا، تعاره له صَنعة واقتداراً. وقد بين ذلك بقوله:

وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصاً لَدَمَى حَدَّ مَقَرِّقِهِ حُسَامِي^(١)

ولما جعل له فؤاداً استجاز أن يجعل له همة، لأن الفؤاد مطية الهمة. وحسن ذلك قوله: (تَجْمَعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ). فيقول: في فؤاد هذا الممدوح هِمَم كثيرة مجتمعة، يملأ فؤاد الدهر منها واحدة، ويضيق عما سواها.

(فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْعَدَاهَا)

أي فإن أتى حظ هذه الهمة التي لايسع فؤاد الزمان منها، إلا واحدة، بأزمنة أوسع من هذا الزمان، أبدى الممدوح تلك الهمة، التي لا يبيدها إلا أن يضيق الزمان عنها. و(حظها) هنا كقوله: (جَدُّهَا). وقوله: (بأزمنة) أحسن من قوله: (بزمان)، بعد أن يحتمله الوزن؛ لأن الجمع أبلغ من الواحد.

(وَصَارَتِ الْفَيْلِقَانِ وَاحِدَةً تَعْتَرُ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا)

واحدة: أي فيلقاً واحدة، وإنما صارت الفيلقان فيلقاً لاختلاطهما، حتى كأنهما اتحدتا^(٢). والهاء في (أحيائها وموتاه): عائدة إلى الفيلق الواحدة.

(يُعْجِبُهَا قَتْلُهَا الْكُمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلِهَا)

أي إذا قتل الفارس فارساً أعجبه ذلك، ثم لايلبث أن يُتاح له فارس آخر يقتله.

(١) من قصيدة له بديوانه والتهيان (٤: ٤٤).

(٢) في م: (تجسدتا) وما أثبتناه أولى.

(وَدَارَتِ النَّيِّرَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجَدُ اقْصَارُهَا لِأَنْبَاهَا)

عنى بالفلك هنا: ذات المعترك، حيث التقت الأملاك والأبطال الأنجاد. وكلا هذين القبيلين (أقمار) فهى (تسجد لأبهاها) يعنى الملك

(الْفَارَسُ الْمُتَقَى السَّلَاحُ بِهِ الْمُتَقَى عَلَيْهِ الْوَعَى وَخَيْلَاهَا)

يُتَقَى بِهِ السَّلَاحُ، لَأَن السَّلَاحَ لَا يُؤْثِرُ فِيهِ، بَلْ هُوَ الْمُؤْثِرُ فِيهَا كَقَوْلِ الْآخَرِ:

اللابسين قُلُوبَهُمْ فَوْقَ الدَّرْعِ لِدَفْعِ ذَلِكَ

أى إِنْ أَفْسَدَتْهُمْ أَوْقَى لَهُمْ مِنْ دُرُوعِهِمْ، لِأَنَّهُ أَثْبَتَ صِيَانَةَ، وَأَشَدَّ مِنْهَا حَصَانَةً، وَتَنَّى الْخَيْلَ، لِأَنَّهُ أَرَادَ خَيْلَهُ وَخَيْلَ عَدُوِّهِ، لِأَنَّ الْحَرْبَ إِنَّمَا تَقُومُ بِطَانَفَتَيْنِ مُتَضَادَّتَيْنِ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ، مِنَ الْحُكَمَاءِ الْأَفَاضِلِ: الْحَرْبُ حِينَئِذٍ ذُو طَبِيعَتَيْنِ مُتَضَادَّتَيْنِ، أَى قِيَامِهَا ذَلِكَ فَإِنْ بَطَلَ أَحَدُ الضَّدْبَيْنِ بَطَلَ الْحَرْبِ.

(لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدُهُ فِي الْحَرْبِ أَثَارَهَا عَرَفْنَاَهَا)

ذهب قوم إلى أَنَّهُ يَجِلُّ عَنِ الْفَخْرِ بِتَأْثِيرِهِ فِي عِدَاةٍ. فَلَوْ أَنْكَرْتَ يَدَهُ ذَلِكَ، لَعَرَفْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ لَهَا.

والذى عندى أَنَّ أَثَارَ مَقَاخِرِهِ فِي الْعَالَمِ حِسَانٌ، وَذَلِكَ بِإِغْنَاءِ فَقِيرٍ، وَافْتِكَاكِ أَسِيرٍ، وَبِثِّ فَضْلٍ، وَإِقَامَةِ عَدَلٍ.

وَأَمَّا أَثَارُهُ فِي عِدَاةٍ فَقَبِيحَةُ الصُّورِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ إِفْسَادُ جَوَاهِرِهِمْ، وَتَغْيِيرُ ظَوَاهِرِهِمْ وَبِوَاطِنِهِمْ. فَلَوْ أَنْكَرْتَ يَدَهُ هَذِهِ الْأَثَارَ، حَيَاءً مِنْ قَبْحِهَا، لَعَرَفْنَا نَحْنُ أَنَّهَا (١) لَهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْثِرُ فِي الْعَدَى هَذَا التَّأْثِيرَ الْأَثِيرَ (٢) إِلَّا هُوَ.

(وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سَيِّمَاهَا)

يعنى يده، أَى وَكَيْفَ تَخْفَى أَثَارُ هَذِهِ الْيَدِ، الَّتِي سَوَّطَهَا وَنَاقَعَ الْمَوْتَ جِزَاءً مِنْ سَيِّمَاهَا (٣) عَنِ بِنَاقِعِ الْمَوْتِ: السَّيْفِ، وَبِالزِّيَادَةِ: السُّوْطِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يُضْرَبُ بِالسُّوْطِ، وَيُقْتَلُ بِالسَّيْفِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا بَعْضُ سَيِّمَاهَا، وَنَتِيجَتُهَا الضَّرْبُ وَالْقَتْلُ، فَمَا الظَّنُّ بِكَلِيَّةِ سَيِّمَاهَا.

(١) فِي ت: (أَفْعَالُهَا).

(٢) الْأَثِيرُ: كَذَا. وَمَعْنَاهُ الْمُؤْثِرُ الْمُفْضِلُ عَلَى غَيْرِهِ.

(٣) السَّيِّمَةُ (بِالْقَصْرِ) - وَالسَّيِّمَةُ (بِالْمَدِّ): الْعَلَامَةُ (اللسان - سيم)

(النَّاسُ كَالْعَابِدِينَ إِلَهَةً وَعَبْدُهُ كَالْمُوحَّدِ إِلَهًا)

الآلهة: لاتغنى عبادةها، والله يغنى عبادة. يقول: فمن أمل غير هذا الملك، لم يستغن بواحد عن آخر، مع ما ينتج له ذلك من قلة الغنى، ومن أمله كفاه، وأغناه، عمن سواه، كما يفعل ذلك بعبده الإله.

- ١٣٦ -

وله أيضا:

(عُدُّدُ الْوَفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشُّكْلُ وَالْعُقْلُ^(١))

أى لا يقصده المحاربون، لأنه لا يطمع فيه أحد، فلذلك لا يُعَدُّ له السلاح، وإنما يقصده الآملون، فعُدُّدهم الشُّكْلُ^(٢) والعُقْلُ، لأنهم يسألونه الخيل للحرب، والإبل للديّة. ووفد العرب إنما بغيتهم ذلك، فهم يُعَدُّون الشُّكْلَ والعُقْلَ ثقة منهم بهبته لهم ما يسألون..

: (تَمَسَّى عَلَى أَيْدِي مَوَاهِيهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ)

أى إن مواهبه مستبدّة بخيله وإبله، لا مطمع للإبقاء فيها. وقد أجاد أبو الفتح فى تمثيله إياه بقول العرب فى الشئ إذا استبد به أمرٌ ما، فلم يك ابتزازه منه مطمع. (وَضَعَ عَلَى يَدَيَّ عَدْلًا)^(٣).

ومعنى البيت: أن يهب جُودُه خيلَه، وخيار إبله لأوائل الوفود عليه، ومابعدهما فى المنزلّة، وهى البقية، لمن يفد بعد الوفد الأول، حتى إذا لم يبق من خيله ولا إبله شئ أعطى بعدها العين والورق.

والبدل هنا: اسم وقد يكون ظرفاً فى غير هذا الوضع، فإذا كان اسماً كان بمنزلة البديل، قال سيبويه: وتقول: إن بَدَلَكَ زيداً، أى إن مكانكَ زيداً. قال: وإن جعلت البدل بمنزلة البديل، قُلْتَ: إن بَدَلَكَ زيدٌ، فلحق بالاسماء. وأراد: (أَوْ بَدَلَها)

(١) من قصيدة له بديوانه ص ٥٤٧ يمدح بها عضد الدولة.

(٢) الشكل: جمع شكال وهو ما يجعل فى قوائم الفرس والعقل: جمع عقال وهو ما يربط به البعير، وجمعهما: شُكْلٌ وَعُقْلٌ (بضمين) وسكّن المتننى القاف لضرورة الشعر.

(٣) فى اللسان - عدل. «وقولهم للشئ إذا بُسّ فيه: وضع على يدي عدل. هو العدل بن جزء. بن سعد العشيرة وكان ولي شرطة تبع فكان تبع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه فقال الناس: وضع على يدي عدل. ثم قيل لكل شئ بُسّ منه.

فجعل الألف واللام عوضاً من الإضافة، لأن كل واحدة منهما للمعرفة وجعل للمواهب (أيديا) تحكماً على الصنعة، وتأنقاً في البلاغة، وليشعر أنه إنما وارى به قول العرب فيما ينسب منه: (وُضِعَ على يدي عَدْلٌ).

(يُشْتَنَّقُ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبِيلٍ شَوْقاً إِلَيْهِ يُبْتُ الْأَسْلُ)

السُّبُل: المطر، كناية عن العطاء، يقول: يشتاق إلى يده، حتى أن الأسْلَ لا ينبت إلا ليباشر راحته، فيُرْوَى بنائلها كَرِيَّةً بالسحاب، بل أكثر. وإن شئت جعلت حَظَّ الأسْل من نائل كفه، ما يسقيها من الدَّم. قوله: شَوْقاً إِلَيْهِ يَنْبِتُ الْأَسْلُ: جعله في موضع الصفة لسُبُل. وشَوْقاً مفعولاً من أجله، وهو الذي يسميه سيبويه^(١) عُدْرًا لوقوع الأمر.

(فَإِذَا حَصَى أَرْضَ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْصِيرِهِ بَلَلٌ)

أى إذا حلَّ بحصى أرض، قَبِلَه الناس بين يديه، حتى تَبَلَّ أسنأنهم أى تَقَبَّلَ وتتعطف إلى الباطن. وَحَصَى منصوب بفعل مضمر. أى إذا حلَّ حصى أرض. «واقام بها»: تفسير للفعل المضمر، لأنه إذا أقام به فقد حلَّه، وأراد: فبالناس، فحذف الفاء للضرورة، وهو كثير في الشعر، أنشد سيبويه^(٢):

من يفعل الحسنات اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشُّرُّ بِالْشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أى فاللَّهُ يشكرها. والهاء فى (بها) راجعة إلى الحصى، لأن الحصى يؤنث ويذكر. وكذلك كل جمع بينه وبين واحده الهاء. ولاتكون الهاء فى «بها» عائدة إلى الأرض لأنه لا بد فى الفعل من مُضْمَرٍ يرجع إلى المفعول، إلا أن يُحذف لضرب من الاستخفاف، كما قد بيَّن سيبويه فى غير موضع.

(١) فى (الكتاب لسيبويه ١: ١٨٤) (هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر).....

قال وذلك قولك فعلت ذلك حذار الشر . وفعلت ذاك مخافة فلان. وقال حاتم الطائي وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكروماً .

(٢) انظر سيبويه (الكتاب: ١: ٤٣٥) ونسبه لحسان ثابت، وأورده ابن يعيش فى شرح المفصل (١: ٣) فى مبحث حروف الشرط شاهدا على أن الفاء الرابطة تحذف من جواب الشرط وفى شرح شواهد المعنى للسبوطي (١: ١٧٨) قال: هو لعبد الرحمن بن حسان وقيل لكعب بن مالك.

ولو كانت الهاء راجعة إلى الأرض، ولم تُعَد إلى المفعول الذي هو الحصى، قلت: (زيداً ضريت هنداً) مريداً (ضريتُ زيداً ضريت هنداً). وهذا لا يقوله أحد، لا بد في الفعل الظاهر من ضمير ملفوظ به أو مقدر، يعود إلى المفعول المنتصب بالفعل المضمر، وقال: (من تقبيله): حملاً على التذكير، والعرب تقول: شجر أخضر، وخضُر، وحصى أسود وسُود.

(لا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقَّتْ بِكَ الْحِيلُ)

يخاطب بذلك وهشودان^(١)، يقول له: من عرفت أنه أثبت منك فراسة فلا تُعْرِضْ له ما وجدت عن لقائه مندوحة، ولا تحاربهُ ما أمكنتك مسالمته. يعظه بذلك، وكأنه مستهزئ به. فإذا ضاقت بك الحيلُ ولم تجد بداً من لقائه، فقد استحققت المعذرة.

وقوله أفرس منك: صفة موضوعة موضع الاسم أى رجلاً أفرس منك وحسن وضع الصفة هنا موضع الاسم، لأنها قد تقوّت بقوله: (منك) وأيضاً فإن منك مناسب للإضافة، والمضاف اسم. وتعرفه: جملة في موضع الصفة، كأنه قال: لا تَلْقَ رجلاً أفرس منك، معروفاً لديك.

(فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا فَإِذَا ارَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا)

أى رتبتهم في أرفع الغايات من الرتب، بحيث لا يمكن مَزِيدَ الى فوق، فإذا أرادوا غايةً مَآخِرَ تلك الغاية، نزلوا إلى الأسفل^(٢) منها، إذ لا يمكن غايةً الى فوق، لأن مراتبهم في أسنى الغايات وأرفع النهايات. وقد قال هو في هذا المعنى بعينه:

وقالوا هل يُبَلِّغُكَ التُّرُيَّا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتَ اسْتَغْلَا^(٣)

(١) وهشودان: ثائر كردي في أيام ركن الدولة بن بويه وقد انهزم وأخذ بلده.
(٢) لا يجوز الجمع بين (أل) في أفعل التفضيل و(من) الجارة للمفضل عليه، كما قرر النحاة ذلك. وذكره المؤلف هنا عدة مرات في هذا الكتاب. فيظهر أن (أل) في (الأسفل) زيادة من الناسخ.
(٣) من قصيدة له في ديوانه وهي في مدح بدر بن عمار: وأنظر التبيان (٣: ٢٢١)

وله ايضا:

(لَيْسَ كَمَا ظَنَّ غَشِيَّةٌ عَرَضَتْ فَجِئْتَنِي فِي خِيَالِهَا قَاصِدٌ^(١))

كان أبو الطيب توقع أن يلومه محبوبه لنومه بعده، وحلّمه بخياله فيه. فقال: لعل مرسلك إلى أيّها الخيال، ظن أنى نائم، أوخّلتني أنت ياخيال كذلك، ليس كما ظننتماه، حالى أشدّ من أن أنام عليها، وإنما هى غَشِيَّةٌ. فإنّ الباشق^(٢) يُغَشَّى عليه، وليس من شأنه أن ينام. فلا ألحقنّ منكما ملاماً، لأنى لم أخلّ بحق العشق إذا لم أنم. وإنما كنت مُخِلّاً به لو نمت، فجئتني فى خِلَالِها قاصداً، أى فى خِلَالِ تلك الغَشِيَّة. وعيادة الخيال اياه فى تلك الحال، أبلغ وأعرف من عيادته اياه فى حدّ النوم، لأنّ المغشّى عليه بمنزلة الميت، والنائم قد يدرك أشباه كثيرة مما يدركه اليقظان، كالضحك والاحتلام وغير ذلك وما عملنا أحداً من الشعراء ذكر أن خيالاً ألمّ به فى غَشِيَّة الأ هذا.

وقوله (قاصد) فى موضع نصب على الحال، فكان حكمه على هذا (قاصداً) إلا أن من العرب^(٣) من يقول: (رايت زيد) فى حال الوقف.

قال:

شَنُرُ جَنْبِي كَأَنِّي مَهْدَأُ جَعَلَ الْقَيْنُ عَلَى الدَّفِّ إِبْرَ^(٤)

وأنشد الفارسيّ للأعشى:

إلى المرء قيس اطيّل السُرَى وأخذ من كلّ حى عُصْم^(٥)

(١) من قصيدة بديوانه ص ٥٥١ مطلقاً:

أزائر ياخيال أم عائد أم عند مولاك أننى راقد

(٢) الباشق (يفتح الشين): اسم طائر أعجمى مغرب (اللسان-بشق).

(٣) هم قبائل ربيعة ومن خالطهم من قبائل مضر فى شرقى جزيرة العرب يقفوه على المنون المنصوب بالسكون فيقولون: رايت زيد وقد يجعلون التتوين ألفا كساتر العرب (انظر الأشمونى وحاشية الصبان عليه فى أول باب الوقف).

(٤) قائله عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (هدأ) والخصائص (٢: ٩٧) وشرح المفصل لابن يعيش (٦: ٦٩) فى مبحث الوقف. وقد أنشده شاهداً على أن بعض العرب يقف على الاسم المنصوب بالسكون لا بالألف كما فى اللغة المستعملة فى الكثير. ومحل الاستشهاد قوله (إبر) فجاء به ساكن الراء. ولو عامله بمقتضى الكثير لقال: (إبرا).

ومعنى (شئز جنبى): قلق جنبى والمهدأ: الصي الذى قارته أمه وجعلت تضرب عليه يكتفها تعلله وتسكنه لينام. والدّف (يفتح الدال): الجنب من كل شئ.

(٥) من قصيدة الأعشى فى قيس بن معد يكرب أولها «أتهجر غانية أم تلم» (ديوانه ص ٣٧).

ولا يكون (قاصد) فى موضع رفع على البديل من التاء التى فى خلتنى، لأن المخاطب لا يبدل منه للعلم بمكانه، والأمن من الثَّباسه. ولذلك لم يجز سيبويه (بك المسكن مررت). وقد أثبت ذلك غير دقعة فى هذا الكتاب.

(إِذَا الْمَنَائِيَا بَدَتْ فَدَعَوْتُهَا أُبْدِلُ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدِ)

سَفَهُ رَأَى وَمُشَوِّذَانِ فِي مُحَارِبَتِهِ فَنَأَ خُسْرُو^(١)، ثُمَّ عَدَّرَهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَنَائِيَا إِذَا الْمُتْ فَإِنَّمَا قَوْلُهَا وَدَعَاؤُهَا: (أُبْدِلُ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدِ): أَيْ صَيَّرَ (الْحَائِدِ) (حَائِنًا) وَهُوَ الْهَالِكُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَقَالٌ، لِأَنَّ الْمَنِيَّةَ لَيْسَتْ بِنَوْعٍ نَاطِقٍ، إِنَّمَا هِيَ عَدَمُ حَرَارَةِ الرُّوحِ، وَذَلِكَ عَرَضٌ. وَلِذَلِكَ قَالُوا: بَرَكَ فُلَانٌ، إِذَا مَاتَ، يَذْهَبُونَ إِلَى انْقِطَاعِ الْحَرَارَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، لَكِنْ اسْتَعَارَ الْقَوْلَ^(٢) لِلْمَنِيَّةِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ: (الْحَائِدِ) الَّذِي يَحِيدُ عَنِ الْمَوْتِ، إِذَا وَاغَاهُ حَيَّتُهُ، لَمْ يُغْنِ عَنْهُ حَيِّدُهُ.

(رَاوِكَ لَمَّا بَلَوْكَ نَابِيَّةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدِ)

الرائد: الذى يطلب الكلال للحى، فيقول لو هشوذان: هزمتك طلائع عسكر فئا خسرو قبله، ولم ينتظروا بك معظم الجيش: احتقاراً لك؛ وتهاوناً بك، وإكراماً لكوكب الجيش؛ فكنت كالنابطة المحترقة المستصغرة التى ياكلها الرائد قبل اهله؛ لا ينتظروهم بها؛ ولا يدعومهم إليها، احتقاراً لقدرها واستنزاراً لخطرها. و(نابطة): صفة أقيمت مقام الموصوف. وحسن ذلك، لأنها قد قويت بالجملة التى بعدها؛ فضارعت الاسم بهذه الصفة؛ لأن الموصوفة فى الأصل إنما هى الأسماء. هذا مذهب سيبويه. وإنما أراد "خلأه نابته وحشيه"^(٣)، أو نَبَقَ، أو نحو ذلك.

(وَمُتَّقٍ وَالسَّهَامِ مُرْسَلَةً يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدِ)

الحابض: السهم الذى يقع بين يدى الرامى من ضعفه. والصادر: النافذ. يقول: إن الإنسان لا ينفعه احتسابه، ولا يقيه احتراسه، فرب متق للموت فى الحرب وقد أرسلت السهام، فنفر عن الحابض؛ ولو وقف له لم يضره؛ ويعدل إلى النافذ؛ فيقتله؛ وهو فى كل ذلك مُصْرَفٌ بيد القدر.

(١) اسم عضد الدولة ابن ركن الدولة من آل بويه.

(٢) تسمى هذه الاستعارة عند البلاغيين استعارة مكنية.

(٣) أى نابته بركة لا يابها لها الرواد والرعاة.

وله أيضا:

(فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فُوَادُهُ يَخْفِقُ مَثْنُ رُعْبِهِ)^(١)

يقول : إن الموت قَدَرٌ محتوم؛ وقضاء مجزوم؛ وسواء فيه الشجاع؛
والجبان الفُرَّاع؛ فإذا كان الأمر كذلك؛ فالجازع ملوم؛ والجبان مذموم. فمنَ
الحق أن يُدعى على الطالب الشديد الهيبة^(٢)؛ ألا يظفر من حاجته إلا بالخيبة.
والجملة التي هي قوله: (وفواده يخفق من رُعْبِهِ): فى موضع الصفة لطالب.
(وطالب): صفة وضعت موضع الموصوف. وحسن ذلك؛ لأنه قد قرن بالصفة؛
فضارع الاسم.

والهاء فى (رُعْبِهِ) : إن شئت رددتها إلى طالب؛ وإن شئت إلى قوله:
(فُوَادِهِ). والبيت مشتمل على الدعاء على كل من إذا رام الإقدام؛ أورثه الجبن
الإحجام.

(حَاشَاكَ أَنْ تَضَعْفَ عَنْ حَمَلٍ مَا تَضُمِّنَ السَّائِرُ فِى كُتُبِهِ)

أى حاشاك أن تضعف عن احتمال ماقدّر الفئج^(٣) الوافد بالنُّغى على
احتماله؛ أى إذا كان الفئج (وهو الرسول على قدميه) يقول: جاء على احتماله^(٤)
فى كتبه؛ وهو متكلف^(٥) مع ذلك رجّله، وعادم رجّله^(٦)؛ فأنت أحجى باحتماله
على ترك استهواله^(٧).

- (١) من قصيدة بديوانه (ص ٥٥٨) يقرى أبا شجاع عضد الدولة بعمته وأولها:
آخر ما الملك معزى به هذا الذى أتر فى قلبه
(٢) أى الذى يطلب معالى الأمور، ولكنه يخاف ما يعترضه فى سبيلها من أسباب الهلكة.
(٣) فى تاج العروس (فئج): الفئج رسول السلطان على رجله (فارسي معرب) وفى النهاية لابن الأثير:
الفئج فى مشبه الذى يحمل الأخبار من بلد إلى بلد.
(٤) هذه الجملة خير كان فى قوله المتقدم (إذا كان الفئج) وما بينهما جملتان اعتراضيتان.
(٥) أى متكلف السعى والمشى على رجله.
(٦) رجله: أى مقره الذى يأوى إليه. وقد يكون المقصود بالرجل: الزوجة والأهل الذين يسكن إليهم.
(٧) أى عده عظيما شديد الهول. قال الواحدى فى تفسيره: إذا كان الفئج يطيق حمل ذكر وفاتها، فأنت
يجب أن تكون أشد إطاعة له.

وقال أيضا:

(وَقَدِّدْتَ الْأَيْلُ فِي الْحِيَالِ)^(١)

الْأَيْلُ: اسم للجنس؛ وأُنْثى على معنى الجماعة؛ وقد يجوز أن يكون (أَيْل) على اعتقاد ضمة مجتلبة للجمع؛ كما ذهب إليه سيبويه في دِلاص وهِجان. وقد أَثْبَتَ الْأَيْلُ^(٢) واشتقاقه ووزنه وتكسيره؛ وما فيه من اللغات؛ في كتابي الموسوم (بالمحكم).

(وَأَوْفَتِ الْقُدْرُ مِنَ الْأَوْعَالِ)

الأَوْعَالُ: شياهُ الجبال، والقُدْرُ: المَسَانُ. يجوز أن يكون جمع قُدُور؛ فالأصل على هذا (قُدْر) إِلَّا أن بنى تميم يسكنون ثانيا الضرب استخفافاً. ويجوز أن يكون جمع فادر؛ كعائد وعُود؛ لأن سيبويه قد اعتد (بِفَعْل) بناء من ابنية تكسير (فاعل).

(مُرْتَدِيَاتٍ بِقِسْيِ الضَّالِّ)

يعنى قرونها. شبهها في انعطافها بِقِسْيِ العرب؛ وهى تتخذ من الضَّال وهو السُّدْرُ الجَبَلِيُّ؛ أَلْفُهُ منقلبة عن ياء. وذكر بعض متأخري^(٣) أهل بغداد أنه وَجَدَ بخط (جعفر بن دحيه)؛ رجل من أصحاب ثَعْلَب. (الضَّالِّ) مهموزاً؛ فاشتقه ذلك البغدادي حينئذ من الضَّالَّة؛ وذلك لِأَنَّ الجَبَلِيَّ منه أَقْلُ رِيّاً ونَعْمَةً من المائى؛ وذلك قال البغدادي:

(١) من أَرْجُوزة له يديوانه (ص ٥٦٢) في ملح عضد الدولة ويذكر خروجه للصيد وجعل الأرجوزة اقتداءً بأبي نواس في طردياته (ما أجدر الأيام والليالي).

(٢) قال ابن سيده في المحكم (الإيل) (بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة). والأيل (بضم الهمزة وفتح الياء المشددة) وهو الواحد. والجمع: الأيائل. ويجوز عنده في (الأيل) المضموم الهمزة أن يكون اسماً للجمع وليس جمعاً.

قال: وعليه وجه قول المتنبي «وقدبت الأيل في الحبال»
(٣) يريد ببعض متأخري بغداد: أبا الفتح عثمان بن جني. وقد صرح باسمه في المحكم (ضيل) ونقله عنه ابن منظور في اللسان (ضيل) قال: وأخيل السكان وأضال: أنهت الضال. وإليه ترك ابن جني ما وجدته مضبوطاً بخط (جعفر بن دحيه) رجل من أصحاب ثعلب من الضال مهموزاً.
قال ابن جني: وأردت أن أحمله على (الضليل، الذي هو الشخت، لأن الضال هو السدر الجبلي والجبلي أشد عوداً من النهرى حتى وجدت بخط أبي إسحاق (أخيل المكان) فاطرحت ما وجدته بخط جعفر أ هـ.

ثم وجدته بخط أبي إسحاق، (يعني إبراهيم بن السريّ الزجاج): أَضْيَلَّ المكان: أنبت الضّال. فإذا كان كذلك، فلا أثر للهمز في الضال، ولا طريق إليه. وإنما هو كتاب^(١)، فمحا البغدادى حينئذ ضبط جعفر، وعُول على خط أبي إسحاق.

(وَلَيْدَنْ نَحْتُ أَثْقَلَ الْأَنْقَالِ)^(٢)

قيل: الجبال^(٣)، وقيل: القُرُون. فإن قلت: فإنه لم يُولد بقرن، فنقول: إنه عنى (بأثقل الأنقال) القرون؟ قلنا: إن لم يولد بالفعل معها، فإنه مولود معها بالقوة، لأن نبتة القرون للأنواع المفطورة عليها، خَلْقَة طبيعية، فلا بُدُّ من خروجها إلى الفعل.

(قَدْ مَنَعْتَهُنَّ مِنَ التَّفَالِي)^(٤)

أى تشابكت القرون على رءوس الأيائل، حتى لو حاولت التفالي، منعها اشتباك قرونها من الوصول إلى رءوسها.

(لَا تَشْرُكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهَزَالِ)

أى أن القرون لا يلحقها سِمَن ولا هُزَال، كما يلحق الأبدان، لأنها ليست متصلة باللحم ودم، ولاهى فى نواتها كذلك. ولو اتزن له ألا يَشْرُكُ الأجسام فى السَّمَن والهُزَال، لكان أَقْعَد بالحقيقة، ولكن السمن والهزال عَرَضَان، فى الجسم متقابلان، فإذا انتفى أن يشركها فى الهزال، انتفى أن يشركها فى السَّمَن، فاكتنفى بأحد الضدين من صاحبه.

(إِذَا تَلَفُتْنِ إِلَى الظُّلَالِ)

(رَأَيْنَ^(٥) فِيهَا أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ)

أى إذا رأت الأيائل ظلال قرونها، استبشعتها وهالتها.

(١) يريد أن (الضّال) مهورا: كلمة وجدت فى كتاب وليست رواية صحيحة عن العرب.

(٢) فى التبيان (الأحمال) فى موضع (الأنقال).

(٣) الجبال: هو تفسير ابن جنى لأثقل الأنقال والقرون: هو تفسير ابن فورجه. ورجع الواحدى (ص ٧٩٤) قول ابن جنى وقال: لأنها ولدت ولاقرون لها. ومن البعيد أن يراد قرون أبويها. وعمل المؤلف هنا على

تفسير ابن فورجه.

(٤) يقال: تغالت الحمر: احتكت كأن بعضها يغطي بعضا.

(٥) فى الواحدى والعكبرى (إلى الأطلال) ... (أرينهن).

(كَأَنَّمَا خُلِقْنَا لِلْأَلْفِ)

(زِيَادَةُ فِي سُبَّةِ الْجُهَالِ)

يعنى القرون صاحبها دليل فيقول: كَانَ هذه القرون إنما خلقت لتدلّ على على ذلة الأوعال، كما خلت للقرنان^(١) وإن كان لاقرون له. وإنما هو تمثيل. وقوله: زيادة في سُبَّةِ الجاهل: أى أن الجاهل يتشاعمون كثيراً بالقرُون، ويكونون أحدهم بأبى القُرُون.

(مَوَاحِشِ الْأَطْرَافِ لِلْأَكْفَالِ)

أى طالت القرون منها، حتى نَحَسَّتْ الأكفال بأطرافها.

(يَكْدُنْ يَنْفُذُ مِنَ الْأَطَالِ)

الآطال: الخواصر، واحدهما: إطل، وإطل. وقد قيل: الإِطْلُ^(٢) وضع، والإِطْلُ: فرع يقول: فى القرون شَعَبَ تكاد تنفذ الخواصر، حِدَّةً واعتراضاً. وأراد: يَكْدُنْ يَنْفُذُ الْآطَالِ، فزاد (مِنْ) على رأى أبى الحسن^(٣)، لأنه يرى زيادتها فى الواجب^(٤)، وسيبويه لا يرى زيادتها فيه.

ويجوز أن يكون أراد من الآطال إلى الآطال، أى من اليمين إلى الشمال وينقيض ذلك.

(شَبِيهَةُ الْإِذْبَارِ بِالْإِقْبَالِ)

أى فى وجوهها من لحاها مايشبه أذنانها، فقد تشابه القُبْلُ والدُبُرُ، وقيل: يريد عُموم قرونها، لظهورها بالتعطف عليها: إلى أذنانها،

(فِي كُلِّ كَيْدٍ كَيْدَى نِصَالِ)

كَبِدُ النِّصْلِ^(٥) مابين عَيْرَتَيْه أى فى كل كَيْدٍ أَيْل ووعِل من هذه الوحش المقنوصة كيدا نصال.

(١) فى المصباح: رجل قرنان كسكران لاغير له. وفى الأساس: استقرن: إذ لان.

(٢) أى أن الإِطْلُ (بكسر الطاء) هو الأصل والإِطْلُ (بكون الطاء) تخفيف منه. وقيل هما لفتان.

(٣) هو الْإِخْنَشُ الْأَوْسَطُ وقد سبقت ترجمته.

(٤) يريد بالواجب: الموجب ضد المنفى والأصل فى زيادتها أن تكون مع المنفى وما يشبهه كالاستفهام.

(٥) كبد النصل: الجزء الأوسط الغليظ فيها. والعيران: الجزآن التاتان فى وجهى النصل.

(فَهْنُ يَهُوِينَ مِنْ الْقِلَالِ)

(مَقْلُوبَةُ الْأَضْلَافِ وَالْإِرْقَالِ)

أى هذه الأيائل والأوعال يَهُوِينَ من قِلَال الجبال، وهى أعاليتها، منعكسة
أضلاعها وأذنابها على أجسامها.

(فَكَانَ عَنْهَا سَبَبُ التَّرْحَالِ)

(تَشْوِيقٌ إِخْتَارٌ إِلَى إِقْلَالِ)

أى أكثرنا من الفُصْحى حتى ملئنا، وشَوِّقنا الإكثارُ إلى الإقْلَال. فكان ذلك
سبب التَّرْحَال عنها (فعن): متعلقة بالتَّرْحَال المقدر قبلها، ولاتكون متعلقة
بالترحال الظاهر لأن (عن) حينئذ من صلة المصدر؛ وماكان من صلة المصدر
لم يتقدم عليه؛ وجعل (سبب التَّرْحَال) اسم كان؛ لأنه معرفة (وتشويقٌ إكثار).
خيرها؛ لأنها نكرة؛ فالبيت مُصَمَّنٌ^(١).

وقال سيبويه: أكثرْتُ: جئت بكثير؛ وأقللتُ: جئت بقليل. فاما كَثُرْتُ وقَلْتُ؛
فجعلته كثيراً وقليلًا.

(وَلَوْ جَعَلْتُ مَوْضِعَ الْإِلَالِ)

لَلَّيْنَا طَعَنَتْ بِاللَّالِيسِ)

(الْإِلَالِ): الحراب. واحدها: (أَلَّة)^(٢)؛ وذلك لبريقها ولمعانها

أَلُ الشَّيْءُ يَزِيلُ أَلًا: بَرَقَ أَى لو جعلت مكان الحديد والمحدد^(٣) لَوُلُؤًا فعلت
به من القتل مايفعل الحديد؛ لأنك مؤيَّدٌ منصوب.

(١) البيت المضمن فى اصطلاح علم العروض والقوافى: هو مالم يستوف معناه إلا فى البيت الذى بعده وهو
غيب عند العروضيين لأنهم جعلوا كل بيت وحدة مستقلة فى المعنى.
وفى رأينا أنه ليس بعيب فى نظر الأجيال الحديثة لأن نظم المسرحيات والقصص التاريخية يقتضى هذا
التضمين فى سرد المعانى المتلاحقة فى الكلام الطويل.
وقد عذ ابن سيده هذا البيت مضمناً لأنه اعتقد أن هذه الأرجوزة من مشطور الرجز ذى المصراع الواحد
الثلاثى الأجزاء. لا من كامل الرجز ذى المصراعين
وكذلك نلاحظ أن (ابن سيده) لم يراع فى شرح هذه الأرجوزة ترتيب الأبيات الذى التزمه الشراح
كالواحدى والعكبرى.

(٢) الألة: الحرية العظيمة النصل سميت بذلك لبريقها ولمعانها. قال فى اللسان (ألل): وفرق بعضهم بين
الألة والحرية فقال: الألة كلها حديدية. والحرية بعضها خشب وبعضها حديد. والجمع (أل) بالفتح.

(٣) كذا فى (م) ومعناه المسنون المشحوزة. فى ت: (المحدود).

وقيل: أراد ولو جعلت مكان أصحاب الحراب من جيشك صواحب الحلى لقتلت بهنّ عِداك، لأن السعد^(١) والبأس إنما هو لك. وأراد (طعنت باللائك) فأبدل الهمزة إبدالاً محضاً؛ ليس على التخفيف^(٢) القياسي وإن كان مثله في اللفظ، وإنما أبدل إبدالاً كلياً غير قياسي لمكان الوصل^(٣)؛ لأن التخفيف القياسي في نية التحقيق. والهمزة المحققة لا يوصل بها؛ فكذا المخففة التي في نيّة المحققة لا يوصل بها. وقد بينت ذلك غير بُعْثة في هذا الكتاب، وفي غيره من كتبى وإنما أعدته لظرافته ودقته، وأنه لا يفهمه إلا الدُّرب. فمن أنيس به أحبه ووالاه، ومن نافره قلنا فيه؛ من جهل شيئاً عاداه.

■ ١٤٠ ■

وله أيضاً:

(مَغَانِي الشَّعْبِ طَيْباً فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ)^(٤)

يعنى بالشعب: شِعْبٌ بَوَّانٌ وكان في طريقه إلى شيران، مرُّ به فأتعجه يقول: فهذه المغاني في حُسْنِهَا بمنزلة الربيع في أرباع السنة. أى أن هذه المغاني أطيب المغاني وأعشبا، كما أن الربيع أنقى أرباع الزمن وأخصبها.

جعل هذا المكان في جملة الأمكنة بمنزلة الزمان، أعنى الربيع في جملة الأزمنة، وهذا من عجب الاقتران، أعنى تمثيله للمكان بالزمان.

(وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ)

بَوَّانٌ هذه؛ في بلاد فارس، ولأعرب هنالك إلا غُرباء، فكتبي بغرابة الأعضاء عن غرابة الجملة. وقيل: غريب الوجه، أن ألوان العرب الأثمة، وأهل فارس بيض، وأما غربة اليد فليل؛ إنه عنى به الخط، ولا يُعْجِبُنِي، إنما عَنَى به الجُود، والجود للعرب، وأما اللسان فلأنهم أعاجم، والتفسير الأول هو الصحيح، أعنى أنه لأعرب هناك إلا قليل.

(١) السعد والبأس: شيئان مختلفان فكان حق الضمير الراجع إليهما أن يكون (هما) مثنى.
(٢) لتوضيح ذلك نقول: إن التخفيف القياسي في لفظ اللاك سببه تطرف الهمزة بعد كسرة فنقول في لآك: لآك. وفي جاتين: جاتي ثم نعله إعلال قاض فتذهب منه الياء فيصير جاء ويقال لمثل هذا التخفيف تخفيف محض وتخفيف كامل. أما التخفيف غير المحض وهو الذي ليس بكامل فهو أن تمزج الهمزة بحرف اللين المسائل لحركة ما قبلها في مثل: سأل وسل وقرئ فتجعلها بين الهمزة والألف أو الواو أو الياء. ويسمى باللفويين همزة بين بين وهذا تخفيف قياسي.
(٣) يريد بالوصل هنا: حرف اللين الذي يجرى بعد حرف القافية وتخفيف الهمزة لتكون حرف وصل في القافية ليس تخفيفاً قيسياً إنما هو لضرورة الشعر.
(٤) مطلع قصيدة له بديوانه (ص ٥٤١) في مدح عضد الدولة. وانظر التبيان (٢٥١:٤) والبرقوقي.

(إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُزُقُ فِيهَا اجابَتْهَا^(١) أَغَانِيُ الْقِيَانِ)

أى أنها أرض طيب ورفاهية^(٢) ، واعتدال هواء ، فإذا غنى الحمام فيها ، جاوبتها القيآن طرباً إليها ، أى أن أهلها لا يريمون^(٣) اللهو .

(وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَنَى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ)

أى أن أهل بؤان أعاجم ، لأيقصحون ولايوضحون ، كما أن الحمام كذلك . وجعلهم أحوج إلى البيان من الحمام ؛ مبالغة وإفراطاً فى الكلام ، إذ يوجد لغناء أهل بؤان تُرجمان ، لأنهم أناسي .

(وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَا هُمَا مُتَّبَاعِدَانِ)

أى هؤلاء الأعاجم فى قلة الإيضاح ، وعدم الإفصاح ، كهذه الحمامات ، وإن اختلف نوعاهما ، فهما متباعدان بالنوع ، وذات الجوهر ، متقاربان^(٤) فى عدمهما البيان .

ويحتمل أن يريد أن الإنسان يقرب الموصوف بوصفه له ، حتى لكانه حاضر ، ولكنه يبعد لعدم إحاطته بجميع أحواله ؛ وغرائب أفعاله .

(وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ)

يصف شُعْب بؤان ؛ وهى مدينة معروفة فى طريق شيراز . والشُعْب : الطريق فى الجبل . والشرق : الشمس . يقال ، طلعت الشرق ، ولا يقال غاب الشرق ، فيعنى أن شجر هذا الموضع أشيب مُلْتَفٌّ ضيق الخصاص ، وهى الشُعْب التى بين الورك ، فإذا طلعت الشمس تخللت أضواؤها خلال الورك ، مستديرة كالدنانير من الذهب ، فى الشكل واللون ؛ إلا أنها إذا حَلَّت الكَفْ ، فهَمَّت بالقبض عليها حال ظِل البنان بينهما ، واعترض دون مافى باطن الراحة من أشكال الضوء . وقد قدمت الفُرْق بين تشبيهه إياها بالدنانير هنا ؛ وبين تشبيهه إياها بالدرهم

(١) فى الديوان والواحدى والتبيان وأجابته .

(٢) الرفاهية والرفاهة : رغد الخصب ولين العيش .

(٣) كذا فى م : (يريمون) . ومعناها لا يتركون .

(٤) فى ت : (مفترقان) تحريف .

فى قوله:

إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فَرَجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ^(١)

عند تفسير ذلك البيت. وقوله: (منها) أراد من نفسها؛ وصرف (دنانير) للضرورة.

(يَحُلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ وَيَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبٍ جَبَانٍ)

أى أنه إذا رأى أضيافه نازلين به، فرح فقويت ذاته؛ وإذا رآهم راحلين ساء ذلك فضعف منه ماقوى.

فعلى هذا القول: تكون الشجاعة والجبن لقلب هذا الممدوح. وقد يجوز أن يكون ذلك لأفئدة الضُفَّان؛ أى أن الضيف إذا نزل به وهو زاهد فى الحياة: غير فَرِّقٍ مِنَ الْمَوْتِ؛ لما لَحِقَهُ مِنَ الْكَدِّ وَالْجَهْدِ؛ فرأى مَالِدَى أَبَى شُجَاعٍ مِنْ خِصْبِ الْمَكَانِ، وَلَيْنَ أَخَذَعَ الزَّمَانَ؛ وَالْخَفْضَ وَالْأَمَانَ؛ رَاقَهُ ذَلِكَ؛ فَأَحَبَّ الْحَيَاةَ، وَكَرِهَ الْوَفَاةَ؛ بعكس ماكان عليه

(دَعَاةٌ بِمَفْرَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ لَيَوْمِ الْحَرْبِ: بِخَرِّ أَوْ عَوَانِ)

المفزع: المستعاث. ودعته: سمَّته. فيقول: دعته هذه الدولة عضد الدولة؛ لأن الأعضاء إنما تدفع عن نفسها بالعضد؛ وهى حاملة اليد؛ فكذلك هذه الدولة؛ لما وجدت مَفْرَعَ أعضائها بِالْعَضُدِ؛ دعته عَضُدُهَا. فقوله: (بِمَفْرَعٍ) فى موضع المفعول الثانى؛ لأن هذه (دَعَاةٌ) التى بمعنى سَمَّيْتُ، تقول: دعوته زيدا؛ ودعوته بزيد؛ كقولك سميت إياه؛ وسميته به.

قال سيبويه حين ذكر هذا النحو. وكذلك دَعَاةٌ التى تجرى مجرى سَمَّيْتُه؛ يعنى أنها تتعدى إلى مفعولين: كما يتعدى سَمَّيْتُه إليهما. قال: فإن أُرِدَتْ الدُّعَاءُ إِلَى أَمْرٍ: لم تجاوز مفعولاً^(٢) واحداً. يعنى نحو التى فى قوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ)^(٣)؛ وكقوله سبحانه: (أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِى

(١) من قصيدة «أنا لآتمى إن كنت وقت اللوائم».

(٢) انظر سيبويه (١٦: ١) فى باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعولين.

(٣) الآية ١٩٣ من سورة الأعراف.

إذا دَعَان^(١) وقوله: (اليوم الحرب). أى إلى يوم الحرب. (يُكْرِ أو عَوَان): بدل من الحرب. وقد بَيَّن معنى هذا البيت بقوله:

(بَعْضُهُ الدُّوْلَةُ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ بَغْيٌ ذِي عَضُدٍ يَدَّانِ)

اليدان: إما أن تكون هما الكُفَّين، وإما أن تكون القوة. حكى سيبويه^(٢): لا يَدَّيْنِ بِهَالِكٍ، لم يَغْنِ (تنحية اليد)، ونَفَى الجارحتين؛ ولكنه نفى القُوَّة^(٣) وأراد: (لا يَدَّ بِهَالِكٍ)، فوضع الاثنين موضع الواحد الدال على الكثرة. فدلَّت التنحية من الشيعاء على ما يدل عليه الواحد الدال على الكثير، أعنى المنفَى بلا؛ لأن ذلك الواحد متفرق لنوع المنفى بها.

وقد تجئ التنحية تدل على الكثير. أنشد الفارسي للفَرَزْدَق:

وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ^(٤)

ونظيره قوله تعالى فى صفة السماء: (فارجع البصر هل ترى من فُطُور)^(٥) ثم ارجع البَصَرَ كَرَّتَيْنِ).

(فَكَّرَتَيْنِ) فى موضع كَرَات. والدليل على ذلك قوله: (ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حَسِير). فلو أمره أن ينظر فى السماء كَرَّتَيْنِ فقط فنظر مرتين، لم يرجع البصر خاسئاً وهو حَسِير، لأن البصر لا يَحْسِر من مرتين، انما يَحْسِر من مرات. هذا تفسير الفارسي^(٦)، بعد أن أعمل فيه إنعام الفِكْرِ؛ وقدَّر ما فيه من وراء علوة الجِسْرِ^(٧).

(كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاجِمِ فِى الْعَنَاصِي كَسَى الْبُلْدَانَ رِيَشَ الْحَيْقُطَانِ)

(١) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) انظر باب النفى (بلا) فى الكتاب لسيبويه (٣٤٦:١).

(٣) فى اللسان (يدى) ابن سيده (لا يدين لك بها) معناه لا قوة لك بها لم يحكه سيبويه إلا فى مثنى.

(٤) تمامه

وكل رفيقى كل رحل وإن هما تعاطى القنا قوما هما أخوان

(٥) الآية ٣. ٤ من سورة الملك

(٦) عبارة الفارسي فى تفسير سورة الملك (ثم ارجع البصر) أى كرره كرتين، أى رجعتين أخريين والمراد بالتثنية التكرير.

(٧) الغلوة: الغاية، وهى رمية السهم أبعد ما يقدر عليه (المصباح). ويقال: سهم حسر: مستوفى الريش

ريش الحَيْقُطَان: احمر. والعنَاصى: خُصَل من الشعر. يقول: جرى الدم فى عناصيهم فاخضبت فاحمرت، ثم تمزقت شعورهم فى المُعْتَرَك، وأطارتها الريح على الأرض؛ فكان العناصى المحمَّرة المتمزقة ريشُ هذا النوع من الطير وجعل الدم هو الذى كسا البُلْدان ذلك، لأنَّه لولا الدم لم يُشبه العنُصوة ريشُ الحَيْقُطَان. (فى العنَاصى). ظرف فى موضع الحال، أى مستقرًّا فيها.

(وكانَ ابْنُنا عَدُوًّا كَاثِرًا لَهُ يَاعَى حُرُوفِ اُنَيْسِيَّانِ)

أُنَيْسِيَّان: تصغير إنسان، وهو أكثر حروفاً من مكبَّرة، لكن تلك الكثرة مشعَّرة بقلَّة، فلا غناء لهذه الزيادة التى فيه، لما يلحقه من التصغير، ونقيصة التحقير. فهو يدعو لفناً خُسُراً، فيقول: لا كاثرك مَلِك باثنين إلا كنا له كاليامين اللتين فى (أُنَيْسِيَّان)؛ وكلتاهما زائدة: لا غناء لهما، وأيضاً فإنهما للتحقير: الأولى للتصغير حقيقة، والثانية لالتحقق إلا مع ياء التصغير، فهى بمنزلتها فى الدلالة على التصغير. فلذلك قلت إنهما جميعاً للتحقير، ولم أَعْنِ أَنَّ يَاءَ (أنيسيان) الأخيرة من جوهر التصغير كيف يكون ذلك وهذه الياء خامسة، أعنى ياء (أُنَيْسِيَّان) الأخيرة. وياء التصغير لا تكون أبداً إلا ثالثة. و(أُنَيْسِيَّان) من شاذ التصغير.

■ ١٤١ ■

وله أيضاً:

(فِدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَأ مَلِكٌ إِذْنٌ إِلَّا قَدَاكَ) (١)

(فَدَاكَ) يحتمل [أن يكون] (٢) فعلاً، واسماً (٣).

(وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُساوِي دَعَوَنَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَا كَأ)

أى أنه لا يساويك أحد، فلو قلنا: فِدَى لك مساويك، لكان كقولنا: فِدَى لك لا أحد، وقاله: داخل فى ذلك.

(١) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٥٦٦ والتبيان (٣٨٥:٢) فى مدح عضد الدولة .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يتضح بها التعبير.

(٣) يقال فداء من الأسر يفديه فدى (مقصود) وفتح الفاء وتكرس: استنقذه بماله. ويقال فلان فدى لفلان (بفتح الفاء وكسرهما) فى الاسم.

(وَأَمِنَّا فِدَاكَ كُلَّ نَفْسٍ وَلَوْ كَانَتْ لِمَلَكَةٍ مِّلَاكًا)

أى لو اشتربنا فى فداك المساواة، لأمن كل أحد أن يكون لك فداء، وإن كان ملكاً، لأنه مع ملكه وملكه مَقْصَرٌّ عن مساواتك.

(وَمَنْ^(١) يَنْظُرْ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً وَيُنْصِبْ تَحْتَ مَانْثَرِ الشُّبَّاكَ)

أى وفدى لك من أعطى وغرضه أن يستجر فائدة فاضلة^(٢) ببعطائه، [فهو] بمنزلة القناص الذى يلقي الحب للطير؛ وقد نصب الشبكة تحته لاقتناصها فلا ينبغي أن يحمد على ذلك، لأنه ليس جوداً فى الحقيقة، إنما هو دعاء إلى هُكْ.

وهذا مثل ضربه لمن طلب من الشكر أكثر مما يوجب له نذاه. والشُّبَّاك جمع شبكة كرقبة ورقاب، وَرَحْبَةٌ وِرْجَاب.

(أَتَثْرَكُنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي فَتَقْطَعَ مِشْنِيَّتِي فِيهَا الشَّرَاكَ)

أى بكونى فى حاشيتك، واعتدأى فى صاغيتك^(٣)؛ شَرُفْتُ وعظمت حتى عدت كأن عين الشمس نعل؛ فإذا فارقتك؛ كنت كمن مَشَى بهذه النعل؛ فانقطع شراكها؛ فسقطت؛ فكان اختلال جزئها، سبباً لعدم كَلِّها.

وإن شئت قلت: كسانى قصدك شرفاً، صارت [به]^(٤) عين الشمس لى نعلأ فإذا بَعُدْتُ عنك، أخللت ببعض ذلك الشرف، لا بَكَلِّه؛ فكأنى قطعت الشراك الذى هو بعض النعل، فجعل الشرف كعين الشمس، وجعل فراقه لعضد الدولة المشى فيها؛ وجعل بعده عنه بمنزلة انقطاع الشراك؛ الذى هو سبب الإخلال بالنعل، ولم يتوقع فى كل ذلك إخلالاً كلياً، لأنه كان مُزْمَعاً للعودة إليه. ألا تراه يقول:

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكََا

- (١) يظن (يفتح الظاء المشددة والنون مشددة أيضاً؛ أصله يظنن على (يفتعل) قلبت التاء طاء لموافقها الإطباق، وأبدلت التاء طاء لتدغم فى التى بعدها فصار يظنن. ثم أبدلت النون فى النون (انظر التبيان ٢: ٣٨٦).
(٢) معنى فاضلة هنا: أى زائدة على جزء ما تقدم.
(٣) فى اللسان: صاغية الرجل: الذين يميلون إليه ويأتونه. أو هم قومه الذين يميلون إليه.
(٤) (به) : زيادة للرطب بين الجملتين.

وقوله: (فتقطع مِشيتي فيها الشراكا): نصب فيه (تقطع)، لأنه جواب الاستفهام، والكلام متضمن معنى الجزاء أى إن تتركنى أسير وقد انتعلت بعين الشمس؛ قطعت مِشيتي شراك فعلى.

وإن شئت رفعت على القطع، أى فإنها تُقطع؛ ولا يكون عطفاً على «أتركنى» لأن قطع مِشيتيه شراك النعل؛ ليس داخلاً فى حد الاستفهام؛ ومعنى هذا الاستفهام الإنكار والتقرير؛ أى كيف تتركنى على ما أنا به من الرأى؛ وأنت تعلم أن الذى أنا عليه من ذلك سَفَه.

(قد استشفيت من داء بداء وأقتل ما أهلك ما شفاكا)

الداء المستشفى منه: تشوقه إلى أهله أيام كونه بشيران؛ وأهله بالكوفة؛ والداء المُستشفى به من ذلك الداء: فراقه للملك فيقول أما الآن حين أزمعت الإياب إلى أهلك فقد استشفيت من داء الشوق بفراق هذا الملك؛ وفراقك إياه أعود عليك بالآلم. (وأقتل ما أهلك ماشفا كا)؟ أى أقتل ما أهلك الآن؛ فراقك لأبى شجاع؛ على أنه قد شفاك من شوقك إلى أهلك؛ فكان اشتياقك كالمرض؛ ومزاولتك^(١) لهذا الملك حين أزال شوقك كالموت المذهب لآلم المرض، وهو أشد من آلم المرض.

ثم يُخرج قوله (وأقتل ما أهلك ما شفاكا) على طريق العموم، فيصير مثلاً، كقوله:

أرى بصرى قد رابنى بعدَ صِحَّةٍ وحسبك ذاء أن تصح وتسلماً^(٢)
وكذا

ودعوتُ ربى بالسلامةِ جاهداً ليُصِحِّنى فإذا السلامة داءً^(٣)

وموضع بيت المتنبي أولى.

(١) المزيلة: المفارقة. وفي م: (المزاولة) ولاتناسب المقام لأن المزاولت معالجة الشئ وممارسته. ولعله خطأ من الناسخ أو الكاتب الذى أملى عليه المؤلف.

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي أنشده فى البيان والتبيين (١: ٨٦ ط القاهرة) وديوانه (ص ٧).

(٣) أحد بيتين لبعض شعراء الجاهلية كما فى الكامل للمبرد (ط لبيسك ص ١٢٥) (والحلى ص ١٨٧).

ونسبه ابن السيد البطليوسى فى شروح سقط الزند ص ١٦٦١ للبيد بن ربيعة وقبله.

كانت قناتى لاتلين لغامز فأ لانها الإصباح والإمساء

(وَأَنَّ الْبُخْتُ لَا يُعْرِقُنْ إِلَّا وَفَدَ أَنْضَى الْعُذَافِرَةَ الْكَاكَ)

البُخْتُ: جمع بُحْتِي؛ حذفت ياء النسب في الجمع، لأنها بمنزلة التانيث؛ في أنها داخلة على الاسم بعد تمامه؛ ألا تراهم قالوا تَمَرَّةٌ وَتَمَرٌ؛ ونخلة وَنَخْل. (ويُعْرِقُنْ): يأتين العراق، و(أنضى): أهزل و(العُذافرة): العظام. أخبر عن جماعة مالا يَعْقِلُ بشكل الواحد. حكى سيبويه عن العرب: الجمالُ ذاهبة وذاهبات. ولا أقول (العذافرة) هاهنا واحدة؛ لأن نَدَى فَنَأْخُسَرَ عنده؛ أعظم من أن يصفه بأن تستقل به ناقة واحدة. والكَاك: الأينق الشداد؛ وهي اللجمة أيضاً هنا. حكى سيبويه: ناقة لِكَاك؛ وأينق لِكَاك والقول في هذا؛ القول في دِرْعٍ بِلاصٍ وأدرع دلاص. فان الكسرة، التي في الجمع غير التي في الواحد؛ والألف غير الألف. وقد أَعَدَّتْ هذا القول مراراً لأونس به المستوحش؛ فإني رأيتهُم عند تفسيره لهم بهشين. ولو فهموا كلام سيبويه، أُنْسُوا إليه.

ورواه بعضهم: (اللُكَاكَ). وفُعَالٌ^(١): من الجمع العزيز؛ إلا أن له نظائر جَمَّة، كَعَرَقٌ وَعَرَّاق، وثني وثْناء وقد ذكر سيبويه^(٢) وأهل اللغة منه حروفاً جَمَّةً وعليه وجه الفارسي قراءة من قرأ (إنا بُراءٌ منكم)^(٣) قال: هو جمع برئ^(٤) كَفَرِيرٍ وفُرَّارٍ، يعني ولد البقرة. وجعل بعضهم الفُرَّار لغة في الفريز. ونظائره عَرِيضَةٌ أَرِيضَةٌ.

ومعنى البيت: وَلَيَّتِ النُّومَ حَدَّثَ هذا المحبوب الذي يريه إِيَّايَ في النوم، حُبُّهُ لِي، وتوحُّشُهُ نحوي، أن البُخْتُ لاتبلغ بنا العِراقَ حتى يُنْضِيها أو يُفْنِيها مائَحَمَلْتُهُ من نَدَاك، لثقل مائَحَمَلْتُهُ إِيَّاه، من البُذور والخلع وهذا نحو قول أبي العتاهية يصف الإبل،

(١) ذكر صاحب اللسان مادة (عرق) عدة ألفاظ على وزن (فُعَال بضم الفاء وفتح العين).

(٢) انظر الكتاب لسيبويه (١: ١٩٦).

(٣) الآية ٤ من سورة الممتحنة.

(٤) ذكر القرطبي قراءات هذه الآية فقال: براء: جمع برئ، مثل شريك وشركاء وقراءة العامة على وزن فعلا. وقرأ عيسى بن عمر وابن إسحاق (براء) (بكسر الهمزة) على وزن (فعال) مثل طويل وطوال. وقرأ (براء) على الوصف بالمصدر. وقرأ (براء) علي إبدال الضم من الكسر.

فإذا وردن بنا وردنن مُحْفَةً وإذا صدرن بنا صدرنن ثَقَالاً^(١)

والضمير فى (انضى: راجع إلى الندى فى قوله: (فليت النوم حدث عن نَدَاكَ).

(وَكَمْ طَرَبَ الْمَسَامِعَ لَيْسَ يَدْرِى أَيْعَجِبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ عَلَاكَ)
(وَذَاكَ النَّشْرُ عَرَضُكَ كَانَ مِسْكًا وَذَاكَ الشَّعْرُ فَهْرِي وَالْمَذَاكَ)

أى طَرَبَ السامع لاستماع شعرى ليس يدرى أى الأمرين أولى بالتعجب منه، أجودة شعرى فيك، أم رفعة عُلاك فى ذاتها، لأن شعرى متناهم فى نوع الشعر، وعُلاك متناهية فى نوع العُلَى. فقد تساوىا فى السبق والفضل. ولولا البيت الذى بعد هذا، لَعُدَّ جَفَاءً من المتنبي، لتسوية شعره فى نوعه بَعْلًا الملك فى نوعها؛ لكن حَسُنَ ذلك بالبيت الذى اُرْدَفَه به، فيقول: الأريج الذى ذاع وشاع لشعرى، إنما هو لعرضك السليم الكريم، فان عرضك هو المسك الذى إنما طُبِعَ الطيب لذاته لاشِعْرَى وإنما شعرى هو بمنزلة الفهر والمَذَاك، اللذين يُظْهَران فَوْح المسك، وينشران نَشْرَه، لان المسك إذا سُحِقَ كان أسطع لِعَرْفه، واشْبَع لِفَوْحه

وأما شعرى فلم يك له فى ذاته طيب إنما كان كالألة للطيب، ألا ترى أن آلة الطيب ليس فى طبيعتها فَوْحٌ، إلا بحسب ماتعلق بهذا من الجوهر الذى صُرِّفَتْ فى صناعته.

وقوله (ذاك النشر): ذاك مبتدأ، والنشر صفة له، وعرضك: خبر المبتدأ. وأراد: وذاك النشر نَشْرُ عَرَضُكَ.

هذا إن عني بالعرض الإناء والذات، لأنها جواهر، والنشر عَرَضٌ، فلا يخبر عن العَرَضُ بالجواهر. فلذلك احتجنا إلى تقدير حذف المضاف، كما احتجنا إليه فى قوله تعالى: (ولكن البرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)^(٢) وذهب سيبويه^(٣) إلى أن التقدير: (ولكن البرُّ بَرٌّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)، أى إيمانٌ من آمن بالله لأن (البرُّ) عَرَضٌ، (من آمن بالله): جوهر، فَقَدَّرَ الحذف مضافاً، ليخبر بالعَرَضُ عن العَرَضُ.

(١) انظر ديوان أبى العتاهية وفيه.

فإذا أتبن بنا أتبن مخففة وإذا رجمن بنا رجمن ثقالا

(٢) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٣) انظر سيبويه (١٠٨: ١) فى (باب استعمال الفعل فى اللغة لاقى المعنى)

قال الفارسي: وقد يجوز أن يكون التقدير، ولكن أهل البر من آمن بالله، وذلك لتقابل الجوهر بالجوهر لأن أهل البر جوهر، (ومن آمن بالله) كذلك. فيخرج إلى باب (هو هو) لأن أهل البر هم المؤمنون بالله، وإن جعلت العَرْض هنا المَجْد وسائر أنواع الفضائل، لم يحتج إلى حذف المضاف، لأن النشر والمجد كلاهما ليس بجوهر

(وذاك الشعر فهري والمذاكا): أى وكان ذاك الشعر. وقوله (كان مسكاً) إلى آخر البيت: تفسير لقوله: (وذاك النشر عرضك). والمذاك: صلاية العطار^(١)، دُكْتُ الشئ دُوكاً: دققته وكان القياس (مدوكاً): لأن بناء ما يُعْتَمَل به (مِفْعَل)، لكنه شذ كما شذ المُسْعَط وأخواته، وإن اختلف بناؤهما، فقد التقيا فى الشذوذ.

(فَلَا تَحْمَدُهُمَا وَاحْمَدْهُمَا إِذَا لَمْ يُسَمِّ حَامِدُهُ عَنَّاكَ)

أى لاتحمد الفهر والمذاك اللذين عنيت بهما شعري، لأن حقيقة الطيب ليس لهما، فلا يسنحان شيئاً من الحمد، وإنما ينبغى لك أيها الملك أن تحمد نفسك التى اقتنت المساعى، وأنبتت المعالى، باستدعاء القوافى، والثناء الوافى ويعنى بالهمام نفس الملك.

وقوله: (إذا لم يُسم حامده عنّاك): الهاء راجعة إلى الهمام، وأخبر عنه كما أخبر عن الغائب، لأنه قد أخرج ذلك المخرج لقوله (واحمَدُ هُمَاماً) فلم يكن بُدَّ من أن يعيد إلى الموصوف ذكرأ من صفته، لأن قوله (إذا لم يُسم حامده) فى موضع الصفة (لهمام)، وأراد إذا لم يُسمك حامده، وإذا لم يُسم حامده محموداً، فإنما يَعْنِيكَ.

وإن شئت قلت: معناه: لو لم يُسمك الحامد لعناك، القولان متقاربان والمعنى مشتق من قول أبى نواس.

إذا نحن اثنيينا عليك بصلاحِ فانت كما تُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي تُثْنِي^(٢)

وإن جَرَتِ الألفاظُ يوماً بِمِثْلَةِ لغيرك إنساناً فانت الذى نَعْنِي

(١) الصلاة: مَنَقُ الطَّيِّب.

(٢) من قصيدة لأبى نواس فى مدح الأمين (ديوانه ص ٤١٥).

ولو قال: (إذا لم يُسَمَّ حامدُهُ عَناءُ) كان حسناً، ولكنه حمله على المعنى، لأن المراد في كل ذلك المَخاطبة.

(اغْرِهُ لهُ شَمَائِلُ مَنْ أَبِيهِ غَدَاً يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَ)

أى قد أخذت شَبَهَ أبائك، صورةً وفِعْلاً، وبنوك يستكملون شَبَهَكَ لأنهم الآن يُشَبِّهونكَ بعض الشَّبَه، إذ لم يستكملوا خِصَالَكَ، فإذا استكملوها أشبهوك، وإذا أشبهوك وأنت تشبه أباك، فقد أشبهوا أباك. وهذا يتألف فى الشكل الأول من المنطوق. تقول: زيد يشبه عَمراً وعمرو يشبه خالداً، النتيجة: فزيد يشبه خالداً.

(وفى الأحبابِ مُحْتَضُ بَوَجِدُ وَآخِرُ يَدْعَى مَعَهُ اشْتِرَاكَ)

يُومئى إلى أن وَجَدَهُ لِفِرَاقِ عَضُدِ الدُولَةِ طَبِيعِيٌّ لَاعَرَضِيٌّ وَإِنْ كَانَ غَيْرِهِ يَدْعَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ كَذَلِكَ.

(إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِى خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكَى)

(بكى): كناية عن الطَّبِيعِيّ، و(تبأكى): كناية عن العَرَضِيّ، لأن التفاعل قد يأتى لغرض، لإظهار خِلَافِ مَا أَمَرُ بِهِ فى الحَقِيقَةِ.

أنشد سيبويه^(١):

إِذَا تَخَاوَزْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ

فَقُولِهِ: وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ. أى: إِذَا اشْتَبَهَتْ الدُمُوعُ فِى الخُدُودِ، بِمَا هِىَ عَلَيْهِ مِنَ الِهَمَلَانِ، وَسُرْعَةِ الْجَرَيَانِ، لَمْ يَكُ هُنَاكَ بَدٌّ مِنْ فَصْلِ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعَرَضِيّ وَالطَّبِيعِيّ.

وهذا آخر ما انتهى من الشرح المبارك

* * *

(١) الكتاب لسبويه (٢: ٢٣٩) فى (باب دخول الزيادة على فعلت) قال: وقد تجى (تفاعلت) ليريك أنه

ليس فيها من ذلك تفاعلت وتعاميت وتعايشت وتجاهلت. قال: (إذا تخاوزت وما بى من خزر)

والخزر: ضيق العين وصفرها خلقه

وتخاوز الرجل: إذا ضيق فغنه ليحدد النظر وليس به خزر. إنما يتكلف ذلك ويتظاهر به.

وهذا الرجز أنشده الصحاح لأرطاة (خزر) ورواه أساس البلاغة فى المادة نفسها للمعاج وذكروا اللسان بدون نسبة.

ورواه ابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب شرح أدب الكتاب (ج ٣ ص ٢٨٩) وقال: هذا الرجز يروى لعمر بن العاصى ويروى لأرطاة بن سهبة المرمى. والتخازر: النظر بمؤخر العين تداهاى ومكراً فإن كان خلقه فهو خزر ١١هـ.

تم التحقيق والحمد لله...

الفهرس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس شعر المتنبي المشروح

رابعاً: فهرس الأعلام

خامساً: فهرس الأماكن والبلاد

سادساً: فهرس الأمثال

فهرس الآيات القرآنية

- ٢١ (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم)
- ٢١ (قل أفغير الله تأمرونى أعبد)
- ٢٥ (أوجاءوكم حصرت صدورهم)
- ٢٦ (فما لهم عن التذكرة معرضين)
- ٢٩ (فى أيام نحسات)
- ٤٣ (ربنا ظلمنا أنفسنا)
- ٤٨ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)
- ٤٨ (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً)
- ٥٥ (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة)
- ٨٠ - ٦٥ (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
- ٢٥٠ - ٢٢٢ - ١٠٨ - ٧١ (لايسأمن الإنسان من دعاء الخير)
- ٢٤٦ - ٧٦ (والله أنبتكم من الأرض نباتاً)
- ٨٠ (هذا ما لدى عتيد)
- ٨٠ (مدهامتان)
- ٢٢٩ - ٨٩ (هذه ناقة الله لكم آية)
- ٩٣ (إلا ما دمت عليه قائماً)
- ١٠٣ (وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم)
- ١٠٣ (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً)
- ١١٠ (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل)
- ١١٨ (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)
- ١٢٢ (يانوح إنه ليس من أهلك)
- ١٢٧ (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)
- ١٣٤ (وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء)
- ١٣٩ (لا يموت فيها ولا يحيا)
- ١٤٠ (وأسأل القرية التى كنا فيها)
- ١٤١ (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)
- ١٤٧ (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)

- ١٦٨ (ألقيا فى جهنم)
- ١٩٠ (ألست بربكم)
- ١٩٣ (كل من عليها فان)
- ٢٢٦ (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى)
- ٢٤٩ (إنه كان وعده مأتياً)
- ٢٢٢ - ٢٥٠ (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)
- ٢٥٢ (وريشا ولباس التقوى)
- ٢٥٢ - ٢٦٧ (ولكن البر من آمن بالله)
- ٢٧٥ (وكفى بالله شهيداً)
- ٢٧٦ (إن المتقين فى جنات ونهر)
- ٢٧٦ (فيها أنهار من ماء غير آسن)
- ٢٨٥ (يسألون أيا ن يوم الدين)
- ٢٨٥ (يسألونك عن الساعة أيا ن مرساها)
- ٢٨٩ (وما يهلكنا إلا الدهر)
- ٣٠٥ (وكان له ثمر)
- ٣٠٨ (عَلَمْنَا مَنْطِق الطير)
- ٣١٥ (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)
- ٣٢٢ (فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق)
- ٣٢٣ (ويسبح الرعد بحمده)
- ٣٣٠ (فرهان مقبوضة)
- ٣٤٦ (سواء عليكم أذعوتموهم أم أنتم صامتون)
- ٣٤٧ (أجيب دعوة الداعى إذا دعان)
- ٣٤٧ (فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين)
- ٣٥١ (إننا برآء منكم)

فهرس الأحاديث النبوية

١٧٣	الخير فى السيف والخير مع السيف
٢٣٣	اغتربوا لا تضووا
١٤٢	لخلوف فم الصائم أحب إلى الله من المسك

فهرس شعر المتنبي المشروح

الصفحة

الهمزة

- [أمن ازديارك في الدجى الرقباء
أسفى على أسفى الذى دلتهنى
وتنكر موتهم وأنا سهيل
يشكو الملام إلى اللوائم حره
إذ حيث كنت من الظلام ضياء
عن علمه فيه على خفاء^(١)
طلعت بموت أولاد الزناء^(٢)
ويصد حين يلمن عن برحائه^(٣)

الألف المتصورة

- ألا كل ماشية الخيزلى
فذا كل ماشيه الهيدبى^(١)

ب

- أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأسقطت الأجنة فى الولا يا
منى كن لى أن البياض خضاب
دار الملم بها طيف يهددنى
بأبى الشموس الجانجات غوار با
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
ومن خلقت عيناك بين جفونه
وأعجبت من ذا الهجر والوصل أعجب^(١)
وأجهضت الحوائل والسقاب^(٢)
فيخفى بتبييض القرون شباب^(٣)
ليلاً فما صدقت عيني ولا كذبا^(٤)
اللابسات من الحرير جلا بيا^(٥)
على عينه حتى يرى صدقها كذبا^(٦)
أصاب الحدور السهل فى المرتقى الصعب^(٧)

- (١) من قصيدة مطلعها : أمن ازديارك فى الدجى الرقباء ضياء
(٢) من قصيدة مطلعها : أتكر يا ابن إسحاق إخوانى من إنانى
(٣) من قصيدة مطلعها : عدل المرادل حول قلب التائه فى سودائه

(الألف المتصورة)

- (١) مطلع قصيدة فى هجاء كافور

(ب)

- (١) مطلع القصيدة :
(٢) من القصيدة : بغيرك راعيا عبث الذئباب الضراب
(٣) مطلع القصيدة :
(٤) من القصيدة : دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا ولا كربا
(٥) مطلع القصيدة :
(٦) من القصيدة : فدينك من ربع وإن زدتنا كربا والغربا
(٧) من مقطوعة أربعة أبيات.

- أعيدوا صباحى فهو عند الكواكب
ولا فضل فيها للشجاعة والندى
طوى الجزيرة حتى جاضى خبرُ
فلا قضى حاجته طالب
وقد كان ينصرهم سمعه
- وردوا رقادى فهو لحظ الحبايب^(٨)
وصبر الفتى لولا لقاء شعوب^(٩)
فزعت فيه بأمالى إلى الكذب^(١٠)
فؤاده يخفق من رعبه^(١١)
وينصرنى قلبه والحسب^(١٢)
- دانى الصفات بعيد موصوفاتها^(١)
تعرضنا فبدا لك التصريح^(٢)
- وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد^(١)
فيا ليتنى بعد ويا ليتته وجد^(٢)
ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد^(٣)
لو أنه فى ثياب الحر مولود^(٤)
قبل الفراق أذى بعد الفراق يد^(٥)
- سرب محاسنه حرمت ذواتها
وفششت سرائرنا إليك وشفنا
أقل فعالى بله أكثره مجد
لقد حازنى وجد بمن حازه بعد
يرد بدا عن ثوبها وهو قادر
والعبد ليس لحر صالح بأخ
فارفتكم فإذا ما كان عندكم

ت

ح

د

- (٨) مطلع القصيدة :
(٩) من القصيدة : لا يحزن الله الأمير فانتى بنصيب
(١٠) من القصيدة : يا أخت خير أخ يا بنت خير أب النسب
(١١) من القصيدة : آخر ما الملك معزى به فى قلبه
(١٢) من القصيدة : فهمت الكتاب أبر الكتب العرب

(ت)

(١) مطلع القصيدة

(ح)

(١) من القصيدة : جلا كما هى قلبك التبريح

(د)

- (١) مطلع القصيدة :
(٢) مطلع القصيدة :
(٣) مطلع القصيدة : عواذل ذات الخال فى حواسد لمجد
(٤) من القصيدة : عيد بأية حال عدت يا عيد تجديد
(٥) أحد بيتين فى سيف الدولة.

٥٧	مرض الطيب له وعيد العود ^(٦)	أبرحت يامرض الجفون بمرض
٢٣	نضيحة فوق خلبها يدها ^(٧)	ظلت بها تنطوى على كبد
٢٨١	فكيف بحب يجتمعن وصدّه ^(٨)	يباعدن حبا يجتمعن ووصله
٣١٩	سرف قال آخر ذا اقتصاده ^(٩)	كلما قال قائل أنا منه
٦٣	تشكو إلى ولا أشكو إلى أحد ^(١٠)	ولا الديار التي كان الحبيب بها
٣٢٢	ولا خفرا زادت به حمرة الخد ^(١١)	نسيت ولا أنسى عتابا على الصد
١٦١	عليه لبشرته بالخلود ^(١٢)	ولو لم أخف غير أعدائه
١٣٨	فأقتلها وغيرى فى الطراد ^(١٣)	أراكض معوصات القول قسرا
٧٤	لييلتنا المنوطة بالتنادى ^(١٤)	أحد أم سدّس فى أحاد
١٩١	أحمد حاله غير محمود ^(١٥)	فما ترجى النفوس فى زمن
٢٣٠	وهذا الذى يأتى الفتى متعمدا ^(١٦)	فإنسى رأيت البحر يعثر بالفتى
١٠١	لبدر ولودا ويدرا وليدا ^(١٧)	رأينا ببدر وإبائه
٣٣٧	فجئتنى من خلالها قاصدا ^(١٨)	ليس كما ظن عيشة عرضت

-
- (٦) من القصيدة : اليوم عهدكم فابن الموعد غد
(٧) من القصيدة : أهلا بدار سبك أغيدها خردها
(٨) من القصيدة : أود من الأيام مالاتوده جنده
(٩) من القصيدة : جاء نوروزنا وأنت مراده زناده
(١٠) من القصيدة : ما الشوق مقتنعا متى يذى الكمد أحد
(١١) مطلع القصيدة
(١٢) من القصيدة : أيا خدد الله ورد الخدود القود
(١٣) أحد بيتين للمتنبى ...
(١٤) مطلع القصيدة
(١٥) من القصيدة : ما سدكت علة بمولد بن داود
(١٦) من القصيدة : لكل امرئ من دهره ماتعدوا فى العدا
(١٧) من القصيدة : احلما ترى أم زمانا جديدا أعيدا
(١٨) من القصيدة : أزائر ياخيال أم عائد راقدا

- لم يلق قبلك من إذا اشتجر القنا
 ٦٨ جعل الطعان من الطعان ملاذاً (١)
- إذا الغصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة
 ٦٢ وذئبا الذي قبلته البرق أم ثغر (٢)
- وتركك في الدنيا دوماً كأنما
 ١٢٦ تداول سمع المرء أنمله العشر (٣)
- تُرى الأهل وجهها عم سائله
 ٢٢٩ فما يخص به من دونها البشر (٤)
- تشبيهه جودك بالأمطار غادية
 ٢٣٥ جود لكفك ثان ناله المطر (٥)
- وله وإن وهب الملوك مواهب
 ١٨٤ در الملوك لدرها أغبار (٦)
- وغيرها التراسل والتشاكي
 ٢٤٧ وأعجبها التلبب والمغار (٧)
- اخترت دهمايتين يا مطر
 ١٨٧ ومن له في الفضائل الخير (٨)
- كأني عصمت مقلتي فيكم
 ٢٢٥ وكاتمت القلب ما تبصر (٩)
- حاشى الرقيب فخانتته ضمائره
 ٥٢ وغيض الدمع فانهلته بوادره (١٠)
- عذيري من عذاري من أمور
 ١١٧ سكن حوانحي بدل الخدور (١١)
- مرتك ابن إبراهيم صافية الخمر
 ١٦٣ وهنتها من شارب مسكر السكر (١٢)
- تعس المهاري غير مهري غداً
 ٣١٣ بمصور لبس الحرير مصور (١٣)

(ذ)

(١) من القصيدة: أمسار أم قرن شمس ذا الأستاذا

(ر)

- (١) من القصيدة: أريقك أم ماء الفمامة أم خمر جمر
 (٢) من القصيدة: أطاعن خيلا من فوارسها الدهر الصبر
 (٣) من القصيدة: الصوم والقطر والأعياد والعصر والتمر
 (٤) من القصيدة: ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته النظر
 (٥) من القصيدة: سر حيث حل تحله النوار المقدار
 (٦) من القصيدة: طوال قنا تطاعنها قصار أظهر
 (٧) من أبيات:
 (٨) من القصيدة: رضاك رضاك الذي أوتر أظهر
 (٩) مطلع قصيدة للمتنبي في صباه.
 (١٠) مطلع القصيدة.
 (١١) أحد أبيات ثلاثة.
 (١٢) من القصيدة: بادهاوك صبرت أم لم تصبرا أو جرى

- غدا الناس مثليهم به لا عدمته وأصبح دهرى فى نراه دهوراً^(١٣) ١٤١
- أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشببهه تأتى الندى ويذاع عنك فتكرة^(١٤) ١٦٦
- ز
كفرندى فرند سيفى الجراز لذة العين عدة للبراز^(١) ١٤٢
- س
ولا وقفت بجسم مسى ثالثة ذى أرسم درس فى الأرسم الدرس^(١) ٣٨
- ش
كان على الجوانب منه ناراً وأيدى القوم اجنحة الفراش^(١) ١٤٦
- ع
وقلبك فى الدنيا ولو دخلت بنا وبالجَن فيه مادرت كيف ترجع^(١) ٤١
- أطرح المجد عن كفى وأطلبه وأترك الغيث فى غمدى وانتجع^(٢) ١٧٣
- وصلت إليك يد سواء عندها البـاز الأشيهب والغراب الأبقع^(٣) ٣٠٤
- إذا ماست رأيت لها ارتجاجاً له لولا سواعدها نزوعاً^(٤) ٧٧
- أر كائب الأحباب إن الأدمعاً تطس الخدود كما تطسن البرمعا^(٥) ٨٨

(١٣) أحد أبيات ثلاثة.

(١٤) أحد بيتين خاطب بهما سيف الدولة

(ز)

(١) مطلع القصيدة

(س)

(١) من القصيدة : انظيمة الوحش لولا ظليه الأنس تعيس

(ش)

(١) من القصيدة : مبيتى من دمشق على فراش حاش

(ع)

(١) من القصيدة : حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا أشيع

(٢) من القصيدة : غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع شجعوا

(٣) من القصيدة : الحزن يلقى والتجمل يردع طبع

(٤) من القصيدة : ملث القطر أعطشها ربوعا التقيعا

(٥) مطلع القصيدة

ف

وعدت ذا الفصل من تعرضه وخفت لما اعترضت إخلافاً (١) ٢٩٩

ق

تشقق منهن الجيوب إذا بدت وتمضب منهن اللحى والمفارق (١) ٦٩
أمطر على سحاب جودك ثروة وانظر إلى برحمة لا أغرق (٢) ٤٠
وأشنب معسول الثنيات واضح سترت فمى عنه فقبل مفرقى (٣) ٢٢٠
بلاد إذا زار الحسان بغيرها حصى تريها ثقبته فى المخانق (٤) ٢٤٤
كيف ترثى التى ترى كل جفن راعها غير جفنها غير راق (٥) ١٥٨
كن لجة أيها السماح فقد آمنه سيفه من الغرق (٦) ١٦٥
وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا (٧) ١٩٨

ك

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك إنن إلا فداكا (١) ٣٤٨

ل

ومن جسدى لم يترك السقم شعرة فما فوقها إلا وفيها له فعل (١) ٥٤
رمانى خساس الناس من صائب استه وأخر قطن من يديه الجنادل (٢) ٤٤

(ف)

(١) احد أبيات ثلاثة.

(ق)

- (١) من القصيدة : هو البين حتى ما تاتى الخزائق أفارق
- (٢) من القصيدة : أرق على أرق ومثل يارق تترقق
- (٣) من القصيدة : لعيتك ما يلقى الغزاد ومالقي ومابقي
- (٤) من القصيدة : تذكرت ما بين العذيب ويارق السوابق
- (٥) من القصيدة : أتراها لكثرة العشاق فى الماقى
- (٦) من القصيدة : لام أناس أبا العشائر فى والورق
- (٧) من القصيدة : أيد رى النعم أى دم أرافنا شاقا

(ك)

(١) مطلع القصيدة :

(ل)

- (١) من القصيدة : عزيز أسى من داؤه الحق النجل من قبل
- (٢) من القصيدة : قفا تريا ودقى فهاتا المخابل قائل

ل

١٠٣	أبعد نأى المليحة البخلُ	فى البعد مالا تكلف الإبل ^(٣)
١٨٠	يحيدُ الرمح عنك وفيه قصد	ويقصر أن تنال وفيه طول ^(٤)
٢٢٦	إذا كان شم الروح ادنى إليكُم	فلا برحتنى روضة وقبول ^(٥)
٢٣٥	وقاسمك العينين منه وحظه	سميك والخل الذى لا يزاين ^(٦)
٣٠٢	قال الزمان له قولا فافهمه	إن الزمان على الإمساك عدال ^(٧)
٣٧١	تشتكى ما اشتكت من ألم الشـ	وق إلىها ولاشوق حيث النحول ^(٨)
١٩٧	فلم لا تلوم الذى لامها	ومافص خاتمها يذبل ^(٩)
١١٤	تخلو الديار من الظباء وعنده	من كل تابعة خيال خاذل ^(١٠)
٣٣٤	عدد الوفود العاملين له	دون السلاح الشكل والعقل ^(١١)
٣٦	محبى قيامى مالدكم النصلُ	سليما من الجرحى بريئا من القتل ^(١٢)
١٨٨	بنامك فوق الرمل مابك فى الرمل	وهذا الذى يضنى كذاك الذى يُلى ^(١٣)

(ل)

(٣) مطلع القصيدة :

- (٤) من القصيدة : رويدك أيها الملك الجليل تنيلُ
 (٥) من القصيدة : ليالى بعد الطاعنين شكول طويلُ
 (٦) من القصيدة : دروع لملك الروم هذى الرسائل ويشاغُل
 (٧) من القصيدة : لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ الحالُ
 (٨) من القصيدة : ماننا كلنا جو يارسول المتبولُ
 (٩) من القصيدة : أينفع فى الخيمة العذل (ويروى أيقذج) يشملُ
 (١٠) من القصيدة : لك يا منال فى القلوب منازل أوهل
 (١١) من القصيدة : اثلت فإننا أيها الطللُ الإبلُ

(١٢) مطلع القصيدة .

(١٣) مطلع القصيدة .

ل

٣١٢	جناها أحيائي وأطرافها رسل ^(١٤)	وبالسمر عن سمر القنا غير أننى
٢٠٣	والقائل القول لم يترك ولم يقل ^(١٥)	الفاعل الفعل لم يفعل لشدته
٨٩	زهر الشكر من رياض المعالي ^(١٦)	وربيعاً يضاحك الغيث فيه
١٨٠	شفن خمس إلى من طلب من قبل الشفون إلى النازل ^(١٧)	
٣٧	إلا رأيت العباد فى رجل ^(١٨)	هدية ما رأيت مهديها
١٨٧	كتوم السر صادقة المقال ^(١٩)	حصان مثل ماء المزن فيه
٢١٥	كذاك كنت وما أشكو سوى الطلل ^(٢٠)	أشكو النوى ولهم من عبرتى عجب
١٤٥	والقول فيك علو قدر القائل ^(٢١)	فمتى أقوم بشكر ما أوليتنى
٢٠٠	لولا ادكار وداعه وزئاله ^(٢٢)	لا الحلم جاد به ولا بمثاله
٩٨	له إذا أدبر لحظ المقبل ^(٢٣)	يحول بين الكلب والتأمل
٣٤٠	وأوفت الفدر من الأوعال ^(٢٤)	وقيدت الأيل فى الحبال

(ل)

- (١٤) من القصيدة : كدعواك كل يدعى صحة العقل من جهل
- (١٥) من القصيدة : أعلى المعالك ما بينى على الأسفل كالقبيل
- (١٦) من القصيدة : صلة الهجرلى وهجر الهلال الهلال
- (١٧) من القصيدة : إلام طماعية العنازل للعائل
- (١٨) من أبيات فى صباه.
- (١٩) من القصيدة : نعد المشرفية والعوالى قتال
- (٢٠) من القصيدة : (أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل والإيل
- (٢١) أحد أبيات ثلاثة.
- (٢٢) مطلع القصيدة .
- (٢٣) من أرجوزه أولها : ومنزل ليس لنا بمنزل.
- (٢٤) من أرجوزه أولها : ما أجدر الأيام والليالى.

ل

- كلمها رام حطها اتسع البنسى فغطى جبينه والقذالاً^(٢٥) ٢٥٥
 احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفى وما عدلاً^(٢٦) ٢٢
 حديق يذم من القوائل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيل^(٢٧) ١٠٢
 فجعلت ما تهدى إلى هدية منى إليك وظرفها التأميد^(٢٨) ٤٠
 فما حاولت فى أرض مقاما ولا ازمتعت عن أرض زوالاً^(٢٩) ١٠٦
 خلا وفيه أهل وأوحشنا وفيه صيرم مروح إبلاً^(٣٠) ١٤٧

- إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم^(١) ٢٠٥
 تفدى أتم الطير عمراً سلاحه نسور الفلا أحداثها والقشاعم^(٢) ٢٣٨
 أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم^(٣) ٢١٣
 سلام قلولا البخل والخوف عنده لقلنا أبو حفص علينا المسلم^(٤) ٨٧
 أراع كذا كل الأنام همام وسح له رسل الملوك غمام^(٥) ٢٤٣
 وفائزكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه^(٦) ١٦٨
 عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم^(٧) ٢٦١
 وكذا تطلع البدر علينا وكذا تقلق البحور العظام^(٨) ١٨٥

(ل)

- (٢٥) من القصيدة : ذى المعالى فليعلون من تعالى فلا لا .
 (٢٦) مطلع القصيدة .
 (٢٧) من القصيدة : فى الخد إن عزم الخليط رحيلاً محولا
 (٢٨) أحد أبيات أربعة
 (٢٩) من القصيدة : بقائى شاء ليس هم ارتحالاً لا الجمالا
 (٣٠) من القصيدة : لا تحسبوا ربكم ولا طلة قتله

(م)

- (١) مطلع القصيدة .
 (٢) من القصيدة : على قدر أهل العزم تأتي العزائم المكارم
 (٣) من القصيدة : واجر قلباه ممن قلبه شبح سقم
 (٤) من القصيدة : نرى عظماً بالصد والبين أعظم منهم
 (٥) مطلع القصيدة .
 (٦) مطلع القصيدة .
 (٧) مطلع القصيدة .
 (٨) من القصيدة : أين ازمتعت أيهذا الهمام الغمام

١١٢	يتداوى من كثرة المال بالإفلال جوداً كأن مالا سقام ^(٩)	
٨١	أحق عاف بدمعك الهمم	أحدث شئ عهدا بها القدم ^(١٠)
١٦٤	يا أخت معتق الفوارس فى الوغى	لاخسوك ثم أرق منك وأرحم ^(١١)
٧١	ملام النوى فى ظلمها غاية الظلم	لعل بها مثل الذى بى من سقم ^(١٢)
١٣٨	أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم	علمت بما بى بين تلك المعالم ^(١٣)
٢٥٢	أيا راميا يصمى فؤاد مرامه	تربى عداه ريشبها لسهامه ^(١٤)
٤٨	أبعد بعدت بياضا لا بياض له	لأنت أسود فى عيني من الظلم ^(١٥)
٣٠٦	حتام نحن نسارى النجم فى الظلم	وما سراه على خف ولا قدم ^(١٦)
٦١	طلبت جسيم ما طلبى وأنا	نخاطر فيه بالمهج العظام ^(١٧)
١١٦	صغرت كل كبيرة وكبرت عن	لكانه وعددت سن غلام ^(١٨)
٢٨٣	قد اخترتك الأملاك فاختر لهم بنا	حديثاً وقد حكمت راك فاحكم ^(١٩)
٢٩٣	عيون رواحلى إن حرت عيني	وكل بغام رازحة بغمامى ^(٢٠)
١١٨	منافعها ما ضر فى نفع غيرها	تغذى وتروى أن تجوع وأن تظلم ^(٢١)

- (٩) من القصيدة : لا التفار إلا لمن لا يضام لا ينام
(١٠) مطلع القصيدة.
(١١) من القصيدة : لهوى النفوس سريرة لا تعلم أسلم
(١٢) مطلع القصيدة.
(١٣) مطلع القصيدة.
(١٤) مطلع القصيدة.
(١٥) من القصيدة : ضيف ألم بجسمى غير محتشم باللم
(١٦) مطلع القصيدة.
(١٧) من القصيدة : أيا عبداً إله معاذ إنى مقامى
(١٨) من القصيدة : ذكر الصبا ومراتع الأرام حمامى
(١٩) من القصيدة : فراق ومن فارقت غير مذمم خير ميم
(٢٠) من القصيدة : علوكما يجل عن الملام الكلام
(٢١) من القصيدة : ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً حامداً

ن

- أريد من زمنى ذا أن يبلغنى
 وشرب كأس أكثرت رنينه
 يقمصن فى مثل المدى من بارد
 كأن رقاب الناس قالت لسيفه
 أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
 حولى بكل مكان منهم خلق
 كتمت حبك حتى عنك تكرمة
 مغانى الشعب طيباً فى المغانى
 طويل النجاد طويل العماد
 ضرين الينا بالسياط جهالة
 ثياب كريم ما يصون حسانها
 ولو أن الحياة تبقى لحى
 أفدى المودعة التى أتبعها
- ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن^(١) ٢٨٨
 وأبدلت غناه أنينه^(٢) ٢٢٩
 يذر الفحول وهن كالخميان^(٣) ٢٥٩
 رفيقك قيسى وأنت يمان^(٤) ٢٩٢
 وفرق الهجر بين العين والوسن^(٥) ٢٣
 تخطى إذا جئت فى استفهامها بمن^(٦) ١٣٢
 ثم استوى فيك إسرارى وإعلاني^(٧) ١٥٥
 بمنزلة الريح من الزمان^(٨) ٣٤٤
 طويل القناة طويل السنان^(٩) ٤١
 فلما تعارفنا ضرين بها عنا^(١٠) ١٨٦
 إذا نشرت كان الهبات صوانها^(١١) ٢٣٢
 لعددا أضلنا الشجعانا^(١٢) ٢٩١
 نظراً فرادى بين زفترات ثنا^(١٣) ١٠٩

(ن)

- (١) من القصيدة : بم التعل لا اهل ولا وطن سكن
 (٢) من القصيدة : حجب ذا البحر بحار دونه ويحمونه
 (٣) من القصيدة : الرأى قبل شجاعة الشجعان الثانى
 (٤) من القصيدة : عذرك مذموم بكل لسان القمران
 (٥) مطلع القصيدة .
 (٦) من القصيدة : أفاضل الناس أغراض لذا الزمن الفطن
 (٧) أحد بيتين .
 (٨) مطلع القصيدة .
 (٩) من القصيدة : قضاة تعلم انى الفتى الزمان
 (١٠) من القصيدة : نزور دياراً ما تحب لها مغنى الإتنا
 (١١) مطلع القصيدة .
 (١٢) من القصيدة : صاحب الناس قبلنا ذا الزمانا ماغاننا
 (١٣) من القصيدة : الحب ما منع الكلام الألسنا ما اعلنا

هـ

- ١٥٦ أعلى قناة الحسين أوسطها فيه وأعلى الكمي رجلاه^(١)
 ٣٢٧ أوه بديلاً من قـولتي وأما لمن نأت والبديل ذكرها^(٢)

ي

- ٢٧٥ كفى بك داء أن تري الموت شافيا وحسب المنيا أن يكن أمانيا^(١)

* * *

(هـ)

- (١) من القصيدة : الناس ما لم يروك أشباه معناه
 (٢) مطلع القصيدة.

(ي)

- (١) مطلع القصيدة.

فهرس الأعلام

(أ)

- إبراهيم بن السرى الزجاج : ٢٤١
 إبراهيم بن سيار النظام : ٦٢
 إبراهيم بن العباس : ١٤٧
 الأحمر : ٢٩٨
 الأحوص : ٢٩٥
 الأخطل : ١٩٣
 أبو الأسود الدؤلى : ١٩٥
 الأسود بن يعفر : ١١٦
 الأشتر النخعى : ٢٥
 أشجع بن عمر السلمى : ٦١
 الأصمعى : ٣٠ - ٣٤ - ٤٢ - ٢٩٧
 الأعشى : ٤٩ - ١١٥ - ٣٣٧
 الأعلم الشنتمرى : ١١٦
 الأفوه الأودى : ١٧٢
 امرؤ القيس : ٥٨ - ٦٤ - ٦٦ - ٩٥
 ١٦٤ - ١٦١
 أوس بن حجر : ٤٩ - ٧٤

(ب)

- البحترى : ٤٢ - ٦٦ - ٩٨ - ١٠٦
 - ١٢١ - ١٦٧ - ٢٠٠
 ٢٠٨ - ٢٥٣ - ٣٣١
 بدر بن عمار : ١٠٢ - ١٠٥ - ١٤٥
 ابن برى : ٤٢
 بشار : ٢٣٢
 بشر بن أبى خازم : ٢٤٩
 البطليوس = ابن السيد

(ت)

- أبو تمام : ٥٣ - ٥٤ - ٦٣ - ٨٤
 - ٨٦ - ١١٢ - ١٥٣
 ٢٠١ - ٢١٥ - ٢٣١
 تميم بن مقبل : ٦٦
 التوأم الشكرى : ١٦٤

(ث)

- الثعالبى : ٢٨٧
 الثنوية : ٢٨٤

(ج)

- جرير : ٧٨ - ١٦٢ - ١٨٠ - ١٩٣
 ابن جنى (أبو الفتح) : ٥٧ - ١١١
 ١٧١ - ٢٣٤ - ٢٥١
 ٣٠٨ - ٣٤٠

(ح)

- حارثة بن بدر : ١٠٢
 الحارث بن حلزة : ٣٠٢
 الحجاج بن يوسف : ١٨٨
 حسان بن ثابت : ٢٥٥
 حسان بن حنظلة الطائى : ٥١ - ٥٦
 الحسن البصرى : ٢١٧
 الحصين بن الحمام : ٢٩ - ٦٨
 حماد عجرد : ٢٣٢
 حميد بن ثور الهلالى : ٢٥٠

(خ)

خالد بن يزيد بن معاوية : ٧٨
الخليل بن أحمد : ١٠٨ - ١٦٧ - ١٧٢
- ١٧٨

(د)

دعبل : ٣٦٢
أبو دلف : ٧٥
الدمستقي : ١٠٢ - ٢٦١
أبو دؤاد الإيادي : ٢٠

(ذ)

ذو الرمة : ٣٣١
أو ذؤيب : ١٢٧

(ر)

الراعي النميري : ٢٤
رؤبة : ٣٢ - ٥٥ - ٢٣٨
ابن الرومي : ٨٢
الرياحي = سحيم

(ز)

الزجاج = إبراهيم بن السري
الزمخشري : ٢٢١
زهير بن أبي سلمى : ١٦٥
زياد الأعجم : ٢٢١
زيد الخيل : ١٩٦

(س)

سحيم بن وثيل الرياحي : ٥٠
السراج (ابن) = محمد بن السري
سعيد بن مسعدة (أبو الحسن
الأخفش) : ١٦٢ - ١٦٧ - ٢٢٩ - ٢٣٠
- ٣٤٢

ابن السيد البطلاني : ٣٥٤

سيبويه : ٢٥ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٩ - ٤٣
- ٤٥ - ٤٦ - ٦٥ - ٧٥ - ٧٧ - ١٠٠
- ١٠٤ - ١١٦ - ١١٨ - ١٣١ - ١٣٣
- ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٥ - ١٧١ - ١٧٩
- ١٨١ - ١٨٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٠٠
- ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٠ - ٢٢٩ - ٢٣٧
- ٢٤٠ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٤ - ٢٨٢
- ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣١٨ - ٣٢٩
- ٣٣٥ - ٣٥١ - ٣٥٤

سويد بن كاهل : ١٦٨

(ش)

شبيب العقيلي : ٢٩٢
شريح بن أوفى العبسي : ٥٥
الشمّاخ : ٢٩٩
شمشقيق (ابن) : ٢٦٧

(ط)

ظاهر بن الحسين : ١٥٠ - ١٧١
طرفه : ٣١ - ٣٢٤
الطرمّاح : ٢٦
طريف بن تميم العنبري : ٢٠٠

٢٧٢ — ١٠٠ — ٩١ — ٤٩

٢٤٧ — ٢٣٧ —

الفردق : ١٢٣ — ١٦٣ — ١٧٥ — ١٨٦
ابن فورجة : ١٠٥ — ١٥٢

(ق)

القرطبي (المفسر) : ٣٥١

القطامي : ٧٨ — ١٥٤ — ٢٧٠

قيس بن ذريح : ١٣٩

قيس بن معد يكرب : ٢٢٧

(ك)

كاكور الإخشيدى : ٢٧٩ — ٢٨٢ — ٢٨٥

كثير بن عبدالرحمن الخزاعي : ٢٢٢

— ٢٣١ —

(م)

المازني (أبو عثمان) : ٤٥ — ١٣٦ —

١٦٣

مالك بن خالد الخزاعي : ١٣٧ —

١٩٥

المانوية (أصحاب ماني) : ٢٨٤

المتنخل الهذلي : ٢٠٧

المتقّب العبدى : ٣٠

المثلّم بن رباح بن ظالم : ٣٠٨

مجاهد العامري : ٣٠٥

محمد بن السري (ابن السراج) : ٢١٧

محمد بن أبي عيينة المهلبى : ٢٢١

مرقش الأكبر : ٢٦٣

معاوية بن مالك : ٢٢٧

(ع)

العامري = مجاهد

عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :

١٤٥

عبدالله أمين : ١٦٣

عبدالمك بن مروان : ١٣١ — ١٩٠

عبيد الله بن يحيى البحتري : ٢٨ —

٦٢ — ٦١

أبو عبيد (القاسم بن سلام) : ٢٩٨

أبو العتاهية : ٦٣ — ٢٥٢

عدى بن زيد العبادى : ٢٢٧

العجلي (أبو دلف) : ٧٤

أبو العشائر الحمداني : ٦٨ — ١٥٦ —

١٥٨

على بن أبى طالب : ٦٣

على بن جبلة (العوّك) : ٣٤١

على بن صالح الروزبارى (أبو بكر) :

٥٥ — ١٤٢

عمر بن أبى ربيعة : ٢٩٢

عمر بن الخطاب : ٢٠٨

عمرو بن كلثوم : ٦٥ — ٨٠

عنتره : ٢٦٧ — ٢٦٨

(غ)

غيلان بن حريث : ١٣١

(ف)

الفارابى : ٩١

الفارسي (أبو على) : ٢٣ — ٣٩ — ٤٥ —

(ن)

الناطقة الجعدى : ٢٨٧

الناطقة الذبياني : ٢٠٨

أبو نجيلة السعدى : ٢١٨

النمر بن تولب : ٨٢

أبو نواس : ٢٧ - ١٥٣ - ١٧٦ - ٢١٢

٢٣٢ - ٢٥٣

(و)

وردان بن ربيعة : ٢٩٩

وضاح : ٦٠

وهشوزان : ٢٣٦ - ٢٣٨

(ى)

يعقوب بن السكيت : ١٩٤ - ٢٠٧ -

٢٣٤ - ٢٤٨

فهرس البلاد والأماكن

(ع)	(أ)
العرق ١٨٨ - ٢٥١	أرجان ٢٤٨
القنثر (ماء) ٢٥١	أرسناس ٢٩٩
(ف)	(ب)
فارس ٢٤٤	البديّة (ماء) ٢٤٨
(ك)	(ث)
الكوفة ٢٤٤ - ٢٥٠	الثوية (وهي الكوفة) ٢٤٤
(م)	(ح)
منبج ٥٨	الحدث (حصن) ٢٣٩ - ٢٥٧
ميافارقين ٢٠٩	حلب ٢٧٣
	حمص ٥٢
	الحيار (ماء) ٢٤٠
(هـ)	(س)
الهند ٢٧٨	سمين ٢٨٢
هنريط ١٨٣	
(ي)	(ش)
اليمن ٢١٢ - ٢٩٢	الشام ٥٨ - ٨٣ - ٢٠٩ - ٣٢٨
	شعب بوان ٢٤٥
	شيراز ٣٢٧ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٥٠

فهرس الأمثال

٢١	أراك بشر ما أچار مشفر
٥١	ابن خمسين ليث عفرين
٦٨	إن الحديد بالحديد يفلح
٩١	الاستقصاء فرقة
١٠٥	ما هو إلا هشيمة كرم
١٢٧	أبصر من غراب
١٤٩	ماله فقاهاة ولا فصاحة
١٩١	فإنما تغر من ترى ويغرك من لا يرى
٢٢٦	قد بين الصبح لذى عينين
٢٤٢	الرمح أخوك وربما خانك
٢٦١	الصدق ينبئ عنك لا الوعيد
٢٦١	الليل داج والكباش تنتطح
٢٨٥	اتخذ الليل جملا
٢٨٥	الليل يستر الويل
٣١٥	لا يكذب الرائد أهله
٣٢٣	رهبوت خير من رحبوت
٣٢٣	أو فرقاً خير من حبين

شكر

لمطبعة دار الكتب المصرية

للسيد مدير المطبعة وأقسامها الفنية
المختلفة خالص الشكر على ما بذلوه من
جهد فى إنجاز طبع هذا الكتاب مع الدقة
وحسن التنسيق وجمال الإخراج .

رقم الإيداع بدار الكتب ٩١٨٢ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0050 - 7

